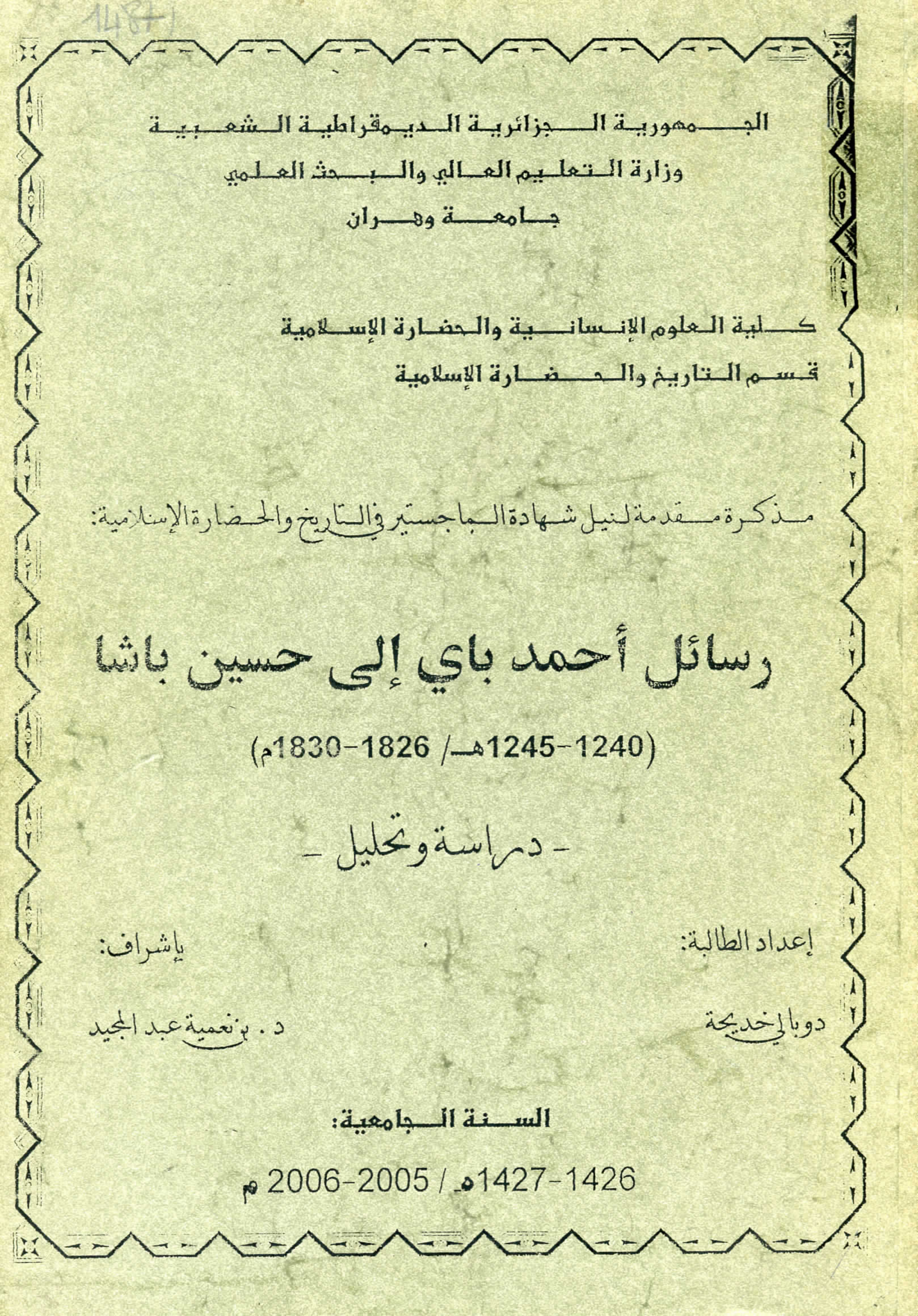


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية:

رسائل أحمد باي إلى حسين باشا

(1240-1245هـ/ 1826-1830م)

- دراسة وتحليل -

إعداد الطالبة:
دوباجي خديجة

بإشراف:
د. بن نعمية عبد المجيد

السنة الجامعية:
1426-1427هـ / 2005-2006 م


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

رَبِّ أَوْزِعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

إهداء

إلى من لا أرجو العيش إلا لهما، ولا تحلو لي المقام إلا بصحبتهما، حبيبَيْ قلبي وزهرتَيْ حياتي، والديْ الكريمين؛ أهدي هذا العمل المتواضع وأرجو من الله أن يبارك لكما في عمركما وصحتكما.

لكما جزيل الشكر وخالص الامتنان على عطائكما وصبركما وتشجيعكما لي طيلة مشواري الدراسي والذي لم أكن لأصل إلى ما وصلت إليه دون مساعدتكما وتدعيمكما.

إلى من جمعني بهم سقف واحد واحتضننا صدر واحد عيوني وأحبتي إخوتي: قرة عيني فاطمة الزهراء، أمين، كريم، نبيل، وخالد وزوجاتهم وأولادهم.

إلى من وجدتهم بجانبي في أحلك الأوقات وأشدها رفقاء العمر الذين تقاسموا معي تعب الحياة لسنوات طوال أدامهم الله تعالى أوفياء كما عهدتهم.

كلمة شكر

بتوفيق من الله تعالى تمت هذه الدراسة، وبإذنه وعونه تم تدوينها، فلك الحمد ربي كله كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أولا وآخرا.

ثم الشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد المجيد بن نعمية الذي لم يأل جهدا في تقديم نفيس مساعداته وجليل توجيهاته حتى تم هذا البحث، كما له الشكر على صبره وحلمه معي طوال مشواري الدراسي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ بن عيسى على ما بذله من جهد في تصحيح هذا البحث من الناحية اللغوية، ولا يفوتني أن أحيي بالمناسبة كافة أساتذة قسم التاريخ الذين تتلمذنا على أيديهم، والذين نكن لهم خالص الاحترام والتقدير وعلى رأسهم الدكتور بن معمر والدكتور سلطاني والأستاذين الحمدي وبوعصبانة والأستاذة زرهوني وكل أعضاء مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا.

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا   من غير أن يجدوا فيه آثار إحسان

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أمينة مكتبة الحضارة الإسلامية وكافة عمال المكتبة على خدماتهم الجليلة وحلمهم الواسع.

قائمة المختصرات

ج: الجزء

ط: الطبعة

د ط: دون طبعة

د مط: دون مطبعة

مج: المجلد

س: سنة

ع: العدد

Ibid: المرجع نفسه

N: Numéro

Op. Cit: المرجع السابق

R. A: Revue Africaine

R. A. C: Revue Algérienne et coloniale

R. H: Revue d'Histoire

R. H. C. M: Revue d'histoire et de civilization de Maghreb

R. C: Recueil de Constantine

C. C. I de Marseille: Chambre de commerce et des industries de Marseille


مقدمة

مقـــدمـــة

تكونت الوثائق العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر وتعليمات وقرارات وملاحظات كانت تصدر عن حكام الإيالة وموظفي البايلك، وقد ترتب عن طبيعة تكوين هذه الوثائق تداخل المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، ممّا جعل الرجوع إليها أمرا مهما وذا فائدة، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، رغم ما يترتب عن هذا التداخل من صعوبة في استخلاص المعلومات وترتيبها والانتفاع بها في الكتابة التاريخية.

وقد تأكدت أهمية هذه الوثائق بصفة خاصة من كون العهد العثماني بالجزائر تميز عموما بقلّة الإنتاج المخطوط مع توافر الوثائق الأرشيفية، هذه الأخيرة وإن كانت نادرة بالنسبة للقرن السادس عشر ميلادي، وقليلة بالنسبة للقرن السابع عشر ميلادي، إلاّ أنّها تتميز بالكثرة والتنوع بالنسبة للقرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلادي.

ولقد جاءت هذه الوثائق التي هي موضوع البحث على شكل رسائل أرسلها أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا آخر دايات الجزائر، وقد رسمت الخطوط العامة التي كان يعيشها المجتمع القسنطيني على عهد هذا الباي.

وبهذا فدراسة هذه الوثائق تبين الأسس والعادات والتقاليد السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القسنطيني، فاختلاف مواضيعها وتنوع اهتماماتها جعل من الممكن التعرف على أحوال المجتمع في مجالاته المختلفة.

إنّ أهمية هذه الرسائل تكمن في طبيعة المادة التي تحتويها، وتنوع الموضوعات التي تتصل بها، والمجالات التي تتطرق لها. فهي فضلا عن كونها تهتم بالحياة السياسية والمسائل الإدارية والقضايا الشرعية، فإنّها أيضا تمس الحياة الاجتماعية والثقافية للشرق الجزائري.

ومن أجل دراسة مضمون هذه الوثائق وطبيعة مادتها كان لابدّ من معالجة كلّ جوانبها، مع الأخذ بعين الاعتبار بأنّ محاولة كهذه سوف تواجهها العديد من

العقبات والمشاكل؛ ومن جملتها تداخل الموضوعات التي تناولتها وتنوعها، بحيث أصبح من الصعب دراسة مجال دون مجال آخر، ولم تكمن الصعوبة في تناول هذه المجالات بقدر ما كانت في طريقة التعامل مع المعلومات الواردة فيها، إذ تميزت في كثير من الأحيان بالاختصار وعدم الدقة، ممّا أخل بالتوازن بين الفصول.

ومن أهم أسباب اختيار هذه الدراسة هو محاولة التعرف على مرحلة معينة من تاريخ الجزائر، اعتمادا على مصادره الأساسية، لعلّها تعكس صورة واقع المجتمع القسنطيني عشية الاحتلال الفرنسي. ونظرا لأنّ هذه الرسائل كانت المصدر الأولي للعديد من المراجع العربية والأجنبية منها، ولأنّ هذه الأخيرة لم تتعمق في دراستها وتحليل ما جاء فيها، كان طموحنا من وراء هذه الدراسة بلوغ هذه الغاية.

إنّ القيمة العلمية لهذا البحث تتأكد من خلال انحصاره في فترة زمنية قصيرة لم تتعد الأربع سنوات أيّ من سنة 1240-1245هـ/1826-1830م، فصادفت بذلك فترة الأزمة الفرنسية الجزائرية، والحصار الذي فرض على كافة السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية.

فهل استطاعت هذه الرسائل أن ترسم الخطوط العريضة والصورة الحقيقية لوضعية المجتمع القسنطيني عشية الاحتلال الفرنسي سواء كان ذلك في مجالها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي؟ ولهذا فقد كان هذا البحث وسيلة للإجابة على هذه الإشكالية، وعلى بعض التساؤلات الأخرى ومن أهمها: كيف كانت تعيش الرعية القسنطينية التي كانت جزءا لا يتجزأ من المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي تحت حكم أحمد باي؟ وكيف كان يتم إدارة شؤونها؟ وإلى أيّ حد كان أحمد باي صارما في إدارة شؤون البايلك؟ وما السر الذي كان وراء نجاحه، خاصة وأنّه تمكن من المحافظة على المنطقة تحت سلطته حتى بعد سقوط مدينة الجزائر؟

ومن أجل الإجابة على كلّ هذه التساؤلات تم الاعتماد على المنهج التحليلي الذي عن طريقه تم دراسة الأحداث التاريخية من خلال الاعتماد الأولي على مضمون الرسائل، ولم يتأت ذلك إلا بإتباع خطوات أساسية: من بينها التعرف على

محتوى الوثائق ومن تم تحليل مضمونها من خلال معالجة مظاهر الحياة اليومية، وتشكل تلك الجوانب في حد ذاتها خصوصيات واقع بايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي.

وقد تم الاعتماد في انجاز هذه الدراسة بالدرجة الأولى على هذه المراسلات، وعلى مجموعة أخرى من المصادر والمراجع التي من خلالها يمكن إعطاء الفهم الأحسن للمادة التاريخية المتوافرة في الرسائل.

فلقد وفرت هذه المراسلات معلومات هامة حول الأحوال الداخلية للبايلك بما فيها الأمور السياسية والإدارية والشرعية والاقتصادية وحتى الاجتماعية. وقدمت معلومات دقيقة حول الحصار الذي ضربته فرنسا على السواحل الشرقية، ومن تم معرفة الأسباب الأساسية التي أدّت إلى تأزم الوضع بين السلطات الجزائرية والفرنسية. كما بينت الأساليب المستعملة في مواجهة هذا الوضع. وما قدم من جديد في هذا الجانب من تاريخ الجزائر هو معالجة الموضوع من خلال مجموعة وثائق أصلية، إذ أنّ معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كانت فرنسية، وما استعمالها كان الهدف منه المقارنة والتحليل، ومن تم الخروج بنتائج تكون بعيدة عن الطرح الفرنسي المفروض في دراساتهم.

وبالرغم من أهمية المعلومات التاريخية التي قدمتها نصوص البعض من الرسائل في هذا الجانب إلاّ أنّه لم يتم الإشارة إلى الحصار الذي ضرب على بقية السواحل الجزائرية، بما فيها سواحل مدينة الجزائر، كما لم تتطرق إلى المشاركة الفعالة للأسطول الجزائري في معركة نافرين.

هذا عن جانب العلاقات الجزائرية الفرنسية، أمّا فيما يخص علاقات الجزائر مع تونس فلقد وفرت البعض من هذه الرسائل معلومات قيمة حول دور الوساطة الذي لعبه بايلك الشرق في هذه العلاقات. كما بينت الموقف السلبي لحكومة تونس إثر الحصار الذي فرض على السواحل الشرقية.

ومن أجل سد بعض الفراغ وخاصة فيما تعلق بجانب العلاقات الخارجية، تم الاستفادة من مجموعة الوثائق الأرشيفية؛ مثل المراسلات التي كانت تتم بين وكيل الجزائر بتونس مع كبار موظفي السلطة، وعلى رأسهم حسين باشا؛ إذ ما يلاحظ على البعض من هذه الرسائل أنها لم تتطرق إلى ذكر أية تفاصيل حول المواضيع التي تناولتها تلك المراسلات، ومن أجل أخذ فكرة حول نوعية المواضيع التي كانت مجال الحوار والتبادل بين حكام تونس والجزائر تم الاستعانة بمجموعة من المراسلات التي تمّ العثور عليها في بعض ملفات الوثائق العثمانية.

أمّا فيما يخص المصادر التي تم الاعتماد عليها فنذكر أهمها:

تاريخ قسنطينة لصالح بن العنتري، ويعتبر مصدرا مهما وأساسيا بالنسبة لتاريخ قسنطينة وباياتها، وبايلكها. فمحتوى الكتاب هو سرد مختصر لتاريخ بايات قسنطينة بأسلوب الحوليات، استعرض فيه صاحبه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات.

وصاحب الكتاب معاصر لفترة أحمد باي، ولقد خصص له مكانا في كتابه هذا. وما يلاحظ عليه أنّه لم يتناول سيرة أحمد باي بالطريقة التي تناول بها سير البايات الذين سبقوه على حكم البايلك، فلم يذكر قائمة عماله، ولا الحملات العسكرية التي شنّها لمواجهة تمرد بعض القبائل، كما لم يتناول أهم إنجازاته على شتى الأصعدة، وإنّما خصص كلّ كلامه على الفترة الممتدة من سقوط مدينة الجزائر إلى استسلام أحمد باي. ومع هذا فإنّه أفاد في ترجمة الكثير من الشخصيات المذكورة في هذه الدراسة، ومعرفة بعض الأمور التي لم توفرها المصادر والمراجع المستعملة من أجل انجاز هذا العمل.

ثم يليها **المرآة لحمدان خوجة**. ويعتبر أيضا من المصادر الأساسية لتاريخ الجزائر. وهو في نظر أبي القاسم سعد الله أول وثيقة سياسية تاريخية كتبها أحد الجزائريين، وقدّم فيها أحكامه عن النظام العثماني. فقد اشتمل كتابه على معلومات غزيرة حول الحياة الاجتماعية والإدارية أواخر العهد العثماني.

كذلك **مذكرات الشريف الزهار** التي تعتبر من أهم المصادر الخاصة بتاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني، تولى صاحب المؤلف نقابة الأشراف بعد وفاة والده. كما شغل عدّة مناصب من بينها كاتب لدى أحمد باي. ومؤلفه يغلب عليه السرد التاريخي، المرتبط بالتجارب الشخصية، والملاحظات العامة عن الحياة ومجريات الأحداث.

أمّا **مذكرات أحمد باي** التي أملاها على أحد الضباط الفرنسيين سنة 1265هـ/1848م. فإنّها تضم مادة تاريخية وجغرافية وشخصية هامة تلقي الضوء على حياته. وما يلاحظ على هذه المذكرات أنّها تناولت الفترة الممتدة من سقوط مدينة الجزائر إلى استسلام أحمد باي.

أمّا فيما يخص المذكرات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية فنذكر من أهمها: **كتاب قسنطينة على أيام أحمد باي** لصاحبه "**سيمون شلوصر**" "**Simon Chlosel**"، الذي عايش فترة أحمد باي، وقد بينت جوانب مهمة من حياة هذا الأخير وشخصيته.

ثم تأتي **مذكرات شارل** لصاحبها "**وليام شارل**" "**Wiliam Charles**" قنصل أمريكا في الجزائر (1232-1240هـ/1816-1826م). وقد بينت مذكراته أنماط معيشة السكان ونظام الحكم.

أمّا فيما يخص المراجع التي تم الاعتماد عليها في انجاز هذا العمل، فنذكر كتابات **ناصر الدين سعيدوني** المتعددة والمختلفة حول تاريخ الجزائر العثماني، ومن أهمها: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، و**النظام المالي**. وقد كانت أعماله قيمة لاعتماده على الوثائق الأرشيفية، فقد تم الاستفادة منها في العديد من الجوانب.

كما نجد كتابات **أبي القاسم سعد الله** المتعددة، ومن أهم مؤلفاته التي دعمت البحث نذكر: **تاريخ الجزائر الثقافي** بأجزائه المختلفة، والذي ساعد كثيرا في معالجة علاقة أحمد باي بفئة العلماء. وكذا كتابه **محاضرات في تاريخ الجزائر** الذي أفاد على تبيان جوانب مختلفة من الدراسة.

أمّا فيما يخص **صالح فركوس** في كتابه **الحاج أحمد باي قسنطينة**، فقد أفاد كثيرا في توضيح جانب العلاقات القائمة بين هذا الباي ومختلف فئات المجتمع، خاصة تلك التي تعلقت بعلاقاته مع كبار العائلات.

وكذلك ينبغي الإشارة إلى كتابات **عبد الجليل التميمي**، خاصة، كتابه: **بايلك الشرق وأحمد باي**، فبالرغم من أنّ دراسته قد تناولت المرحلة الممتدة ما بين 1245- 1252هـ الموافق 1830-1837م، إلاّ أنّه قدّم معلومات سدّت بعض النقص في عدّة جوانب من الموضوع، خاصة فيما تعلق بالقبائل والنظام الإداري المتبع على مستوى البايلك.

إضافة إلى كلّ هذا، يجب الإشارة إلى الكتاب الموسوم **بالتجارة الخارجية للشرق الجزائري** لصاحبه **العربي الزبيري**، وقد ساعد على معرفة أمور كثيرة حول الأوضاع الاقتصادية للبايلك، وبخاصة في مجال النظم المالية.

وكذلك نجد **مولود قايد** من خلال كتابيه **تاريخ بايات قسنطينة** و**الجزائر على العهد العثماني**. فكتابه الأول ساعد على معرفة أحداث كثيرة خاصة تلك التي تعلقت بعلاقات أحمد باي مع القبائل المتمردة وبعض الشخصيات المعادية لحكمه. أمّا فيما يخص مرجعه الثاني فلقد دعم البحث بمعلومات حول التنظيم الإداري على العهد العثماني.

أمّا فيما يخص المراجع الأجنبية فكانت كثيرة، ومن أهمها نجد:

"**تاريخ قسنطينة**" "**Histoire de Constantine**" لـ "**أرنست مارسي Ernest Mercier**". فمحتوى الكتاب هو سرد مختصر لتاريخ بايات قسنطينة بأسلوب الحوليات، استعرض فيه صاحبه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات. ومن خلال ما ورد فيه من معلومات تاريخية استطعنا سد الكثير من الفراغ خاصة في ترجمة بعض الشخصيات غير المعروفة، وكذا في معرفة تفاصيل بعض الأحداث التاريخية التي لم يفصل فيها أحمد باي.

كذلك كتاب "**الجزائر على عهد الأمير عبد القادر**" "**L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader**" لصاحبه "**مارسيل إمريت**" "**Marcel Emerit**". وقد نشر صاحب هذا الكتاب ترجمة لخمس رسائل من المجموعة، دون عرض نصها العربي، أو تقديم دراسة وافية، أو حتى تحليل لما جاء فيها، فقد اكتفى بعرض الرسائل دون التعليق عليها أو نقدها. وبالرغم من هذا فلقد ساعد كثيرا في معرفة قيمة الرسوم التي كان يدفعها بعض القياد والشيوخ للسلطة على عهد أحمد باي. كما وفر معلومات تاريخية مهمة حول حياته وشخصه وعلاقاته مع مختلف الشخصيات والقبائل.

كما نجد "**شارل فيرو**" "**Charles Féraud**" خاصة في مرجعه "**القالة**" "**La Calle**"، الذي نشر في آخره ترجمة لثلاث رسائل من المجموعة مع عرض نصها العربي، ولقد ذكر بأنّها من أهم الوثائق التي تصف الحصار الذي فرض على السواحل الشرقية، مع أنّه لم يقدم دراسة تحليلية لها، إلاّ أنّه ساعد على فهم بعض المصطلحات، والترجمة لأهم الشخصيات الواردة في هذه الرسائل.

كذلك يجب الإشارة إلى كتاب "**إحصاء مستوى المعيشة لسكان أرياف قسنطينة**" "**Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale)**" لصاحبه "أندري نوشي" "**Endrè Nouchi**"، الذي قدّم دراسة شاملة حول الأوضاع الاقتصادية للبايلك، وما أضفى عليه من قيمة علمية هو اعتماد صاحبه على مجموعة من الوثائق الأرشيفية أصبغت على دراسته الكثير من الجدية والمصداقية.

أمّا فيما يخص المجلات فأكثر ما أفاد هذه الدراسة نذكر "**المجلة الإفريقية**" "**Revue Africaine**". وبالخصوص الأعداد الصادرة في كلّ من السنوات التالية: 1872-1874-1878-1899. ولقد قدّمت معلومات تاريخية حول كلّ ما اتصل

بأحوال البايلك وبخاصة السياسية منها على عهد أحمد باي.

وكذا مجلة "**روكاي**" "**Recueil de Constantine**". التي ضمت بعض أعدادها مادة تاريخية مهمة خاصة تلك التي تعلقت بالترجمة لبعض القبائل وأهم الأحداث التاريخية التي عايشتها على عهد أحمد بايِ. ومن أبرز كتابها حول بايلك الشرق نذكر، "**شارل فيرو**""**Charles Féraud**" و"**فايست**" "**Vayssette**" و" **أرنست مارسي**" "**Ernest Mercier**". ومن أهم الأعداد التي دعمت البحث بمعلومات مهمة نذكر العدد الصادر سنة 1869.

أمّا فيما يخص المجلات والمقالات العربية فمن أهم المقالات التي دعمت هذه الدراسة تلك التي نشرها "**جمال قنان**" في "المجلة التاريخية" تحت عنوان "**الأزمة الجزائرية**"، وقد وفر هذا المقال معلومات تاريخية مهمة حول الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية.

كذلك يجب الإشارة إلى دور الرسائل الجامعية المستعملة في هذا البحث، فمن أهمها والتي ساعدتنا كثيرا في معرفة العديد من الجوانب نذكر: "**Tribus, Structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs**" لصاحبتها "**ليلي بابس**".

كما لا يفوتنا التنويه بدور الموسوعات والمعاجم المختلفة في تدعيم البحث بمعلومات مهمة، والتي كانت متصلة بمواضيع الدراسة اتصالا مباشرا.

ومن أجل إنجاز هذا العمل تم تقسيمه إلى مدخل وأربع فصول، وقد جاء هذا التقسيم بناء على أهمية المواضيع والحيز الذي أخذته في مراسلات أحمد باي.

أمّا **المدخل** فخصص للتعريف بالرسائل شكلا ومضمونا، وبكلّ ما اتصل بها من شخصيات بارزة، وكذا الإطار المكاني لها.

ثم كان **الفصل الأول** الموسوم بـ **الإدارة والقضاء على عهد أحمد بايِ**. ففي الجانب الإداري تم التطرق إلى العمل الإداري على مستوى المدينة والأوطان. أمّا فيما يخص الجانب القضائي فتم من خلاله عرض بعض النماذج من المسائل القضائية التي مست الطرف المدني والعسكري معا.

في حين ضم **الفصل الثاني** دراسة شاملة لكلّ **علاقات أحمد باي الداخلية** بما فيها علاقته مع الأعيان والقبائل، هذا على مستوى البايلك، أمّا على مستوى الايالـــة فتم عرض علاقته بالحاكم الأول في السلطة حسين باشا. ثم مع كبار موظفي الحكم وقد تَرجمت هذه العلاقات في شخص يحي آغا وإبراهيم الخزناجي. كما تم التطرق بصورة مختصرة إلى علاقة أحمد باي بباي تيطري.

ثم كان **الفصل الثالث** الذي تم من خلاله عرض **دور أحمد باي في العلاقـــات الجزائرية الخارجية**. وكانت كلّ من فرنسا وتونس نموذجا لذلك، وهذا راجع لطبيعة المعلومات التي تناولتها الرسائل.

أمّا **الفصل الرابع** فلقد خصص لدراسة **الحياة الاقتصادية والاجتماعية علـى عهد أحمد باي**. فمن خلال العنصر الأول تم التطرق إلى وضعية الفلاحة والحرف والتجارة الداخلية على عهد هذا الباي، ودراسة مفصلة لأوجه الدخل والإنفاق علـى مستوى البايلك ووضعية العملة الجزائرية أواخر العهد العثماني. فـي حـين ضـم العنصر الثاني من هذا الفصل التعريف بالمجتمع القسنطيني ومميزاتــه، وعــرض مختصر لمظاهر الاحتفالات بالأعياد الدينية والمناسبات الاقتصادية والاجتماعية.

وفي الأخير كانت خاتمة البحث التي ضمت مجموعة من الاستنتاجات كانت عبارة عن حوصلة للموضوع. كما ألحقت آخر هذه الدراسة ببعض النماذج من هذه الرسائل، أيضا بعدد من الوثائق، والخرائط والرسومات البيانية المتصلة بمواضـيع البحث اتصالا أساسيا.

المدخل

1-الجانب الشكلي واللغوي للرسائل:

تعدّ الوثيقة[1] الأرشيفية من المصادر الأساسية ومن الأصول الضرورية في الدراسات التاريخية. وقد تكونت هذه الوثائق من خلال الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية، مثل المراسلات السياسية المتمثلة في الرسائل والتقارير[2]. ومن بين هذه الوثائق، هذه المجموعة من الرسائل[3]، وعددها ثلاثون. محصورة في إطارها الزماني ما بين 1232و1245هـ الموافق لسنة 1816و1830م. أرسلت من محمد جاقر باي إلى عمر باشا، ومن منماني وأحمد باي إلى حسين باشا[4].

فلقد احتلت الرسائل في كلّ عصر حيزا كبيرا من الاهتمام. ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى ديوانية وإخوانية[5]. وهذه المجموعة تصنف ضمن الرسائل الرسمية الديوانية، هذه الأخيرة اختصت "بمصالح الأمة وقوام الرعية" وهي بصورة عامة "تختص بتصريف شؤون الدولة"[6]. وبهذا استطاعت أن تهيمن على كلّ المجالات، فهي بمثابة "المرآة التي انعكست عليها هموم المجتمع"[7]. في حين صنّفها الركيبي ضمن النثر السياسي فقال:"إنّ الرسائل التي كتبها أحمد

1- **الوثيقة**: في اللغة العربية "يشكل الجذر الثلاثي (و ث ق) مشتركا لفظيا لمعان عديدة، ولكنّ الأبنية الصرفية الخاصة بمعنى الوثائق تشتق من الفعل (وثق) ماضيا- (يوثق) حاضرا، ومصدرهما (توثيق) الذي يعني تسجيل المعلومات وتحريرها حسب طرق علمية متفق عليها. ونتاج عملية التوثيق هذه: (الوثيقة) التي يعني: ما يحكم به الأمر، ومن حيث الواقع: مستند مكتوب يستدل به لدعم حجة. وجمع وثيقة: الوثائق. ولعلّ اللفظة السائدة في اللغات الأجنبية، الإنجليزية بخاصة، المقابلة لمعنى الوثيقة هي"Document. ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المنهاج، ط:1، 1418هـ/1998م، ص ص: 131-132.

2- **التقارير**: مفرده تقرير. وهو عرض للحقائق الخاصة بموضوع معين، أو مشكلة معينة، عرضا تحليليا بطريقة سلسلة مبسطة. ينظر: نزيه إعلاوي، حفظي إشتية، أساسيات في اللغة العربية قواعد وتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 1420هـ/1999م، ص ص: 105-106. ويمثل التقرير خاصية من خصوصيات الوثائق العثمانية، وكان يمثل في تلك الحقبة من التاريخ العثماني وثيقة يحررها الحاكم بصورة مفصلة حول موضوع من الموضوعات ليقدمها إلى الحاكم الأعلى. ينظر: المرجع السابق، ص: 142. وكلّ هذه المفاهيم قد اشتملت عليها هذه الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى حسين باشا.

3- ما يلاحظ في هذا البحث أنّ هذه الرسائل قد أخذت عدّة مصطلحات، فمرات "الرسائل" ومرات أخرى "التقارير"، وبما أنه قد سبق إعطاء شرح مفصل لكلّ من مصطلح "الوثيقة" و"التقرير" و"الرسالة" فيمكن من خلال هذه الشروح المقدمة تعليل استعمال كلّ هذه المصطلحات؛ فالوثائق تشمل كلّ الرسائل والتقارير. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، د مط، د ط، ص: 281.

4- تم الحصول عليها من قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر. رقم المجموعة: 1642.

5- محمد طاهر كريم، من أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993، ص: 165.

6- المرجع نفسه، ص: 165.

7- المرجع نفسه، ص: 176.

باي هي نماذج من النثر السياسي"[1].

ويمكن تصنيف الرسائل التي هي محور الدراسة إلى ثلاث مجموعات:

*-المجموعة الأولى: تضم رسالة واحدة [2]، وجهت من جاقر باي[3] إلى عمر باشا[4]، ومن خلالها يعلم الباشا بتوجه الخليفة إلى الجزائر ليحمل له "الدنوش الصغير"[5]. كما يعلمه بأنّه أرسل برفقته أصحاب الرواتب من الجنود والموظفين حتى يتم مراجعتها ثم تسليمها[6].

*-المجموعة الثانية: ضمت رسالتين، أرسلت من الباي محمد منماني[7] إلى حسين باشا. اعتبرها أحد الفرنسيين من بين الوثائق المهمة التي تصف لنا أحوال الشرق الجزائري على عهد هذا الباي[8]. فالرسالة الأولى[9] يعلم من خلالها

1- محمد الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1993، ص: 44.

2- الرسالة رقم :(9) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 25 جمادى الثانية 1232هـ/سبتمبر1816م.

3- **جاقر باي(1229-1232هـ)/(1814- 1818م)**: هكذا ورد اسمه في الرسالة. وهو معروف لدى معظم المؤرخين بمحمد شاكر. أصله من أزمير. دام حكمه أكثر من أربع سنوات. ينظر: محمد صالح بن العنتري، فريدة منيسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص ص:81-82. ومن سلبيات حكمه أنّه لم يسيطر على الجيش الذي خرج على طاعته، وعندما ازدادت الشكاوى من الرعية أمره الداي بقتل بعض قادة الجيش، لكنّه رفض، لذلك عزل. ينظر: مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د ط، ص: 39.

4- **عمر باشا(1230-1232هـ)/(1815-1817م)**: كان على رأس الجيش لمدة طويلة. رفض منصب الحكم مرتين، ولكنّه في المرة الثالثة لم يستطع الاعتذار. ولد في ماتلان من عائلة يونانية. قدم إلى الجزائر عن عمر يناهز 33 سنة. ترقى في سلم المراتب العسكرية بسرعة. أهم حدث تاريخي وقع على عهده، الهجوم الإنجليزي على الجزائر سنة 1232هـ/1817م. قتل خنقا سنة 1232هـ/1817م. ينظر:
Pierre Boyer, Alger à la veille de l'intervention Française, Imprimerie national S. A, Monaco, 1ier trimestre, 1964, PP : 94-95.

5- سوف يخصص لهذا الموضوع جزئية، ينظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، ص ص: (244-251).

6- الرسالة رقم :(9) في الترتيب العام للمجموعة.

7- **محمد منماني(1240-1241هـ)/(1824-1826م)**: "تركي قديم في قسنطينة"، تولى أمر البايلك وهو عجوز هرم، وكان قبل هذا قد شغل بعض المناصب من بينها: قائد جلب الغنم، وقائد الشعير ثم بعدها خليفة. لا يحسن العربية ولا يتحدثها إلاّ بصعوبة بالرغم من أنّه عاش في قسنطينة سنوات طويلة. بعد أدائه للدنوش، وقع عليه غضب وسخط من الباشا لقلة المردود الذي حمله، فأرسل إليه شوائا لاعتقاله في حمزة (برج بويرة) ثم اقتادوه إلى القليعة في أحواز العاصمة بمتيجة، ووضع في إقامة جبرية. عاش بعد ذلك سنوات إلى أن وافته المنية بالقليعة. ينظر: صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص:29.

8- قام هذا الباحث بنشر ترجمة لها مع الحفاظ على النص العربي وذكر أنّ هذا الأخير هو الأصل. ينظر:
Erkament Kuran, Lettres autographes de Mohamed Manammani bey de Constantine (1824-1826), R A. Journal des travaux de la société historique Algérienne, Alger A. Gourdon libraire-éditeur, Constantine, Arnolet, Imprimeur- libraire, Paris, Challamel Ainè, Libraire, Office des publications universitaires, Alger, 18ème année, N : 8, 1874, PP : 414 ,417.

9- الرسالة رقم:(8) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: ربيع الثاني 1241هـ/نوفمبر 1825م.

الباشا بتوجه الخليفة[1] مع المحلة إلى الجزائر ومعه "لزمة الدار الكريمة"[2].

في حين بعث بالرسالة الثانية[3] في 5 رمضان دون ذكر السنة. وقد تمكن أحد الباحثين من وضع سنة لها، حددها بـ (1240هـ/1826م) دون ذكر الأدلة التي استند إليها في ذلك. وبهذا يكون التاريخ الكامل لها: (5رمضان 1240هـ)/(14 أبريل 1826م). ولهذا السبب واعتمادا على ضوء ما ورد في نص الرسالة من معطيات تاريخية، كانت هناك محاولة للخروج ببعض الفقرات التي تثبت صحة ما ذهب إليه هذا الباحث.

فمن خلال نص هذه الرسالة يفهم أنّ الباي محمد منماني يشتكي من سوء وفساد سلوك وأخلاق خليفته، فصار هذا الأخير ينتهك حرمة رمضان بشربه الخمر[4] على علم من العلماء والرعية[5]، واصفا إياه بالعبارات التالية:"انه منذ جاء من عندكم وهو في غاية الخلاف والاعوجاج والفساد[*] وأخلاقه تفسد وتصرفاته تزداد وعدم امتثال أمرنا". وبعدما تم زجره وإنذاره فرّ هاربا من قسنطينة[6]. إذا فإنّ هذه الأحداث المذكورة تبين وقوعها في شهر رمضان سنة (1240هـ/1826م). كما أورد مصدرا آخرا ما يؤكد صحة هذا التاريخ، فذكر بأنّه عزل سنة 1240هـ/1826م وعوض بالقايد سليمان[7].

*-المجموعة الثالثة: ضمت مراسلات أحمد باي، وعددها 27 رسالة. 25 منها بعثت إلى حسين باشا[8]، أمّا البقية فوجهت إلى كبار موظفي[9]

1- **الخليفة:** هو محمود شاكر ابن شاكر باي. ظلّ يناور للحصول على منصب والده ولكنّه لم يفلح. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريف: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1982، ص: 221. ويضيف آخر أنّه تولى في بداية الأمر منصب قائد العواسي والذي اعتبر من بين المناصب المهمة. ثم ارتقى إلى مرتبة الخليفة. ينظر: Mathe et Edment. Kitab Aâyane el Marhariba, Imprimerie orientale- Fontana- Frères, Alger, 1920, P : 20.

2- الرسالة الرقم: (8) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

4- لقد وصفه حمدان خوجة بأنّه رجلا "سكيرا". ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص:221.

5- الرسالة السابقة.

* كان ذلك في: 7 ربيع الثاني 1241هـ الموافق لـ 19 نوفمبر 1825م.

6- الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

7-Mathe et Edment, Op. Cit, P : 20.

8- هذه المجموعة مرقمة من (1) إلى (25) ما عدا رقمي: (6) و(7).

9- الرسالة الأولى تحمل الرقم (6) في الترتيب العام للمجموعة، وجهت إلى حمزة أغا. في حين حملت الرسالة الثانية الرقم: (7)، في الترتيب العام للمجموعة. وقد وجهت إلى ابراهيم الخزناجي.

الإيالة الجزائرية[1]. حدد إطارها الزماني ما بين سنة 1240/1245هـ الموافق لـ 1826/1830م.

أ-الجانب الشكلي للرسائل:

مواصفات المجلد: أثبتت بعض الوثائق التي لا تزال تحتفظ بها المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة أنّ السلطات كانت شديدة الحرص على العناية بوثائقها والحفاظ عليها. فكانت تجلد بجلد فاخر ومنمق يعطيها منظرا جميلا ويحميها من آثار العوامل الخارجية[2]. وهذه الرسائل التي نحن بصدد دراستها جمعت كلها في مجلد واحد، وصف بجماله وجودته، لا يظهر عليه أيّ نوع من التلف. بني اللون، وجد على حافتيه وفي وسطه بعض الرسامات التشكيلية (الهندسية) باللون الذهبي[3]. وما يلاحظ أيضا وجود بعض الكتابات الجانبية، فقد كتب في وسطه باللغة الفرنسية:"مجموعة رسائل مرسلة من الحاج أحمد باي بايلك قسنطينة إلى حسين باشا قديما للجزائر".[4] أمّا في آخر المجلد الذي يبدأ عكسيا -بمعنى أنّ الرسالة رقم (30) تبدأ بها المجموعة في حين نجد الرسالة رقم(1) يختتم بها المجلد- كتب عليه: "مهدى إلى وزير الحرب من طرف الوفي والمخلص والمطيع خديمه " ب ـ هيرارن "" P, Herarian" مع إمضائه[5].

المقياس: أمّا طول المجلد فكان 45 سم، بينما وصل عرضه إلى 30 سم.

وما يثير الانتباه هي الطريقة التي كتبت بها هذه الرسائل، إذ كتب المتن في الوجه، في حين يكتب الملحق في الاتجاه المعاكس للمتن وعلى الورقة نفسها[6].

1- **الإيالــة**: باللغة التركية "إيالت" نقلا عن العربية "إيالة" بمعنى الحكم والإدارة والسلطان. وتعتبر الإيالة في الإمبراطورية العثمانية أكبر تقسيم إداري وقد استعملت رسميا بعد عام 1000هـ/1591م. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 5، من تأليف مجموعة من الباحثين: هوستما، ليفي بروفنسال، ومجموعة أخرى من المؤلفين، النسخة العربية، إبراهيم زكي، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، كتاب الشعب، القاهرة، ط:1، ص: 264. وقد استعمل هذا المصطلح في معظم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تناولت تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني. إلا أننا فضلنا استعمال عبارة "الجزائر على العهد العثماني".

2- خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 287.

3- E. Fagnan, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque national d'Algérie, Bibliothèque national d'Algérie, P : 457.

4- جاء نصها باللغة الفرنسية على المجلد كما يلي: "Recueil de lettres arabes adressées par hadj Ahmed bey de la province de Constantine à Hussein ex dey d'Alger".

5- كتب على الورقة الأولى من المجلد باللغة الفرنسية: Offert à S .E le ministre de la guerre par son très humble et trés obéissant serviteur P, Herarian.

6- من أجل الإطلاع على نموذج من هذه الرسائل ينظر: الملحق الخاص بالمراسلات آخر هذه الدراسة.

المسطرة: بلغ الحيز الذي كتب عليه المتن 17 سم، في حين وصل في الملحق إلى 12 سم تقريبا. أمّا الأسطر فهي متلاصقة فيما بينها، تراوح عددها في المتن ما بين 11 إلى 29 سطرا، أمّا في الملحق فتراوحت ما بين 7 إلى 47 سطرا، إلا أنّه وجدت البعض من الرسائل دون ملاحق[1].

مواصفات الورق: كانت الوثائق العثمانية تكتب على ورق أملس ملائم للكتابة وشديد المقاومة[2]. وهذا ما ميز الورق الذي كتبت عليه هذه الرسائل؛ بالإضافة إلى كبر حجمها. وهو من النوع الغليظ، أصفر اللون. أمّا طول الأوراق وعرضها فيختلف، فمرات يتراوح ما بين 40 و 43 سم، ومرات أخرى ما بين 36 إلى 38 سم. أمّا العرض فتراوح ما بين 20 و28 سم.

لون المداد: كتبت كلّ الرسائل بمداد أسود، ولم يعثر على ألوان أخرى.

ب-دراسة الخط واللغة:

الخط: كانت كلّ الرسائل والوثائق الرسمية في بداية الأمر تكتب بخط "الإجازة" الذي كان يسمى سابقا بـ "التواقيع"، هذا الأخير كان الخط الرئيس المستخدم رسميا في الديوان، وفي كتابة الوثائق العثمانية، ومن هنا، يمكن القول بأنّ خط التوقيع قد انفرد تقريبا بكتابة الوثائق الرسمية[3]. ثم مع مرور السنوات وتغير أنماط الحكم في الدولة العثمانية بدأ يعمل بخط الديوان إلا أنّه وجدت من الرسائل العثمانية التي كتبت بغير هذا الخط، من بينها مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها، والتي كتبت بالخط المغربي، وهذا ما أكدّه سعيدوني[4].

الناسخ: أمّا فيما يخص الناسخ الذي قام بتحرير هذه الرسائل فنجده هو نفسه يتكرر في كلّ الرسائل. ولم تقدم بعض الدراسات التاريخية التي تناولت سيرة أحمد باي بعض الأسماء التي امتهنت هذه الحرفة على عهده. كما لم يتناول خليفة حماش عند تقديمه لعرض مفصل لمجموعة الوثائق العثمانية المتواجدة في

1- كلّ من الرسائل التالية لم تحمل ملاحق: (13-14-17) في الترتيب العام للمجموعة.

2- خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 187.

3- إدهام حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص ص: 187-188.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية(دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ط 1، 2000، ص:115. وقد نشر هذا الباحث وثيقة من إمضاء أحمد باي وشابهت الكتابة الموجودة عليها تلك الموجودة في الرسائل.

المكتبة الوطنية ما يمكن به سد هذا الفراغ، إلا أنّه ذكر في عجالة بأنّه كان يتولى كتابة هذه الرسائل "خطّاطون[1] محترفون يخرجونها بشكل منظم وجميل"، مثال ذلك الملف (**1642**) الذي نحن بصدد دراسته[2].

دراسة اللغة: رغم أنّ لغة الحضارة الإسلامية هي اللغة العربية، إلا أنّه لا يعرف الكثير من الحكام العثمانيين من كان يتقن اللغة العربية، ويستثني منهم البعض، مثال ذلك، أحمد باي الذي كان من أم جزائرية، وأيضا لأنّه اتخذ كتّابا عربا[3]. وقد كتبت كلّ رسائله باللغة العربية[4].

وقد تميزت الرسائل بوجود بعض الألفاظ الدارجة (العامية)[5] وأخرى تركية[6] وعلى العموم كانت أغلبها مفهومة. وأهم ما ميزها تكرار البعض منها، مثال ذلك: (خديمكم)[7]، و(حضرة سيدنا)، و(مقبل الكريمتين يدكم وقدمكم)، وإن دلّت هذه الألفاظ على معاني التبعية والولاء والطاعة لولي الأمر، فهناك ألفاظ مأخوذة من المعاني الدينية مثال ذلك: (أمير المؤمنين). كما وجدت بعض التسميات السياسية مثال ذلك: (الباشا)[8]، ولم يرد ورود لقب الداي[9] المتداول

1- لقد تأسست مدرسة للخطاطين على عهد الدولة العثمانية، وكان الغرض من تأسيسها مهنيا. وتعليم الخط في مدرسة الخطاطين هذه يختلف عن تعليمه في كلّ المدارس الرسمية الأخرى بكلّ مستوياتها التعليمية، من حيث الغرض ومن حيث الطبيعة. ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 11.

2- خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 287.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، *1981*، د ط، ص: 291.

4- أكّد أحمد توفيق المدني بأنّ كلّ شيء من الرسائل الرسمية كان يكتب باللغة العربية. ينظر: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ص: 181.

5- **الألفاظ العامية**: على سبيل المثال: القسم العرفي المنتشر بين أفراد المجتمع "(وحق راسي وراسك").

6- **الألفاظ التركية**: كثيرا ما كان يستعملها في وصف السفن مثل (الشقوف) أو ذكر بعض الرتب العسكرية مثال ذلك: اليولداش والكاهية.

7- **الخديم**: يعني الإخلاص لخدمة صاحبه حتى درجة العبودية، ومن الطبيعي أن تكون الخدمة مقرونة بالإخلاص. ينظر: محمد طاهر، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص:381.

8- **الباشا**: الباشة بالتاء المربوطة عند الأتراك هو الذي يوليه السلطان العثماني قطرا من الأقطار. ينظر: أبوراس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار فيما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار، مخطوط رقم: 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر. ورقة: 77.

9- **الداي**: كلمة تركية الأصل، ولها معان عدّة كالخال، والرجل متوسط السن، والمدافع، أيضا الرئيس والقائد، وهذا بالنسبة لعامة الناس، أمّا بالنسبة للإدارة العثمانية فإنّ اللفظة كانت تطلق على قادة الجيش الذين يمتازون بالشجاعة والقوة بالإضافة إلى رؤساء البحر، اعترافا بكفاءتهم وحرصهم على حماية سيادة الإيالة والدفاع على سواحلها من الهجمات الصليبية. ينظر: حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط، ص: 25.

في معظم المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر العثماني، أيضا كثيرا ما تكرر مصطلح (الدولاتلي)[1].

*-دراسة الأسلوب: إنّ مثل هذه الرسائل تقدم صورة من الأسلوب المتداول آنذاك. "فالدراسة الفنية للرسائل الرسمية تتمثل في بنيتها النموذجية، وفي الأسلوب". فهذه البنية لابدّ أن تتشكل من عناصر[2] أهمها:

المقدمة: كلّ نصوص الرسائل الموجهة إلى حسين باشا احتوت على مقدمة إطراء[3]، حول مدح الباشا حسين والتعريف بفضائله[4]، وإظهار محاسنه، وإبراز فضله على الرعية، وإظهار الطاعة له والولاء والتبعية[5]، والتنويه بخصاله الحميدة[6]، والدعاء له بالخير[7] والنصر[8]. كما استعمل المحسنات اللفظية المتمثلة في الجناس[9].

1- **الدولاتلي:** من بين ألقاب الباشاوات . وتعني أنّه الباشا والداي في الوقت نفسه. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 7، ص:189. وذكر آخر أنّ "دولاتلي" كلمة مركبة من الداي والدولة أيّ الحاكم الغير المعين من قبل السلطان العثماني. ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، د ط، ص: 225. وهو مصطلح منسوب للدولة وهو الغلبة، والمراد هنا المدة التي يستولي فيها الحاكم على السلطة، أو من التداول وهي التناوب. ينظر: أبوراس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار، ورقة: 77.

2- **من بين العناصر المكونة للرسالة:** البسملة والصلاة على النبي وعلى آله وصحبه، إذ نجد في مكان البسملة ذكر عبارة الحمد لله حق حمده، أمّا الصلاة على النبي فهي واردة في كلّ الرسائل. وذكر المرسل إليه والدعاء له. وهذا أيضا وارد. والتحية والحمدلة مع ذكر تاريخ الرسالة. وذكر العلامة السلطانية. وكلّ هذا وجد في الرسائل.

3- لقد ضمت كلّ الرسائل التي بعثها أحمد باي لحسين باشا هذا النوع من المقدمة، في حين خلت كلا الرسالتين التي بعث بهما إلى إبراهيم الخزناجي وحمزة آغا من أيّ مقدمة مدح أو إطراء. ومن هذا المنطلق يستنتج بأنّ هذه المقدمة خصّت إلاّ شخص الباشا فقط.

4- **مثال ذلك:** ما يذكر في معظم الرسائل: "المقام الذي مآثره ومكارمه الواضحة متوالية وآراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الأرشد الأفضل" ينظر: الرسالة رقم: (2).

5- **مثال ذلك:** ما ورد في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة "ونسأله من فضله وكرمه ومنه أن يمد لنا في حياتك ويبقي لنا وجودك ويبارك لنا في عمرك ويخلد ملكك وسلطانك وأن يمهد بدولتك البلاد ويصلح بسلطنتك الوطن والعباد إنه انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والسلام".

6- **مثال ذلك:** ما ورد في الرسالة رقم: (16): " المعظم الاسعد المقام الاصعد الانجد الافضل".

7- **مثال ذلك:** ما ورد في الرسالة نفسها: " أيد الله مقامكم واسعد بطول ايامكم ووالى انعامكم ولي نعمتنا حسين باشا الدولاتلي دامت معاليه وطابت ايامه ولياليه امين السلام الاتم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد الحمد لله جلت قدرته وتقدست كمالاته الا الخير والعافية ونعم الله الضافية الواقية المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها علينا وعليكم بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل صلاة وازكى التحية".

8- **مثال ذلك:** ما ورد في الرسالة رقم: (11): "ونسئل الله أن يبقي لنا وجودك وينصرك نصرا عزيزا ويدمر أهل الكفر ويؤيد الاسلام. أيضا ما ورد في الرسالة رقم:(12): "أمدك الله بالنصر وايدك بالفتح والظفر".

9- **مثال ذلك:** ما ورد في الرسالة رقم: (4): "المقام الذي مآثره عالية ومكارمه واضحة متوالية وأراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الموقر الأرشد الأسعد سيدنا حسين باشا الدولاتلي أبقاه الله يلبس حلل العافية جددا ويتعرف عوارف السعادة يوما وغدا".

الخاتمة[1]: أمّا الختام فيكون في الغالب بلفظ "السلام" وبالدعاء له[2]. بالإضافة إلى ذكر التاريخ باليوم والشهر والسنة الهجريين.

الأفكار: كانت غير متسلسلة، فكثيرا ما كان يختم الرسالة، ثم يراجع أمورا أخرى فيضيفها إلى ما أطلقنا عليه مصطلح "الملحق"[3]. وما يميز هذه الرسائل أنها ضمّت مواضيع عديدة وقليلا ما انفردت بموضوع واحد ومحدد[4].

منهجه: اتبع أحمد باي في كتابته لهذه الرسائل الأسلوب السردي، إذ يقوم بإعطاء تفاصيل عن أهم الوقائع وما قام به من أعمال وما اتخذه من قرارات. وما يلاحظ عنها أنها كانت مفصلة في أحيان كثيرة، خاصة عندما كان يتعلق الأمر بعرض حملاته التي كان يشنها على بعض القبائل المتمردة، ومختصرة في أحيان أخرى خاصة تلك التي تعلقت بالمراسلات الجزائرية التونسية.

2-إثبات أصلية الرسائل: لقد كانت هناك محاولة للبحث على أدلة ملموسة تثبت أصلية هذه الرسائل، نظرا لأهمية هذا الأمر في الدراسات التاريخية[5]. وما تم التوصل إليه هو أنّ هناك اتفاقا بين عدّة باحثين على أنّها "أصلية" مع توفر أدلة أخرى سوف يتم عرضها لاحقا، من بينها نذكر:

الختم: أهم ما ميز هذه الرسائل كونها تحمل الختم الرسمي لكلّ البايات الثلاثة[6]، وهذا إن دلّ على أمر فإنّما يدل على اختصاص كلّ باي بختمه المميز[7]، والذي كان يستخدمه في توقيع أوامره وقراراته. وأمّا الشخص الذي كلّف بوضع الختم الرسمي للباي أحمد[8] هو "الباش كاتب"[9].

1- كلّ الخواتم كانت ترد فيها العبارة التالية: "من الفقير لربه سبحانه، المتوكل عليه، المفوض أموره إليه، عبدكم وخادمكم ومملوك إحسانكم ومقبل الكريمتين يدكم وقدمكم الحاج أحمد باي".

2- **مثال ذلك**: ما ورد في الرسالة رقم: (12): "والله تعالى يؤيدك ويحفظك وينصرك بمنه وفضله أمين".

3- لم يذكر أحمد باي هذا المصطلح في رسائله وإنّما كان يستعمل العبارة التالية:" لاحقة خير".

4- مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم:(1)، ومن خلالها يخبر الباشا بوصول مكاتب من وكيل الجزائر.

5- محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط:1، 1996، ص: 120.

6- كلّ الرسائل حملت أختاما، وكانت لا توضع مباشرة في الرسالة المكتوبة بل وجدت في ورقة منفردة فارغة تأتي مباشرة من وراء الرسالة في الأسفل على الركن الأيسر من الورقة.

7- ينظر علامة الختم الخاصة بأحمد باي في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (1)، ص: 291.

8- ختم الباي:"الحاج أحمد بن محمد الشريف1242"."وما النصر إلاّ من عند الله."وما توفيقي إلاّ من عند الله".

9- Mouloud Gaid. Chronique des beys de Constantine. Office des publication universitaires. Alger. P : 128.

كما كانت هناك محاولة لوضع مقارنة بينها وبين رسائل أخرى بعث بها أحمد باي إلى حسين باشا، فوجد أنّها مختلفة تماما عن تلك التي بين أيدينا، سواء من حيث الورق أو الخط، كما أنّها لم تحمل الختم الخاص بأحمد باي[1]، وهذا الأخير دليل على أنّ هذه الرسائل أصلية.

أهمية هذه الوثائق في الدراسات التاريخية: أمّا عن شهادة بعض الباحثين فنذكر خليفة حماش الذي أكّد أصليتها فكتب يقول:" مجموعة عددها ثلاثون رسالة، مرقمة من الرقم(1) إلى الرقم(30) و**كلها أصلية**"[2].

في حين ذكر فانيون عند فهرسته لمحتويات خزينة المكتبة الوطنية: "أنّها مجموعة من ثلاثين رسالة **أصلية** منها خمس وعشرون رسالة موجهة من أحمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر، أمّا(6-7) فهي موجهة من أحمد باي إلى حمزة آغا، وإبراهيم الخزناجي. بينما الرسائل التي تحمل الأرقام(8-13) فهي موجهة من محمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر، فيما نجد الرسالة التي تحمل الرقم(9) قد أرسلت من محمد شاكر باي وهران إلى محمد باشا"[3].

أيضا من بين الذين اهتموا بنشر هذه الرسائل واتخذوها كمصدر أولي وأساسي للتأريخ للفترة والبايلك نذكر "شارل فيرو" "Charles Féraud" الذي نشر ترجمة لخمس رسائل لأحمد باي[4]، وذكر أنّ نص الأصلي لها مكتوب باللغة العربية. كما قام باحث آخر بنشر رسالتين لمحمد منماني[5]، وذكر أنّ النص

1- عثرنا على هذه الرسائل في ملف الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، والتي استخدمناها كمصدر لاقتناء المادة التاريخية. ونموذجا من هذه الرسائل موجود في الملحق الخاص بالوثائق.

2- خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص:321.

3- وهذا نصّها باللغة الفرنسية كما ورد في فهرسه: (Recueil formé par la réunion des originaux de trente d'ont vingt- cinq adressées à Hoseyn dey d'Alger, par Ahmed Bey Hamza agha et Ibrahim. Le N°9 est adressée par Mohamed Tchir Bey d'Oran à Mhamed Pacha en 1232).Voir :E. Fagnan Catalogue général de manuscrits, P : 457.

وما يلاحظ أنّ فانيون ارتكب خطأين تاريخيين: أولهما: أنّه ذكر أنّ المدعو شاكر كان بايا على وهران في حين أثبتت البحوث التي أجريت من أجل معرفة هذه الشخصية أنّه كان حاكما على بايلك الشرق. أمّا ثانيهما: فتكمن في أنّ الرسالة التي بعثها محمد شاكر باي لم تكن موجهة إلى محمد باشا كما ذكر، وإنّما وجهت إلى عمر باشا، وهذا أيضا خطأ تاريخي كان يجب الإشارة إليه.

4- هذه الرسائل تحمل الأرقام التالية:(3 10،11،12،20). ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine (Documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique), La Calle, T.Y.P, de l'association ouvrière, 1877. PP : 607,613.

5- حملت هذه الرسائل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (8-13). ينظر: Erkament, *Lettres orthographes de Mohamed Manamanni*, R. A. 1874, PP : 414, 417.

الأصلي لها مكتوبا باللغة العربية.

ثم "مارسيل أميريت" "Marcel Emerit"[1]، الذي نشر أربع رسائل من هذه المجموعة، وقد ذكر بأنّه عثر في الأرشيف الفرنسي على ترجمة لثلاثين رسالة أرسلها أحمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر. وقد قام بترجمتها "أوق ذي نيلي" مترجم لدى الوزارة الحربية[2] سنة 1265هـ/1844م[3]، وهو لا يعلم إن كانت النصوص الأصلية مكتوبة باللغة التركية أو العربية[4]. ويستبعد أنّها كتبت باللغة التركية، ذلك أنّ كلّ المراسلات التي كانت تتم بين البايات والدايات، أو حتى بين الموظفين السامين في الدولة كانت تكتب باللغة العربية، في حين كانت المراسلات التي كانت تتم على مستوى الباب العالي تكتب باللغة التركية[5].

كما نشر "ماريتوت" "Maritot"[6] أربع رسائل لأحمد باي[7]. في حين قام دردور بنشر ترجمة لرسالة واحدة، وذكر أنّ الأصل مكتوب باللغة العربية[8].

عدد النسخ غير التي بين أيدينا: وبهذا يكون عدد النسخ بناء على ما ورد في المراجع المذكورة سابقا نسختين، وكلاهما موجودتان في الأرشيف الفرنسي؛ واحدة استخدمها "مارسيل أمريت" "Marcel Emerit" ، تحت رقم تسلسلي:

1- تحمل هذه الرسائل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (3،11،12،20).ينظر:
Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, Edition Larose, Paris, 1951, Tome: 6, PP: 607-613.

2- لم يهتم الفرنسيون بعد احتلال مدينة الجزائر بالوثائق التي عثروا عليها، لكنّهم بعدما تأكدوا من أهميتها، كلفوا موظفا مدنيا يدعى "جراردان" لدراستها والبحث فيها خاصة تلك التي كانت تتعلق مواضيعها لإدارية. ففي بداية الأمر كان عليه أن يدرس المراسلات التي كانت تتم بين البايات والموظفين السامين، لكنّه لم يستقر في الجزائر وغادرها حاملا معه كلّ تلك الوثائق إلى فرنسا بباريس. ينظر: Ibid, P : 241.

3- في حين ذكر خليفة حماش الذي قام بفهرسة مجمل الوثائق الموجودة في المكتبتين الجزائرية والتونسية، أنّه في عام 1268هـ/1848م عيّنت السلطات الفرنسية المدعو ألبير دوفو كأول محافظ لأرشيف الجزائر العثماني، وذكر بعد بضع سنين من تعيينه بأنّ نحو مائة ألف وثيقة من وثائق الإدارة العثمانية مرّت على يديه. وذلك بعد مرور نصف قرن كله عبث وإهمال عانت منهما تلك وثائق على يد جنود الحملة الفرنسية وضباطهم. وكان دوفو في الواقع يدرك أهمية تلك الكنوز الوثائقية التي أؤتمن عليها. والأدلة تثبت أنّه كان يمتلك على العديد منها، من بينها السجلات والوثائق التي نشرها مترجمة إلى اللغة الفرنسية والتي لا تزال تشكل المصدر الأساس لكثير من الباحثين. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق، ص ص: 288-289.

4- Op. Cit, P : 241.

5- أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181.

6- Capitaine Maritot, Bône militaire siècle xxiv après avant a 20ème siècle après notre ère, Imprimerie central A, M Marany, Bône, 1934, PP : 160-166.

7- هذه الرسائل تحمل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (3-11-12-20).

8- هذه الرسالة تحمل الرقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. تحصّل عليها من الأرشيف الفرنسي تحت رقم سلسلي: (80/10). ينظر: H'esn Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, Tome 2, Société national d'édition et de d'effusion, 1983, P P : 210-220.

(80/1637). أمّا الثانية فاستعملها حسن دردور ورقمها التسلسلي:(80/10). كما لا يستبعد فكرة وجود نسخة أخرى في الأرشيف التونسي، إذ ذكر أحد الباحثين أنّ هذا الأرشيف يضم العديد من الوثائق، وهي عبارة عن "مكاتب من باشاوات الجزائر وبايات قسنطينة"[1].

3-إبراز العناصر الأساسية في الرسائل:

أ-دار السلطان وحسين بن علي خوجة:

***-دار السلطان في التاريخ:** أطلقت عليها بعض المصادر الجغرافية اسم "جزائر بني مزغنة" [2]. نسبة إلى قبيلة مزغنة[3]. كما أطلق عليها العثمانيون اسم "جزائر الغرب"[4]. في حين سماها أحمد بايٍ في رسائله "الجزائر". دون إلحاق أيّ صفة لها. أيضا ورد تسميتها في بعض الوثائق العثمانية الرسمية بـ "محروسة الجزائر" أو "دار الجهاد"[5]. في حين أطلق عليها البعض تسمية "دار السلطان" هذه الأخيرة كانت تعود إدارتها مباشرة إلى الداي[6].

أمّا المصادر الأجنبية فتستعمل مصطلح "إيالة"، وتعني "نيابة الملك وتولي السلطة بالنيابة"[7] "Régence"، وهذا المصطلح أطلق على الجزائر لأنها كانت تمثل السلطة والإدارة[8]. في حين يرى ناصر الدين سعيدوني أنّ هذه التسمية تعبر عن "الدولة الجزائرية العثمانية"، وهذا تعبير تاريخي استعمل للدلالة على

1- إبراهيم مياسي، مصادر التاريخ الجزائري في الخارج فرنسا وتونس نموذجا، المجلة التاريخية المغاربية منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س: 26، ع: 93/94، مايٍ/ أيار 1999، ص: 207.

2- ينظر كلّ من: أبي عبيد الله بن عبد العزيز المعروف بالبكري، المعرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من "المسالك والممالك" تحقيق: دوسلان، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ص: 21. و: أبي القاسم محمد علي المعروف بابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ص: 89.

3- سليمان بهلولي، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، ص:37.

4-Venture De Paradis, Alger aux 18ème siècle, Edité par E Fagnan, Imprimerie, libraire, Editeur, 1898, P: 4.

5- من خلال فرمان سلطاني. الرجوع إلى أحمد توفيق المدني، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، نصف الأول من 1981، ص:20.

6- عبد الحميد أبي زياد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، 2 شارع تورمندي، الجزائر، د ط، ص:93.

7- على سبيل المثال نذكر: Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, Ancien Département D'Alger de 1830 à 1956, Libraire d Amérique et d'Orient, Adrien, Maison neuve, Parie, 1ère volume, 1960. P : 13.

8-Ibid, P : 9.

الدولة الجزائرية[1]. وقسمت دار السلطان[2] إلى أوطان يخضع كلّ وطن[3] منها إلى سلطة القائد، وهذه الأوطان هي: وطن سباو[4]، وبني مسوس[5]، وبني خليل[6]، ووطن السبتة[7].

*-**حسين خوجة بن علي**: بما أنّ هذه الشخصية هي من بين أهم الشخصيات البارزة في رسائل أحمد باي، فلابد من عرض مختصر لحياته.

1-مولده ونسبه ونشأته:

ولد حسين خوجة بن علي في أزمير وقيل ببورلة [8] من بلاد آسيا الصغرى. أمّا عن مولده فذهب فريق إلى أنّه ولد عام 1178هـ/1761م[9]. في حين يرى الفريق الثاني أنّ مولده كان في سنة 1181هـ/1764م[10].

وهو ينتسب إلى عائلة تركية، من بلد تشنا قلعة[11]. وقد عمل والده ضابطا في الفرقة المدفعية (الطبجية)[12]، كما احترف مهنة غسل الأموات[13].

1-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792،1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ص:10. وبهذا فإنّ المصادر الأجنبية التي استعملت هذا المصطلح قد أخلطت في المفاهيم، وقد أخذنا بتفسير ناصر الدين سعيدوني الذي كان منطقيا في طرحه، فمصطلح "إيالة" لا يعني دار السلطان مركز الإدارة، ولكنّه يعني الجزائر كدولة تابعة للخلافة العثمانية.

2-للإطلاع على خريطة دار السلطان ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (I)، ص: 297.

3-**الوطن**: جمعه أوطان. وهو عبارة عن تقسيم المنطقة وتحديد أعمالها. وهو تقسيم إداري. ينظر:
Boyer. L'évaluation de l'Algérie médiane, P: 19.

4-**سباو**: كلمة تطلق على منطقة ببلاد القبائل الكبرى، تقع على ضفافي الوادي المسمى بهذا الاسم، وهو ينبع من جبال جرجرة. ينظر: أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق: رابح بونار، د مط، د ط، ص: 71.

5-**وطن بني مسوس**: المنسوب إلى القبيلة المحصورة بين وطن الخشنة في الشرق والحراش في الغرب. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ج:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:3، 1982، ص: 29.

6-**وطن بني خليل**: ما بين سنة 1245هـ/1830م و1251هـ/1836م كان يضم هذا الوطن أربعة عشر حيا، من أهمها: أولاد فايت ومعالمة ودوارة وبن شاوي وأوت بوقاريك وملوان وتقشة وأمروسة وبني كينة وسيدي موسى. وبنو خليل فخذ من فخوذ قبيلة لطيف العربية، وسمي كذلك نسبة إليهم. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، نشر دار الكتاب، الجزائر، 1372هـ/1963م، د ط، ص: 126.

7-**وطن السبتة**: كان يمتد من على طول البحر من القليعة إلى تيبازة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 29.

8-**بورلة**: مدينة واقعة على الشاطئ الجنوبي لأزمير. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الوطنية للطباعة جامعة الجزائر، د ط، 1995، ص:156.

9-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 331.

10-محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، ط:1، 1972، ص: 47.

11-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

12-محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص: 47.

13-عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص: 331.

ولقد كان حسين بن علي على جانب لا بأس به من الثقافة الإسلامية مستظهرا للقرآن الكريم، لهذا فإنّ ثقافته الدينية لا تقربه من الجند والضباط وإنّما إلى جماعة الفقهاء[1]. نشأ في اسطنبول[2]، أين تلقى مبادئ القراءة والكتابة. وعرف عنه أنّه كان ميالا للأدب والشعر[3].

كما اكتسب مهارة حربية من والده في صنف الطبجية (المدفعية) ممّا سهّل له مهمة الالتحاق بإحدى المدارس الحربية باسطنبول[4]، التي أنشأها البارون دي طوط[5].

2-مسيرته قبل توليه الحكم وانجازاته:

جاء حسين بن علي إلى الجزائر كأحد جنود الحامية التركية، فشغل عدّة مناصب، وذلك قبل أن يتولى السلطة؛ فبحكم تدريباته اكتسب مهارة في استعمال المدافع وسرعان ما أحرز على شريط عسكري برتبة رفيعة. تعدى على القانون[6] وامتنع أن يعترف بخطئه، فنزح خفية إلى الجزائر واندمج في صفوف الجيش[7]. في حين يرى آخر أنّه ترك الجيش برغبة منه[8].

ولمّا أنهى وظيفته العسكرية، امتهن التجارة ونجح فيها نجاحا كبيرا فأصبح في مدة قصيرة غنيا. ثم أسند له الباشا علي[9] منصب كاتب الدولة، وكلّفه بتسيير شؤون ممتلكاته. بعدها عهد له الباشا نفسه منصب خوجة الخيل،

1- ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 156.

2- **اسطنبول**: "اسلانبول" باللغة التركية تعني "تخت الإسلام" والعامة تقول عنها اسطنبول. ينظر: أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص: 33. وكانت قبل سقوطها في يد العثمانيين عاصمة للخلافة العثمانية بعد أن ظلت قرونا ممتدة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية. وهي مدينة كبيرة بالغة التحصين تقع على مضيق البسفور، وتشغل جانبا من شبه جزيرة في بحر مرمرة. ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط:1، 1421هـ/2000م، ص: 46.

3- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

4- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3 ، ص: 331.

5- **البارون دي طوط**: مجري الأصل، ولد بفرنسا سنة 1146هـ/1733م. تجنّس بالجنسية الفرنسية، وأصبح يعمل عندها كقنصل بالقرم سنة 1202هـ/1787م. ثم دخل في خدمة الدولة العثمانية، عندها أنشأ مدرستين حربيتين لتخريج ضباط المدفعية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 331.

6- لم يتطرق ناصر الدين سعيدوني في مرجعه إلى نوع الخطأ الذي ارتكبه حسين بن علي.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

8- محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 147.

9- **الداي علي**: تولى الحكم سنة 1233هـ/1817م. حارب الفساد وأراد أن يجعل للدولة طابعا آخرا، فتخلص من الميليشيا. توفي بالطاعون. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 153.

وكان ذلك في سنة 1233هـ/1818م[1]. فأصبح بذلك محل ثقته، عندها شاركه في قرار نقل مقر الحكم من قصر الجنينة[2] إلى حي القصبة، أين أصبح الموظفون السامون وسجلات الدولة وودائع الخزينة في مأمن من تمردات الإنكشارية[3]. وعند وفاة الباشا علي، أسند لحسين بن علي منصب الباشوية وكان ذلك في 19 ربيع الثاني من سنة 1233 هـ الموافق لـ 27 فيفري 1818م، وتم له ذلك بإجماع أعضاء الديوان و"رياس البحر"، في بداية الأمر رفض هذا المنصب، ولكنّه بعد إلحاح الجميع عليه، وافق[4].

ولقد تنوعت إنجازاته[5]. فقد قام بتنظيم الإدارة، إذ أدخل عليها تحويلات عديدة، خاصة تلك التي مسّت المناصب العسكرية على المستويين البري والبحري[6]، مثال ذلك تجنيد الانكشاريين من الأناضول في الجيش الجزائري[7]، وتوفير مهندسين لصناعة الأسلحة والمختصين في نظم الجيش[8].

كما أصبحت الإدارة على عهده ذات فعالية. أيضا اهتم أيضا بالجانب المدني من العمران، مثال ذلك عملية تجديده لجامع القائد صفر- سفير- بن عبد القائم[9]. كما أمر بإنشاء بعض القصور، منها القصر الشامخ بحافة الميناء القديم

1- محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 47.

2- **قصر الجنينة**: ويدعى باللسان التركي "باشا قابوسي" -أيّ باب الباشا-، ويقع في أكبر نهج في مدينة الجزائر، يمتد من باب العزون إلى باب الواد، ويدعى السوق الكبير. وتمتاز دار الملك بالراية المرفوعة فوقها، وعليها تفاحة من النحاس، ويرتفع فوق باب الدار قنديل كقناديل السفن الكبرى يتدلى من الطابق الأعلى، ولهذه الدار باب جسيم من الحديد من اليمين للشمال ومرتبط به من الأعلى سلسلة ضخمة حديدية، وعند العصر تقفل هذه السلسلة بواسطة قفل. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا، ص: 184.

3- ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 156.

4- ينظر الملحق الخاص بالجداول والرسومات البيانية رقم: (1) للاطلاع على جدول يبين أهم الأحداث التاريخية على عهد هذا الباشا.

5- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 332.

6- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190، الملف رقم:(1)، المكتبة الوطنية، من خلال رسالة مضمونها موافقة الباب العالي على طلب إرسال مهندس مختص في الصناعة الحربية إلى الجزائر.

7- المصدر نفسه، المجموعة رقم: 3190، الملف رقم:(1)، من خلال رسالة مؤرخة في 13 من شوال سنة 1240هـ/1827م. بعثها سليم أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى حسين باشا. يعلمه من خلالها موافقة الباب العالي بإرسال المجندين إلى الجزائر.

8- المصدر نفسه، المجموعة رقم: 3190، رقم الملف: (1)، من خلال رسالة مؤرخة في 17 من شوال من سنة 1240هـ/1827م. بعثها ناظر دار الصناعة الحربية باسطنبول، يبلغه فيها بموافقة الباب العالي على طلب الباشا حسين بتعيين محمود أفندي مختص في الصناعة البحرية.

9- **جامع القائد صفر**: كان هذا المسجد مكون من ثلاث أروقة، ويتميز ببيت واسع للصلاة، وبقية مثمنة الشكل. ينظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج: 3، ج:2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ص: 363.

وهو مقر قبطان رايس. زيادة إلى المباني التي أنشأت بالمدينة وضواحيها[1].

3-نهايته: بعد سقوط مدينة الجزائر مركز الحكم العثماني في أيدي الاحتلال الفرنسي سنة 1246هـ/1830م، وبعدما أمضى الباشا على وثيقة الاستسلام[2] سافر في 10 من جويلية من السنة نفسها إلى ليفورن[3] بايطاليا[4]. بعدها تحول إلى الإسكندرية على نيّة أداء الحج، فأقام هناك مع حاشيته معتزلا السياسة في أحد القصور التي خصصت له، وقد كان محل حفاوة من محمد علي إلى أن وافته المنية وهو خارج من المسجد عام 1254هـ/1838م بالإسكندرية[5].

ب-بايليك الشرق، وأحمد بن الشريف:

*-**بايلك الشرق في التاريخ:** عرف بـ "قسنطينة" التي كانت تعبر في تلك الحقبة التاريخية على بايلك الشرق. أطلق عليها المؤرخون العرب القدامى "قسنطينة الهوى"[6]. فيما نجد أنّ اسمها القديم "سيرته"[7]. وكانت عاصمة سلاطين نوميدية، ومسينيسا. وعلى عهد سيزار في القرن الأول (قبل الميلاد) دخلت سيرته تحت حكم الرومان. ومند حوالي سنة 51هـ/311م صارت تحمل اسم قسنطينة أخذا من اسم مجددها قسطنطين 16-69هـ/637-688م. وقد ذكرت هذه التسمية في جلّ المصادر الجغرافية[8].

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 332.

2- لأكثر تفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: Charles André Julien, Histoire de l'Algérie Contemporaine, La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Presses universitaires de France, Paris, 1ère édition, 1964.

3- **ليفرون:** ميناء تجاري هام في ايطاليا الجنوبية. كانت الجزائر تقيم معه علاقات اقتصادية متينة خاصة بواسطة محلات بكري وبوجناح. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 210.

4- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الشريف نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1168هـ/1754م، ص: 189.

5- اتفق على هذا التاريخ مجموعة من المؤرخين هم على التوالي :(شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج:3، دار العلم للملايين، ط:1، أكتوبر 1993، ص: 1812)، أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص: 189.)، (ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص:160).

B. Lewis, Encyclopédie de l'islam, Tome : 3, (H, B), (Hussein dey), P : 628.

6-Ernest Mercier, Constantine avant la conquête française, R. A, 1937, P : 96.

7- **سيرته:** وتعني الصخرة المنحوتة. ينظر: Les Capitaines du génie Rezet et Carette Fred Hoefer Algérie états Tripolitaine, Edition Bouslama, Tunis, 2e édition, 1980, P : 55.

8- ينظر كلّ من: البكري، المسالك والممالك، ص: 64. ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 91. بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، ص: 28.

ولقد تداول على حكمها عدة دول إلى أن جاء العثمانيون ودخلت تحت سلطتهم. وتضاربت الروايات حول تاريخ التحاق المنطقة رسميا بسلطة العثمانيين، واعتراف سكانها بهم. فمنهم من ربطه باستيلاء خير الدين على القل ميناء قسنطينة[1] في سنة 925هـ/1519م[2]. أمّا البعض الآخر فأرجعه إلى حملة قارة حسين عليها، الذي أخذ اعترافا من سكان المدينة بتبعيتهم لخير الدين عندما دخل المدينة بالقوة ما بين 925-929هـ/1519-1522م، بينما اتفق كلّ من ابن أبي دينار وأحمد النبيري على أنّ هذا الالتحاق يعود إلى عهد أبي الحسن الحفصي عام 932هـ/1525م اعتمادا على وثيقة للقاضي الحنفي، والتي تحمل إمضاء رمضان باي[3]. في حين رجح ناصر الدين سعيدوني[4] التحاقها الرسمي واكتساب الشرعية إلى عهد صالح رايس[5] اعتمادا على عقد شرعي حرر في عام 935هـ/1528م[6].

وقد ضم بايلك الشرق الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من البحر شمالا إلى ما وراء ونوغة[7] وبرج حمزة[8] وسفوح جبال جرجرة غربا.

***- الحاج أحمد بن محمد بن الشريف:**

1-مولده ونسبه ونشأته:

ولد أحمد بن محمد بن شريف في منزل الأسرة الذي يدعي دار أم النون

1- **ميناء القل:** هو عبارة عن مرسى صالح للتجارة الخارجية وقد وصفه مولاي حميسي فذكر بأنه:"مرسى مليح مستكن من الريح وفيه سوق وديار وجامع". ينظر: مولاي حميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1979، ص: 53.

2- M. Lèon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C le libraire- Editeur, Paris, P : 7.

3- **رمضان باي:** عيّن سنة 975هـ/1567م. سادت فترة حكمه اضطرابات وفتن من طرف مختلف قبائل البايلك. أستدعي إلى مدينة الجزائر أين تم عزله. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص:30-31.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 11. وللإطلاع على نص الوثيقة ينظر: ص ص: 117-118.

5- **صالح رايس:** كان ذلك الالتحاق في سنة 963هـ/1555م. أمّا حكمه فكان في سنة 959/963هـ الموافق لـ 1552/1556م. نصّب اهتمامه على إقرار الأمن وتنظيم الإدارة المركزية فأقام مقر الحكم أو دار السلطة المركزية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

6- المرجع نفسه، ص: 11.

7- **ونوغة:** هي منطقة "في أول ابتداء وطن قسنطينة". ينظر:صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 90.

8- **برج حمزة:** بويرة حاليا. وهو عبارة عن حصن استعمله العثمانيون لحراسة المنطقة، ويتكون من نوبة واحدة. ينظر: Louis Rinn , Le royaume d' Alger sous le dernier Day, typographie Adolphe Jourdon, Imprimerie- Libraire- Editeur, 1900, P : 87.

بقسنطينة[1]. وقد تضاربت الروايات حول تاريخ مولده، فاتخذت أربع اتجاهات. أمّا الفريق الأول يرى أنّه ولد في سنة 1194هـ/1870م[2]. في حين أرجعه الفريق الثاني إلى سنة 1198هـ/1784م[3]. بينما ذكر الفريق الثالث أنّه ولد عام 1201هـ/1786م[4]. أمّا "فايست" "Vayssette" فيرى أنّه ولد في عام 1202هـ/1787م[5].

وكان والده يدعى الشريف محمد. أصله من قولة في الأناضول[6]. عينه حسين باي[7] خليفة له، وتم له ذالك في سنة (1207هـ/1792م)[8]. مات مخنوقا بأمر من داي الجزائر، وقيل أنّ سبب ذلك يعود إلى قسوته[9].

أمّا جده من والده فهو أحمد القلي حكم قسنطينة مدة ستة عشر سنة، ابتدأها سنة 1171هـ/1755م[10]. تركي الأصل، من مدينة كولو وموقعها

1-Charles Féraud, Monographie du palais de Constantine, Typographie et lithographie L. Arnolt, P : 7.

2- وفيه نجد كلّ من: H' sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne, P : 219.
Marcel Emrit, L'Algérie à l'époque d'Abd El Kader, P : 256.
بالإضافة إلى كلّ من: (كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د ط، 1980، ص: 80.) (عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع، ط:2، 1987، ص: 161.)

3- وفيه نجد كلّ من: (صالح فركوس،الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 56). **أيضا:** Abdel Jelil Temimi, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), Publication de la revue d'histoire Maghrébine, Volume : 1, 1897, P : 60.

4- ونجد فيه كلّ من : منكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 1981، ص: 6. ولقد اعتمد الزبيري في وضعه لهذا التاريخ على ما جاء به أحمد بوضربة عندما قدّم مذكراته إلى اللجنة الإفريقية معلنا حينها أنّ عمر أحمد باي كان سبع وأربعين سنة. **أيضا ينظر:** ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2001، ص: 46. وعبد القادر بدجادجة، معركة قسنطينة (1836،1837)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، د ط، ص: 9.

6-A-E Vayssette, Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), El Hadj Ahmed Bey dernier Bey, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Imprimerie L. Arnolt, Ad, Braham, Alger Jourdan Libraire-Editeur, 1869, P : 619.

7- العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي ، ص: 6.

8- **حسن باي:** هو بن حسين بوحنك. "أخذ الولاية" سنة 1207هـ/1792م. ولد في قسنطينة ونشأ فيها. أصيب بمرض فأمر الداي بقتله. دفن في مسجد سيدي الأخضر بجانب أبيه وذلك سنة 1109هـ/1795م. ينظر: محمد صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 67.

9- المصدر السابق، ص: 6.

10- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ص: 29.

11- صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 61.

في الأناضول الغربي. تزوج من دايخة ابنة الشيخ بن بوزيد المقراني. كان آغا على القل قبل أن يصاحب زرق عينو[1] إلى الكاف بتونس. حارب عدّة قبائل عاصية حتى خارج حدود البايلك، وتمكن من قهر العصاة، وفرض هيبة السلطة على الجميع. كما شجع الفلاحين على زراعة الخضر والأشجار المثمرة. فأحبّه السكان واستحسنوا حكمه. توفي عام1185هـ/1771م. وخلفه صالح باي.[2]

أمّا والدته فهي الحاجة شريفة بنت ابن غانة؛ ساعدت ابنها الحاج أحمد كثيرا في مسيرته. توفيت خلال إقامتها بجبال أولاد سلطان ودفنت بالنقاوس سنة 1259هـ/1843م[3].

والدها الذي هو جد أحمد باي كان يدعى ابن غانة الشريف. وصف بالنبل وكانت له مكانته القيادية في الصحراء[4]. وهو من عائلة "بن غانة"، وهناك من أطلق عليها اسم ابن قانة"[5]. كانت هذه العائلة من أغنى العائلات على مستوى منطقة وادي ريغ والصحراء الشرقية دون منافس. وأمّا عن أصولها فقد تضاربت حولها الروايات، إلاّ أنّ بعض الدراسات التاريخية توصلت إلى أنّ أحمد باي يعود أصله إلى النسب الشريف، عن طريق أمه الحاج شريفة بنت ابن غانة[6].

هذا عن نسبه، أمّا تعليمه، فلم يحظ الحاج أحمد بمتابعة تعليمه، غير أنّ هذا لم يمنعه من أن يكون شخصا مثقفا، إذ أيّد مجموعة من المؤرخين ذلك. كانت طفولته عربية محضة، فقد تلقى منذ صغره تربية دينية، وكان تعليمه الأولي والتقليدي في الكتاب أين اكتسب ثقافة لا بأس بها. كما أنّ أداءه للحج وعلاقاته

---

[1] زرق عينو: هو حسين باي زرق عينو تولى الحكم سنة1167هـ/1754م. تركي الأصل، تمتع بشجاعة وهيبة. شغل منصب الخليفة على عهد الباي بوحنك. حكم البايلك بحزم وجد. اهتم بتطوير مدينة قسنطينة فجدّد أجهزتها على نسق ملائم وشجّع الصنائع. ينظر: بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 57.

[2] المصدر نفسه، ص: 159.

[3] المصدر نفسه، ص: 61.

[4] العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، ص: 115.

[5] اختلفت بعض المصادر والمراجع في استعمال هذا الاسم، فمنهم من جعله "ابن غانة" في حين فضل آخرون استعمال "ابن قانة"، وقد اعتمدنا صيغة "ابن غانة" نظرا لأنها أكثر تداولا بين المؤرخين، نذكر من بينهم: صالح بن العنتري وناصر الدين سعيدوني وأبي القاسم سعد الله.

[6] Mathe et Edment, Kitab aayan el marhariba, P : 4.

بالمشرق ومكوثه بمصر قد أكسبه الكثير من المعارف والتجارب[1].

2-نهايته: لم يستطع الحاج أحمد أن يمسك دموعه وهو يرى عاصمته تسقط بين أيدي الاحتلال الفرنسي[2]. ومع ذالك ظلّ يعيش على أمل استرجاعها. التجأ إلى الأوراس عند أخواله فحموه لبعض الوقت. ثم أخذت الخطوط تميل في اتجاهات مختلفة، ومع هذا أبقى على اتصالاته مع السلطان العثماني محمود خان الثاني[3] بغرض تدعيمه بالمساعدات المادية، لكنّه لم يحظ إلاّ بالوعود؛ ثم راسل باي تونس الذي رحب به لاجئا لا محاربا[4]، الرد نفسه تلقاه من والي طرابلس يوسف القرمانلي[5].

ومع انسداد كلّ الأبواب وفي آخر المطاف وضع سلاحه مستسلما للأمر الواقع مشترطا الأمان والإذن باللجوء إلى المشرق ليقضي بقية أيامه[6] وذالك عام 1255هـ/1848م[7].

1-ذكر صالح فركوس أنّه عثر في الأرشيف الفرنسي على قصيدتين منسوبتين إلى أحمد باي من خلالهما يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلال تلك تستشف ثقافته الدينية. وقد نشرهما في كتابه. ينظر: الحاج أحمد باي قسنطينة. وقد حاولنا أن نقرأ ما جاء في نص هاتين القصيدتين، لكن سوء حالتهما حالت دون ذلك، وسعينا من أجل العثور عليهما في مصادر أو مراجع أخرى فلم نتمكن من ذلك، وكان سعينا هذا من أجل دراسة الجانب الأدبي والثقافي لهما والتأكد من صحة هذه المعلومات. **أيضا**: ينظر:
Temimi, Abdel Jelil el, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 60.
حيث استنتج هذا الباحث من خلال دراسته للرسائل التي كان يبعثها الحاج أحمد باي للسلطان العثماني أنّ أسلوبه الجيد في الكتابة يوحي إلى إيمانه العميق وثقافته العربية.

2-Vayssette, Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), R. C, 1869, P : 591.

3-**محمود خان الثاني**: هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا منصب الصدارة العظمى ووكل إليه أمر تنظيم الانكشارية وإجبارهم إتباع النظم القديمة المسنونة منذ عهد سليمان القانوني. ينظر: فريد بك، الدولة العلية، ص: 398.

4-Charles Féraud, Annales Tripolitaines, Librairie Tournier, Tunis Librairie Viubert, Paris, 1927, P : 617.

5-**يوسف القرمانلي**: على عهده اجتمع أعيان المدينة وديوانها وعلماؤها ولضمان حياة أسرهم ولمراعاة الصالح العام، اقترحوا على الباشا التنازل لابنه سي علي، وبما أنّ يوسف القرمانلي باشا كان قد فقد كلّ أمل، فإنّه اضطر إلى التخلي عن ذلك الجاه وأعلن تنازله عن العرش رسميا لابنه سيدي علي، الذي قام في اليوم نفسه بتوجيه بيان إلى رعاياه. ينظر: علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط:1، 1421هـ/2001م، ص: 401 ، ص: 425.

6-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1992، ص: 207.

7-يحي بوعزيز، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية، وثيقة عمل رقم: 20، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية، وهران، 1982، ص: 8.

وبهذا أمضى بقية حياته تحت رقابة وسيطرة "عدو" وكانت تلك نهاية مؤلمة وقاسية لحاكم عاش معظم حياته في عز ورخاء. وقد خصصت له السلطات الفرنسية منحة سنوية[1] قدرت بـ 12000 فرنك فرنسي[2]، إلى أن توفي في مدينة الجزائر سنة 1266هـ/1860م.[3] ودفن في مقبرة[4] ضريح عبد الرحمان الثعالبي[5].

---

[1] تقدمتا كلّ من زوجتي الحاج أحمد بن شريف سنة 1268هـ/1851م لممثلي السلطة الفرنسية بطلب يتضمن منحهما راتبا شهريا يساعدهما على سدّ حاجياتهما اليومية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1992، ص: 376. وهذا إن دلّ على أمر فإنما يدلّ على أنّ سلطات الاحتلال توقفت عن مد هذا الراتب مباشرة بعد وفاة الحاج أحمد.

[2] العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، ص: 102.

[3] اتفق على هذا التاريخ مجموعة من المؤرخين منهم: (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج: 1، ص: 353.)، (صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 102)، (صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 72.)، (عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، ص: 161.) ينظر أيضا: E. Vayssettes, R. C, 1869, P : 618.

[4] **مقبرة ضريح عبد الرحمن الثعالبي**: كانت تضم مجموعة من المصالح منها: مسجد بمنارة مربعة، وضريح للشيخ الثعالبي، وجبانة، أيضا مساكن، ومبيضات، وغرف للموظفين ومطاهر. وكانت مشهورة بالتعليم في العهد العثماني. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:3، ص: 122.

[5] **عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي(786- 876هـ/1384-1471م)**: هو الشيخ الإمام العالم أبو زيد الشهير بالثعالبي. ولد في الجزائر ورحل في طلب العلم إلى المشرق ثم عاد إلى بلاده بعلم غزير. اتفق الناس على صلاحه وإمامته. ترك الثعالبي كتبا وتصانيف كثيرة ومفيدة، أبرزها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وكتاب الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز. توفي الثعالبي في الجزائر ودفن فيها. ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج: 1، بحث، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، د ط، ص: 73.

الفصل الأول

الإدارة والقضاء على عهد أحمد باي

1/1)-المبحث الأول: الإدارة على عهد أحمد باي

-الإدارة على مستوى المدينة

-الإدارة على مستوى الأوطان

2/1)-المبحث الثاني: القضاء على عهد أحمد باي

-القضاء المدني

-القضاء العسكري

1/1)-المبحث الأول:الإدارة على عهد أحمد باي

لقد تمكّن الدايات في الجزائر بالاستعانة بعدد من الموظفين من تسيير شؤون البلاد، ولأجل ذلك وضعت السلطات ديوانين[1]: الديوان "العمومي" أو ما يطلق عليه بـ "الكبير" والديوان "الخاص" أو "الصغير".[2] ويعتبر الديوان من المؤسسات السياسية، وهي بنية مقتبسة من الدولة العثمانية، كانت تمثل في حينها عنصر تجديد وتطوير أدخله السلاطين العثمانيون وكان يطبق فيه "مبدأ الشورى"[3] بحيث أطلق عليه"المجلس الشورى"[4].

أمّا الديوان "العمومي" أو "الكبير" فكان يضم كبار موظفي الانكاشرية[5]. وكان له تأثير عظيم على حياة العامة بحيث لا يسلّم كرسي الباشاوية إلاّ لمن قدّمه الديوان إليه. كما يعود إليه الفضل إلى عدم ظهور الحكم الوراثي في الجزائر[6]. أيضا لعب دورا هاما أثناء الأزمات الداخلية، ووضع حد للفوضى والاضطراب الذين شهدتهما البلاد بعد اغتيال مصطفى باشا[7] ممّا أدى إلى تعاقب ثلاثة دايات[8] على السلطة في ظرف ثلاث سنوات؛ كما وقف إلى جانب حسين باشا في الأزمة الفرنسية الجزائرية[9].

في حين ضم الديوان "الخاص" أو "الصغير" مجموعة من الموظفين والذين

1- ورد هذا المصطلح في مواضيع متكررة مثال ذلك نذكر كلّ من الرسالة رقم: (6-18) في الترتيب العام للمجموعة.

2- أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 182.

3- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، 1816/1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1997، ص: 247.

4- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: محمود حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1384هـ/1964م، ص، 109. وكثيرا ما ورد أمر الشورى هذا في رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. وإن دلّ هذا على الأمر فإنّما يدل على مبدأ الشورى المطبق بين الحاكم وعماله.

5-Pierre Boyer, Les Pachas Triennaux à la révolution d'Ali Khoja (1571/1817), R.H. N: 495, (99/124), P.U.F, 1970, P: 104.

6- ذكر المؤرخ الألماني "سيمونوف" بقلم عبد الرحمن الجيلالي:"أنّ دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا وراثيين. بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية". ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج: 3، ص: 608.

7- **مصطفى باشا:** تولى الحكم سنة 1212هـ/1796م. وتوفي مقتولا. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 71.

8- حكم الجزائر ثلاثة دايات في فترة ما بين (1221-1228هـ)/(1806-1813م)، وكلّ واحد منهم كان يسمى عليا. ينظر: جمال قنان، المرجع السابق، ص: 247.

9- المرجع نفسه، ص: 247.

يمكن تشبيههم بـــ "الوزراء"، وعددهم خمسة[1]. أيضا كان يضم كبار رجال الدين[2] والمفتيين[3] والقضاة[4] ونقيب الأشراف. وإلى جانب هذا المجلس الذي كان ينظـــر في مصالح الأمة يضاف المشاركة الفعالة والمهمة لمجلس الرياس[5]، والذي كان له نفوذ كبير ودور مهم في اتخاذ القرارات، خاصة تلك التي تعلقت بتعيين الدايات[6].

ولقد استعان الباشا بمجموعة من الموظفين كما ذكرنا أنفا، تمثلت مهمتهم في مساعدته في تسيير أمور البلاد. وما يلاحظ على التنظيم الإداري أنه احتفظ علـــى تكوينه خاصة في العهد الأخير للحكم العثماني في الجزائر، لهذا فإنّ ما سوف يذكر من مهام إدارية لم تكن حكرا على فترة حسين باشا، وإنّما كان نظاما قائما بذاته قبل مجيئه إلى الحكم بفترة زمنية طويلة. ومن بين أهم هذه الشخصيات البارزة نذكر:

الخزناجي[7]: بمثابة وزير المالية، وبيده كلّ تقارير وحسابات الدولة[8]؛ يعتبر الرجل الثاني بعد الداي حال غيابه[9]. وقد شغل هذا المنصب على عهد حسين باشا إبراهيم صهره[10].

1- عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1998، ص: 21.

2- من بين العلماء الذين اشتهروا بعلمهم على عهد حسين باشا نذكر: حمودة المقاســي الجزائــري(1245هـــ/ 1829م)، وهو من أفذاذ علماء العاصمة، ارتحل إلى مصر وجاور جامع الأزهر الشريف ولازم العلامة محمــد الدسوقي صاحب الحاشية. وأخذ عنه حتى أجازه وشهد له بالتفوق والنبوغ. عند رجوعه إلى الوطن مرّ بتونس وأقرأ بها، لكنّ شوقه إلى الجزائر جعله يعود. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 72.

3- من بين المفتيين الذين مارسوا هذه الوظيفة على عهد حسين باشا نذكر: محمد بن محمود العنابي الذي ولد سنة 1189هـ/1775م، وتوفي بالإسكندرية سنة 1267هـ/1851م. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر مـــن صدر الإسلام إلى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيـــروت، لبنـــان، ط:3، 1403هـ/1983م، ص: 245.

4- من بين قضاة المذهب الحنفي على عهد حسين باشا نذكر: محمد بن عبد الرحمن، والحاج أحمد بن الحاج عمر، وذلك سنة (1244هـ/ 1828م). أمّا على المذهب المالكي فنذكر الحاج علي بن عبد القادر، وأحمــد بـــن علي بن جعدون، وكان ذلك خلال سنة 1244هـ/1827م. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا، ص: 74.

5- أحمد سليماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 39.

6- المرجع نفسه، ص: 39.

7- لقد خص أحمد باي شخص الخزناجي برسالة واحدة من بين المجموعة. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة. ومن خلال مضمونها يستشف بأنّه كان من بين أهم الشخصيات بعد الباشا مباشرة.

8- Gabriel Esquer, La Prise d'Alger (1830), Librairie ancienne H Champion, Edouard, Paris, 1923, P: 9.

9- Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'Anglais avec nombreuse augmentation des notes géographiques et autres, Par: J. Mac. Cathy marlin, 1831, P: 169.

10- الرسالة رقم: (7). لمعلومات أكثر حول هذه الشخصية ينظر: الفصل الثاني، ص ص: 173-175.

وكيل الخرج[1]: وهو الناظر على أعمال جهاد البحر[2]، والمقتصد بين الجزائريين والدول الأجنبية أيّ بمعنى "وزير الخارجية" بمصطلح العصر[3]. وقد ذكر أحمد بايٍ في بعض من رسائله أنّ المدعو إبراهيم تولى هذا المنصب ولكن دون ذكر تفاصيل كثيرة حول هذه الشخصية[4].

بيت المالجي: كان المسؤول على جميع الأملاك التي كانت تؤول إلى الدولة بالمصادرة أو عند وفاة أصحابها الذين لا ورثة لهم[5].

خوجة الخيل: بمثابة وزير الحرب والناظر على أملاك الدولة[6].

الآغا[7]: يمثل لقب تشريفي يأتي بعد لقب" بولاكباشي"[8]. كلفت هذه الشخصية بالسهر على أمن مخازن الدولة التي كانت تحتوي على الأقوات والمؤن وغيرها[9].

الكتاب الأربعة: الأول يدعى المكتباجي. في حين لقب الثاني بـ "وكيل الخرج الكبير"، ثم الكاتب الثالث، فالكاتب العام[10].

بالإضافة إلى هؤلاء كان الباشا يستعين بموظفين آخرين من أجل تسيير أمور

1- أتى أحمد باي على ذكره في كلّ من الرسالة رقم: (17-22) في الترتيب العام للمجموعة.

2- أطلق عليه أحمد باي لقب وكيل باب الجهاد. ينظر: كلّ من الرسالة رقم: (12-22) في الترتيب العام للمجموعة.

3-Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, P: 168.

4- الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة.

5-Engéne Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, Tome : 2, Edition Bouslama- Tunis, 1889. P: 18.

6-Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination Turque, P : 18.

7-**آغا**: كان يسمى بـ "الزبوج"وباللغة العربية تعني القائد العام. ينظر: A. Bellegrin, Essai sur les noms et les lieux d'Algérie et de Tunisie, Etymologie, Edition, S .A .P.I, Tunis, 1949, P : 204.
وقد ورد هذا اللقب في بعض من رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة. وآغا الانكشارية أو آغا القمرين لقب تشريفي بعد لقب بولكباشي ويعني القائد العام للفرقة الانكشارية، كان يعزل بعد شهرين من تعيينه، ويعرف بعد ذلك بـ "المعزول آغا". ويعتبر الآغا المسؤول الأول على الشؤون العسكرية والأمنية. ينظر: أحمد بن مبارك العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص: 54.

8-**بولكباشي**: ورد هذا اللقب في الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. وهو مرتبة عسكرية بمثابة رئيس كتيبة. ينظر: محمد بن عبد الكريم بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1981، ص: 38. وهو بمثابة نقيب الجيش، وقد يدير القضاء في محلته. يتميز بقبعته الطويلة. ينظر: Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public, Traduit de l'anglais, Tome : 1, Chez Chaubert Quai des Augustins Hèrissant, Imprimeur, P : 342.

9-Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, P : 35.

10-Ibid, P: 35.

البايلك خاصة الإدارية منها والأمنية، نذكر من بينهم:

الأغوات: يرأسهم الكاهية[1]، وكانوا يشكلون مجلس الوجاق[2]. وكلّ آغا كان مسؤولا على الشؤون العسكرية[3].

القياد[4]: انحصرت مهامهم على مستوى الأوطان ويختارون من فئة الأتراك أو الكراغلة. كلفوا بمراقبة عمل الشيوخ، واستخلاص المطالب[5].

البايات ومساعدهم: كان لكلّ باي[6] ديوان محلي يساعده على إدارة شؤون المنطقة التي كان مكلفا بإدارتها. فلقد كانت الدولة العثمانية عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري تحت يد حاكم واحد، لهذا قسمت البلاد إلى أربع "ولايات"[7] وكانت إحداها تحت إشراف الداي شخصيا[8] وهذه الولايات هي:

بايلك تيطري[9]: أسس سنة 947هـ/1540م، كانت عاصمته مدينة المدية، وهو أول بايلك بعد دار السلطان[10].

بايلك الغرب: أسس سنة 970هـ/1576م. كانت عاصمته في بداية الأمر

1- **الكاهية**: ورد هذا المصطلح في كلّ من الرسالة رقم: (18-30). وكلفت هذه الشخصية دون الآغا بضبط مدينة الجزائر وحراستها. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181.

2- **الوجاق**: ورد هذا المصطلح في البعض من رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. وهي كلمة تركية. أصلها "أونتشاك" أيّ الموقد وتطلق على الولايات. ينظر: الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 183. في حين يرى بوير: أنّ كلمة "الوجاق" تعني البيت في الأصل. وتستخدم للدلالة على الوحدات العسكرية المشكلة من 11 إلى 30 رجل، ولقد استخدم هذا المصطلح مؤخرا للدلالة على الوجود العثماني في الجزائر. ينظر: Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane: 127.

3-La règence d'Alger et le monde Turc, 4ème N°, La section d'Alger d'un syndicat national des instituteurs, Alger, 1953/1954, P:29.

4- ورد هذا المصطلح في الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

5-Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination Turque, P : 35.

6- **الباي**: يعني الأمير والزعيم. ينظر: A.Pèllègrin, Essai sur les noms et les lieus, P : 205. وهو اللقب الذي اعتمده أحمد باي في بعض من رسائله نذكر مثال ذلك: الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

7- بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 36. أمّا المصادر والمراجع فتستعمل مصطلح "البايلك" الذي يصف الحكم في أشكاله، وذلك على رقعة جغرافية محددة. ينظر:
Pierre Boyer, Op. Cit, P : 12.
أمّا في مجموعة الرسائل فلم يرد فيها أيّ من المصطلحات المذكورة وإنّما عندما كان يتكلم أحمد باي على المنطقة فكان يستعمل "قسنطينة". أمّا في مراحل البحث فقد تم الاعتماد على مصطلح "البايلك" لأنّه أكثر تداولا في مجموعة المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني.

8- ونقصد بها دار السلطان التي تم التعريف بها سابق، ينظر: المدخل، ص ص: (12-13).

9- كذلك سماه أحمد باي في الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

10- بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 36.

مدينة مازونة، ولكنّها بعد فترة استبدلت بمدينة معسكر ثم بوهران بعدما تم تحريرها من الإسبان سنة 1207هـ/1792م؛ وهو ثاني أكبر بايلك بعد بايلك الشرق. وما عرف على هذه المنطقة أنّها كانت ذات طابع حربي، وذلك لما شهدته من توتر العلاقات العثمانية مع حكام المغرب الأقصى، والتهديد الإسباني الدائم لها[1].

_ بايلك الشرق: لقد كان بايلك الشرق أواخر العهد العثماني على غرار المناطق الأخرى من التراب الجزائري يخضع مباشرة لسلطة حسين باشا، الذي كانت له صلاحيات تعيين الباي، هذا الأخير كان يشرف على تسيير شؤون الرعية. وآخر البايات الذين أداروا هذا البايلك قبل أن يتولى أحمد باي إدارته محمد منماني، الذي تم عزله[2] بعدما تأكد للباشا حسين عدم قدرته على تسيير أمور الرعية، والمحافظة على الأمن[3]. بعدها مباشرة قرّر الباشا حسين تعيين مكانه بايا آخرا يكون قادرا على تغيير الأمور السياسية والاقتصادية وإعادة النظام وسلطة الحكم. وبعد عملية البحث وقع اختياره على أحمد بن شريف[4]، معتقدا في ذلك أنه الشخص الملائم الذي يمكنه أن يخرج المنطقة من الفوضى التي آلت إليها، وبهذا أصبح الحاج أحمد بايا على بايلك الشرق قاعدته، مدينة قسنطينة[5]، وقد تمّ له ذلك بالرغم

1- إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون(1510/1947)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1981، ص: 240.

2- لقد أجمعت معظم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث على أنّ هذا الباي كان رجلا ضعيفا لا تتوفر فيه الكفاءة والقدرة المهنية اللازمة على تسيير مثل هذا البايلك. من بينها تذكر: الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 160. وأيضا ما ذكره مولود قايد حين كتب عنه يقول :"إنّ سوء التسيير الإداري لآخر بايات قسنطينة أدّى إلى انتشار الفوضى والإضطربات في معظم أنحاء البايلك. ينظر:

Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 373. Voir aussi : L. Pèchot, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Goposso imprimeur éditeur, 1914, P : 134.

3- إنّ الرسالة التي بعثها منماني باي إلى حسين باشا لأنق وثيقة تصف جليا الحالة التي كانت عليها المنطقة. فلقد اشتكى من سوء تصرفات خليفته، لدرجة أنّه انتهك حرمة رمضان بشربه الخمر حتى الثمالة. ونظرا لحساسية منصبه، وأهمية المسؤوليات المسندة إليه فإنّ مثل هذه التصرفات قد تأثر سلبا على حسن سير الأمور في البايلك. كما اشتكى من سوء الأحوال الاقتصادية. ينظر: الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 5 رمضان 1240هـ/1826م.

4- بعد محادثة طويلة بين حسين باشا وأحمد باي لوضع حوصلة كاملة حول معارفه الإدارية، والسياسية، والاقتصادية، وبعدما تأكد من كفاءته وقدرته على ضبط النظام في البايلك ووضع حد للفوضى التي آل إليها، أقره الباشا بايا على منطقة الشرق. ينظر:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P ; 372. **Voir aussi** : Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 90.

5- كذلك كان يسميها أحمد باي في رسائله، مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. وللإطلاع على خريطة مدينة قسنطينة ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم:(2)، ص: 298.

من كونه كرغلي الأصل. وبهذا استلم منصبه وباشر في إدارة أعماله بإدخال كلّ الترتيبات والإصلاحات الكفيلة باسترجاع المكانة التي كان يستحقها هذا البايلك.

وعند استلام أحمد باي للإدارة وجد إقليم[1] البايلك مقسما إداريا إلى أربع مناطق متباينة، هذا التقسيم توارثته المنطقة أجيالا بعد أجيال وسار عليه معظم البايات الذين حكموه خاصة أواخر العهد العثماني، وكان على الشكل التالي:

المنطقة الشمالية: امتدت من عنابة إلى بجاية[2]. كان معظم سكانها من قبائل زواغة[3] وفرجيوة[4].

- المنطقة الجنوبية: تشكلت من منطقة بسكرة[5]. وضمت إحدى عشرة قبيلة بدوية. أهمها: الزمول[6]، وحراكتة، وأولاد سلطان، وأولاد سحنون[7].

- المنطقة الشرقية: امتدت من قسنطينة إلى الحدود التونسية[8]. وكانت تضم: عمار الشراقة، وأولاد زناتي[9]، وأولاد يحي بوطالب،[10] والحنانشة والنمامشة[11].

---

[1]-**الإقليم**: إنّ الإقليم يهيئ الوسط ويحيط بالكيان من الوجهة الاجتماعية ويحد من السلطان على ما فيه من البشر والأشياء من الوجهة القانونية". ينظر: رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 1979، ص: 246.

[2]-حميدة عميراوي، جوانب من السايسية الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، ط:1، 1405هـ/1984م، ص: 18.

[3]-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 127.

[4]-**فرجيوة**: لقد ورد الكلام على هذه المنطقة وما كان يقع بها من أحداث في إحدى رسائل أحمد باي، ينظر الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة. وهذه المنطقة موجودة بين مدينتي سطيف وقسنطينة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص: 225.

[5]-حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص: 18.

[6]-**قبيلة الزمول**: موجودة على بعد 43 كلم من جنوب قسنطينة. كان استقرارهم في بداية الأمر في عين سمارة. ينظر: Leila Babes, Tribus, structures sociales et Pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D.E.A d'études politiques approfondies, Université de droit, d'économie, et de science D'Aix Marseille P : 112.

[7]-Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 127.

[8]-حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص: 18.

[9]-**أولاد زناتي**: كانت تشكل هذه القبيلة قوة عسكرية كان يطلق عليها الخيالة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 43.

[10]-**أولاد يحي بوطالب**: قبيلة مرابطية، تمتعت بامتيازات من بينها عدم دفع المطالب المخزنية التي فرضها بايات قسنطينة على كلّ القبائل. ولكن أواخر العهد العثماني فرضت عليها دفع بعض المطالب الرمزية وكانت عينية ونقدية. ينظر: Leila Babes, Op. cit, P : 74.

[11]-Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 127.

المنطقة الغربية[1]: كانت تتسع إلى البيبان[2]. وتمركزت فيها كلّ من القبائل التالية: أولاد عبد النور، وعمار الغرابة[3]، ومجانة[4].

وتدار شؤون هذه الأقسام الأربعة بواسطة السلطة المركزية الممثلة في شخص أحمد باي يساعده في ذلك مجموعة من العمال؛ وقد وزع العمل الإداري على مستويين: المدينة والأوطان، وكان المسؤولون عليهما يعملون بالتنسيق فيما بينهم يرأسهم في ذلك أحمد باي[5].

1-الإدارة على مستوى المدينة: وكانت تتكون من:

ديوان الأوجاق: كان يتألف من كلّ الشخصيات المحيطة بأحمد باي. مهمتهم المحافظة على السلطة العليا إلى جانب الباي، كانوا في اتصال مباشر معه، يشاركونه في اتخاذ القرارت المهمة. وتبين ذلك من خلال ما ورد في بعض رسائل أحمد باي[6]. كما كان يتدخل هذا الأخير في تسيير شؤونه الداخلية واتضح ذلك في ملاحقته لبعض الشخصيات البارزة فيه والتحقيق معهم خاصة إذا ما تعلق الأمر بمخالفة الشرع والعرف؛ ومثال ذلك ما ورد في الرسالة التي بعثها إلى أعضاء الديوان يتوعدهم بالزجر العظيم ويهددهم بالعقاب إذ لم يعاقبوا أحد الشواش الذي كان يأخذ فوائد ربوية من الجنود المدنين[7].

1-حميدة عميراوي، جوانب من السايسية الفرنسية وردود الفعل الوطنية، ص: 18.

2-**منطقة البيبان**: سميت كذلك لأنّها متكونة من جبلين على درجة كبيرة من الوعورة، يمتد بينهما طريق عميق وآثار لمجرى تجمع المياه. وسماها الرومان بـــ "بيبان الحديد". ينظر: علي رضا أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832)، تعريب وتقديم: عميراوي حميدة، مراجعة: إبراهيم، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، سبتمبر 1999، ص: 50.

3-**قبيلة عمار غرابة**: كانت مستقرة في منطقة سطيف. واعتبر أفرادها من بين الرافضين لحكم أحمد باي، لهذا كانوا يستغلون كلّ الفرص من أجل الإطاحة بحكمه، فعند سقوط مدينة الجزائر في أيدي الاحتلال الفرنسي واستغلالا لتواجد أحمد باي وقواته هناك استطاعوا بمعاضدة قبائل أخرى تحت زعامة بن قندوز التمرد ورفع لواء العصيان، لكنّ أحمد باي استطاع القضاء على تمردهم. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 63.

4-Mouloud Gaid. Chronique des Beys de Constantine, P: 127.

5-حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري،ص: 28.

6-الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

7-الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

الخليفة[1]: يعتبر هذا المنصب من بين الوظائف المهمة في إدارة البايلك. وقد شغل أحمد بايِ هذه الوظيفة لعدّة مرات ، أولها كانت على عهد إبراهيم خوجة[2]، ثم أثناء حكم محمد الميلي[3]، فمملوك باي[4]. ولقد أتاحت له هذه الوظيفة كسب معارف كثيرة وخبرة بالأمور الإدارية، وتكوين علاقات مع مختلف الشخصيات المعروفة في المنطقة، وكذا مع بعض القبائل القوية.

وحظيت هذه الشخصية بالاعتبار نفسه الذي حظي به البـاي فـي جولاته الخارجية. كما كان مسؤولا على شؤون الأوطان، وخضـع له كلّ القيـاد ورجـال الميليشيا[5] المنظمين. ومن بين الشخصيات التي تولّت هذه المسؤولية علـى عهـد أحمد باي المدعو بن عيسى[6] وذلك سنة 1241هـ/1826م[7]. وقد ذكر أحمد بـاي في بعض من رسائله أنّ المدعو مصطفى كان خليفته وذلك سنة 1245هـ/1829م[8]. وقد كان للخليفة نائبا له يلقب بـ "الخليفة الثاني" أو "خليفة الكرسي"[9].

1- **الخليفة:** ورد هذا اللقب في العديد من رسائل أحمد باي، مثال ذلك نذكر كلّ من الرسالة رقم: (4-7) في الترتيب العام للمجموعة. والكلمة أصلها عربيا. وكان يمنح هذا المنصب لأحد أقرباء الباي الذي يكـون إمّا تركيا أو كرغليا. ينظر: Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 27.

2- **إبراهيم خوجة:** أصله من جزيرة كريت. تولى إدارة البايلك من سنة 1228هـ/1811م؛ التحق بمدينة الجزائر. وعندما وصل إلى قسنطينة ألف مخزنه. جاء أمر عزله من الباشا، فأمر هذا الأخير بنقله إلى المدية. ينظر: صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص ص: 88-89.

3- **محمد الميلي:** تولى الحكم سنة 1233هـ/1818م. كان قائد العواسي قبل أن يصبح بايا. عرف بكنية "الشاقور" لأنه كان يعدم الناس بهذا السلاح الأبيض. ينظر: مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، ص:39.

4- **أحمد باي المملوك:** تولى الإدارة مرتين. كانت الأولى سنة 1233هـ/1818م إلى أن اعتقل بأمر من الداي ثم نفي بعدها إلى مازونة. وفي سنة 1235هـ/1820م أعيد تنصيبه للمرة الثانية، لكنّه ونظرا للمردود الضعيف الذي قدمه أثناء حمله للدنوش أمر الداي بعزله سنة 1237هـ/1822م. ينظر: بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 88.

5- **الميليشيا:** كانت تتكون من الأتراك المجندين، هؤلاء تزوجوا من النساء العربيات. ينظر: حمـدان خوجـة، المرآة، ص: 118.

6- **علي بن عيسى:** كان مرابطا بقرومة (الأخضرية حاليا) والزعيم الروحي لقبيلة فليسة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 128. وهو من بين أبرز الشخصيات التي خدمت أحمد باي. وقد تضاربت الروايات حول أصله، فبعضهم ذهب إلى أنّه من عائلة شريفة ومن أغنياء البلاد. كـان لـه أخـوان: أحدهما تولى الإفتاء، والثاني القضاء. أمّا البعض الآخر فذهب إلى أنّ والده هو عيسى الفرجاني (من قبيلة بنـي فرجان)، وقد بدأ هذا الأخير حياته فقيرا يبيع الفحم على حماره في قسنطينة، ثم ترقى في التجارة. من بين أبنائه الخمسة علي بن عيسى هذا الذي اشترك في فرقة الزواوة، زيادة على أنّه كان يملك دكانا كـان يتـاجر فيـه، وعندما تعرّف عليه أحمد باي نال ثقته فقرّبه منه. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص: 142.

7- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 376.

8- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (4-7). ولم يعثر على أيّة معلومات تعرفنا بهذه الشخصية.

9- الزياني، جليس السهران وأنيس السهران، ص: 190. وما يلاحظ على ما ذكره الزياني من معلومات فيما يخص الخليفة الثاني يتناقض مع ما جاء به سعيدوني، الذي ذكر بأنّ آغا الدار كان ينوب على الباي عند غيابه.

الباش حامبا: كان مسؤولا على الإدارة والديوان، كما كان يشرف على إدارة السهل وطريق عنابة وفرجيوة [1]. ومن بين الذين تولوا هذا المنصب على عهد أحمد باي نذكر المدعو علي ابن إيصار الذي كان من بين المخلصين للباي، ومكافأة له على ذلك أهدى له هذا الأخير قطعة أرضية بمنطقة بني حميدان [2].

قايد الدار [3]: وهو آغا متقاعد، كان بمثابة "شيخ البلدية" بمصطلح العصر. من بين مهامه المتعددة، تولي إدارة مدينة قسنطينة عند غياب أحمد باي [4]. وعادة ما كانت تسند هذه المهمة للرجال الذين أظهروا إخلاصهم وسعيهم الدائم لتحقيق مصالح السلطة [5]. وكان يخضع لآغا الدار مجموعة من العمال نذكر من بينهم: أمين الخبازين. والبراح الذي كان يجول في ساحات المدينة وأسواقها لإبلاغ الناس بأوامر الباي والخليفة وقائد الدر [6].

ومن بين الذين أسندت لهم هذه المهمة على عهد أحمد باي نذكر: مصطفى بن الأبيض، وذلك خلال سنة 1241هـ/1826م [7]؛ لكنّه تم عزله من طرف أحمد باي بعدما تأكد من عدم قدرته على أداء مهامه [8]، فلقد عرف هذا الباي بصرامته في تسيير أمور البايلك الإدارية، وعدم تواتيه في معاقبة كلّ من كان غير قادر على أداء مسؤولياته ومهامه [9]. أيضا من بين الشخصيات التي تولّت هذا المنصب المدعو بوزيان بن علي [10] وذلك سنة 1243هـ/1827م. ولكنّه عزل بدوره، بعدما

1- Abedl Jelil Temimi, Le Beylec de Constantine et Ahmed Bey, P : 67.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 51.

3- هكذا وردت تسميته في إحدى رسائل أحمد باي. ينظر: الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص:150.

5- المرجع نفسه، ص: 483.

6- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 23.

7- الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

8- **أسباب العزل:** تكمن في أنّه "ترك أشغال المخزن فارغة وفر هاربا". وقد بقيت أسباب هروبه مجهولة مع أنّ أحمد باي كان قد وجه له "كتاب أمان"، كما "جرد" له فيه جميع المطالب التي كانت في ذمته. ينظر: الرسالة رقم: (19). ولعلّ أمر فراره هذا يعود إلى عدم قدرته على دفع ما كان يجب عليه من مطالب مخزنية.

9- Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination Turque, 3ème et dernière période de 1792 a 1837. R. C. 1869, P : 590.

10- **بوزيان بن علي:** كان من بين المتمردين على سلطة أحمد باي، لدرجة أنّه خصه برسالة يشتكي من خلالها تصرفاته المشبوهة وخيانته للأمانة وهتكه لأسرار الآغا. وقد استشار إبراهيم الخزناجي في شأنه، طالبا منه تسليط عليه أقسى العقوبات زجرا وردعا لغيره من "أهل الفساد" على زعمه. ينظر: الرسالة رقم: (7).

اتهمه أحمد باي بخيانة الأمانة وسرقة لأموال البايلك[1].

الباش كاتب أو الكاتب العام: كلّف بتحرير رسائل أحمد باي وختمها[2]، وكلّ ما اتصل بالشؤون السياسية للبايلك[3]. كما كان يستقبل الرسائل الواردة على الباي[4]، ويحرر رسائل الموظفين العاملين على مستوى البايلك[5]. وخضع له كلّ الكتاب الذين تولوا تحرير الجلسات المتصلة بالمراسلات العامة بين الباي، والخلفاء والقواد[6]. وهذه الشخصية هي التي حررت هذه المجموعة من الرسائل التي نحن بصدد دراستها، مع أنّه لم تقدم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث أسماء لبعض هؤلاء الكتاب الذين عاصروا أحمد باي وقاموا بتحرير رسائله[7]. إلاّ أنّ أبي القاسم سعد الله ذكر بأنّ أحمد باي اتخذ له كتابا عربا من بينهم أحمد العباسي[8] ومحمد العربي[9].

الباش سيار[10]: كان مسؤولا على قافلة البريد[11]، فكان يحمل بنفسه رسائل أحمد باي إلى الباشا حسين، ويعود بالردود إليه[12].

شيخ المدينة ونقيب الأشراف: بالإضافة إلى كلّ ما ذكر، كان هناك أيضا حاكمان ينظمان شؤون السكان، ويحافظان على الأمن ويراقبان المياه والشرطة

1- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

2- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 21.

3- بالإضافة إلى الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى حسين باشا، أيضا كان يراسل باي تونس. مثال ذلك ما ورد في الرسالة التي تحمل الرقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة. وأيضا الرسالة رقم: (23).

4- كثيرا ما كانت ترد على أحمد باي رسائل من الباشا حسين، مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (25).

5- وردت في المجموعة رسالتين من هذا النوع، أمّا الأولى فتحمل الرقم: (6)، وهي مبعوثة من أحمد باي إلى حمزة آغا دون تاريخ. أمّا الثانية، فحملت الرقم: (7)، وهي مبعوثة من أحمد باي إلى ابراهيم الخزناجي.

6- ذكرت إحدى الرسائل أنّ عمال البايلك كانوا يراسلون أحمد باي ليقدموا له تقارير على مختلف الأحداث التي كانت تقع في المناطق التي كانوا مسؤولين على إدارتها. مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم : (11) في الترتيب العام للمجموعة، والتي تبين من خلال مضمونها أنّ ولد المركانتي، المسؤول على عملية الإصلاحات التي كانت تجري على مستوى مدينتي القالة وعنابة كان يراسل أحمد باي ويمده بكلّ ما كان يحدث على مستوى المدينتين.

7- كلّ الرسائل من الرقم: (1) حتى الرقم: (30) ماعدا رقمي: (6-7) وجهت إلى حسين باشا.

8- **أحمد العباسي**: كان من علماء قسنطينة، اشتهر بالتعليم، وبرع في دروس التفسير. توفي سنة 1251هـ/1836م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 188.

9- المرجع نفسه، ج:7، ص:43.

10- قد ورد هذا اللقب في الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

11- من بين الذين كلفوا بحمل الرسائل مجموعة من عمال الدايرة، بحيث ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنه وردت عليه رسالة من باي تونس أحضروها له "إثنين من الدايرة". ينظر: الرسالة رقم : (3) .

12- صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 20.

والمؤسسات العمومية[1]. أمّا الشخصية الأولى فكانت تلقب بـــ "شيخ البلد" أو "رئيس الأمناء"[2]. وقد أسندت هذه المهمة على عهد أحمد باي إلى الفقيه محمد الفكـــون[3] هذا على مستوى مدينة قسنطينة، أمّا على مستوى المدن الشرقية الأخرى المهمـــة، مثال ذلك نذكر مدينة عنابة، فقد وكلت هذه المهمة للمدعو إبراهيم كريتلي[4]، غيـــر أنّ الأتراك احتجوا على تعيينه، فلجأوا إلى القصبة بمدينة عنابة؛ أمّا الباي الكريتلي فقد عرف كيف يثير الفتنة داخل القصبة ويسيطر عليها بالقوة.

هذه الأحداث التي تناقلتها القبائل وسمع بها أحمد باي تركت في نفسيته حزنا شديدا وقلقا كبيرا، ممّا جعله لا يتوان لحظة في إعلان أمر عزل الشيـــخ إبـــراهيم وإرسال قوة عسكرية تحت قيادة الحاج بن زقوطة لاسترجاع المدينة ، فحاصـــرها لمدة ثلاث أشهر، لكن دون جدوى، ممّا دفع بأحمد باي إلى تغيير ابن زقوطة بعلي بن عيسى، الذي استطاع أن يؤلب السكان ضد إبراهيم ويتمكن في نهاية الأمر مـــن دخول المدينة والقضاء على الفتنة[5].

أمّا الشخصية الثانية فكانت تلقب بـــ "نقيب الأشراف"، هذا الأخير كان يـــتم اختياره من بين الأسر المعروفة على مستوى البايلك، إمّـــا لنفوذهـــا الـــسياسي، أو الاقتصادي، أو لنسبها وشرفها –تكون من بين العائلات المرابطية–. وكانت تعينـــه السلطة على مدى الحياة. من مهامه المشاركة في حل مشاكل الرعية ودعم ممثـــلي الحكم عند وجود خطر أجنبي. ولم تذكر المراجع المعتمد عليها فـــي انجـــاز هـــذه الدراسة على بعض الأسماء التي شغلت هذه الوظيفة على عهد أحمد باي.

هذا بالنسبة للموظفين السامين الذين كانوا يعملون بالتنسيق فيما بينهم لإدارة شؤون المدن. أمّا بالنسبة لمجموعة العمال الذين عملوا في قصر أحمد باي وقامـــوا

1- Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 51.

2- سوف يأتي الحديث على مجموعة أمناء الحرف في الفصل الرابع من المبحث الأول، ينظر: ص: (200).

3- **محمد الفكون**: ينتمي إلى إحدى أعرق العائلات القسنطينية، التي اشتهرت بالعلم والورع. لعـــب دورا كبيـــرا ومهما أثناء الأزمة التي كانت تمر بها الجزائر بما فيها بايلك الشرق، فجمع لذلك في منزله كبار الشخصيات من أجل اتخاذ التدابير والسبل الكافية لمواجهة الخطر الفرنسي. ينظر: Vayssette, R. C, 1869, P : 594.

4- ينظر ترجمة لهذه الشخصية في هذا المبحث، الصفحة رقم: (51).

5- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص ص:31-32.

على خدمته فنذكر منهم:

باش سراج: كان كبير السياس. كلّف بخدمة الإسطبلات وتجهيز حصان أحمد باي الخاص، عندما كان يعتزم هذا الأخير امتطاءه[1].

قائد المقصورة: وهو بمثابة المقتصد في قصر الباي الخاص[2].

قائد الجبيرة: كلف بجبيرة[3] الباي وتزويدها بالأموال اللازمة[4].

قائد السبسي: كلفت هذه الشخصية بحمل غيلون الباي[5].

باش قهواجي: تمثلت مهمته في تحضير القهوة الخاصة بالباي[6].

قائد الطاسة: كلف بحمل الآنية الخاصة بشرب القهوة خلال سفر الباي[7].

قائد السيوانية: تمثلت مهمته في حمل مظلة الباي عند المطر أو في حالة الحر الشديد[8].

قائد الدريبة: وهو البواب الأول في قصر الباي[9].

باش فراش: كان المسؤول على كلّ الأفرشة الخاصة بقصر أحمد باي[10].

2ـ الإدارة على مستوى الأوطان:

اختلفت المصادر والمراجع في تسمية العنصر الأول والأساسي الذي كان يتكون منه الأوطان[11] في تلك الحقبة التاريخية، فمرات أطلقوا عليه مصطلح

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص: 320.

2- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص:22.

3- **الجبيرة:** هي المحفظة التي كانت تعلق في مقدمة سرج خيل الباي. ينظر: المرجع السابق، ص: 320.

4- المصدر السابق، ص: 22.

5- المصدر نفسه، ص: 23.

6- وصف فندلين شلوصر الذي كان أسير أحمد باي مجلس هذا الأخير فقال:"كان يجلس فوق مخدة حمراء، وكان يقدم له القهواجي فنجان القهوة التي كان يذوقها قبل أن يقدمها له. ينظر: قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 30.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 320.

8- صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 22.

9- المصدر نفسه، ص: 23.

10- المصدر نفسه، ص: 23.

11- **الوطن:** وهو المصطلح المعتمد عليه في رسائل أحمد باي، لهذا فسوف يكون الاعتماد عليه في كلّ مراحل البحث. أيضا لأنه أكثر ملائمة لتلك الحقبة التاريخية.

"المشيخة". ومرات أخرى سموه بـ "النجوع"[1]. في حين عمدت بعض المراجع الأخرى إلى تسميته بـ "القيادة" [2]. ويتكون هذا العنصر الإداري من عدد من "الدواوير"[3]، أمّا الأقسام التي كانت تتكون منها القبيلة، فعرفت بـ "الخروبة"[4].

ولقد حرص أحمد باي بعد تعيينه على تنظيم الأمور الإدارية خاصة على مستوى الأوطان، والتي كانت قبل مجيئه تتسم بعدم الاستقرار[5]، وتتصف بطابع الارتجالية والكثير من التجاوزات، هذا إلى جانب غياب الأمن في مختلف ربوع البايلك[6].

لهذا عند توليه الحكم، استدعى إلى مدينة قسنطينة كلّ الشخصيات البارزة، خاصة تلك التي مثلت مصالح القبائل القوية والغنية واجتمع بهم في الجامع الكبير[7] وبحضور شيخ الإسلام قام بتنصيب الشيوخ والقياد وولاهم على قبائلهم. كما عمل على استقطاب أكبر عدد من القبائل خاصة تلك التي عرفت بقوتها ونفوذها[8] من أجل نيل تأييدها، والمحافظة على سلطته.

ومن بين هؤلاء القياد والشيوخ الذين أقر البعض منهم على ما كانوا عليه،

1- حمدان خوجة، المرآة، ص: 99.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 29. وقد ضم بايلك الشرق مجموعة من القيادات نذكر أهمها: قيادة باتنة. ثم قيادة أولاد داوود. وقيادة بني وجانة. ثم قيادة العمامرة. فقيادة أولاد عبدي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 289-290.

3- **دواوير**: مفرده دوار وهو مجمع من الخيام. ينظر: Boyer, L'évaluation de l'Algérie,P :19.
وأضاف مصدر آخر أنه عبارة عن منطقة يعيش فيها البدو مجتمعين فيها من 50 إلى 60 خيمة، وأكبرهم هو شيخ الدوار، الذي كان ينظم أمورهم التجارية، ويخضعون لأوامره عن طيب خاطر منهم. ينظر: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص:89.

4- **الخروبة**: كذلك سماها ناصر الدين سعيدوني في مرجعه: ورقات جزائرية، ص: 156. والخروبة هي وحدة للمساحة يعمل بها في تونس، وهي أيضا وحدة للوزن يراد بها وزن حبة الخروب، وكانوا يتعاملون بها في البلاد الإسلامية. ينظر: محمود فاخوري، وصلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية وما يعادلها بالمقاييس (الأطوال-المساحات-الأوزان-المكاييل)، مكتبة لبنان ناشرون، ص: 277.

5- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

6- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (15-24-30) في الترتيب العام للمجموعة.

7- انقسمت المؤسسات الدينية في الجزائر عامة أثناء الحكم العثماني إلى جامع، ومسجد وزاوية، كلّ حسب المهام التي تؤديها. فالجامع كانت تؤدى فيه الخطبة والدعاء والولاء للحاكم، ومن بين الجوامع التي كانت منتشرة في بايلك الشرق على عهد أحمد باي نذكر: جامع أربعين شريف، وجامع القصبة وجامع البشتارزي أيضا جامع الأخضر وجامع رحبة الصوف وجامع الغزل. ينظر: Ernest Mercier, Constantine Avant la conquête Française 1837, *Notice sur cette ville à l'époque du dernier Bey*, R. C, 2ème série, 1878, P : 67.

8- **مثال ذلك**: ما فعله أحمد باي مع قبيلة أولاد عبد النور، التي كانت من بين أقوى القبائل، إذ حظيت بحسن الضيافة والاستقبال، كما قدّم لبعض من زعمائها العطايا والهدايا كسبا لمساندتهم له. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 29.

وعزل البعض الآخر وولى مكانهم رجالا كان يرى فيهم الإخلاص للسلطة نذكر:

أ-مجموعة القياد: يتم اختيار القايد من فئة الأتراك أو الكراغلة، كان اتصاله الإداري مباشرة مع أحمد باي، يراسله ويستقبل الأوامر منه. استعان بشيوخ القبائل من أجل تسيير شؤون الرقعة الجغرافية الداخلة تحت إطار مهامه، ذلك أنّ إقامته لم تكن بين أفراد القبيلة التي كان مكلفا بإدارتها، وإنّما كانت في مدينة قسنطينة أو في أحد الأبراج المحصنة التي تكون قريبة من إقامة القبيلة المسؤول على تسيير شؤونها[1]. كما كانت له اختصاصات متعددة خاصة الأمنية والاقتصادية منها[2].

ولقد ولّت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي على مستوى الأوطان المتواجدة في بايلك الشرق مجموعة من القياد نذكر منهم:

قائد الحراكتة[3] أو "قائد العواسي"[4]: كانت إقامته بمدينة قسنطينة. كلف بقيادة فرقة من الجيش تتكون من ثلاث مائة جندي[5]. ويدير أيضا شؤون ثلاثين قبيلة تشمل معظم سكان الشاوية.

ولقد تقلّد أحمد باي هذه الوظيفة وهو ابن الثامنة عشر سنة، واستمر فيها حتى سنة 1232هـ/1816م أيّ مدة تسع أعوام كاملة[6]. فسمحت له هذه الوظيفة بتسيير شؤون قبيلة الحراكتة القوية، والتي أكسبته خبرة وكفاءة[7]، ساعدته فيما بعد على فهم الكثير من المعطيات السياسية والاجتماعية التي تميزت بها قبائل البايلك.

1- القشاعي فلة المولودة ميساوي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1403/ 1983، ص: 130.

2- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، لبايلك الشرق الجزائري "نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي"، مطبعة العناصر، الجزائر، د ط، ص: 49.

3- **قبيلة الحراكتة:** قبيلة بربرية مستعربة؛ كانت تقطن منطقة عين البيضا، وقد أصبحت مقسمة إلى ثلاث مناطق ممتزجة، أم البواقي، مسكيانة وصدراتة. ولرجال هذه القبيلة صلابة وشدة مراس قل نظيره. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 224. وقد وصفهم بن العنتري فقال:" هم أناس طبعهم غليظ ولم تكن لهم سياسة يدركون بها عاقبة الأمور ولا عندهم فطانة فيتخلصون بها من المحذور". ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 120.

4- **قائد العواسي:** كذلك ورد في الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة. وهي كلمة مشتقة من (عيسى). وأطلقت على قبيلة اللمامشة "منذ قتال سابق مع الأتراك"، وهم من سكان عين البيضاء. ينظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، ص: 86.

5- Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 60.

6- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص: 46. في حين ذكر آخر أنّه استلم هذه الوظيفة وهو يبلغ من العمر ما بين 21 إلى 23 سنة. ينظر: M. Léon, L'Algérie ancienne et moderne, P : 460.

7- المرجع السابق، ص: 46.

ومن بين الشخصيات التي أسندت لها هذه المهمة على عهده زوج حفيدته الذي كان بمرتبة يولداش في الجيش فترقى مباشرة إلى رتبة قائد العواسي بعد زواجه من هذه الحفيدة، وكان له ذلك سنة 1245هـ/1829م[1]. وهذا ما يؤكد الفكرة القائلة بأنّ هذا المنصب لم يكن ليسلّم إلاّ لأحد أقرباء الباي[2].

قائد التمامشة: كلّفه أحمد باي بتسيير شؤون هذه القبيلة مقابل تقديمه لحق التولية. وكانت تخضع له المناطق الشرقية من الأوراس. وممّا يلاحظ على هذا القائد أنّ سلطته ظلّت في أغلب الأوقات اسمية أكثر منها سلطة فعلية، فلقد كان يستعين بمحلة البايلك الفصلية لاستخلاص المطالب المخزنية من سكان قيادته، أمّا في أوقات غياب هذه المحلة فإنّه لا يجسر أن يتجول في قيادته، وإن هو حاول ذلك فإنّه غالبا ما يعرض نفسه لخطر محقق[3]. وما يؤكد صحة المعلومات التي قدمها ناصر الدين سعيدوني هو ما تضمنته بعض الرسائل من معلومات تفيد بأنّ كثيرا ما كانت تتعرض هذه القبيلة لحملات تأديبية كان يشنها عليها أحمد باي بين الحين والآخر من أجل عصيانها وتمردها على السلطات الحاكمة[4].

قائد الزمول[5]: كانت تحت إمرته حوالي عشرين قبيلة عسكرية. وكان يرأس كلّ 150 فارس شاوش. أمّا على عهد أحمد باي فكانت تتكون هذه القوة من 500 فارس يرأسهم من 10 إلى 15 شاوش حسب ما كانت تقتضيه الظروف[6].

قائد قبيلة التلاغمة[7]: ولى أحمد باي المدعو "إبراهيم بن إسماعيل" قائدا على

1- الرسالة رقم:(15) في الترتيب العام للمجموعة.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 31.

3- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 277.

4- ينظر الرسالة رقم:(18) في الترتيب العام للمجموعة.

5- **الزمول**: كانت هذه القبيلة ضمن قبائل المخزن، واستطاعت أن تقتطع بعض الأراضي الصالحة للزراعة والرعي لتتمكن من حراسة الممرات الجبلية بنواحي باتنة حتى يظل طريق بسكرة مفتوحا أمام تحركات الحاميات التركية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 271.

6- Mouloud Gaid, chronique des Beys de Constantine, P : 136.

7- **قبيلة التلاغمة**: كان تواجدها على بعد 10 كلم من جنوب غرب مدينة قسنطينة. ينظر:
Vayssettes, Notes Historiques sur les Tribus de Constantine, R. C, 1869, P : 3.

هذه القبيلة، وقد تم له ذلك سنة 1245هـ/1830م[1]. وكانت لهذه القبيلة تقاليد عسكرية أكثر منها فلاحية، كما كانت تميل أيضا لتقاليد المخزن[2].

قائد الأوراس[3]: وكان يشرف هذا القائد على إدارة شؤون اثني عشر قبيلة[4] من أهمها: الأعشاش،[5] وأولاد بوحالة، وقبيلة العمامرة، وأهل الواد الأبيض، وأهل واد عبدي، وقبيلة المعافر، وأولاد سعيد، وأولاد فاضل، وقبيلة بني مومنين، وأولاد زيان، وكان تواجد كلّ هذه القبائل في الجهات الجبلية الوسطى الواقعة إلى الجنوب من بلاد الحراكتة والزمول[6]. وقد أسند أحمد باي هذه المهمة إلى المدعو علي شريف، وذلك سنة 1244هـ/1828م[7]. في حين ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ قيادة الأوراس توارثتها أفراد عائلة بن بوضياف، وكان آخرهم حسب تقارير القادة الفرنسيين المدعو سيدي العربي بن بوضياف[8].

وعلى العموم فغالبا ما كانت تسند هذه الوظيفة إلى من أظهر إخلاصه وتبعيته لإدارة البايلك. وكان هذا القائد يمارس صلاحياته بمعاضدة قوة من الفرسان المسلحين، ذلك أنّ منطقة الأوراس شهدت الكثير من الحركات التمردية التي كانت تقوم بها بعض القبائل، لهذا اضطر أحمد باي إلى استعمال الحملات العسكرية من أجل تأديبها[9].

قائد أولاد عبد النور: شكلت هذه القبيلة قوة من قوات المخزن والتي كان يطلق عليه اسم الزمالة[10]. وقد أعاد أحمد باي تنظيمها إداريا، إذ قبل وصوله للحكم

1-Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine, P : 68.

2-صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ص: 43.

3-شغلت هذه المنطقة الكثير من الحيز في رسائل أحمد باي تذكر منها كلّ من الرسالة رقم: (26-29-30) .

4-Mouloud Gaid, Gaid, chronique des Beys de Constantine, P: 136.

5-**الأعشاش**: أصلهم من أولاد سحاولة. ينظر: Liela Babes, Tribus –Structures sociales P : 110.
وكان هذا المخزن بزعامة عائلة بن سديرة، كلف أفراده بالتنقل بين السفوح الشمالية للأوراس ابتداءا من منطقة أسرنون، التي كانت بمحاذاة خنشلة إلى نواحي بوعريف موطنها حاليا. وقد وجدت هذه العشيرة المساندة للقيام بمهمة الحراسة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 271.

6-المرجع نفسه، ص: 276.

7-Abdel Jelil Temimi, Op. Cit, P : 140.

8-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 276.

9-ينظر كلّ من الرسالة رقم: (15-18-19-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

10-صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 43.

كان يدير شؤونها ثلاثة شيوخ، لأنها كانت مقسمة إلى ثلاث أقسام كبيرة: الشراقة، والغرابة[1]، والوساطة، وعند توليه حكم البايلك أدخل تحويرا إداريا جديدا عليها بعد أن أخضعها لسلطته، فأسند قيادتها إلى قائد واحد فقط. ومن بين الذين تقلدوا هذا المنصب على عهده القائد سليمان[2].

قائد عامر شراقة[3]: كان يشرف بدوره على ست قبائل[4].

قائد سكيكدة: كلف بإدارة شؤون ومصالح تسع قبائل[5]، ويفضل "خنوف علي" أن يسميها بـ"الأعرش"[6]. ومن بين أهمها عرش بني مهنة[7].

قائد زواغة: كان يأتمر على عدد كبير من سكان القبايل[8]. وكانت مهمته صعبة للغاية، إذ تميز أفراد هذه القبيلة بتمردهم وعصيانهم على كلّ من كان يمثل السلطة العثمانية، ولم يتم إخضاعهم إلاّ أثناء حكم أحمد باي[9].

قائد أولاد إبراهيم[10]: كلف هذا القايد بالإشراف على إحدى عشر قبيلة[11].

قائد عامر الغرابة[12]: تمثلت مهمته في إدارة شؤون خمس قبائل[13].

قائد أولاد دراج بمنطقة الحضنة [14]: لم تكن مهمة هذا القائد سهلة نتيجة لما

1- قبيلة الغرابة: قدم أفرادها من أولاد سلطان. ينظر: Leila Babes, Op. Cit, P: 31.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ص: 30. ولم يذكر أية معلومات حول هذه الشخصية.

3- عامر الشراقة: كانت متواجدة على بعد ثلاثين كلم من جنوب شرق وادي الرمل. ينظر:
Leila Babes, Tribus et structures, P : 31.

4- Mouloud Gaid, chronique des Beys de Constantine, P : 137.

5- Ibid, P : 137.

6- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 34. وينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (3) من أجل الإطلاع على خريطة تبين توزيع الأعراش على مستوى بايلك الشرق.

7- عرش بني مهنة: من بين أهم الأعراش التي كانت تسكن منطقة عرش بني مهنة، ونسب العرش ينحدر من رجل يدعى "مهنة" الذي حلّ بشرق القل في مكان يدعى حاليا أولاد مهنة. وبنو مهنة فرقتين: السهلية والجبلية. وقد قاوموا الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ولكنّهم هزموا في أول معركة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

8- Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 137.

9- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 50.

10- أولاد إبراهيم: تفرعت هذه القبيلة إلى فروع، منها ما كان متواجدا على مستوى منطقة العلمة، ومنها ما كان مستقرا في منطقة سطيف ونواحيها. ينظر: Leila Babes, Op. Cit, P : 31.

11- Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 137.

12- عامر غرابة: تألفت من أولاد زيان وتارة وتاغوست وبوزينة والفضلة وبعض الفرق من بني فرح ومشونش، وهذا الصف كان في صراع مستمر مع أولاد عبدي المشكل من أفراد الرحا والأرباع وبعض الأسر من المعاقة وأولاد عزوز وبني سليمان. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 283.

13- Mouloud Gaid, Op. Cit, PP: 137.

14- Ibid, P: 137.

كان عليه أفراد هذه القبيلة من تمرد وعصيان فكثيرا ما كان أحمد باي يستعمل الحملات العسكرية من أجل تأديبها وتدعيما لسلطة هذا القائد عليها[1].

ولقد استعان هؤلاء القياد بسلطة الشيوخ من أجل بسط نفوذ السلطة وفرض الأمن في كثير من المناطق على مستوى البايلك.

ب-مجموعة الشيوخ: كانت سلطة الشيخ[2] مزدوجة، احداهما إدارية والأخرى عسكرية. تولى تسيير شؤون القبيلة وعمل على مراقبة مواسم الحرث والحصاد وتقسيم الأراضي على العائلات. كما كان ينظر في قضايا توزيع المياه، واختيار مكان استقرار "الدوار" أو "الدشرة".[3] وأهمهم، شيخ العرب[4]، ولقد حظيت هذه الشخصية بالاحترام والتقدير، فكانت تتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين على القبائل، لهذا استعانت بها السلطة على مستوى البايلك في تسيير أمور الرعية.

ومن بين الشخصيات البارزة التي تقلدت المشيخة[5]، "فرحات بن سعيد" وذلك مند عهد الباي كريتلي، وبعد أن شق عصا الطاعة عليه سنة 1232هـ/1821م عزله[6]، لكنّه نال عفو الباي عنه، وبذلك واصل يمارس سلطته إلى أن اتهمه أحمد باي بسرقة أموال البايلك، فقام بعزله سنة 1241هـ/1826م[7] وولى مكانه بوعكاز[8] الذي كان من أوفى الزعماء له، بحيث سانده ودعمه أثناء الحملة الفرنسية الأولى

1- الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **الشيخ:** وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله عندما كان يعرض البعض من الأحداث التي كانت تقع في مناطق متفرقة من البايلك. مثال ذلك ينظر كلّ من الرسالة رقم: (15-28) في الترتيب العام للمجموعة. وكلمة **الشيخ** تعني "قديم". بوجه عام؛ كان يختار من بين الأكبر سنا والأكثر نضجا وحكمة وممارسة للفضيلة، وهو الذي يحكم عليه أهل القبيلة إن كان جديرا بأن يأمرهم. ينظر: ف. بانانيتي، مغامرات وملاحظات (تقرير عن إقامة في الجزائر)، د مط، باريس، د ط، 1820. ص: 125.

3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 49.

4- أول من اتخذ هذا المنصب بإذن من الباب العالي المدعو بن حباش، هذا الأخير كان من بين الشخصيات المهمة في تلك الحقبة التاريخية. ينظر: Dureau de la Malle, Province de Constantine, (recueil de Renseignements), Libraire de guide, Editeur des annales des voyages, 1837, P : 169.

5- كذلك سماها أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر: الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

6- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 357.

7- الرسالة رقم :(5) في الترتيب العام للمجموعة.

8- **بوعكاز**: وتعني الرمح أو الرجل ذات العصا المصفحة بالحديد. ينظر:
Charles Féraud, Ferdjioua et Zouar'a (Note Historique sur la province de Constantine), R. A. 1878, P: 4.

على قسنطينة[1]. ثم أسند هذا منصب بعدها إلى بلحاج بن غانة، وذلك سنة1245هـ/1829م[2].

ولقد استعانت السلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي بشيوخ القبائل من أجل إدارة شؤونها، ذلك أنّ الشيخ كان محترما وموقرا من طرف جميع أفراد القبيلة. ومن بين هؤلاء الشيوخ نذكر:

شيخ الحنانشة: كان يدير اثني عشر قبيلة[3]. وقد أسند أحمد باي مشيخة قبيلة الحنانشة للحاج المبارك[4]، ولكنّه بعد مدة قرر عزله وكان ذلك في صيف عام 1241هـ/1826م[5]، بعدما تأكد له عصيانه وعدم قدرته على إدارة شؤون هذه القبيلة القوية[6].

أمّا عن الشخصية التي وليت مكان الشيخ المعزول فلم يذكر أحمد باي بخصوصها أيّة معلومات، في حين رشح "عبد الجليل التميمي" رزقي الحنانشي[7]، الذي كان ينتسب إلى عائلة مجهولة النسب، السبب الذي أثار حقد وغضب القبيلة عليه، لهذا رفضوا سلطته، ذلك أنّ مثل هذه القبائل كانت ترفض أن تولي أمورها لفرد غريب عنها، وحتى وإن كان قرار تعيينه صادر من الباي شخصيا[8].

ولعلّ أمر تنصيبه هذا يعود إلى تلك العلاقة القديمة التي ربطته بأحمد باي، فلقد كان رفيقه في عمليات الصيد، كما قدّم له خدمات عدة ، من بينها القبض على

1-Sèroka, Le sud Constantinois de 1830 à 1850, R. A, 1912, P : 378.

2-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 137.

3-Ibid, P: 137.

4-**الحاج مبارك:** وهو الحاج مبارك بن أحمد بن علي، من بين أهم الشخصيات البارزة في قبيلة الحنانشة، ومن زعمائها. أصله من عائلة عريقة وغنية ومهابة. ينظر: Pierre Castel, Tebessa histoire et Description d'un territoire Algérien, Henry Paulin et Cie éditeurs, Tome : 2, P : 73.

5-الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

6-أصل ذلك يعود إلى صيف سنة 1241هـ/1826م، عندما كان أحمد باي نازلا برفقة محلته في منطقة سوق أهراس عندها قصده رزقي الحنانشي وأفراد قبيلته، فاستغل أحمد باي الفرصة وبعث للحاج المبارك لكنّه تغيب دون عذر واضح، فاعتبر أحمد باي غيابه هذا عصيانا وخروجا عن طاعته. ينظر: الرسالة: (15). في الترتيب العام للمجموعة.

7-**رزقي الحنانشي:** هو رزقي بن منصور، تولى الأمور الإدارية لقبيلة الحنانشة في العهود السابقة. ينظر: Pierre Castel, Op. Cit P : 73.

8-Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 140.

زين بن يونس[1] الذي اعتبره أحمد باي من بين العصاة والمتمردين على السلطة الحاكمة[2].

في حين ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ الذي ولي مشيخة قبيلة الحنانشة هو المدعو الحسناوي[3]، ولكنّ بعد فترة عزله أحمد باي وولى مكانه المدعو رزقي الحنانشي[4]، وقد تكلم عنه في مذكراته فقال بأنّ الحسناوي كان شيخا على قبيلة الحنانشة التي كان مقيما عندها، ولأنه حاك ضده المؤامرات، حكم عليه بالإعدام واستبدله برزقي الذي أبدى له الكثير من الإخلاص. ولكن بعدما فكر مليا في عاقبة هذا القرار وإرضاء لأسرة الحسناوي عينه كاتبا لدى الشيخ، لكنّه تنازل عن منصبه ولجأ إلى تونس[5].

أمّا "أرنست مارسي" "Ernest Mercier" فرشح "علي" الذي كان شيخا على فرع من قبيلة الحرار بن ناصر[6]. وقد كان هذا الشخص من بين المتمردين على سلطة أحمد باي، لهذا أمر بالقبض عليه. ولكن بعد تسليمه، نظر في قضيته ودرسها من كلّ الجوانب فبدلا من معاقبته، أصدر قرارا بتنصيبه شيخا على قبيلة الحنانشة؛ إلا أنّ هذه الأخيرة رفضت سلطته وثارت عليه وكان ذلك سنة 1242هـ/1827م[7].

وعلى كلّ فإنّ هناك إجماع بين ناصر الدين سعيدوني وعبد الجليل التميمي على أنّ المدعو رزقي كان شيخا على قبيلة الحنانشة. وأمام غياب النص التاريخي لأحمد باي فيكون هذا الترجيح نسبي ولكنّه مقبول للأسباب التالية:

1- **زين بن يونس:** كان شيخا على قبيلة النمامشة، وكتب له أن يعيش إلى ما بعد احتلال الفرنسيين للجزائر. وأثناء نزول أحمد باي بديار هذه القبيلة لتوحيد الصفوف وتكوين قوة، عمل بن يونس هذا وأعوانه من أولاد سيدي يحي والزرالمة رعايا باي تونس لتسليم أحمد باي، ولكنّ هذا الأخير تفطن للمكيدة ولم تنطل عليه حيلة بن يونس الذي تظاهر بأنّه على علم بخطة العدو وأنّه كان يسايرهم ولا يأخذ بتوجيهاتهم، فسارع أحمد باي إلى قتله مع أتباعه. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص: 50.

2- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 376.

3- **الحسناوي:** هو الحسناوي بن بلقاسم، أصله من قبيلة الحنانشة، وحفيد الشيخ مبارك بن أحمد بن علي. ينظر: Pierre Castel, Tebessa histoire et description d'un territoire Algérien, P : 73.

4- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 51.

5- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 85.

6- **قبيلة أولاد بن ناصر:** تفرعت هذه القبيلة إلى فروع من بينها: بني مناصر الشراقة، وبني مناصر الجبابلية الموجودة في منطقة وادي ريغ. ينظر:
L. Rinn, *Le royaume d'Alger sous le dernier Day*, R. A, N : 41, 1897, P : 150.

7- Ernest Mercier, Op. Cit, P : 376.

*-كنية الحنانشي التي ألحقت باسمه دلالة على أنه كان على اتصال مباشر مع هذه القبيلة.

*-مكافأة له للخدمات المتعددة التي قدمها لسلطة الباي.

*-أمّا فيما يخص أسباب استبعاد الرواية الثانية فذلك يعود إلى أنه ليس من طبيعة أحمد باي أن يرحم كلّ من تمرد على سلطته وبدلا من معاقبته يكافئه بأن يوليه شيخا على قبيلة تعد من أكبر وأقوى القبائل في بايلك[1].

شيخ العرب بالزاب "منطقة بسكرة": انقسمت هذه المنطقة إلى ثلاث مناطق متباينة وهي: الزاب الظهري، والقبلي، والشرقي. وكانت كلّها خاضعة للشيخ بن غانة الذي عينه أحمد باي[2] من أجل تسيير شؤون إحدى عشر قبيلة[3] وهم من البدو والرحل. ومن بين أهمها: قبيلة التمامشة الغرابة، والعرب الرحل الشراقة[4]، والغرابة، وأولاد جلال[5]، وسيدي خالد[6]، وأولاد زكري وكلّ صحاري، هذه الأخيرة وصفت بالتمرد، فكثيرا ما كان يقوم أحمد باي برفقة قواته بشن حملات عسكرية قصد تأديبها[7].

شيخ بلزمة[8]: كانت تحت إدارته، ثلاث عشرة قبيلة. وكان هذا الشيخ أكثر أهمية من شيخ الأوراس، نظرا للمداخل التي كان يتحصل عليها، أيضا للقوة العسكرية التي كان يشرف عليها بحيث كانت تقدر بـ 300 فارس، في حين لم

1- إنّ من العادة والعرف المتداول عليهما في تلك الحقبة التاريخية أنه لا يسلم مثل هذا المنصب إلا لمن اختاره أعيان القبيلة، ويقع إثباته في مهامه نزولا عند رغبتهم، كما أنّها كانت في معظم الأحيان عملية وراثية ولم يكن لتأثير بايات قسنطينة دورا مهما في ذلك. فمن النتائج المترتبة على مثل هذا القرار طرده أو قتله. ينظر: شارل روبير أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط:1، 1982، ص: 13.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 26.

3- Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

4- **عرب الشراقة**: تفرعوا إلى عدة فروع من بينها: أهل بن علي وشرقة وقمرة وأولاد أهل النور وجزءا من أولاد سحنون بالحضنة. ينظر: المرجع السابق، ص: 54.

5- **أولاد جلال**: كان تواجدهم في الواحات بالجنوب الجزائري، وإليهم تنسب واحات أولاد جلال. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 195.

6- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

7- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (16-19) في الترتيب العام للمجموعة.

8- **منطقة بلزمة**: تشكلت من منطقة بلزمة الأوراس الغربي وهي تحدها من الغرب باتنة، ومن الشرق منطقة الحضنة، أمّا شمالا الزيبان، ومن الناحية الجنوبية الهضاب العليا القسنطينية. وتتكون من كتلة جبلية منيعة من الصعب الاستيلاء عليها أو التحكم فيها عسكري. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص: 135.

تتجاوز القوة العسكرية التي كانت تحت إدارة شيخ الأوراس 150 فارس[1].

شيخ زواغة: كان تحت إشرافه أربع قبائل[2]. لم يذعن أفرادها للسلطة الحاكمة سوى على عهد أحمد باي، وظلت منذ ذلك الوقت تستجيب لمطالب المخزن[3]. وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ مهمة هذا الشيخ كانت صعبة. وقد وكّل أحمد باي عز الدين بالإشراف على إدارتها[4].

شيخ قصر الطير، هذا الأخير كان موجودا على بعد ثماني فراسخ[5] جنوب مدينة سطيف على مقربة من البحيرة المعروفة بسبخة قصر الطير[6]. وكان شيخها يتحكم في قبيلة ريغة المتفرعة إلى فرعين: ريغة الظهرة التي كانت تتكون من أربعة عشر حيا، وريغة القبلة وتتكون من ستة عشر حيا[7].

شيخ أولاد مقران[8] بمدجانة: كان مسؤولا على إدارة شؤون ثلاثة عشر قبيلة[9]. وكانت هذه الشخصية من بين الشخصيات المهمة، لسببين، أحدهما لقوة ونفوذ هذه الأسرة. أمّا الثاني فيعود لأهمية المنطقة الاقتصادية والاجتماعية. وكان أحمد باي يمد هذا الشيخ بـ 15 خيمة، ذلك أنّ قبيلتي بني العباس[10] وعباد كانتا تمتنعان عن دفع المطالب المخزنية، لذا فإنّ استخلاص هذه الأخيرة بمشيخة

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 135.

2- Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 51.

4- Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 137.

5- **الفرسخ**: وحدة قياس للطول، وهو عند العرب ثلاث أميال أو ست. قيل هو فارسي معرب، وقيل مأخوذ من الفرسخ الذي هو السكون أو المسافة، ويعادل الفرسخ الإنجليزي ثلاث أميال برية وهو ما يعادل أيضا15، 840 قدما. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج:17، ص: 301.

6- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 160.

7- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 51.

8- **أمقران**: تعني باللغة البربرية القائد الكبير. ينظر:
W. Ragot, Le Sahara de Constantine, R. C, 1873-1874, P : 228.
ولقد تفرعت هذه قبيلة إلى فرعين، منها فرع عبد السلام الذي كان وفيا لسلطة العثمانيين وكان زعيمهم الحاج عبد الله. ينظر: Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 94.

9- Ibid, P : 137.

10- **قبيلة بني العباس**: هؤلاء صارعوا بشدة الأخوين عروج وخير الدين وتحصنوا في الحصن العالي المحمي الرافض لأية سلطة والمعتز باستقلاليته الممتنع عن دفع أية مطالب. ينظر: الكراي القسنطيني، العلاقة بين الأتراك العثمانيين والقوى المحلية بتونس والجزائر، وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني خلال الثلاثين سنة الماضية، إعداد وتقديم: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، قرسي-زغوان، أكتوبر/تشرين الأول 1996، ص: 221.

المقراني لم يكن بالأمر الهين، سواء في العهد العثماني أو الفرنسي. وقد نصّب أحمد باي المدعو أحمد بن بوزيد المقراني(1) شيخا عليها(2).

شيخ فرجيوة: تمثلت مهمته في إدارة شؤون ست قبائل(3). وقد أسند أحمد باي هذه المهمة إلى مقورة بن عاشور(4)، وكان ذلك سنة 1243هـ/1827م، لكنّه بعد مدة قرر عزله(5).

ولعلّ أسباب عزله(6) تعود إلى ثلاث أمور، وهي التي أظهرها أحمد باي في رسالته، ممّا يعطينا فكرة عن أسباب العزل التي كان يصدرها البايات بصفة عامة، وأحمد باي على وجه الخصوص في شأن عمال الإدارة العثمانية، وقد تمثلت فيما يلي:

*-عدم دفعه لحق اللزمة(7) والتي كانت تدفعها قبائل الرعية(8).

*-عدم تسديده حق القندورة، هذه الأخيرة كان إلزاما على كلّ شيخ تسديدها(9).

*-عدم استجابة مقورة لطلب أحمد باي، والمتمثل في إمداده بفرسان من أجل

1- **الشيخ أحمد بن بوزيد المقراني:** من بين الشخصيات البارزة والمهمة في عائلة المقراني، وقد خاض صراعا مريرا وشاقا مع أبناء عمومته من أجل إدارة المنطقة التي كانت تمتد مساحتها ما بين قيادة فرجيوة بالشرق، وقيادة شيخ العرب بالجنوب. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

2- المرجع نفسه، ص: 55.

3-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 138.

4- **مقورة بن عاشور:** كان شيخا على قبيلة فرجيوة. انضم إلى فريق إبراهيم كريتلي مع كلّ المعارضين للباي أحمد وذلك بعد سقوط عنابة. وتعود أصل هذه العداوة القديمة بينه وبين أحمد باي إلى ما حدث بين أحمد القلي جد أحمد باي وأحد أجداد مقورة بن عاشور، هذا الأخير سبب لأحمد القلي هزيمة نكراء. ومنذ ذلك الوقت تكونت بين الأجيال عداوة كبيرة توارثتها على مر التاريخ. وبالرغم من تلك العداوة إلاّ أنّه أمدّ أحمد باي بكافة المساعدات وتطوع أن يكون فارسا تحت إمرته من أجل انقاذ الجزائر. ينظر:

Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R. C, 1871-1872, P : 308.

وكلّ هذه الأقوال تتناقض مع ما جاء في رسالة أحمد باي التي وجهها إلى حسين باشا والتي يعلمه من خلالها أنّه تم القضاء على مقورة بن عاشور في 19 محرم من سنة 1243هـ/12 أوت 1827م. ينظر: الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. وما يؤخذ به هو ما جاء على لسان أحمد باي.

5- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

6- ذكر أرنست مارسي أنّ أمر عزله هذا لم يؤثر على نفوذه وسلطته على بعض مناطق البايلك. ينظر:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 375.

7- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

8- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 97.

9- الرسالة السابقة.

القيام بحملته الشتوية[1]؛ بحيث كان واجبا على كلّ شيوخ القبائل أن يلبوا هذا النداء، بناء على اتفاق يبرم بينهم وبين السلطات مقابل بعض الإعفاءات المخزنية[2].

ولقد نصب أحمد باي مكان الشيخ المعزول ابن عمه ولكن دون التعريف به أو حتى ذكر اسمه[3]، وما عثر عليه في بعض المراجع هو أنّ هذا الشخص هو بن دراجي بورنان[4] الذي كان شيخا على منطقة فرجيوة. ولقد تأكد حقيقة أنه كان ابن عم مقورة بن عاشور من جهة، وخال لبوعكاز من جهة أخرى لكنّ الرعية تمردت وثارت عليه رافضة بذلك سلطته[5].

شيخ دير أولاد يحي بن طالب[6]: كان تواجدهم في جهات متفرقة من منطقة تبسة، ولقد عرفت هذه الأخيرة عدّة اضطربات على فترات مختلفة من تاريخها العثماني، إلا أنّ هذه الفتن خفّت حدّتها على عهد أحمد باي[7].

شيخ قبيلة العلمة مصالح[8]: تم تنظيمها في شكل قبيلة مخزن، يديرها مباشرة شيخ يختاره أفراد القبيلة الذي كان تحت أوامر باش كاتب الباي، وقد ساعدت تلك القبيلة كثيرا سلطة الباي في إقرار الأمن ببلاد القبائل الصغرى[9].

شيخ منطقة وادي الصفصاف: كان يشرف على إدارتها الأتراك بشكل

---

[1]-الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

[2]-Charles Féraud Ferdjioua et zouar à. Note historique sur la province de Constantine, R. A. 1878, P : 20.

[3]-الرسالة السابقة.

[4]-**بن دراجي بورنان:** أوقعه الشيخ بوعكاز في فخ نصبّه له بالتخطيط مع أحمد باي أثناء قيامهما بجولة فوق الحصان بحيث أرماه أرضا ومن تم قام بطعنه طعنة قاتلة. ينظر:
Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 93. **Voir aussi**: Charles Féraud, R. A. 1878, P : 83.
وعندما شاع خبر مقتل بورنان بين أفراد قبيلته، اتحدت هذه الأخيرة مع قبيلة بن قندوز الذي نفذ في زعيمها حكم الإعدام بأمر من الباي شخصيا وأعلنت عصيانها وتمردها على سلطته، لهذا الغرض قام أحمد باي بتأديبهم، وذلك بشن حملة عسكرية عليهم، ولكنّ قوات الباي تراجعت أمام شجاعة فرسانهم. ينظر:
Mercier, Histoire de Constantine, P : 375.

[5]-Bouaziz Ben Gana –Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 35.

[6]-**أولاد يحي بن طالب:** منذ سنة 1242هـ/1827م، اعتزلت هذه القبيلة الساحة، ملتجئة إلى جبال الأوراس، أين أقامت بها بعيدة عن ما كان يحدث من حركات تمرد وعصيان. ينظر:
Pierre Castel, Tebessa histoire et description d'un territoire Algérien, P : 7.

[7]-Ibid, P : 74.

[8]-**قبيلة العلمة مصالح:** تواجدت هذه القبيلة في منطقة سطيف، ولقد اتحدت مع بعض القبائل الرافضة لحكم أحمد باي بزعامة ابن قندوز من أجل الإحاطة بحكمه. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 63.

[9]-المرجع نفسه، ص: 30.

مستمر، وعلى عهد أحمد باي أصبح آغا الباي يتولى شؤونها. ويوجد تحت أوامره شيخان يتقاسمان إدارة القبائل بالمنطقة، واحد منهما يتولى إدارة العرب القبالة، فيما يدير الثاني شؤون العرب الظهارة[1].

وبهذا فالمجموع العام للعاملين تحت سلطة أحمد باي يكون ستة وثلاثون عاملا ما بين شيخ وقائد. يتوزعون على الشكل التالي: إحدى عشرة شيخ وعشرين قائدا، هؤلاء نصبوا من أجل مباشرة أعمالهم والوقوف على مصالح الدولة والرعية. هذا طبعا باستثناء القبائل التي كان لها اتصال مباشر بإدارة البايلك، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ المادة التاريخية التي جمعت حول هذا الموضوع والعدد الذي طرح لا يمكن أن يكون النهائي، بل يبقى نسبي ما دامت هناك وثائق كثيرة قد يكشف عنها الغبار والتي يمكن من خلالها كشف أمور ومعطيات جديدة.

وما يلاحظ على المادة التاريخية الواردة في رسائل أحمد باي أنّها لم تكن كافية لسد هذا العنصر المهم من جهاز الحكم على مستوى المنطقة خاصة تلك التي خصت الإدارة على مستوى المدينة، ذلك أنّ معظم ما ورد حول هذا الموضوع كان عبارة عن تقارير مختصرة كان يعلم بها الباشا حسين بين الحين والآخر.

وعموما ما يمكن الخروج به من خلال هذا العرض الموجز لأسس العمل الإداري على مستوى بايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي، أنّ أحمد باي سار على خطى من سبقوه من البايات، فلم يغير من أسس هذا الجهاز، ولكنّه حاول أن يجعل منه خاضعا للسلطة العثمانية، يتماشي وفق معطيات فرضتها القوة الحاكمة؛ كما حاول فرض سلطة الحكم على الجميع بعدما كان شبه غائب أثناء حكم الباي السابق -محمد منماني-.

وما الجديد في هذه المجموعة من الرسائل في الجانب الإداري، هي تلك المعلومات التي خصت بعض أسباب العزل، وعلاقة الباي بعماله وصرامته في اتخاذ القرارت ومواجهة مشاكل وأعباء الإدارة على مستوى المدينة والأوطان.

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ص: 30.

كما أظهرت تلك التبعية المطلقة والولاء لولي الأمر حسين باشا، إذ كان يعلمه بكلّ تفاصيل العزل والتولية التي كانت تتم على مستوى إدارته، وهذه صورة أخرى رسمتها لنا هذه الرسائل على نوعية العلاقة التي كانت تجمع بين الحاكم الأعلى ونوابه في الحكم على مستوى البيالك، وهذا ينفي تماما ما ذهب إليه بعض الكتاب الفرنسيين من أنّه لم تكن هناك أيّة تبعية أو ولاء من قبل أحمد باي اتجاه حسين باشا[1].

وما هو مهم في المعلومات التي قدمتها البعض من هذه الرسائل، أنها أكدت أحيانا على صحة بعض المعلومات التاريخية الواردة في بعض المصادر والمراجع، وأحيانا أخرى نفت أمورا تداولتها هذه المراجع. كما أضافت معلومات جديدة أفادت نوعا ما الدراسات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ العثماني في الجزائر خاصة أواخر عهوده.

2/1)-المبحث الثاني: القضاء على عهد أحمد باي

تميز الجهاز القضائي في الجزائر أثناء العهد العثماني بخصائص ميزته عن الأجهزة القضائية التي كانت متواجدة في الدول الأوروبية. ذلك أنّ السلطة العثمانية عند وضعها لهذا الجهاز راعت خصوصيات المجتمع الجزائري من حيث تعدد المذاهب الإسلامية، والبنية الاجتماعية. وهذا ما سيلاحظه كلّ دارس للقضاء الجزائري على ذلك العهد. فلقد اهتم العثمانيون بالقضاء[2] منذ عهد السلطان محمد الفاتح (855-886هـ/1451-1481م)[3]، وكان استنادهم في إصدار أحكامهم والبت في القضايا التي كانت تواجههم على الكتاب والسنة[4].

1-Mercel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P:241.

2- **القضاء اصطلاحا:** هو منصب الفصل في الخصومات والإلزام بالأحكام الشرعية في الأمور التي تعينت لصاحب هذا المنصب في العهد أو العرف. ينظر: منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة دار النفائس، بيروت لبنان، ط:3، 1985، ص:330.

3- **السلطان محمد الفاتح:** هو السلطان محمد بن السلطان مراد الرابع، جلس على كرسي الخلافة سنة ستة وخمسين وثمانمائة، وكان عمره إذ ذاك عشرين عاما، توفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة، كان من أجل ملوك بني عثمان وأكرمهم، وسمي بالفاتح لكونه قد فتح قسطنطينية. ينظر: محمد البكري الصديقي، فتح الرحمانية في الدولة العثمانية، مخطوط رقم: 1651، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة، قسم المخطوطات، ظ و: 8.

4- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، ص: 178.

واعتبر الجهاز القضائي على مستوى بايلك الشرق صورة مصغرة للجهاز القضائي الساري العمل به في كلّ الجزائر، إذ لم يكن العمل القضائي محصورا بين أيدي المفتيين والقضاة الذين كانوا مفوضين للنظر في القضايا، وإنّما كان يشاركهم في ذلك كبار الموظفين وصغارهم، محاولين في ذلك تحقيق التوازن بين كلّ فئات المجتمع القسنطيني، ذلك أنّ تمايز المذاهب الإسلامية (المذهب المالكي لأغلبية المجتمع، فالحنفي الذي اختص بالأتراك والكراغلة، ثم المذهب الإباضي) في المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص قد فرض على السلطة الحاكمة أن تسخر لكلّ محاكمه القضائية الخاصة به، يقوم على تسييرها مجموعة من الموظفين، يعمل كلّ طرف في الاختصاص الذي سخر لأجله، فكانت بذلك مهمتهم الأولى والأساسية تحقيق العدل وإنصاف المظلوم وحل النزاعات المختلفة.

كما أنّه نتيجة لهذا التمايز في البنية الاجتماعية التي كان عليها المجتمع الجزائري عامة، عمدت السلطة العثمانية على تقسيم العمل القضائي في الجزائر إلى قضاء مدني[1] وآخر عسكري[2]. كما خصصت لغير المسلمين الذين كانوا متواجدين في البيالك خاصة اليهود والمسيحيين منهم قضاءهم ومحاكمهم الخاصة بهم.

ومن خلال عرض بعض النماذج من المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي سوف يتضح كيفية ممارسة الباي للعمل القضائي[3] مع أنّه تعذر معرفة الفصل النهائي في القضايا التي كانت تعرض على الباشا. ولقد كانت هناك محاولة للعثور على الردود التي كان يبعث بها حسين باشا لعامله على مستوى بايلك الشرق أحمد باي على القضايا المطروحة عليه، إلاّ أنّه تعذر ذلك، لهذا اقتصرت هذه الجزئية إلاّ على دراسة القضايا التي بت فيها أحمد باي دون التطرق إلى الفصل فيها.

1-القضاء المدني: كان يتم على مستويين. الأول على مستوى المدينة، وهو

1- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (6-18-24-30) في الترتيب العام للمجموعة.
2- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (5-7-25) في الترتيب العام للمجموعة.
3- من بين الرسائل التي تناولت نماذج عن بعض المسائل القضائية والتي بت فيها أحمد باي نذكر كلّ من الرسالة رقم: (5-6-7-18-24-25-28-30) في الترتيب العام للمجموعة.

من اختصاص المفتيين[1] والقضاة، والباي[2]. وكان يتم ذلك بالتنسيق مع هيئات أخرى. أمّا الثاني فكان يتم على مستوى الأوطان وكان من صلاحيات كلّ من الشيوخ[3]، والمرابطين[4]، والقياد. وهذا لا يعني نفي وجود القاضي في الأوطان. كما كان أيضا من اختصاص الباي[5].

أ-العمل القضائي على مستوى المدن: يتكون المجلس القضائي بمدينة قسنطينة من مفت وقاضي مالكيين لعموم الناس، ومفت وقاضي حنفيين للأتراك والكراغلة وعدلين وناظر للأوقاف الإسلامية الذي كان يشغله على عهد أحمد باي المدعو العربي بن عيسى المتوفى في مدينة قسنطينة سنة 1251هـ/1836م[6]، وكلّ هؤلاء كانوا يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي برئاسة الباي[7]، يعملون بالتنسيق مع أجهزة أخرى، هذه الأخيرة قامت بتسهيل المهمة وضبط النظام والأمن.

وأول عنصر في هذا الجهاز نجد:

المفتي: كان خاضعا للسلطة الحاكمة في الجزائر[8]. كما كان عضوا في الديوان[9]. فلقد وفرت السلطة العثمانية على مستوى كلّ مدينة رئيسة مفتي حنفي، الذي كان يبت في المسائل القضائية التي خصت العنصر التركي والكرغلي. أمّا المفتي المالكي فكلف بالبت في القضايا التي كانت تخص عامة السكان الجزائريين.

---

[1] لم يعثر على تدخل القاضي أو الحنفي في كلّ المسائل القضائية المطروحة في رسائل أحمد باي، ولكن كان لابد من التطرق إلى هذا العنصر لما له من أهمية في إثراء هذا المبحث.

[2] ينظر كلّ من الرسالة رقم : (7-24) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

[4] ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

[5] ينظر كلّ من الرسالة رقم: (5-27) في الترتيب العام للمجموعة.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:5، ص: 398.

[7] صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 24.

[8] صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

[9] ذكر شارل أنّ المفتي كان موظفا خاضعا للسلطة الحاكمة في الجزائر وليس له أيّة سلطة سياسية من أيّ نوع. ينظر: شارل، مذكرات شالر قنصل أمريكا، ص: 48. وهذا ما نفاه أحمد سليماني الذي ذكر بأنّ المفتي كان عضوا في الديوان. ينظر: تاريخ مدينة الجزائر، ص: 39.

لهذا خصصت لكلّ طرف محاكمه الخاصة به[1]، فكان لكلّ مفت مقره بمعزل عن الآخر، أين كانا يعقدان جلسات للنظر في القضايا مرتين في الأسبوع. وكانت هذه المحاكم متساوية في الاختصاصات[2].

ومن بين الذين مارسوا وظيفة الإفتاء على عهد أحمد باي نذكر، أحمد العباسي المتوفى سنة1251هـ/1836م. تخرج من جامع الزيتونة أين تشبع بالعلم. فكان نابغا في البلاغة، كما اشتهر بدروس التفسير. وسي الحاج مبارك الذي تولى الإفتاء على المذهب المالكي، وكذا المفتي ابن الفتح الله على المذهب الحنفي[3].

القاضي: كان القاضي[4] على اتصال مباشر بمشاكل الحياة اليومية من خصومات، وعقود زواج وطلاق، وعقود بيع وشراء ووقف وكراء. لهذا وفرت السلطة الحاكمة على مستوى كلّ مدينة رئيسة قاضي حنفي وآخر مالكي.

فالأول كان يخوض في المنازعات والمسائل التي كانت تحدث بين الأتراك والكراغلة. في حين كان القاضي المالكي يبت في المسائل التي كانت تقع بين أفراد المجتمع الجزائري.

وفي حالة وجود قضايا مختلطة، -أيّ نزاع بين جزائري وتركي- أو - جزائري وكرغلي-، فكان الحق يعود للتركي أو للكرغلي في رفع قضيته أمام القاضي الحنفي[5].

ومن بين الذين مارسوا وظيفة القضاء على عهد أحمد باي نذكر، محمد العنابي المتوفى سنة 1252هـ/1836م[6]. كذلك أبو المنصور عمار الشريف الذي تولى القضاء خلال سنة 1240هـ/1826م. وكان من بين الشخصيات المشهورة على

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 512.

2- شارل، مذكرات شارل، ص: 48.

3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

4- هكذا ورد تسميته في رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

5- شارل، المرجع السابق، ص: 48.

6- **محمد العنابي**: ينحدر هذا العالم من عائلة عريقة، اشتهر أفرادها وبالعلم والعمل في المجال القضائي. ينظر: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنيين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (13/14)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995، ص: 318. ووصفه حمدان خوجة بالصلاح والعدل. ينظر: المرآة، ص: 198.

مستوى مدينة قسنطينة، والإمام الخطيب بجامع رحبة الصوف، كما كان لا يشق له غبار في الفقه، والأدب[1].

بالإضافة إلى القاضي المالكي والحنفي، كان هناك قاضي إباضي[2] الذي اختص بالبت في النزاعات التي كانت تحدث بين فئة الميزابيين باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الرعية الجزائرية.

وكان على شخص القاضي أو المفتي التمتع بشروط أجمع عليها كلّ الأئمة والعلماء تمثلت في الحرية، وسلامة العقل والبدن، والنزاهة، والأخلاق العالية[3]. كما كان على كلّ واحد منهما أن يتحصل على شهادة علمية من مدارس أدرنة أو القسطنطينية أو القاهرة. فكان اختيارهم لا يتم إلا من فئة العلماء بعد اجتيازهم لامتحان[4]، تختبر من خلاله معرفتهم بالعلوم الفقهية والنصوص التشريعية[5].

فكان يجب على القاضي أو المفتي أن يكون مطلعا على القوانين الإجرامية والأحكام الشرعية[6] من خلال النصوص الإسلامية[7]، زيادة على إحاطته بعلوم الدين وتفسير القرآن[8]، ذلك أنّ الأحكام الصادرة في كلّ القضايا كان مصدرها من الشريعة الإسلامية، وهذا ما تأكد من خلال هذه العبارة الواردة في إحدى رسائل

1- أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 71.

2- حاولنا العثور على بعض الأسماء لقضاة مارسوا هذه الوظيفة على عهد أحمد باي ولكنّه لم نتمكن من ذلك.

3- بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص:39.

4- لم يكن نظام الامتحانات معروفا وقتها، وإنّما كان الشائع هو أن يكلّف الأستاذ الذي أخذ سهما وافرا من العلوم في أن يساعد الطلاب على ارتياد الدرس الجديد، وتكوين فكرة عنه قبل أن يشرحه الأستاذ وهو ما جرت به العادة، أو بأن يعيد على الطلاب الدرس الذي سبق أن ألقاه الأستاذ، فيرفع من جهته مستوى التدريس. على أنّه حين يختم الدرس يمنحه الأستاذ إجازة خاصة لتدريس علم معين أو عدد من العلوم. أو إجازة عامة لتدريس كافة العلوم. ينظر: العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، معهد العلوم الاجتماعي، جامعة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، س:2، ع: 2، رجب 1400هـ/ماي1980م، ص: 67.

5- بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:37.

6- كان القاضي أثناء العهد العثماني بصورة عامة يمثل الرجل المثقف أكثر ممّا يمثله رجل الحكم، فكان يشترط في القاضي أو المفتي أن يكون مطلعا على الفقه وعلوم القرآن، إذ لا ينبغي لقاض لا يعرف الشرع تولي منصب القضاء. ينظر: خليل الساحلي، سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جانفي 1974، ع:2، ص: 27.

7- أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830، رسالة لنيل شهادة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية: 1422-1423هـ/2001-2002 م، ص: 150.

8- لقد كان القضاة شيوخا مطلعين على القرآن الكريم ويتمتعون بسمعة طيبة، وفي جميع القضايا كانوا ينطقون بأحكامهم شفهيا. ينظر: Joao Mascarenhas, Esclave à Alger, Récit de captivité de Joao Mascarenhas (1621/1626), Traduit de Portugais et présenté par : Paul Tyssier, Edition Chandiegne, Libraire Portugaise, Paris, 1993, P : 96.

أحمد باي والتي صرح فيها: "...وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيدك الله أن يجري أمره **على حكم الله والشريعة المحمدية** فذلك المراد..."[1]. وهذا ما يؤكد صحة الملعومات الواردة في البعض من المصادر والمراجع التي تناولت القضاء على العهد العثماني.

وبناء على كلّ ما ذكر فإنّه كان لا يتم اختيار البايات للقضاة أو المفتيين إلا باستشارة أهل العلم، بحيث لا يستلمون مهامهم إلاّ بعد إثبات كفاءاتهم[2]، عندها كانت تمنح لهم السلطات الحاكمة وثائق تثبت تعيينهم[3] وتوصي فيها باحترامهم، فيكتسبون بذلك سلطة روحية وفعلية تخضع لهما العامة والخاصة.

وهذه الوثيقة نموذجا عن تلك الوثائق التي كانت تسلم إلى القضاة بعد تعيينهم، والتي جاء نصها كما يلي:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ونص الطابع المتوكل على المعبود عبده مصطفى بن محمود سنة 1239[*]

"أمرنا هذا أسمى الله ذكره وأعلى شأنه وقدره بيد ما سكه المكرم الأجل الزكي، الأفضل، العالم، الأكمل ابننا السيد الهواري على أننا أنعمنا عليه وولیناه قاضيا مرضيا وثقة محظيا على خدامنا جماعة بني مايدة. فيحكم بمشهور من مذهب الإمام مالك، ويسلك في ذلك أحسن الطرق والمسالك ويتقي أمة تعالى في سره وعلانيته، وسيعلم أنه مضطلع عليه وسايله يوم بعثه عن كل ما حكم به وأمضاه وصوغه وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه. وأجرينا في جميع أموره وأحواله على عادة القضاة المتقدمين أمثاله مع الحرمة الكاملة والشاملة. فحسب الواقف عليه أن يعمل بما فيه ولا يخالف ولا يتعدى عليه ومن تعدى الحد فقد استوجب الحد. والله الموفق

1- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

2-Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray édition, Paris, 1853, P : 283.

3- كان يتم تعيين القاضي أمام محضر من العلماء والفقهاء والذين يكونون المجلس الشرعي، والغرض من ذلك أن تتخذ تولية القاضي صبغة شرعية. فكان يقوم أحد أعضاء المجلس وغالبا ما يكون رئيسا له بإعلان تولية القاضي منصبه. ثم تملى عليه قوانين المجلس الشرعي الذي يجب على كلّ قاض الوقوف عليها والالتزام بها.
ينظر: وثيقة تعيين قاضي، غير مرقمة، مكتبة السيد محمد القاضي، غليزان.

* 1239هـ موافقة لسنة 1825م.

للصواب وإليه المرجع والمآب لا رب غيره ولا معبود سواه والأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحليم الكريم. وكتب عن ادن ابن المعظم السيد مصطفى خوجة الخير وفقه الله بمنه آمين"[1]. "بتاريخ أواخر 25 رمضان المبارك 1245[*]".

ومن خلال نص هذه الوثيقة تتبين أمور عدة من بينها:

*-توضيح المهام المنوط بها والتأكيد على العمل بالمذهب المالكي فقها وفتوى.

*- الصبغة الدينية التي طغت على نص الوثيقة، بحيث حملت الكثير من العبارات التي دلت على التمسك بدين الله وحدوده.

*-أنّ هذا الأمر كان عرفا متداولا بين الحكام بدليل هذه العبارة:"على عادة القضاة المتقدمين أمثاله". وهذا إن دلّ على أمر فإنّه يدلّ على أنّ القضاء الجزائري سار على وثيرة لم يخالفها أحد من الحكام.

*-السلطة الروحية والفعلية التي كانت تمنح للقاضي بعبارة:"على الحرمة الكاملة والشاملة".

وإذا وضعت مقارنة بين نص هذه الوثيقة مع نص وثيقة أخرى من النوع نفسه ولكنّ الإطار الزماني مختلف، فسوف يتأكد من خلال هذه المقارنة أنّ الصيغة التي كتبت بهما لم تتغير حتى بعد سقوط مدينة الجزائر، وهذا نصها:

"الحمد لله أمرنا بهذا السعيد المبارك بحول الله تعالى

وقوفه الحميد بيد الفقيه الأجل ابننا السيد علي الزغواني على أنا أنعمنا عليه وليناه قاضيا بنجع الحراكتة أولاد عيسى وأوصيناه بأن يحكم بمشهور إمام مالك بن أنس الذي به الفتوى وأوصيناه بتقوى الله العظيم وطاعته في السر والعلانية ومراقبة من لا تخفاه خافية وأمرنا بطاعته مع إبقاء عليه بالحرمة والاحترام والمبرة

---

[1]-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، وثيقة قضائية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

*- 1245 هـ موافقة لسنة 1830م.

والإكرام بحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل بمقتضاه ولا يخالفه ولا يتعداه ومن خالف الحد استوجب العقوبة والحد. والسلام من السيد الحاج أحمد باشا أيده الله تعالى ونصره آمين"[1].

"أواسط جمادى الأولى 1250[*]".

وبهذا يتضح أنّ الصيغة التي كتبت بها هذه الوثيقة لا تختلف مطلقا عن سابقتها، وما يلاحظ أيضا التكرار الحرفي لبعض العبارات نذكر منها:

*-"**وولّيناه قاضيا**". وهذه العبارة تؤكد على أنّ أمر تولية القاضي كان يقوم به الباي شخصيا.

*-"**يحكم بمشهور إمام مالك**". من خلالها يتأكد أنّ الأحكام الصادرة كانت مستنبطة من المذهب المالكي المتبنى من طرف معظم الجزائريين.

*-"**مع إبقاء عليه بالحرمة**". أيضا: "**ولا يخالفه ولا يتعداه**". وما ورد في هاتين العبارتين لا دليل على حرص السلطات العثمانية والممثلة في شخص الباي في ضمان الوقار والتقدير والطاعة لشخص القاضي.

*-"**ومن خالف الحد استوجب العقوبة والحد**". وهذا يؤكد على أنّ العقاب الصارم يكون مصير كلّ من حاول خرق هذه الحدود التي وضعتها السلطات حفاظا على "حرمة" القاضي.

ومن خلال هذه المقارنة المختصرة لمحتوى الوثيقتين فإنّه يستنتج أنّ الأمور القضائية لم تتغير في بايلك الشرق حتى بعد سقوط مدينة الجزائر مركز الحكم.

العمل القضائي من اختصاص الباي: ذلك أنّ الباي[2] كان وكيل الباشا في تسيير شؤون الرعية حتى القضائية منها، فقد ذكر الزياني أنّه كان للباي "الحق المطلق في الرعية بالقتل للعرب والضرب والسجن والعقوبة بكلّ وجه الخطية دون

---

[1]- وثيقة يولي من خلالها الحاج أحمد باي المدعو علي الزغواني منصب القضاء على مذهب الإمام مالك. وقد أخذنا بنص الوثيقة المخطوطة لأنّ النص الذي جاء به صالح فركوس مختصر بحيث تفادى ذكر بعض العبارات التي رأيناها هامة في عملية المقارنة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 110.

*- 1250 هـ موافقة لسنة 1835م.

[2]- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (5-6-7-18-24-25-28-30) في الترتيب العام للمجموعة.

تعرض أحد له في ذلك"[1]. وقد أشارت بعض المصادر إلى ممارسة البعض من البايات للعمل القضائي ولكنّها لم تفصل في الموضوع. ومن هؤلاء البايات نذكر الباي محمد الكبير[2] الذي لم يكن يتسامح أبدا مع كلّ من كان يحاول إثارة الفتنة وزرع روح العصيان بين أوساط الرعية، أو أن يمس بمقدسات المجتمع[3]. أيضا الباي محمد بن عثمان الكبير 1193-1212هـ/1779-1797م[4] الذي عرف طيلة فترة حكمه بقوة قضائه وشدّة حكمه، وكان اعتباره الوحيد في كلّ هذا أنّ إقامة العدل هو أساس الملك.

ومن بين المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي شخصيا والتي ورد ذكر تفاصيلها في إحدى رسائله[5]، تلك التي وقعت بتاريخ جمادى الأولى من عام 1243هـ/1827م؛ إذ قام رجل مالكي المذهب[6] من القاطنين في مدينة قسنطينة بقتل زوجته. وصفها أحمد باي بأنّها سيدة محترمة، ومتدينة وذات أخلاق عالية، وذلك بشهادة كلّ جيرانها[7].

وخلاصة تفاصيل هذه القضية، أنّه في وقت الزوال من تاريخه دخل الجاني منزله فوجد زوجته في صحن الدار مع جاراتها في جلسة نسائية، فنادى عليها،

---

[1] الزياني، أنيس الحيران وجليس السهران، ص: 190.

[2] محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي. كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بايا على تيطري. حرص هذا الباي على الثقافة والمثقفين، لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن وهيأ لهم كافة الوسائل. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الناشر عالم الكتب، د ط، ص: 15-24.

[3] ابن سحنون الراشدي. الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، د ط، 1973، ص: 402.

[4] محمد بن عثمان: هو عصمان بن الحاج ابراهيم أبو عثمان باي منطقة الغرب وتلمسان. تحدث عنه بن عودة المزاري فقال: "قيضه الله لفتح وهران تولى أولا بتلمسان لمّا كانت القاعدة بها، وقام عليه يونس المراني، وتولى ثانيا على جميع المنطقة الغربية فرقي لمنصب الباي بالعز والتفضيل". ينظر: بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج:1، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1990، ص ص: 282-284.

[5] الرسالة رقم:(24) في الترتيب العام للمجموعة.

[6] من خلال ذكر مذهب القاتل يمكن التعرف على انتمائه الطبقي، وبالتالي فكان الأجدر أن تعرض قضيته على القاضي المالكي، إلاّ أنّ أحمد باي فضّل بنفسه البت فيها. أيضا من خلال معرفة انتمائه المذهبي يمكن معرفة نوعية العقوبة التي يستحقها ولكن بالرغم من كلّ هذه المعطيات فإنّ الباي لم يستطع أن يتخذ أيّة عقوبة دون الرجوع إلى الباشا.

[7] الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

عندها أسرعت إليه لتلبية ندائه؛ بعدها بقليل خرج الرجل مسرعا من البيت، فذهبت إليها جاراتها لتتفقدنها فوجدنها مقتولة. عندها قصد "أولياء الزوجة" أحمد باي يطالبونه بالقصاص[1]. ومن خلال هذه العبارة تتأكد فكرة القصاص التي كان يطالب بها أهل الضحية، وهذا ما يؤكد أيضا صحة ما جاء به "شارل جوليان" " Charles Julien" عندما ذكر بأنّ أهل القتيل كانوا يقررون القصاص في قتلاهم[2]. فاستجاب أحمد باي لطلبهم وأصدر أمرا بالقبض على الجاني[3].

ومن خلال عملية البحث تم العثور عليه مختبئا في مقر "سكن النوبة"[4] بالقصبة بعدما طلب منهم "الأمان". عندها بعث أحمد باي إلى الديوان وأعلمهم بأنّ "هذا الرجل قتل نفسا عمدا وأنّ التجاوز عن مثل هذا يغري أضرابه من أهل الجسارة والفساد ويتجرأ غيره ويستسهل الأمر من لا يخشى العواقب والصواب أن تبعثوا لنا هذا الجاني نسئله ونبحثه عن السبب الذي قتل به زوجته أم أولاده التي هي معه مدة طويلة لم يظهر منها ريبة..."[5]. فمن خلال هذه الفقرة يستنتج أمور عدّة أهمها: أنّ مقر النوبة "الثكنة العسكرية" كانت ملجأ لبعض الجناة، الذين كانوا يجدون فيها الحماية والمساندة.

وهذا ما يؤكد صحة ما ذهب إليه شارل حين ذكر "أنّه إذا لم يتمتع المتهم بحماية شخص قوي النفوذ فإنّه يكون في وضع سيئ للغاية"[6]. وقد يكون شارل صائبا في جانب من كلامه، ولكنّه أخطأ حين أكد بأنّ حماية صاحب هذا النفوذ قد تنجي الجاني من الحكم الذي سوف يصدر ضده، إذ بالرغم من لجوء القاتل إلى

1- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

2-Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 6.

3- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

4- النوبة: وهي عبارة عن مجموعة الجند المستقرة بالثكنات المتواجدة في المدن، أو المرابطة بالأبراج والحصون، وأغلب هذه المجموعات تتمركز في مدينة الجزائر وما حولها فيما يتوزع القليل منها بالمراكز المهمة بالبيالك الأخرى ويتصرف في كلّ مجموعة آغا. ينظر: عثمان كعاك، موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله -محمد البشير الشنيتي-ناصر الدين سعيدوني- إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2003، ص: 281، هامش: 3.

5- الرسالة رقم : (24) في الترتيب العام للمجموعة.

6- شارل، مذكرات شالر قنصل أمريكا، ص: 47.

النوبة والاحتماء باليولداش إلاّ أنّه لم ينفذ من ملاحقة عمال أحمد بايٍ له والقبض عليه، فقد ذكر في تقريره ما يؤكد ذلك فقال: "فأحضروه لدينا على كره منهم وفي زعمهم أنّ ذلك حط في جانبهم"[1].

عندها حقق أحمد باي شخصيا مع الجاني بدليل عبارة: "فسالنا القاتل"، "فأقر لدينا بالقتل"[2] متهما زوجته بالخيانة مع أحد جيرانه. لكنّ أحمد باي لم يسلم بهذا الادّعاء الخطير دون البحث والتحري عن الحقيقة، فأصدر أمرا بإحضار الشخص المعني وبعد الاستماع إلى أقواله تبث بشهادة شهود أنّه وقت الجريمة كان على ضفة الوادي يغسل ثيابه[3]. وبهذا سقطت حجة الجاني وتبثت عليه الجريمة بأدلة قطعية[4]، فقد ذكر أحمد باي بصريح العبارة:"...ولم يثبت عندنا سبب يوجب **قتل المرأة** أمسكنا الرجل **القاتل** مربوطا عندنا..."[5]. لكنّه لم يتخذ أيّ قرار في شأنه، إنّما كتب إلى الباشا تقريرا مفصلا حول القضية، يستشيره في أمر معاقبته أو العفو عنه[6].

ومن خلال المعطيات التي قدّمها أحمد باي حول هذه الجريمة، فإنّه تتبين من خلالها عدة أمور أهمها:

*- أنّ الباي كان يبت في قضايا القتل الخاصة بالطرف المدني مالكي المذهب، وهذا يؤكد صحة ما ذهب إليه صالح فركوس عندما ذكر "أنّ البايات كانوا يقضون جزءا من يومهم في الفصل في القضايا التي كانت ترفع إليهم"[7]، دون إعطاء أمثلة أو تفاصيل عن ذلك.

*-مسألة القصاص المتداولة في تلك الحقبة التاريخية.

1- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

2- كانت إجراءات التحقيق تتم شفهيا. ينظر: Charles Julien, Histoire de l'Algérie P : 60.
وكان المتهمين يقومون بالمرافعة والدفاع عن قضاياهم بأنفسهم وبدون مساعدة أحد. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص: 48.

3- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

4- الرسالة نفسها

5- الرسالة نفسها.

6- الرسالة نفسها.

7- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ص:42.

*-الطريقة التي كان يتم بها استجواب الجاني.

*-كما يتبين أنّ بعض المجرمين اتخذوا من مقر النوبات مأوى وملجأ لهم، حتى لا تصل إليهم السلطة، وذلك لأهمية المكان ومكانته.

*-ويستنتج أيضا أنّ أحمد باي لم يكن يخشى أحدا حتى اليولداش، في حالة ما إذا تعلق الأمر بإحقاق العدل ومعاقبة الجاني، وهذا ينفي تماما ما ذهب إليه بعض المؤرخين، هؤلاء وصفوا البايات بالقسوة والظلم اتجاه الرعية وأخذهم للرشوة، كما يؤكد صحة ما قيل في شخص أحمد باي، بأنّه كان حاكما عادلا يحترم إرادة الرعية ولا يتحمل الظلم بكلّ أشكاله[1].

وما هو جديد في المعلومات الواردة في تقرير أحمد باي، هو أنّه بالرغم من ثبوت تهمة القتل على الجاني بدليل هذه العبارة: " فأقر لدينا بالقتل"[2]، إلاّ أنّ الباي لم يصدر في شأنه حكما، وهذا ينفي تماما ما أورده "الزياني" حينما كتب يقول عن سلطة الباي القضائية:" وله الحق المطلق في الرعية **بالقتل للعرب** والضرب والسجن والعقوبة بكل وجه الخطية **دون تعرض أحد له في ذلك**"[3].

فمن العادة في تلك الفترة من تاريخ الجزائر أنّ كلّ من قتل نفسا متعمدا، فإنّ مصيره يكون حتما الإعدام[4]. فكان العربي يعاقب بالشنق في ساحة عمومية أو بقطع الرأس أو الأوصال أو يلقى به من على سور مرتفع ليتلقفه خطاف حاد من الحديد أثناء سقوطه[5].

ولعلّ رجوع أحمد باي إلى الباشا حسين في أمر معاقبة الجاني، يعود إلى أحد الأمرين:

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 30. أيضا ينظر:
M. Emerit, Les mémoires d'Ahmed Bey, dernier Bey de Constantine, R. A, 1949, P: 17.

2- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الزياني، أنيس الحيران وجليس السهران، ص: 190.

4-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 131.

5- **مكان تنفيذ الحكم:** كانت أحكام الإعدام تنفذ في حصن القصبة بإلقاء الجناة من أعلى الحصن نحو أعماق الوادي السحيقة؛ أمّا بقية الأحكام فكانت عادة ما تنفذ عند باب وادي الرمل. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 182.

*-الأمر الأول: ما كان شائعا في تلك الحقبة التاريخية أنّ كلّ القضايا الخطيرة يرجع فيها القرار النهائي إلى الحاكم الأعلى والممثل في شخص حسين باشا، ذلك أنّ الباشا كان يسير الأمور القضائية بصفة محكمة، إلى جانبه أعضاء مجلسه الذين يكونون دائما حاضرين معه، فيطلع على جميع الأمور بصفة عامة وأمور البيالك على وجه الخصوص بما فيها المسائل القضائية. ففي الديوان كان يستعرض ويدرس جميع القضايا والشكاوى التي كان يقدمها السكان على مستوى كلّ المناطق[1]. وقد يستبعد هذا الأمر.

*-أمّا الأمر الثاني: فيعود إلى أنّ الجاني قد طلب الحماية من النوبة الموجودة بقصبة مدينة قسطينة، لهذا فإنّ أحمد بايِ لم يشأ أن يتصرف في هذا الأمر دون اللجوء إلى الباشا حسين، حتى يتقبل اليولداش هذا القرار رغما عنهم، وهذا ما نراه أكثر ملائمة لهذا الموقف، ذلك أنّ أحمد بايِ عندما بعث يستشير الباشا حسين، ذكر له ما يلي: "وعرفناك وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيدك الله أن يجري أمره على حكم الله والشريعة المحمدية فذلك المراد وإن بان لك حفظك **أن تجاوزوا عنه لهروبه للنوبة فإنه كرهوا إخراجه من عندهم فالنظر لك**"[2]. فهذه العبارة تؤكد أنّ هذا الأمر هو المرجح في هذه القضية.

أيضا من بين القضايا التي بت فيها أحمد باي على مستوى المدينة تلك التي خصت شخص قايد الدار المدعو بوزيان بن علي، هذا الأخير قام بسرقة جزء من المطالب المخزنية التي جمعها من الرعية، وبعدما تبثت عليه جريمة السرقة فرض عليه أحمد بايِ غرامة مالية لم يحدد قيمتها في محتوى الرسالة، وقد دفع الجاني جزءا منها فيما طلب من الباي أن يمهله مدة من أجل تسديد البقية[3].

1- Mouloud Gaid, L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'éducation, Société national d'édition et de deffusion, Alger, 1974, P:92.

2- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

وما يلاحظ على هذه القضية أنّها خالفت العادة التي دوام عليها أحمد باي في البت في كلّ المسائل القضائية، ذلك أنّه أصدر حكما فيها وصرح بنوع العقاب المسلط على الجاني، في حين نجده في كلّ المسائل الأخرى يستشير الباشا حسين في أمر العقوبة المترتبة على الجاني مهما كانت درجة الجريمة المرتكبة.

بالإضافة إلى شخص الباي ومجموعة القضاة والمفتيين، كان الجهاز القضائي العامل على مستوى المدن الرئيسة يضم أعضاء كانوا يعملون بالتنسيق فيما بينهم، فيساعدونهم بذلك في تسهيل العمل القضائي وبسط الأمن واستتباب النظام في الشوارع والأحياء، ومن بينهم نذكر:

العدول: وقد سماهم أحمد باي في إحدى رسائله بـــ "شهداء القاضي"[1]. فقـد كان لكلّ قاضي عدلان رسميان يسجلان الأحكام الصادرة[2]، فبعدما يصدر القاضي حكمه، يقوم أحد العدول بتسجيله في وثيقة، يطلق عليها "الحجة"، ثم يقوم القاضـي بعدها بالتوقيع عليها[3].

أمّا العقود فأسندت مهمة تحريرها وتسجيلها لاثنـي عـشرة عـدلا، بعـدها يمضيها العدلان الرئيسان ويختمانها بالختم الخاص بكلّ واحد منهما[4]؛ كمـا كانـا يحضران الجلسات التي كانت تتم فيها المحاكمات، فيكونان بذلك شهودا على كلّ ما كان يحدث مصداقا لقوله تعالى:"**وأشهدوا ذوي عدل منكم**"[5]. وقد خصصت لهـم السلطات العثمانية رواتب يتقاضونها مقابل الجهود المبذولة في خدمة القضاء[6].

وبما أنّ الجهاز القضائي على مستوى بايلك الشرق كان صورة مصغرة من الجهاز في كلّ أنحاء القطر الجزائري أثناء العهد العثماني، فإنّه يمكننا أن نتخذ أمثلة

1- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) وهي لا تحمل رقما أو تاريخا.

2- أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 171.

3- خليل الساحلي، سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة المغاربية، ص:28.

4-Boutems, Les institutions Algériennes durant la période turque, P : 41.

5- سورة الطلاق، الآية رقم: 2.

6- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) وهي لا تحمل رقما أو تاريخا.

من مناطق أخرى ونسقطها على ما كان يحدث في بايلك الشرق. ومّما يؤكد ما قيل عن العدول، عقد التسليم الذي وقّعه السيد عبد القادر بن المختار قاضي في منطقة سوق الثلاثة الواقعة في الغرب الجزائري، وكان ذلك أثناء حكم حسن باي. وقد وقع على هذا العقد مجموعة من الرجال وصفوا بالعلم ومعرفتهم بالأمور الفقهية. وجاء نصها كما يلي:

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

"أشهدنا على نفسه الكريمة المكرم السيد بن سعيد وأنه أنزله ولد ولده محمد موضع ابنه السيد عبد القادر من كونه ينوبه ما ينوب أبيه من الإرث في مال السيد بن السعيد فجزاه الله خيرا وله المثوبة وأجرا. بمحضر الفقيه السيد عبد القادر بن المداني والفقيه السيد المكي والفقيه... [1] بتاريخ أواخر شوال عام 1240[*].

الجهاز الأمني (الشرطة): كان الأمن في المدينة من اختصاص "الشرطة"، التي كانت تعمل على حراسة الطرقات والأحياء وضبط الأمن والنظام العام. فكانت بذلك نشيطة ومهابة؛ وكلف بهذه المهمة أعيان المدينة والقادة[2].

فكانت تتشكل من أربع مجموعات، كلّ مجموعة تضم ستين رجلا تم استيعابهم من سكان المدينة، يتولى رئاستها قائدان. في حين كان يشرف على تنظيمها قائد القصبة[3] ويساعده في ذلك خوجة الخيل، الذي كلف بالقيام بالدوريات الأمنية ليلا[4].

الكاهية[5]: كانت هذه الشخصية تعين من بين الأهالي أو من فئة الكراغلة.

1- أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات، ص ص: 147- 148.

*- 1240هـ موافقة لسنة 1826م.

2- حمدان خوجة، المرآة، ص: 18.

3- **القصبة**: تقع في الزاوية البارزة للمثلث الذي تشكله الأسوار بين باب القنطرة والباب الجديد فوق الصخور المطلة على الجزء الأكبر من المدينة على ارتفاع مائة متر فوق جرف يشرف على أعماق الوادي في انحدار رأسي سحيق. وهذه القصبة عبارة عن بناء قديم في شكل قلعة صغيرة محصنة وكانت تستعمل بمثابة ثكنة (بمصطلح العصر) للحامية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص:181.

4- هاينرش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص:41.

5- ورد هذا المصطلح في كلّ من الرسالة رقم: (18-30) في الترتيب العام للمجموعة.

وكانت تسهر على أمن المدينة نهارا[1]. كما كلفت أيضا بالسهر على ضبط النظام وحسن سير الجنود داخل النوبة[2].

آغا الخيل: كانت تختاره السلطة من فئة الأتراك، واختص بالعمل الليلي، حيث كان يسهر على أمن الطرقات والأحياء[3].

المزوار: تمثلت مهمته في السهر على استتباب الأمن والنظام داخل المدينة، فيقوم بمساعدة آخرين بدوريات ليلية لترصد أيّ طارئ أو فوضى قد تحدث أثناء الليل، وفي الصباح يقدم تقريرا للحاكم[4]. كما كلّف بتطبيق العقوبات الجسدية، ومراقبة دور الدعارة، والسجون، والقبض على المذنبين، ما عدا رجال السلك العسكري، فقد منع عليه منعا باتا القبض على أيّ جندي مهما كانت جريمته[5].

قائد الدار: تمثلت مهمته في السهر على توفير الأمن وحراسة الطرقات والقبض على المجرمين[6].

التشو أو الجلاد: كانت من بين الوظائف المهمة في تلك الحقبة التاريخية، بحيث ألحق بكلّ حاكم جلاّد، الذي كان يرتقي ليشغل أعلى المناصب في السلطة[7].

وخير دليل على انتشار الأمن في شوارع المدن الجزائرية ما ذكره أحد الأوروبيين في هذا الشأن، فكتب يقول: "كانت الأحياء والشوارع تحرس ليلا بطريقة ملفتة للانتباه مثلما لم يشاهد مثلها في الدول الأوروبية، وقليلا ما كنّا نسمع عن عمليات السطو على البيوت"[8].

كلّ هؤلاء العمال سخروا من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار في

1- Boutems, Les institutions Algériennes durant la période turque, P : 42.

2- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

3- Op. Cit, P : 42.

4- Du bois thainville. Mémoire sur Alger. 1809. P : 130.

5- Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public, Traduit de l'Anglais, Tome : 1, chez Chaubert Quai des Augustins Hèrissant, Imprimeur, P : 363.

6- Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

7- شارل، مذكرات شارل، ص: 47.

8- André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Bibliothèque Arabe Sindabad, P : 146.

الأحياء والطرقات، وهم يعملون بالتنسيق مع القضاة الذين كانوا مكلفين بالخوض في كلّ القضايا التي كانت تطرح أمامهم بعد ما يقوموا هؤلاء العمال بالقبض على المتهمين. وهذا ينفي تماما ما ألحق بالقضاء في الجزائر أثناء العهد العثماني، بأنه كان ينقصه الكثير من التنظيم والدقة في مباشرة الأعمال القضائية.

ب-**العمل القضائي على مستوى الأوطان:** كان العمل القضائي على مستوى الأوطان من اختصاص القياد والمرابطين وشيوخ القبائل، نظرا لطبيعة البنية الاجتماعية التي كانت عليها هذه المناطق على العهد العثماني في الجزائر.

كما هو أيضا من اختصاص الباي الذي كان يبت في بعض القضايا الحسّاسة التي كانت ترفع إليه بين الحين والآخر، وهذا ما لم تتطرق إليه جلّ المصادر والمراجع التاريخية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث، وإن تطرقت إليه فإنّه يكون بصورة مختصرة وغير مفصلة. ولقد أطلعتنا البعض من رسائل أحمد باي على نماذج من القضايا التي باشر فيها الباي شخصيا على مستوى الأوطان.

فأمّا الشيوخ فاستمدوا شرعية سلطتهم من التعقل والحكمة، والسلوك الحسن دينيا ودنيويا، ورضا الناس عنهم. فلقد كانت السلطة القضائية في بعض الأوطان تخضع لنظام قبلي خاص[1] في إطار التقاليد والأعراف المتبعة والمتوارثة عبر الأجيال، حيث كان يختار شيخ يرأس الجماعة التي تشرّع وتصدر الأحكام طبقا للشريعة الإسلامية والأعراف[2]. وما قدّمه علي خنوف من وثائق أتبثت ذلك، فقد نشر في مرجعه وثيقة تضم مجموعة من الأحكام قد دونت على شكل فصول، كلّ فصل اختص بقضايا معينة قابلتها الأحكام الخاصة بها[3].

وكثيرا ما كان يتدخل الشيوخ في إصلاح ذات البين وحل بعض المشاكل العالقة التي كانت تحدث بين الحين والآخر على مستوى المنطقة التي كلفوا بإدارة

1-Saïd Ben Abdallah, La Justice du F. L. N. Pendant La Guerre de Libération, Presses du Complexe Graphique de Reghaia, 1982, P : 17.

2-Charles André Julien, Histoire de L'Algérie Contemporaine, P : 7.

3-خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص ص: 25-27.

شؤون الرعية المستقرة بها[1].

أمّا "القياد"[2] فكانوا يستمدون سلطتهم من الإرث الأسري، وهو النوع الوحيد في المنطقة الذي كان يستند في فرض سلطته إلى القوة[3]. و"القايد" هو المسؤول على الشرطة، والأمور القضائية[4] إلى جانبه قاضيان، واحد للأحوال المدنية والآخر للقضايا الجنائية، يصدران الأحكام بحضوره وبمساعدته[5]، وكان من خصوصياته إصدار الأحكام سواء كانت بالضرب، أو بالسجن، أو بالتغريم. أمّا الأحكام الجنائية الكبرى فكان يرجع فيها القرار إلى الباي[6]. ومن بين "القياد" الذين تولوا هذا المنصب "القايد" عمر الذي ولاه أحمد باي "قايدا" على وطن فرجيوة[7].

في حين استمد المرابط سلطته من الشرف الأسري المتوارث ومن اكتسابه لبعض العلوم الدينية التي تعلمها من أجداده[8]. فقد أكد حمدان خوجة ذلك عندما كتب عن أعراش زواوة يقول: "وعلى الرغم من عدم وجود قانون يسوون به خلافاتهم، ويكبحون به جماحهم، وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان، فإنّ طاعتهم للمرابط لا يمكن تفسيرها"[9]. أيضا ما ذكره أحد الباحثين عن قبائل الغرب الجزائري، إذ كتب يقول: "فهذه قبائل غرب مدينة الجزائر كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا أو الباي، بل يتصرف فيهم المرابط"[10].

وبما أنّ هذه الظواهر الاجتماعية يمكن إسقاطها على ما كان يحدث في بايلك

1-ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

2-**القايد**: يتميز القايد عن غيره ببرنوسه الأحمر الذي كان يرتديه، ويتم إلباسه إيّاه في مراسيم تعيينه من قبل الباي بحضور الآغوات وكبار الموظفين، حيث يتم مثوله كأيّ موظف جديد مهما كانت رتبته أمام المجلس، ويسلم له البرنوس الذي يهيئ له السلطة التي تولاها. ينظر:

Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, P : 273.

3-خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية،، ص: 49.

4-Op. Cit, P : 284.

5-E. Pèlissier De Raynaud, <u>Annales Algérienne</u>, Revue corrigé et continuée jusqu à la chute d'Abdelkader, Librairie militaire, Librairie Bastide, Alger, Octobre 1854, Tome : 1, P : 93.

6-Louis de Boudicourt , Op. Cit, P : 284.

7-ملف الوثائق العثمانية، رقم المجموعة: 1246، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

8-خنوف علي، المرجع السابق، ص: 49.

9-حمدان خوجة، المرآة، ص: 56.

10-الشريف الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 48.

الشرق خاصة على مستوى الأعراش الموجودة في كلّ من مدينتي بجاية وسكيكدة، فإنّنا نستنتج أنّ سلطة المرابط كانت قوية على سكان الأوطان[1].

وكثيرا ما كان المرابط يتدخل في بعض القضايا التي كانت تحدث بين الجانب المدني والسلطة الحاكمة الممثلة في شخص أحمد باي، ومثال ذلك ما قام به أحد المرابطين عندما عرض عليه كبار قبيلة أولاد سحنون التدخل في إصلاح علاقتهم مع أحمد باي[2].

كما أسند العمل القضائي في بعض المناطق إلى القضاة، هؤلاء كان يتم اختيارهم من بين الشخصيات الأكثر علما وحكمة، فكانوا بذلك يشرفون على أمور عدّة، كالملكية، والإرث، والزواج، والطلاق، وغيرها من القضايا التي خصت الحياة اليومية للمواطن الجزائري[3].

ومثال ذلك ما كان معمولا به على مستوى منطقة تقرت[4] المعروفة بـ "إمارة بني جلاب"، فقد كان يتولى أمورها القضائية قاضيها؛ وقسمت إلى قرى صغيرة تخضع كلها إلى سلطة الحاكم الأكبر، الذي كان يسير أموره بمساعدة موظفيه، ويعتبر الشاوش عينه الساهرة التي كانت تترقب كلّ ما كان يجري بين الرعية، وقد وفر لكلّ منطقة قاضيها، هذا الأخير كانت ترفع إليه القضايا لمعالجتها وحلها، وكان يتم الاستئناف على مستوى القاضي الأكبر بتقرت في مجلس ينعقد في سوق البلدة بحضور كلّ قضاة القرى، وكان الحكم الأخير يعود للقاضي الأكبر. أمّا الأحكام الصادرة فكانت مرجعيتها الأولى والأخيرة للشريعة الإسلامية[5].

أمّا المقر الذي كانت تباشر فيه الجلسات للبت في القضايا العامة والخاصة فكان

1- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص ص:35-36.

2- ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- المرجع السابق، ص: 47.

4- تقرت: موقع هذه "الإمارة" –أو مشيخة القبلية– ما بين وادي ريغ ووادي ايغارغار بـالجنوب الشرقي إلى نواحي الجريد التونسي؛ وكان تأسيسها على يد الحاج سليمان بن رجب بن جلاب سنة 854هـ/1450م، وأورثها بنيه مدة أربع قرون تقريبا. وكان الرئيس منهم يحمل لقب "شيخ" وتارة "السلطان"، والمعروفة أسماؤهم من رؤساء هذه الإمارة عشرة شيوخ أولهم الحاج سليمان ثم جاء بعده أبناؤه وذووه، فبسطوا نفوذهم إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي عام 1267هـ/1851م. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 264.

5-M. TH. Pein, Lettres Familières Sur L'Algérie (Un Petit Royaume Arabe), Librairie Adolphe Jourdan. Imprimeur Libraire, Editeur. 2éme Edition 1893, P: 71.

بـ (المحكمة)[1]، التي كانت متواجدة بالقرب من منزل القايد أو القاضي، أين كانا يستقبلان الشكاوى والنزاعات وذلك عند انعقاد الأسواق الأسبوعية، فكانا يتلقان الشكاوى والقضايا الخاصة والاحتجاجات بداخلها. ولقد استمرت الخدمات القضائية تقدم داخل الأسواق حتى بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر[2].

كما كان أحمد باي يبت بين الحين والآخر في بعض القضايا التي كانت تحدث في الأوطان، والتي اختلفت درجة خطورتها. وما يلاحظ على هذه القضايا التي تناولها أحمد باي في رسائله، أنّها التزمت بالمبدأ نفسه والذي سار عليه في القضايا السابقة، والمتمثل في تجنب إصدار الأحكام على الجناة مفضلا في ذلك الرجوع إلى حسين الباشا.

ومن بين القضايا التي بت فيها أحمد باي على مستوى الأوطان، نذكر عمليات السرقة التي خصّت أموال البايلك. فقد جاء في أحد تقاريره التي بعث بها إلى حسين باشا[3] بتاريخ 26 ذي القعدة من سنة1241هـ/1826م، أنّ المدعو فرحات بن سعيد[4] شيخ العرب والمكلف بجمع المطالب المخزنية، قام بسرقة أموال البايلك؛ والتي قدرت بـ مائة رأس إبل، وقد تم استخلاصها من الرعية على مستوى منطقة الصحراء[5].

وعادة ما كانت نصوص العقوبات، مستنبطة من القرآن الكريم[6]. فالعقاب

1- **المحكمة**: كانت عبارة عن كوخ مربع الشكل منغلق بأغصان أشجار الغابة أو بالحجارة والطين من ثلاث جهات ومفتوح من الجهة الأمامية. ينظر: خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 49.

2- المرجع نفسه، ص: 49.

3- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

4- **فرحات بن سعيد**: كتب عنه أحمد باي في مذكراته يقول:"إنّه رجل بارود، لا يهاب المنية. حاربني مدة سبع سنوات فكان يساوي وحده مائة فارس. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 46. وما يؤكد هذا الوصف ما ذكره أحد الفرنسيين في شأنه فوصفه بالبأس والشجاعة، وأنّه يذكرنا بأحد الأبطال الأوائل في العهد الإسلامي، ولكن سرعته وعدم صبره وعدم ضبطه للأمور السياسية جعل من كلّ هذه الصفات الجملية والحميدة لا تظهر فيه. كان قصير القامة ومتواضعا جدا في شكله. ينظر:
Sèroka, Le sud Constantinois de1830, 1855, R. A. 1912, P : 381.

5- الرسالة رقم:(5) في الترتيب العام للمجموعة.

6- أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة، اسطانبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، د ط، ص: 22.

المخصص للسارق هو قطع اليدين[1]، بموجب النص القرآني القائل:" السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم"[2]. فكان الشواش "يحملون السارق بعد أن تقطع يده على حمار ووجهه إلى الخلف ويده معلقة على صدره فيطوفون به في الشوارع ليشهد العامة عقابه"[3].

وبالرغم من هذا فإنّ أحمد باي لم يذكر نوع العقوبة المسلطة على شخص فرحات بن سعيد، لكنّه يؤكد بأنّ العقاب واقع عليه لا محال لأنّه تجرأ على سرقة أموال البايلك[4]، وهذه الأخيرة جريمة لم تكن لتغفرها له السلطات العثمانية.

كما حدثت عملية سرقة مماثلة خلاصتها، أنّه عندما طلب الباشا حسين من أحمد باي تقريرا حول حساب الوكيل مع السماري[5] قايد الجابري والعشر، أجابه بعدم قدرته على تنفيذ هذا الطلب، ذلك أنّ هذا القايد لمّا جمع من الرعية المطالب العينية، فرّ بها هاربا[6].

وأعلمه بأنّه بعث إلى عماله " ليكيلوا" ما جمع من قمح وشعير، فإذا بهم لم يعثروا إلا على مائة وأربعة عشر صاعا من الشعير وستة عشر صاعا من القمح لا غير، وهذه القيمة سجلت بعد ما سددت كلّ الرعية ما كان عليها من المطالب. إضافة إلى هذا كله فإنّ القايد السمارى قد أجبر الرعية على دفع ما عليهم من حصة الشعير قبل ينعه (يبسه)، لهذا فإنّ كلّ ما عثر عليه قد فسد ولم يستطع الانتفاع

1- Charles Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 60.
وقد تبدو هذه العقوبة للبعض مجردة من الإنسانية وقاسية، خاصة بالنسبة للأوروبيين عامة، والفرنسيين على وجه الخصوص، ولكن ما يجب قوله أنّ الإنسان لن يكون أبدا رحيما بأخيه الإنسان، أكثر ممّا سيكون عليه الله سبحانه وتعالى بعباده. فهذا العقاب هو نص قرآني فصل فيه خالق العباد، هذا حتى تصان أموال الناس وممتلكاتهم، وأيضا حتى تكون عبرة لمن تسول له نفسه أن يأخذ ما ليس له بغير وجه حق.

2- من سورة المائدة، الآية رقم: 38.

3- Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement, P : 147.

4- الرسالة رقم:(27) في الترتيب العام للمجموعة.

5- **السماري**: قد تكون كنية ألحقت بهذه الشخصية، وهي نسبة إلى قسم من قبيلة أولاد رنان من الصحراء. والأصل في ذلك أنّ البعض من العائلات التي تنتسب إلى أولاد دراج وأولاد سالم من الهدنة وآيت عزيز من البابور كانوا قد استقروا بالقرب من عين تدعى السمارى ومنها أطلق عليهم هذه التسمية. ينظر:
Leila Babes, Tribus et structures, P : 115.

6- الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

به[1].

ويضيف أحمد باي بأنّ عملية السرقة هذه كانت على علم من كلّ الرعية التي استخلصت منها هذه المطالب العينية وبوثائق تثبت ذلك (التذاكر)[2]. لهذا أمر أن تجمع كلّ "التذاكر" حتى يتم تقدير القيمة الحقيقية[3].

أمّا بخصوص الادّعاء الذي سوف يتخذه السماري حتى يبرأ ذمته، فذكر أحمد باي بخصوصه ما يلي: أنّ السماري سوف يدّعي بأنّه استعمل هذا القمح والشعير لتسديد "حاجيات البايلك". وهذا كلام كاذب على زعمه، إذ أنّ كلّ ما استعمله أخذ جزءا منه من المحصولات التي جمعت من الرعية على عهد محمد المنماني -الباي السابق-، والجزء الآخر اقترضه من بعض الأتراك ومن أهل قسنطينة ومن "الدايرة"[4]، على أساس أن تردّ كلّ هذه الديون إلى أصحابها في أقرب الآجال، لكنّه لم يفعل ذلك. وهذه جريمة أخرى تضاف إلى تهمة السرقة[5].

وبالرغم من كلّ هذه التهم الثابتة على المدعو السماري، إلاّ أنّ أحمد باي لم يتخذ أيّ إجراء ضده، إذ بعد عملية حسابية بسيطة نجده قد سرق 3200 صاعا من الجابرية و3684 صاعا من العشر. كما أنّه لم يسلّم ما كان عليه من الديون لأصحابها. وعندما كتب أحمد باي هذا التقرير المفصل كان ينتظر من الباشا أن ينصحه في نوع العقوبة الواجبة في شخص القايد[6]. وعموما لم تكن السلطة

1- الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **التذاكر**: جمع تذكرة وهي الأوامر اليومية للشؤون العامة. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181. وكانت هذه التذاكر تقدم للفلاحين أو الرعية بصفة عامة عندما كانوا يقومون بتسديد المطالب المخزنية؛ إذن هي بمثابة وصول بمصطلح العصر يثبت من خلالها الفلاح سداده لما عليه من مطالب السلطة، كما كانت تكتب فيها القيمة المدفوعة؛ وبهذا لا يستطيع القايد الذي يستخلص هذه المطالب أن يزيد فيها أو أن ينقص من قيمتها. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 114. ومن هنا تعتبر هذه التذاكر التي كانت تسلم للرعية عند تسديد ما عليهم من مطالب مخزنية بمثابة وثيقة رسمية تستعمل في حالة الضرورة.

3- الرسالة رقم :(27) في الترتيب العام للمجموعة.

4- **الدايرة**: كانت تتشكل من الفرسان الذين كانوا يتمركزون بأراضي العزل المحيطة بمدينة قسنطينة، ويتشكلون من بني عيشة والسراوية وبني نشامية وعبد النور والتلاغمة وقبائل الزمور الزناتية وتملوكة التابعة لقائد الحراكتة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 27.

5- الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

6- الرسالة نفسها.

العثمانية تتساهل مع كلّ من سولت له نفسه سرقة أموال البايلك[1].

هذا فيما يخص جرائم السرقة التي كانت تحدث على مستوى بعض المناطق من البايلك، وما يلاحظ عليها أنّ مرتكبيها كانوا كلّهم عمالا تحت سلطة وإدارة أحمد باي.

أمّا فيما يخص بعض النماذج الأخرى من الأعمال المنافية للقانون والنظام العام نذكر عملية النصب والاحتيال التي حدثت أثناء عهده؛ إذ تحايل المدعو مصطفى ابن الأبيض[2] على أحد الرعية، إذ باع لهذا الأخير قطعة أرضية، تعتبر ضمن ممتلكات البايلك (أراضي المخزن). وبهذا فإنّ هذه الأرض ليس لأحد حق التصرف فيها سواء كان ذلك بالبيع أو بالكراء، وكلّ من تعدى على هذا المبدأ فإنّ مصيره حتما العقاب. وقد تم هذا البيع بعقد مزور وشهود زور، هؤلاء كانوا من أولاد بن زكري. وأمّا عن كاتب العقد، فكان طالبا يقوم على خدمتهم[3].

ومن العادة أنّ مهمة تحرير العقود بكلّ أنواعها تعود إلى العدلين؛ فكلّ وثيقة مكتوبة وممضية من كلي الطرفين المتعاقدين وتحمل شهادة شاهدين من العامة وتحمل أيضا خاتما فإنّه لا يعمل بها ولا يعترف بأنّها قانونية ويمكن أن ينكرها القاضي إذا لم يحررها العدلان[4].

ومن هذا المنطلق فإنّ تسجيل هذا العقد باطل بالحجج التي ذكرت. ومن أجل استرجاع أملاك البايلك أمر أحمد باي أحد عماله بالتحقيق في القضية[5]. ولم يبين من خلال تقريره نوع العقوبة التي أوقعها على بن الأبيض وشركائه.

---

[1] استنتاج عام من خلال ما ورد في معظم الرسائل، بحيث كلّ الحملات التي شنّها أحمد باي على بعض القبائل، ومجمل قرارات العزل التي اتخذها في شأن البعض من عماله كان سببها عدم تسديد ما كانت تفرضه السلطة العثمانية من مطالب مخزنية.

[2] لقد كانت هناك محاولة للعثور على ترجمة لهذه الشخصية إلاّ أنّه لم يعثر على مادة تاريخية تسد هذا الفراغ ذلك أنّ المراجع التاريخية لم تهتم بدراسة حياة الشخصيات المغمورة كما أن تقرير أحمد باي لم يذكر في شأنها أيّة معلومات.

[3] الرسالة رقم:(27) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 16 من ذي الحجة 1244هـ/1828م.

[4] أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 171.

[5] الرسالة السابقة.

بل بعث يستشير الباشا حسين في أمرهم[1].

هذه بعض النماذج من المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي، ممّا يبرهن على أنّ العمل القضائي لم يكن حكرا على القضاة والمفتيين فقط، بل كان أيضا من صلاحيات الباي، والذي قليلا ما تناولته المصادر والمراجع التاريخية بهذا التفصيل. كما تؤكد هذه النماذج حرص الباي على إدارة ورعاية شؤون الرعية ومصالح البايلك، لا يشغله في ذلك لا أعماله ومسؤولياته الكثيرة ولا السلطة أو الحكم.

2-القضاء العسكري:

كان كلّ القضاء من صلاحيات الداي وهي قاعدة قديمة استعملت أثناء الخلافة العباسية، بحيث كانت العدالة من صلاحيات الخليفة. لهذا كان الداي أو الباي هما اللذين يبتان في القضايا الخاصة بأعضاء السلك العسكري، فهؤلاء لم يخضعوا أبدا للقانون المدني[2]. كما كان للديوان صلاحيات تطبيق العدالة إزاءهم؛ وبهذا فلم يكن لأية هيئة أخرى الحق في محاكمتهم، إذ كان الآغا وكاهيته برتبة آغا باشي[3] بمثابة القضاة يساعدهما في ذلك شاوشان[4].

ومن أجل ذلك سخرت السلطة جهازا قضائيا ممثلا في المحاكم العسكرية لتبت في مختلف القضايا التي كانت تحدث بين أعضاء السلك العسكري. ذلك أنّ هؤلاء لم يكونوا دائما على انضباط، كما أنّ البعض من عناصره اتصفت بالعنف والقسوة أحيانا، وبالتسيب والتجاوز على ما كانت تنصه القوانين والأعراف أحيانا أخرى؛ لهذا كان على الداي والباي السهر على السير الحسن للنظام، وتطبيق العدالة حتى وإن تعلق الأمر بهؤلاء، رغم تمتعهم بامتيازات خاصة، لكنّها لم تكن لتشفع لهم في حالة ارتكابهم لمخالفات.

1- ينظر الرسالة رقم:(27) في الترتيب العام للمجموعة.

2- حمدان خوجة، المرآة، ص: 95.

3- **الآغاباشي:** ينتمون إلى فئة القضاة، كان الداي يرسلهم لتنفيذ الأوامر المهمة، فينتشرون في كلّ أنحاء القصر، كما أنّهم يقومون بالتناوب بزيارات تفقدية للسفن التجارية الخارجة من الميناء وذلك لمنع العبيد من الاختباء والهروب. ينظر: *Auteur inconnue, Histoire des états barbaresques*, P: 42.

4-Ibid. P: 153.

فالدراسات التاريخية أثبتت انتشار بعض الجرائم في الوسط العسكري، والتي اختلفت درجة خطورتها، منها قضايا القتل والضرب والغش، لكنّ هذا لم يمنع مرتكبوها من التحقيق معهم، وهذا ما سوف يتبين من خلال عرض بعض المسائل القضائية التي تطرق إليها أحمد باي في رسائله.

ومن بين هذه القضايا، جريمة قتل حدثت خلال سنة 1243هـ/1828م، في شخص ثلاثة رجال من الرعية كلهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية بسيطة إذ وصفهم أحمد باي بالفقراء، هؤلاء وجدت جثتهم خارج مدينة قسنطينة، وبعد عملية البحث والتحقيق، لم تتمكن السلطات من ضبط الجاني، فقيدت الجريمة ضد مجهول[1].

وتفاديا لتكرار الأحداث نفسها ونشرا للأمن والاستقرار في المنطقة، قام أحمد باي باتخاذ إجراءات أمنية مشددة؛ فسخر لذلك كلّ من الطرف المدني والعسكري. فأمّا الطرف الأول فتمثل في قبيلة الزوارة[2]. في حين اشتمل الطرف الثاني على المحلة المتكونة من مائة وعشرين يولداش، والتي تمركزت بالقرب من وادي الرمل[3]، يحكمها كلّ من الكاهية وشاوش الكرسي[4]. وبالرغم من كلّ هذه الإجراءات الأمنية المشددة، إلاّ أنّه وقعت جرائم قتل أخرى، إذ عثرت على جثث خمسة رجال من الرعية على أطراف المدينة[5]، "وقد قتلوا كلهم بغير بارود"[6].

ولمّا شدّد أفراد قبيلة زوارة الحراسة تمكنوا من اكتشاف الفاعل. إذ بعد عملية

---

[1] الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

[2] **الزوارة** : قبيلة بربرية كانت تسكن منطقة الميلة. ينظر:
Jean despois René, Géographie de l'Afrique du nord ouest, P : 114.

[3] **وادي الرمل**: يأخذ منبعه على بعد مسافة خمس أيام من مدينة قسنطينة، يمكن اجتيازه طيلة فصول السنة كلها ولا يتعذر عبوره إلاّ في فترات نزول الأمطار الغزيرة إذ يبلغ ارتفاع مياهه حينئذ أربع أقدام، في حين لا يزيد عمقه عادة عن قدم أو قدمين فقط، وعلى حافة وادي الرمل اليسرى عند مشارف مدينة قسنطينة يوجد سهل زراعي يحف بها جبل المنصورة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 182.

[4] **شاوش الكرسي**: ينتمي إلى الأتراك، وكان يتولى وظيفة الجلد -أيّ تنفيذ العقاب بالجلد-. ينظر: أحمد سليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ص: 42.

[5] الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

[6] تم القتل "بغير بارود"، وهذا يعنى أنّه لم يتم استعمال البنادق. ولعلّ هذا الأمر يعود لسببين: حتى لا يحدثوا صوتا فيكتشف أمرهم. أو خوفا من ضياع الذخيرة والتي كان يشتريها الجندي بنقوده الخاصة. ينظر: شارل، مذكرات شارل قنصل أمريكا، ص: 54.

التحري والبحث الجيد، وبعد جمع كلّ الأدلة الكافية وقعت التهمة على مجموعة من اليولداش، عددهم ثلاثة، كلهم من الدفعة الجديدة، إذ لم تتعد فترة خدمتهم نحو ثلاث سنوات وهم من أفراد المحلة التي وضعت في المنطقة. وكلّ هذه الجرائم التي وقعت كانت على علم شاوش الكرسي[1]، إلاّ أنّه أخفى الأمر على الباي[2].

ولم يصدر أحمد باي حكما في شأنهم، بل بعث بتقريره المفصل إلى الباشا حسين ليستشيره في الأمر، ويطلب منه النصح والتوجيه[3]، وقد ذكر أنّ المقصود والهدف من ارتكاب هذه الجرائم هو زرع الخوف في المنطقة، وبالتالي زعزعة حكمه وسلطانه، فقد ذكر بصريح العبارة ما يدل على ذلك، إذ كتب يقول: "وان قتل هؤلاء الفقراء القليلين لا سبب باعث لهم على قتلهم من مال أو عداوة أو غير ذلك **وانما امرهم مدسوس اغراهم اهل الفساد ليشيع ذلك كما صنعوا في ايام محمد باي**"[4]. ومن خلال هذه العبارة يحاول أحمد باي إظهار أمر مهم، وهو أنّ أعداءه يتربصون له ويعملون على الإطاحة بحكمه كما فعلوا بغيره.

وعادة ما كانت العقوبة المترتبة من جرّاء ارتكاب عملية القتل مع ثبوت الأدلة، الحكم بالإعدام[5]، إذ يساق المتهم إلى منزل آغا ذو القمرين بعيدا عن أعين الرعية، ليتم قتله خنقا[6]. ولكنّ الأمر مختلف في هذه القضية، إذ كان مرتكبوا الجريمة ثلاثة من اليولداش وليس فردا واحدا، ولم يفصح أحمد باي في رسالته على الحكم الصادر في شأنهم، إلاّ أنّه يلح على حسين باشا بتوقيع أقسى العقوبة على الجناة زجرا وردعا لغيرهم، إذ كتب يقول: "أن السكوت والتجاوز عن هدا الامر

1- ارتكبت هذه الجرائم على علم شاوش الكرسي والتستر عليها هو تواطأ مع الجناة وهذا الأمر يعاقب عليه القانون، ولكن لماذا هذا التستر؟ أخوفا من أن يتهم بالتهاون في أداء مهامه؟ أم لغرض آخر؟.

2- الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة نفسها.

4- الرسالة نفسها.

5- لا يمكن تنفيذ حكم الإعدام على أحد من الجنود إلاّ بعد مشاورة الباشا. ينظر: الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في فتح مدينة وهران، ص: 190. فقد كان هؤلاء اليولداش لا يخضعون إلى القانون والداي هو الوحيد الذي كان له الحق في محاكمتهم. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 18.

6- Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 203.

الفساد ومريدي الفتنة ويجب امضاء الحكم فيهم"[1].

ومن بين القضايا التي كانت أقلّ خطورة من القتل، الضرب، وأعمال الغش وأكل أموال الجند بالباطل.

فأمّا جريمة الضرب التي وقعت على عهد أحمد باي ، فقام بها أحد اليولداش في حق امرأة من الرعية، تسبب لها في جروح خطيرة. وعندما علم الشاوش بأمره أراد القبض عليه من أجل معاقبته، إلاّ أنه هرب وتسلل إلى مقهى اليولداش[2]، أين وجد الحماية[3]. وعندما علم أحمد باي بالأمر أصدر أمرا بالقبض على اليولداش وإحضاره، وفعلا تم له ذلك بعد إكراههم[4].

عندها بعث أحمد باي إلى حسين باشا يستشيره في أمر هذا اليولداش[5]، ويشتكي من التصرفات التي لا تمد بصلة لا للدين أو العرف فقد كتب بصريح العبارة:"هو سيدي أن هذا الزمان الفارط كان الحكم غير مضبوط والقهر وكل من يهرب إليها ينجوا انحل الأمر سبب ذلك وكذلك قهوة عنابة صارت كذلك وأن يولداش كثر افسادهم في أولاد الناس"[6]. فهو بهذا الكلام يتهم عناصر السلك العسكري بالتجاوز والخروج عن الحدود.

وما جعلنا أمام حيرة من هذه المادة التاريخية المتواجدة في تقرير أحمد باي تعارضها مع ما ورد في إحدى الوثائق التي عرضت قضية مماثلة وقعت في مدينة مستغانم، وذلك سنة 1244هـ/1828م، إذ قام أربعة من اليولداش بالاعتداء على امرأة من الرعية بالضرب؛ عندها حقق معهم آغا النوبة وأصدر في حقهم حكما

---

[1]-الرسالة رقم : (24) في الترتيب العام للمجموعة.

[2]-اعتبرت المقاهي في تلك الفترة وغيرها من الفترات أماكن للترفيه والتسلية في تلك الحقبة التاريخية، فكانت تقدم فيها القهوة والشاي. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 60. ومن بين المقاهي التي كانت موجودة في مدينة قسنطينة مقهى الديان. ينظر:
Ernest Mercier, *Constantine avant la conquête*, R.A. 1878, P : 74.
وبهذا فإنّ المقاهي التي كانت مقرا للتسلية بالنسبة لليولداش كان لها أيضا دور سياسي تمثّل في حماية كلّ لاجئ يقصدها وحتى وإن كان هذا الأخير قد ارتكب جريمة.

[3]-الرسالة رقم : (24) في الترتيب العام للمجموعة.

[4]-الرسالة نفسها.

[5]-الرسالة نفسها.

[6]-الرسالة نفسها.

بجلدهم خمسمائة جلدة زجرا وردعا لغيرهم[1].

ومن هذا المنطلق فإنّ آغا النوبة هو المسؤول على تطبيق الأحكام على اليولداش، كما حددت نوع العقوبة المترتبة على مثل هذه الأعمال المنافية لحسن السلوك والأدب، بعكس ما وجدناه في تقرير أحمد باي.

وعموما ما ذكره أحمد باي في تقريره هذا وما ورد في نص الوثيقة المذكورة آنفا، يؤكد المعلومات التاريخية التي ذكرت بأنّ هؤلاء اليولداش "وإن كانوا ملتزمين بحسن السلوك واحترام تعاليم الدين الإسلامي التزاما بمبدأ سياسي حسن"[2] فإنّ التجربة أثبتت أنّ هذا لم يكن ليمنعهم من التحلل أحيانا، بحيث كثيرا ما كانوا "يرتكبون المخالفات ضد البدو والقبائل"[3]. فقد وصفوا "بالخشونة، التهور والتعالي اتجاه الأهالي"[4].

أمّا عن قضايا الغش التي ارتكبها بعض اليولداش، ما حدث على عهده؛ إذ بعد وصول رسالة من حسين باشا، يوبخ فيها أحمد باي بخصوص ما ورد عليه من أخبار حول عملية الغش التي حدثت في وزن خبز الجنود، أصدر الباي أمرا لأعضاء ديوان وعلماء مدينة عنابة بالتحقيق في المسألة. فذهب العلماء على حين غفلة إلى الفرن[5] الذي كان يطبخ فيه هذا الخبز[6]، فأخذوا منه عينة، عندها وجدوا بأنها ليست "من خبز عنابة بل هي من خبز الجزائر يقال له الحراق"، هذا الأخير كان ناقصا في الوزن مقارنة مع خبز عنابة، فبعثوا بالعينة إلى الباي[7].

عندها بعث أحمد باي إلى كلّ من الكاهية وأدباشي[8] والشاوش يستفسرهم على الأسباب التي دفعتهم للقيام بمثل هذا العمل، فإذا بهم يقرون بأنّهم كانوا يأخذون

1- ملف الوثائق العثمانية، مجموعة: 3190. الملف الأول.

2- شارل، مذكرات شارل، ص: 55.

3- حمدان خوجة، المرآة، ص: 149.

4- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 49.

5- ورد في الرسالة كلمة "الكوشة"، وهو ذلك المكان الذي كان يطبخ فيه الخبز.

6- كان هذا الفرن موجود داخل مقر النوبة الموجودة بالقصبة. ينظر: الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

7- الرسالة رقم : (18) في الترتيب العم للمجموعة.

8- اداباشي: كان قبطان السرية. ينظر: بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 38.

كفايتهم من المؤونة. ولمّا بحث أحمد باي في الأمر وجد أنّهم كانوا يبيعون "مؤونة شهر" من قمح، وسمد، وصابون وزيت، ويستهلكون "مؤونة شهر آخر"[1].

وكالعادة لم يتخذ أحمد باي أيّ إجراء ضد من كان وراء عملية الغش هذه، وإن كان الفعل جماعي، لكنّه قام بإرسال عينات من الخبز إلى الباشا حسين، متمثلة في أربع خبزات اثنين من الخبز الأبيض والأخرى من النوع الأحمر، بعدما طبخت أمام مرأى وبمراقبة "أعضاء النوبة والسادة العلماء"، كما أرفق تقريره هذا بشهادة حررها وأمضاها علماء المدينة، وهو في انتظار النصيحة والتوجيه من الباشا حسين[2].

وما يستنتج من خلال هذه المسألة أنّ التهمة كانت جماعية بحيث اشتركت فيها عناصر من النوبة، ولم تقتصر التهمة على عملية الغش فقط بل تعدت ذلك، بحيث قام هؤلاء الجند بسرقة المؤونة التي كانت تعطى لهم شهريا، وهذا ما يوضح غياب المراقبة.

وعلى العموم فإذا ما تبثت عملية الغش في الموازين بصفة عامة، فإنّه تقطع يد الغاش أو يطاف به أمام العامة على ظهر حمار. أمّا إذا تبث غش الخبّاز في وزن الخبز الذي يقوم بطبخه، فتصادر مخبزته ويضرب ضربا مبرحا على قدميه[3]؛ لكنّ هذه العقوبات كانت تطبق على المدنيين، في حين لم تتناول المراجع نوع العقاب المسلط على اليولداش إذا ما قاموا بعملية الغش في مادة الخبز.

أيضا من بين الأعمال المنافية للشرع والعرف معا، أكل أموال الناس بالباطل. فقد قام أحد الشواش الذي كان مسؤولا على تسجيل الديون المترتبة على اليولداش بمضاعفة الديون عليهم، إذ "كلّ من كان عليه ريال دين احتسبه ريالين". وقد تضرر "أهل عنابة" كثيرا من ذلك[4]، فكتبوا لأحمد باي يشتكون من تصرفات

1- الرسالة رقم : (18) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الرسالة نفسها.

3- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 54.

4- يقصد أحمد باي بأهل عنابة جنود النوبة. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 321.

هذا الشاوش[1].

عندها وجه أحمد باي إنذارا كتابيا لكلّ من أحمد بن حمزة[2] وأعضاء الديوان أمرا إيّاهم بمعاقبة هذا الشاوش "لأنه أكثر في الباطل وعليه أن ينتهي عن مثل هذا العمل"[3]. والسبب في توجيه هذا الخطاب الصارم إلى الديوان، هو أنّ هذا الأخير تكفل بتنفيذ الأحكام الصادرة في حق أعضاء السلك العسكري، كما كان من اختصاصات رئيس الديوان تطبيق العدالة في منزله على الأتراك الذين يخلون بقواعد الانضباط أو يتعدون على القوانين[4].

وقد هدد أحمد باي الآغا وأعضاء الديوان في خطابه بقوله "إن الجزائر بلاد إسلام وإن لم ينته هذا الشاوش من أخذه أموال الناس بالباطل فلا يلوم إلا نفسه" إذا ما حلّ عليه العقاب الصارم[5].

واعتمادا على ما ورد في نص هذه الرسالة، فإنّ هذا الشاوش أخذ فوائد ربوية من اليولداش المدينين، وبالنسبة لأحمد باي أخذ الربا حرام بناءا على النص القرآني القائل:" **وأحلّ الله البيع وحرّم الربا**"[6]. فقد أكّد صالح فركوس "أن تمسك أحمد باي بالدين الإسلامي وإيمانه الراسخ به جعلا منه حاكما عادلا"[7].

كما وردت في أحد التقارير التي حرّرها أحمد باي قضية اشترك فيها الطرف المدني والعسكري[8]؛ إذ وقع نزاع بين ديوان نوبة بسكرة والمدعو عشمي باشا حول قضية الحطب المخصص للنوبة[9]، ذلك أنّ ديوان بسكرة يقر على "مسألة الشراكة" في حين كان المدعو عشمي يصر على "مسألة التخصيص"، فاحتار أحمد

1- الرسالة رقم:(6) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **أحمد بن حمزة:** كان أغا نوبة عنابة. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 321.

3- الرسالة السابقة.

4- أحمد سليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ص:21.

5- الرسالة رقم:(6) في الترتيب العام للمجموعة.

6- ~~سورة البقرة، الآية رقم: (28).~~ (275)

7- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

8- الرسالة رقم:(28) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 19 محرم 1244هـ/1828م.

9- كان يستعمل هذا الحطب لغرض الطبخ أو التدفئة.

باي في شأنهم، لهذا راسل الباشا حسين طالبا منه المشورة والنصيحة، والتدخل لحل هذا النزاع القائم وإيجاد حل سريع لهذه القضية[1].

ولقد حدثت قضية مماثلة على عهد أحمد باي وكان ذلك في سنة 1244هـ/1828م، إذ كتب آغا نوبة بسكرة للباشا يشكو له أمر تخصيص الحطب. ويعتبر نص هذه الوثيقة نموذجا على ما كتبه أحمد باي عندما أرسل هذا التقرير للباشا، ولأنّ عرض نص هذه الوثيقة قد يوضح أمورا كثيرة غيبت في تقرير أحمد باي فهذا نصها[2]:

"عرض المربوط بخدمتكم ما يذكر بهذه السنة المباركة بعد دخولنا لبلد بسكرة بمدة يوم بحضرة جملة الديوان خدامك وأولادك اليلداش لار وساير [كذا] فتحنا عهد الأمان وبعد قراءته ذكروا أشياخ الحطابة يجب لكل صفرة كل يوم حمل واحد حطب وفي كل أزف خمسة أحمال حطب من شان تطييب قمح البرغل(*) فلما سمعوا أولادك اليولداش لار جاوبوا بلسان واحد باختصاص الحطب وصدر التنازع في ذلك وعلى هذا الحال قدموا شيوخ [كذا] ورقة مكتوبة مضمن ما فيها لكل صفرة ما تقدم ذكره فقالوا للشيوخ هذه الورقة [كذا] ووقع من الديوان تعزير ومن شأن الواقع هنا كتبنا لحضرة البايِ أفندي وأعلمناه بالواقع فجاوب بهذا أنه لا يقدر على فصل الحكم ولا بد من إعلام باشا على شأن أفندي هكذا كان جوابه ثم بعد ذلك بعثنا يلداش من يولداش لار لقسنطينة في شأن مصالح القصور وذكر اليلداش في شان مصلحة الحطب وبعثهم ثلاثة دفعات مكاتب في شأنه فجاوبه بالذي يصل له شيء أو على هذه الحالة كل شهر يدفع ثمن الحطب".

"1244 (**) من المربوط بخدمتكم أغة بسكرة وديوانه"[3].

ومن خلال نص هذه الوثيقة التي حررت على عهد أحمد باي تتأكد لنا أنّ

1- الرسالة رقم:(28) في الترتيب العام للمجموعة.

2- تفادينا عرض المقدمة اجتنابا للإطالة ولأنها كانت باللغة التركية.

*كان الحطب يستعمل من أجل طبخ الخبز الذي كان من المواد الرئيسة في غذاء الجندي خاصة والجزائري على وجه العموم.

**1244هـ توافق سنة 1829م.

3- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3204، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

أمور كثيرة منها:

*-لم يكن للباي حق التدخل في مثل هذه المسائل، ولا ندري إن كان الأمر يتعلق بكلّ أنواع القضايا التي كانت تقع بين الطرف العسكري والمدني أو كان ذلك يخص إلاّ القضايا الخاصة بمسألة الحطب؟

*-كما يستنتج أنّ السلطة العسكرية كانت تقيم شراكة مع الطرف المدني.

*-ذكر عبارة "أشياخ الحطابة" تكشف وجود هيئة كلفت بالتعامل مع السلطات في شأن الحطب. وهذا دليل على التنظيم الدقيق الذي كانت تسير عليه الأمور خلال العهد العثماني.

وخلاصة ما يمكن استنتاجه من كلّ ما عرض من معلومات تاريخية مقارنة مع ما ورد في بعض المصادر والمراجع هو أنّ:

القضاء على العهد العثماني تميز بثنائية الهياكل والأحكام القضائية[1]، فمن خاصيته العمل بالوكالة، سريع التنفيذ وقليل التكاليف، والعمل بمقتضى الشريعة الإسلامية[2].

فأمّا القضاء بالوكالة أو بالنيابة: بمعنى أنّ كلّ القضاء كان من صلاحيات الحاكم العام، فيمكن للداي أن يوكل هذه المهمة لأتباعه مثل البايات. وهذا ما وجد مجسدا في تقارير أحمد باي.

سريع التنفيذ: فقد عرف على القضاء أثناء الحكم العثماني بأنّ تنفيذ الأحكام الصادرة في حق الجناة كان يتم بصورة سريعة ودون تعطيل[3]، بحيث كان يتم حضور الخصوم في الحال، وهذا أيضا ما وجد حاضرا في المسائل التي بت فيها أحمد باي. في حين عندما يقال بأنّ الأحكام التي كان يصدرها القضاة سريعة، إلاّ فيما ندر من القضايا التي يرى القاضي أنّها تستدعي أن يطالع حولها بعض المصادر في أصول الشريعة. فهذه قاعدة لا يمكن تعميمها، بحيث في كلّ القضايا

1-Louis de Boudicourt, La Guerre de l'Algérie, P : 281.
2-Boutems, Les institutions Algériennes durant l'époque ottomane, P : 40.
3-Op. Cit, P : 279.

التي عرضت لم تكن الأحكام سريعة التنفيذ ودون تعطيل.

وكما ذكر آنفا في مقدمة هذا الفصل، فإنّه سوف يتجاوز عن الحديث على القضاء الذي يخص الطرف الأجنبي تجنبا للإطالة، ولأنّ الرسائل لم تتطرق لهذا العنصر. كما أنّ هذا النوع من القضاء لم يكن من اختصاص السلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي، والذي لم يكن له ليتدخل في المسائل التي كانت تخص العنصر الأجنبي الذي كان مقيما في بايلك الشرق، ذلك أنّه خصصت لهم محاكمهم الخاصة بهم والتي كانت تبت في قضاياهم.

وانطلاقا من المادة التاريخية التي وفرتها هذه المجموعة من الرسائل ومن خلال ما تم عرضه من القضايا مهما اختلفت درجة خطورتها، أو كان الانتماء العرقي أو الاجتماعي للجاني فيها فإنّه تبين ما يلي:

1- أنّ أحمد باي كان المحقق في كلّ المسائل التي وردت سواء كانت مدنية أو عسكرية.

2- لا يصدر الباي أيّ قرار دون الرجوع إلى الباشا، الذي كان بيده مقاليد الحكم. وهذا ما يؤكد الفكرة القائلة بأنّ القضاء كان من اختصاص الداي ولم يكن للباي حق التصرف في إصدار الأحكام.

3- كما أظهرت المادة الموجودة في الرسائل، كيفية مزاولة الباي للعمل القضائي على المستوايين، المدني والعسكري، وعلى مستوى المدينة والأوطان. وهذا يضيف معلومات مهمة لموضوع القضاء والذي لم تتطرق إليه المصادر والمراجع وحتى الوثائق الأرشيفية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث إلاّ نادرا أو بصورة مختصرة جدا.

كما تؤكد صرامة أحمد باي في مواجهة المشاكل اليومية للمواطن القسنطيني، بدليل ما كتبته الرعية عنه:"...لقد كنا من المهمشين إلى أن عيّن الحاج أحمد باي حاكما علينا فأحل السلام في البايلك ورفع الظلم ومنح الأمل لفاقديه..."[1].

1-Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P P: 60-71.

الفصل الثاني

علاقات أحمد باي الداخلية

1/2)-المبحث الأول: علاقة أحمد باي مع الأعيان

- موقفه من العائلات
- معاملته لجماعة المرابطين
- مكانة العلماء ودورهم في شتى الميادين

2/2)-المبحث الثاني: علاقة أحمد باي مع مختلف القبائل القسنطينية

- معاملة السلطة لقبائل الرعية والحليفة
- مساندة أحمد باي لقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن
- مواجهة أحمد باي للقبائل المتمردة

3/2)-المبحث الثالث: علاقات أحمد على مستوى الايالة

- الولاء والتبعية لحسين باشا
- علاقته مع كبار موظفي السلطة
- موقفه من باي تيطري

1/2)-المبحث الأول: علاقة أحمد باي مع الأعيان

تميزت العقود الأربعة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر(252-1245هـ/ 1790- 1830م) بعدم استقرار نظام الحكم، فساد الفساد وعمت الفوضى مختلف قطاعات البلاد[1]، إذ تولى الحكم خلال تلك الفترة ثمانية دايات، اغتيل منهم خمسة. كما شهدت الفترة نفسها عدة اضطرابات داخلية تمثلت في تمرد بعض القبائل والطرق الصوفية[2] على نظام الحكم. وعموما فقد تميز هذا العهد بشبه فوضى سياسيا، حيث غابت السلطة المركزية تقريبا عن الساحة، الشيء الذي فسح المجال واسعا لتجاوزات عسكرية وإدارية خطيرة، أدّت إلى ظهور عدة حركات عصيان[3].

ولم يكن بايلك الشرق بمعزل عن الأحداث التي كانت واقعة في كلّ أنحاء الجزائر، فقد تأثر بموجة الاضطرابات، فتمرد كلّ من أصحاب الطريقة التجانية سنة (1230هـ/1815م)، وقبيلة النمامشة سنة (1234هـ/1818م)[4].

أمّا على عهد الباي محمد المنماني فقد أخذت الأوضاع الأمنية منعرجا خطيرا بشهادة أحمد باي الذي ذكر بأنّ على عهده "كان الحكم غير مضبوط والقهر وانحل الامر وان اليولداش كثر افسادهم في اولاد الناس"[5]. الرأي نفسه أيدته مجمل المصادر والمراجع التي تناولت سيرة هذا الباي، مثال ذلك ما كتبه صالح بن العنتري في شأنه قائلا: "انحلت الأحكام وتصعب الوطن وضعفت الرعية ووقع الصف بين المخازنية وعظمت بينهم الفتنة"[6]. وبهذا أصبحت معظم القبائل ترفض دفع مستحقاتها المخزنية، مما أثر سلبا على الأوضاع السياسية والاقتصادية في

1- لا يجب تعميم هذه الفكرة على كلّ أواخر الحكم العثماني في الجزائر، إذ يوجد من الدايات من استطاع أن يقر الأمن والاستقرار في الداخل، وهيبة الجزائر على المستوى الخارجي.

2- اشتهر في الجزائر ثمان طرق وهي: القادرية، والشاذلية، والخلوتية، والرحمانية، والتيجانية، والعيساوية، والطيبية، والسنوسية، والعمارية. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام: ج: 3، ص: 251.

3- أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 20.

4- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 272-273.

5- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

6- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 89.

البايلك[1].

وعلى ضوء هذه الأوضاع المتردية استلم أحمد باي زمام الحكم، وهو يدري أنّه من الصعب إعادة الأمن والنظام. لهذا كان عليه أن يعيد بناء مختلف العلاقات التي كانت قائمة بين السلطة والمجتمع القسنطيني بكلّ فئاته.

1)-موقفه من العائلات:

إنّ بايلك الشرق بحكم شساعة مساحته وأهميته الاقتصادية والسياسية ضم في مجاله الجغرافي العديد من العائلات الكبيرة التي توارثت النفوذ والسيادة على القبائل من جيل إلى جيل، وعبر مر الأزمنة. وتجاهلها من طرف الحكام يعني الدخول معها في صراع، والإسراع بنهاية هذا الحكم القائم؛ لهذا كان من الحكمة والتعقل إتباع سياسة حكيمة وذكية مع هذه العائلات من أجل بسط نفوذ السلطة ونشر الأمن والاستقرار، ولو بصورة نسبية. وكان الشرق الجزائري مقسما بين خمس أسر كبيرة هي: أسرة أولاد مقران في الغرب، والأحرار في الشرق، وأسر ابن غانة، وبوعكاز وابن جلاب في الجنوب، وبن عز الدين في فرجيوة.

وأحمد باي كغيره من البايات الذين حكموا المنطقة، ومثّلوا السلطة العثمانية تأكد من ضرورة استعمال أساليب سياسية كفيلة بأن تضمن له بقاء حكمه وبسط نفوذه على كلّ المنطقة. فلقد تأكد من أنّه لن يستطيع أن يحكم البايلك إذا ما تجاهل قوة هذه العائلات؛ وتهميشها يعني الدخول معها في صراع هو في غنى عنه. ذلك أنّ هذه السياسة لم تكن دائما تحمل الطابع المرن، والطريقة الودية لكسب بعض الزعماء، ومن تم القبائل التي يمثلون مصالحها، فقد حاول أحمد باي أن يقرب طرفا على حساب طرف آخر، و طبعا كان يتم ذلك وفق معطيات فرضت عليه، أو فرضها هو على أرض الواقع، وهذا ما سوف يتضح جليا من خلال عرض علاقات أحمد باي بأهم العائلات وزعمائها الذين كان لهم نفوذ قوي على الرعية.

فقد تميزت سياسته اتجاه العائلات الكبيرة بطابع خاص يختلف عن الطابع

---

[1]-ما جاء في نص الرسالة التي بعثها منماني باي إلى حسين باشا لدليل صادق على الوضعية الاقتصادية المزرية التي كان عليها بايلك الشرق. ينظر: الرسالة رقم : (8) في الترتيب العام للمجموعة.

الذي استمدت منه سياسة أسلافه من البايات في هذا المجال، ذلك أنّ سلطة العثمانيين، ببايلك الشرق، كثيرا ما كانت تبوء بالفشل في ممارستها السياسية مع هذه العائلات[1]، وذلك بحكم عراقتها وأصالتها ونفوذها على القبائل؛ فقد كانت تتقاسم قيادة البايلك تقريبا، حيث كانت تشرف على تسيير شؤون معظم القبائل[2]. وبهذا تميزت سياسيته بطابعين: أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

عائلة ابن غانة: المعروف لدى كلّ الباحثين أنّ أحمد باي كان ينتمي إلى هذه العائلة بالأصل، ذلك أنّ والده تزوج من بنت أحد كبار مشايخ الصحراء؛ ابن غانة بن الشريف، فقد كان يكنّى باسم أمه فيقال له "الحاج بن الحاجة شريفة"[3].

وبحكم صلة الدم التي كانت تربطه بهذه العائلة، وأيضا بحكم أنّه نشأ وترعرع بين أحضانها، فقد رأى أحمد باي أنّه لا بد من أن يستغل ذلك، لهذا عمل على تقريبها منه حتى تكون له العين الساهرة واليد الضاربة على كلّ من كان يكنّ له العداء والحقد، أو يحاول زعزعة الأمن والنظام. كما أقرها على ما كانت تملكه من أراضي، وأبقى على كلّ الامتيازات التي تحصلت عليها منذ العهود السابقة. ومثال ذلك ما فعله عندما قدّمها على حساب عائلة بوعكاز، بإسناد وظيفة شيخ العرب لأحد أفرادها بعدما نزعها من فرحات بن سعيد[4]، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ أولاد بوعكاز كانوا يكنون لأحمد باي خاصة ولعائلة ابن غانة على العموم عداءا كبيرا[5].

عائلة أولاد مقران: إنّ هذه الأسرة لا تقل أهمية ومكانة عن ابن غانة، لهذا قرّبها أحمد باي وحاول كسب ثقتها. فمنذ نهاية القرن الثامن عشر للميلادي وهذه العائلة تمارس سلطتها على قبائل مدجانة وتدير شؤونها البحرية، مع خضوعها

---

[1]- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 52.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 50.
[3]- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 115.
[4]- ورد اسمه في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة. وهو من بين الذين مارسوا هذه الوظيفة من عائلة بوعكاز، وقد خلف دباح بوعكاز لكبر سنه وعدم قدرته على ممارسة مسؤولياته وكان ذلك على عهد الباي محمد المملوك سنة 1237هـ/1821م، واستمر ذلك إلى غاية سنة 1240هـ/1826م، عندما لقب الحاج أحمد بن غانة بايا على بايلك الشرق. ينظر: Bouaziz Ben Gana –Chiekh El Arab, P : 34.
[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 50.

لسلطة بايات قسنطينة؛ إذ كان يتم اختيار ممثليها من بين أفرادها مقابل مطالب يدفعونها سنويا. ونظرا للتأثير الكبير والنفوذ الواسع الذين كانت تحظى بهما هذه العائلة، رأى أحمد باي أنّ من صالحه كسب تأييدها من أجل ضمان مساندتها لبسط سلطة الحكم والأمن[1]. فأقرها على ما كان بيدها من سلطة على منطقة مدجانة، وأيضا على ما كانت تملكه من امتيازات تجارية خاصة البحرية منها[2].

ولكنّ العلاقة لم تكن تسير بالمثل مع كلّ أفراد هذه العائلة، فهذه الأخيرة كانت مقسمة إلى ثلاث صفوف، صف أولاد الحاج[3] وأولاد السلام، ويعتبر هذا الأخير الصف الرئيس في العائلة، ثم صف أولاد بورنان[4]، وصف أولاد قندوز[5]؛ وللتخلص من معارضة كلّ من الصف أولاد بورنان وأولاد قندوز، وتمكين صف أولاد عبد السلام وأولاد الحاج من زعامة هذه العائلة[6]، عمل أحمد باي على إقصائهم[7]. فعمد إلى إصدار أمرا بالقبض على ابن عبد السلام [8]، ومسي الباي الكنوري [9]، وصالح بلقندوز [10]. وعندما تمكن له ذلك أصدر حكما بإعدامهم[11].

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

2- بما أنّه لم يعثر على معلومات تؤكد عكس ما ذكر أعلاه، فإنّ كلّ ما كانت عليه هذه العائلة من وضعية اقتصادية (امتيازات) يبقى على ما هو عليه إلى حين ظهور مادة تاريخية وثائقية جديدة تثبت عكس ذلك.

3- **أولاد الحاج**: ورد ذكرهم في الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة. وقد ذكر أحمد باي أنّهم كانوا يتماطلون في دفع ما عليهم من مطالب مخزنية.

4- **أولاد بورنان**: ورد ذكرهم في الرسالة نفسها. وقد اشتكى أحمد باي من تماطلهم في دفع مستحقاتهم المخزنية.

5- **أولاد قندوز**: لقد كان لجزء من أولاد المقراني وعلى رأسهم أولاد قندوز نفوذا كبيرا على سكان سطيف والعلمة وعامر، وتحت إشارة منهم تتحرك عناصر هذه القبائل لترفع راية العصيان معلنة بذلك رفضها للخضوع. ينظر:

Bouaziz Ben Gana –Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 36.

6-Charles Féraud, Province de Constantine (Ain Baida) R. C. 1871-1872, P P : 299-300.

7-Ibid, PP : 299-300.

8- **الشيخ عبد السلام**: اعتبر من بين الشخصيات البارزة في عائلة أولاد المقراني، وكان والد عيشوش زوجة أحمد باي. ينظر: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 372.

9- **سي الكنوري**: من بين الشخصيات البارزة التي لعبت دورا مهما في قبيلة بورنان. ينظر: Ibid, P : 375.

10- **صالح بلقندوز**: زعيم صف أولاد قندوز، ومن أهم الشخصيات البارزة والموقرة في هذا الصف. ينظر:

Bouaziz Ben Gana, Op. Cit, P : 36.

11-Ernest Mercier, Op. Cit, P : 375.

ولمّا علم الشيخ عبد الله[1] بالخبر كتب رسالة يستعطف من خلالها أحمد باي ويتشفع فيها لهم، فجاء نصها:" لقد استبشرنا خيرا بتنصيبك بايا علينا، أنت من يجري دمنا في عروقه، فلقد كنّا أثناء حكم البايات السابقين في حرب دائمة مع أولاد بورنان وأولاد قندوز، ولا تدري كم أضرنا هذا الوضع. وكنّا نتمنى تحت حكمك أنّ الأمور سوف تتغير، ولكن قرارك الأخير يثبت أنّك نسيت أو تناسيت أواصل القرابة التي تصل بيننا وبينك"[2]. وعند قراءة أحمد باي لهذه الرسالة وتحت ضغوط وتوسلات كلّ من والدته وزوجته عيشوش أصدر قرارا بالعفو على أحمد بن عبد السلام، في حين أمر بقتل كلّ من سي الباي الكنوري وبلقندوز[3]. ولكن أيضا بعد تدخلات قامت بها بعض الشخصيات المرموقة في البايلك، أمر بالعفو على سي الباي الكنوري، في حين أعدم المدعو بلقندوز[4].

وممّا يؤكد سوء العلاقات التي كانت بين أحمد باي وجزء من هذه العائلة، تلك الغرامة المالية التي فرضها عليهم وألزمهم بالدفع وإلاّ فسوف يكلفهم ذلك عقابا صارما[5].

عائلة بوعكاز بن عاشور: لقد كان لعائلة بوعكاز[6] نفوذا واسعا وتأثيرا كبيرا على مستوى منطقتي فرجيوة وزوارة. وكانت علاقة أحمد باي بزعيمها " بوعكاز بن عاشور" قوية ومتينة، وبفضل ذلك تمكن أحمد باي من المحافظة على الأمن

---

[1]-**الشيخ عبد الله:** لقب شيخا على مدجانة، كان من بين الشخصيات المرموقة أثناء حكم أحمد باي. قام بمرافقة الباي أثناء رحلته الدنوشية إلى الجزائر، وعند عودتهم وفيما كانوا يعبرون منطقة سور الغزلان هاجمتهم مجموعة من رجال بايلك تيطري، فتصدى لهم بن عبد الله وقواته بكلّ قوة وشجاعة وتمكن لوحده من قتل مجموعة كبيرة منهم فيما ولّت البقية هاربة. ومكافأة لعمله هذا، أسند له أحمد باي مهمة جمع المطالب المخزنية من الرعية على مستوى منطقة ونوغة. ينظر: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, PP : 301-302.

[2]-Ibid, P : 302.

[3]-Bouaziz Ben Gana, Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 372.

[4]-Ibid, P : 372.

[5]-الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 11 من ذي القعدة من سنة1243هـ/1827م.

[6]-**عائلة بوعكاز بن عاشور:** تنحدر أسرة ابن عاشور من سلالة عاشور الذي تبناه شيخ فرقة (ورزيقة) سيدة قبيلة فرجيوة في نهاية القرن السابع عشر، فيعد هذا الرجل مؤسس الأسرة، التي مارست السلطة على مجموعة كبيرة من أعراش المنطقة السهلية والجبلية لفرجيوة مثل أراس، وزرزاة وجميلة، وغيرها من الناحية الغربية لولاية الميلة حاليا. ومن بين أشهر قيادها، سي مصطفى بن عاشور الذي شارك الباي حسن في الحملة التأديبية ضد باي تونس سنة 1222هـ/1807م. ينظر:
Charles Féraud, Notes historique sur la province de Constantine, (Ferdjioua et Zouar'a), R. A, 1878, P : 128.

والاستقرار خاصة بين أوساط القبائل الصغرى. وقد دامت تـلك العلاقة الطيبة حتى بعد سقوط مدينة قسنطينة[1]، بالمقابل أقرها أحمد باي على بعض الامتيازات، كما عمل على حماية مصالح هذا الجزء من العائلة[2].

لكنّ علاقة أحمد باي مع هذه العائلة لم تكن تسير دوما على هذا المنوال، فقد كان جزءا منها في صراع على أشده مع عائلة بن غانة من أجل قيادة الصحراء والحصول على منصب (شيخ العرب)[3]، خاصة بعدما قدّم أحمد باي عائلة بن غانة على حسابها، هذا ما حفّز أفراد هذا القسم وزادهم إصرارا وعملا على تكوين ما كان يسمى بـ "الحلف"[4] المضاد بزعامة "فرحات بن سعيد"، الذي كان يلقب بـ "أفعى الصحراء"[5]؛ هذا الأخير عزله أحمد باي بعدما اتهمه بسرقة أموال البايلك[6]. وبهذا كان تأثيرهم واضحا على مختلف جهات الصحراء القسنطينية ما عدا منطقة الزيبان أين كان تواجد عائلة ابن غانة قويا[7].

عائلة ابن عز الدين بالزوارة: كانت لأحمد باي علاقات طيبة معها، فقد عملت هذه الأسرة على إقرار الأمن في المنطقة[8]، كما ظلت مخلصة له على مدى فترة حكمه على البايلك[9]. ولم تقدم لنا المصادر والمراجع معلومات حول ما كان يقدمه أحمد باي لهذه العائلة من أجل كسب ودها ومساندتها له.

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 57.

2- لم يعثر على معلومات تاريخية وافية تبين نوعية هذه الامتيازات التي كان يملكها هذا الجزء من العائلة، ذلك أنّ معظم المصادر والمراجع التي درست سيرة هذا الباي لم تتناول الجوانب الايجابية من هذه العلاقات .

3- لقد احتكرت هذه العائلة منصب شيخ العرب لفترة طويلة، وبالتالي حكمت كلّ منطقة الجنوب الصحراوي القسنطيني المتكون من منطقتي الزاب وبسكرة وهو يزعم إحدى عشر قبيلة. ينظر:
Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 136.

4- **الحلف:** قسم إخلاص. ويتم بين عدد كبير من العائلات تجمعها مصالح مشتركة فتتحالف من أجل محاربة العدو المشترك، وهدفها كان دفاعيا أكثر منه هجوميا. ينظر:
Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 49.

5- Sèroka, *Le sud Constantinois de 1830 à 1855*, R. A. *1912*, P : 381.

6- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

7- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص:50.

8- تميزت المنطقة التي كانت تحت نفوذها بتضاريسها الوعرة وأشجارها الملتفة، كما شملت القيادة داخل حوزتها قيادة فرجيوة والبابور. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

9- المرجع نفسه، ص: 57.

الاستقرار خاصة بين أوساط القبائل الصغرى. وقد دامت تلك العلاقة الطيبة حتى بعد سقوط مدينة قسنطينة[1]، بالمقابل أقرها أحمد باي على بعض الامتيازات، كما عمل على حماية مصالح هذا الجزء من العائلة[2].

لكنّ علاقة أحمد باي مع هذه العائلة لم تكن تسير دوما على هذا المنوال، فقد كان جزءا منها في صراع على أشده مع عائلة بن غانة من أجل قيادة الصحراء والحصول على منصب (شيخ العرب)[3]، خاصة بعدما قدّم أحمد باي عائلة بن غانة على حسابها، هذا ما حفّز أفراد هذا القسم وزادهم إصرارا وعملا على تكوين ما كان يسمى بـ "الحلف"[4] المضاد بزعامة "فرحات بن سعيد"، الذي كان يلقب بـ "أفعى الصحراء"[5]؛ هذا الأخير عزله أحمد باي بعدما اتهمه بسرقة أموال البايلك[6]. وبهذا كان تأثيرهم واضحا على مختلف جهات الصحراء القسنطينية ما عدا منطقة الزيبان أين كان تواجد عائلة ابن غانة قويا[7].

عائلة ابن عز الدين بالزوارة: كانت لأحمد باي علاقات طيبة معها، فقد عملت هذه الأسرة على إقرار الأمن في المنطقة[8]، كما ظلت مخلصة له على مدى فترة حكمه على البايلك[9]. ولم تقدم لنا المصادر والمراجع معلومات حول ما كان يقدمه أحمد باي لهذه العائلة من أجل كسب ودها ومساندتها له.

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 57.

2- لم يعثر على معلومات تاريخية وافية تبين نوعية هذه الامتيازات التي كان يملكها هذا الجزء من العائلة، ذلك أنّ معظم المصادر والمراجع التي درست سيرة هذا الباي لم تتناول الجوانب الايجابية من هذه العلاقات .

3- لقد احتكرت هذه العائلة منصب شيخ العرب لفترة طويلة، وبالتالي حكمت كلّ منطقة الجنوب الصحراوي القسنطيني المتكون من منطقتي الزاب وبسكرة وهو يزعم إحدى عشر قبيلة. ينظر:

Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 136.

4- **الحلف**: قسم إخلاص. ويتم بين عدد كبير من العائلات تجمعها مصالح مشتركة فتتحالف من أجل محاربة العدو المشترك، وهدفها كان دفاعيا أكثر منه هجوميا. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 49.

5- Sèroka, Le sud Constantinois de 1830 à 1855, R. A, 1912, P : 381.

6- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

7- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص:50.

8- تميزت المنطقة التي كانت تحت نفوذها بتضاريسها الوعرة وأشجارها الملتفة، كما شملت القيادة داخل حوزتها قيادة فرجيوة والبابور. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

9- المرجع نفسه، ص: 57.

عائلة بن جلاب[1]: كانت لهذه العائلة أواصر صهرية مع عائلة ابن غانة ممّا سهّل لأحمد باي التعامل معها وإقامة علاقات طيبة معها، وبهذا خالف ما سار عليها غيره من البايات الذين سبقوه في الحكم. مثال ذلك ما فعله أحمد باي القبايلي عندما ناصر عائلة ابن غانة بالزيبان في نزاعها مع ابن إبراهيم بن جلاب بحكم المصاهرة والمصالح المشتركة بينهما، ممّا اضطر الشيخ ابن جلاب إلى الفرار والتخلي عن زعامة تقرت إلى ابن الحاج بن غانة، لكنّ هذه النتيجة لم ترض الباي أحمد القبايلي، لهذا سعى جاهدا لتدبير أمر قتل إبراهيم بن جلاب، وذلك بتحريض أفراد عائلته للتخلص منه[2].

كما كان صالح باي يتعامل معها الند بالند، ولم يستطع أن يخضعها ويجعلها تدفع ما كان يترتب عليها من مطالب مخزنية، الموقف عكسه اتخذه أحمد باي في هذا الشأن. النهج نفسه سار عليه الباي أحمد المملوك؛ إذ حاول الانتقام من محمد بن جلاب ومناصرة فرحات بن سعيد من أجل حكم تقرت مقابل مبالغ مالية[3].

عائلة بوشنتوف: من أنسال جعفر البريتكي، هؤلاء حملوا السلاح بالصحراء إلى جانب أولاد بوعكاز ضد أحمد باي وأنصاره، ذلك أنّ بن شنتوف زعيم أولاد بن شنتوف كان يحكم الزاب الشرقي ويعمل دون هوادة للثأر من ابن غانة الذين قتلوا والده، لهذا كان على أحمد باي أن يتدخل بين الحين والآخر لتثبيت سلطة أفراد ابن غانة ونصرتهم على أعدائهم. كما لم يتساهل أبدا، أو يتوانى على معاقبتهم والنيل منهم، حتى لا تزداد قوتهم ويذيع صيتهم بين القبائل فيسلك غيرهم طريقهم[4].

---

[1]- **عائلة بن جلاب**: يروى أنّ أصلهم يعود إلى سلالة الشيخ أحمد بن جلاب، الذي كان ينتسب إلى بني مرين؛ فقد كانت هذه العائلة في أوائل عهدها تحكم مناطق شاسعة من وادي ريغ، ولكن نتيجة للصراع الدائم الذي كان بينها وبين أفراد الأسرة الواحدة تقلصت مساحة المنطقة التي كانت تحكمها فأصبحت لا تتعد تقرت وواحة تماسين القريبة منها وذلك على عهد محمد بن محمد بن جلاب، الذي اشتهر بفساد أخلاقه، وبقتله لإخوته ليأمن من منافستهم. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 239.

[2]- المرجع نفسه، ص: 240.

[3]- المرجع نفسه، ص:243.

[4]- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 54.

وعلى العموم يمكن استنتاج دوافع عديدة كانت وراء وقوف بعض العائلات إلى صف أحمد باي، وعداوة البعض الآخر له. ومن أهم الدوافع التي جعلت من بعض العائلات تساند أحمد باي في سلطته نجد:

*-الدافع السياسي: لقد اكتسبت هذه العائلات سلطة ونفوذ كبيرين بسبب مساندتها للسلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي، إذ أقرها هذا الأخير على ما كانت تملكه من امتيازات، كما ناصرها ضد كلّ من كان يكن لها العداء. مقابل ذلك كانت تمد أحمد باي بقوات عسكرية هامة[1]، مثال ذلك نجد: الشيخ بن غانة الذي كان يدعمه بأربع مائة فارس، والشيخ بورنان بفرجيوة بثلاث مائة فارس، وشيخ الزوارة بن عز الدين بمائتي فارس، وبن عبد الله شيخ البيبان بثلاث مائة رجل[2].

*-الدافع الاقتصادي: لعلّ حرص هذه العائلات على أراضيها وأسواقها وتجارتها هو الذي دفعها لتأييد السلطة الممثلة في شخص أحمد بايٍ ضد كلّ ما كان يقع من حركات تمردية. كما حذا بها إلى أن تتدخل بالصلح وإصلاح ذات البين والتوسط من أجل الإبقاء على الأمن والاستقرار الذين بدونهما تحل الفوضى وتتبعثر الجهود ويسود الخوف والخراب[3].

*-الدافع الاجتماعي: إنّ مساندة هذه العائلات لسلطة أحمد باي على مختلف أرجاء البايلك، قد مكنّها من الحصول على تقدير واحترام الجميع، سواء كان ذلك بصفة اختيارية أو إجبارية، فكلّ من كان يتعرض لهذه العائلات، فكأنّما يتعرض لأحمد باي شخصيا.

أمّا فيما يخص الدوافع التي جعلت البعض من العائلات القسنطينية والتي لم تكن تقل أهمية عن الأولى لاتخاذ موقف العداء ضد سلطة أحمد باي، نذكر بعضها:

*-الدافع الانتقامي: نظرا لموقف أحمد باي العدائي من زعماء هذه العائلات الذين كانوا بمثابة الرمز بالنسبة لأفراد قبائلهم، وأيضا نظرا لتقديم وتفضيل

1- هذا العمل كان جاري به على مختلف فترات الحكم العثماني على الجزائر.

2- Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 275.

3- جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: او ج:2، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، ع:1121هـ- 1988م، ص: 120.

شخصيات أخرى لا تفوقهم نسبا أو نفوذا على حسابهم، عمدت هذه القبائل وبقيادة زعمائها على رفع لواء العصيان والتمرد على سلطة أحمد باي وزعزعة حكمه.

*-دافع المحافظة على البقاء: إنّ القاعدة المعمول بها في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر اقتضت أن يكون البقاء للأقوى، وحتى تتمكن هذه العائلات التي كانت تمثل مصالح قبائلها من فرض وجودها وسيطرتها، كان لا بد عليها أن تلجأ إلى سياسة المعارضة والعصيان من أجل استرداد مكانتها التي كانت عليها من قبل حكم أحمد باي. كما تعودت بعض العائلات على رفع لواء العصيان والتمرد على كلّ من كان يمثل السلطة العثمانية والتي كانت ترى فيها كلّ أنواع الاستبداد والظلم؛ إذ أنها كانت ترفض أن تفرض عليها أيّ نوع من المطالب.

ومن خلال السياسة المنتهجة من طرف أحمد باي الممثل الأول للسلطة الحاكمة على مستوى البايلك مع أهم العائلات عامة ومع أبرز الشخصيات فيها على وجه الخصوص يتبين اتجاهين، أحدهما معارض والآخر مؤيد:

-الاتجاه المعارض: لقد حاول أحمد باي الحصول على مساندة بعض العائلات لكي تؤازره في مقاومة عائلات أخرى وبهذا فإنّه تمكن من السيطرة عليهم. كما أنّ هذه السياسة لم تحقق دوما الأمن والاستقرار بعدة نواحي، خاصة الجهات الصحراوية منها والتي كان فيها الصراع على أوجه بين عائلتي بن غانة وبوعكاز. كما أحدثت نوعا من الاختلال في التوازن السياسي بين تلك العائلات[1].

-الاتجاه المؤيد: من خلال تلك السياسة، يمكن تفسير سر نجاحه في حكم مناطق واسعة في وقت عمّت فيه الفوضى واختفت سلطة الحكم. وبالرغم من العيوب التي اتسمت بها سياسته اتجاه بعض العائلات، إلاّ أنها تضمنت جوانب مشرفة، تمثلت في إعادة الكثير من القبائل إلى الطاعة وجلبهم لتأييده، فاطمأن بذلك الناس وساد الأمن في ربوع البايلك إلى حد كبير بالقياس مع العهود السابقة[2].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 55.

[2] صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 584.

2)-معاملته لجماعة المرابطين:

لقد لعب المرابطون[1] دورا حاسما وفعالا طيلة الحكم العثماني على الجزائر، لهذا كان على البايات أن ينتهجوا معهم سياسة خاصة تضمن لهم ولاءهم ومساندتهم في بسط حكمهم، وفرض النظام والأمن بين القبائل. ولم يتسن لهم ذلك إلا من خلال تحالفهم مع المرابطين الذين كانت لهم مكانتهم وكلمتهم على معظم القبائل.

وما يلاحظ على هذه السياسة المنتهجة أنها كانت تقليدا متبعا بين معظم البايات على مختلف الفترات، نظرا لما كان له من تأثير واضح ونتائج ايجابية. فالمرابط كان بمثابة حلقة وصل بين الحكام العثمانيين والرعية خاصة على مستوى الأوطان أين شاعت الروح القبلية.

لكنّ هذه العلاقة لم تكن دوما على أحسنها بين السلطة الحاكمة وجماعة المرابطين، فلقد شهد بايلك الشرق على غراره من مناطق الجزائر موجة من الغضب والتذمر بين أوساط هذه الفئة وأنصارها من الرعية التي كانت تطيع بأمرها وتثور بأمرها، ممّا أدى إلى اندلاع حركات عصيان مسلحة زعزعت الأمن والسلطة في مناطق عديدة على مستوى البايلك[2].

ولكنّ ما يلاحظ على فترة حكم أحمد باي أنّها خلت من مثل هذه الموجات من التمرد والعصيان؛ فقد عرف هذا الباي كيف يتعامل مع هذه الفئة الحساسة من المجتمع القسنطيني، وأدرك جيدا أنّ كسبها إلى صفه يعني اكتساب طاعة الرعية، أمّا الدخول معها في صراعات فيعني هذا، الدخول في معركة مع الرعية لا بد في أن يكون الخاسر فيها الباي وسلطته[3].

وكانت تتدخل السلطة في تعيين المرابطين وتمكينهم من بسط سلطتهم على

1- ورد ذكرهم في كلّ من الرسالة رقم: (4-30) في الترتيب العام للمجموعة.

2- حول هذا الموضوع ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص: 28.

3- لم يعثر في مجموعة المصادر والمراجع المعتمد عليها على مادة تاريخية تثبت أنّ أحمد باي دخل في صراع مع المرابطين، أو أنّ فترة حكمه شهدت موجات من التذمر والعصيان بين صفوف هذه الفئة الفعالة.

المنطقة التي أقرتهم عليها، مثال ذلك نص هذه الوثيقة التي من خلالها يتم تعيين مرابط في ناحية جيجل، فجاء نصها كما يلي:

"اما بعد فان حاملة المعظم الفقيه الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الولي الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته وافاض علينا انعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات فرقة يقال لها اولاد عبد الله والفرقة الثانية تسمى ببري والفرقة الثالثة التي تجمع الجميع يقال لها برباشة يكون الجميع كلهم زاوية من جميع زواياه ويكون كلهم حسبما عليه وعلى اعقاب اعقابه ينتفع بمقرهم وزكاتهم له".

عن ادن المعظم الارفع الدولاتلي الحاج محمد باشا ايده الله بمنه امين.[1]

ومن خلال هذه الوثيقة يتضح جليا أنّ المرابط كان يتم تعيينه من طرف الداي أو الباي شخصيا، ويتم ذلك بإصدار فرمانات التي تؤكد على ترسيمه وتعطي له كافة الصلاحيات على المنطقة التي وكل بالسهر على رعاية وحل مشاكل الرعية القاطنة بها.

ولقد ازدادت سلطة المرابطين[2] اتساعا نتيجة لعدة عوامل منها؛ أنّ الحكم العثماني على مستوى الأوطان كان يسير بطريقة غير مباشرة، فكانوا يعملون على إقرار السلام، والسهر على تطبيق العهود الموضوعة بين القبائل، والتدخل في النزعات القائمة بينها[3]، ومحاولة تهدئة الأمور وحلها بالطريقة التي ترضي الطرفين[4]. ومقابل ذلك كان البايات يتقربون إليهم بشتى الوسائل.

1- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص:20-21.

2- **أهم المناطق التي برزت فيها سلطة المرابط على مستوى بايلك الشرق:** كانت الأطراف الساحلية للأسر المرابطية، وأشهرها في نهاية العهد العثماني أسرة "أمقران" شرق الشقفة بشرق جيجل، وبن فيالا والعابد بمنطقة غرب الميلية وزوايا سيدي بغديش، وسيدي إدريس جنوب القل وغيرهم ممن انتشرت أسماؤهم. أمّا وسط المنطقة الجبلية فكان هناك خليط من المرابطين وشيوخ الجماعة، وطلبة القرآن، فكان لا يخل أيّ عرش من زاوية يكون مقدمها هو الحاكم الفعلي للعرش. ينظر: المرجع نفسه، ص: 47.

3- عندما كانت تقوم نزاعات بين القبائل كان المرابطون يتدخلون، سواء لإقرار الأمن، أو لفرض هدنة. ينظر: Laila Bebes, Tribus, structures sociales, P : 88.

4-Jean Moriszot , L'Aurès ou la mythe de la montagne rebelle, Edition l'Harmattan, Paris, 1992, P : 116.

*-الامتيازات السياسية: وتمثلت في بناء الزوايا[1]، التي كانت تتمتع بما نسميه حاليا "بالحصانة السياسية" والأضرحة والوقف عليها؛ فلقد حرص خلفاء خير الدين على كسب هذه العناصر الدينية بمنح زواياهم حرمة خاصة وحظرا لملاحقة كلّ من يلتجأ إليها[2]. فكانت هذه الأماكن المقدسة بمثابة حصنا لكلّ من احتمى بها، وطلب الاستجارة من المرابط القائم عليها.

وهذا ما تؤكده المعلومات التي وردت في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي لحسين باشا، فمن بين ما ورد فيها من موضوعات لجوء كلّ من بوزيان وقريبه السماري إلى المرابط خوفا من انتقام الباي، هذا الأخير اعتبرهما من الشخصيات المتمردة التي كانت تعمل على نشر الفتنة[3]. وهذا إن دل على أمر فإنّما يدل على مكانة الزاوية والمرابط القائم عليها، فكلّ من بوزيان والسماري أدركا بأنّ لجوءهما إلى هذا المرابط سوف يحميهما من انتقام الباي[4].

ولكنّ هذه القاعدة لم يعمل بها في كلّ الحالات، فأحمد باي لم يكن ليرحم كلّ من حاول زعزعة حكمه حتى وإن لجأ إلى المرابط وزاويته، وهذا ما ذكرته أحد المصادر عندما كتبت حول هجوم قوات الباي على جماعة صنفت ضمن المتمردين على السلطة وإبادة معظمهم، على الرغم من تحصنهم بزاوية "سيدي زواوي"[5]. وإن صدقت هذه المعلومات فسوف يجعلنا نأخذ بعض التحفظ على القاعدة التي تقول بأنّ كلّ من قصد مرابطا أو زاوية فإنّه يكون في مأمن من غضب السلطة، وذلك طبقا لما ورد في الفرمانات والتي كانت تصدرها السلطات العثمانية.

فلقد كانت تنص هذه الفرمانات على حرمة المكان وإعطاء الأمان لكلّ من

1- **أهم الزوايا المنتشرة في بايلك الشرق:** زاوية ابن العباس بالمنعة، وزاوية سيدي أحمد بن بوزيد ومولى القرقور ببلزمة، وزاوية سيدي عيسى ببني معافة، وزاوية بلقاضي بجرمة، وسيدي مسعود بأراضي بابور، زاوية البنيان، سيدي ناجي بالخنقة، وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص: 65.

2- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني للاحتلال الفرنسي، د مط، ط:1، 1969، ص: 77.

3-الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 24 جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م.

4-الرسالة نفسها.

5-Bouaziz Ben Gana –Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 35.

قصده، ومثال ذلك نص هذه الوثيقة التي يتبين لنا جليا من خلالها كيفية إعطاء الأمان والحرمة المطلقة لأحد أفراد عائلة الفكون[1] المدعو "عبد الكريم الفكون"[2] وعلى الزاوية[3] التي كان قائما عليها فجاء في الوثيقة[4]:

.."مع الإيصاء عليه بالحرمة الكاملة وحفظ من استجار بها كعادتها من سالف الزمان وهي منجا للهاربين ومنفذ للخائفين ومأمنا لهم وإن جميع الهاربين لها والحالين بساحتها لهم الأمان والعافية والإحسان ولو أذنب الكبير من الذنب لايخرجه أحد منها ويهتك حرمتها كما جرت بذلك العادة القديمة والطريقة السالفة المستقيمة وكذا خدامه وزواياه مثل أولاد جبارة وبني وفتين والثوارة وجميع الخماسة ولا يقربهم أحد أحد بإداية ولا بمكروه"[5] .

*-الامتيازات الاجتماعية: اعتبر المرابط من أهم الشخصيات في المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص، فكان فرضا على الجميع احترامه وتقديره، سواء الطرف المدني، أو العسكري، وبالنسبة لهذا الأخير، فكان لا يتم ذلك إلا بإصدار الأوامر والفرمانات من الدايات والبايات.

وأصدق مصدر يمكن الاستفادة منه هو ما ورد في نص الوثيقة التي أمضاها علي باشا في شوال 1168هـ/جويلية1755م[6]، وكان نصها كما يلي بعد المقدمة:

1-مرات يكتب هذا الاسم بالكاف أيّ "الفكون" ، ومرات أخرى يكتب بالقاف أيّ "الفقون". ولقد تم الاعتماد على صيغة الفكون بناءا على ما جاء في دراسة أبي القاسم سعد الله حول هذه العائلة.

2-**عبد الكريم الفكون:** هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم من عائلة الفكون القسنطينية العريقة التي توارثت العلم والوظائف المخزنية، واشتهرت بوفائها للسلطة العثمانية. ولد بقسنطينة سنة 988هـ/1580م وتلقى تعليمه بها فاكتسب ثقافة واطلاعا واسعا. تولى التدريس ثم أسندت إليه مهمة الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع الكبير بقسنطينة حتى وافته المنية سنة 1073هـ/1662م. ترك العديد من التصانيف اللغوية والفقهية منها مؤلفه منشور الهداية الذي اشتهر به. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث الجغرافي للغرب الإسلامي. تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1999، ص: 353.

3-تعتبر هذه الزاوية من مرافق الجامع الكبير الموجود بالبطحا، وهذه الزاوية موجودة براس الخرازين. ينظر: Ernest Mercier, Evaluation de la famille El Feggoun, 1878, R. C, PP : 245 246.

4-Ibid, PP : 243-251

حملت الوثيقة ختم أحمد باي مؤرخة في أواخر محرم 1242هـ/1827م. نشرها مارسي بنصها العربي وأرفقها بترجمة فرنسية. ويعتبر نص هذه الوثيقة نموذجا على سلطة المرابطين، ومن خلال ما ورد فيها من إعطاء الأمان حتى للذي ارتكب أعظم الأخطاء لدليل قاطع على مدى المكانة التي كانت عليها الزاوية.

5-Ibid, PP : 243-251.

6-بالرغم من تباعد السنوات إلا أنّ هذه الأمور لم تكن لتتغير مهما تغير الحكام، لهذا ارتأينا تقديم وثيقة تخص الموضوع نفسه ولكن متباعدة معها في الإطار الزمني، حتى يتضح بأنّ مثل هذه الأمور لم تكن لتتغير.

"حامله الأجل السيد الحاج أحمد المكي نجل القطب سيدي محمد أمقران... قدمناه مرابط بقرية جيجل ولا يتعدى عليه أحد من أهل النوبة ولا من يكسر له حرمة، لا أغا النوبة ولا غيره من سكان جيجل من العسكر، هذا كله حرمة منا"[1].

كما كان المرابط مسموع الكلمة إذا ما قصد الحاكم في شأن من شؤون الرعية، وهذا ما أكدته بعض المراجع، إلاّ أنّه وجد أن خرج أحمد باي عن هذه القاعدة، وذلك عندما عرض عليه مرابطان التوسط من أجل قبول دخول أولاد سحنون في طاعة السلطة، ولكنّ الباي رفض محتجا بأنّ هؤلاء استولوا على ممتلكات غيرهم ولا يقبلهم في طاعته إلاّ إذا أعادوا كلّ ما سلبوه لهم[2].

وأيضا كان السكان يثقون في المرابطين ويفوضونهم في قضاء حاجاتهم، مثال ذلك ما فعله مشايخ بني مسعود[3] عندما قصدوا بعض مرابطي المنطقة وكلفوهم بحمل رسالة "كتابا" إلى أحمد باي[4] وعرض قضيتهم عليه، إلاّ أنّ الباي رفض التدخل وفضل أن يرفع قضيتهم إلى الباشا حسين في الجزائر[5].

كما كانت تقدم الزوايا بمباشرة القائمين عليها خدمات للسكان المعوزين، وإكرام كلّ عابر سبيل، وهذا ما ورد في الوثيقة المحررة بأمر من أحمد باي إذ ذكر فيها ما نصه:"... وهي مأوى للفقراء وللمساكين غريبا وابن السبيل..."[6]. والمعلومات نفسها دعمتها نص وثيقة أخرى بدليل عبارة:"ولطعمه الفقراء والمساكين"[7]، هذا من باب الإعانة الاجتماعية. أمّا فيما يخص التعليم، فقد احتلت الزوايا مكان الصدارة وكانت من بين مراكز الثقافة من ناحية تعليم المعوزين

1- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص:21.
2- ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.
3- **بنو مسعود:** عرش من الأعراش المتواجدة على مستوى منطقة بجاية. ينظر: الرسالة نفسها.
4- لم يذكر أحمد باي في رسالته الموضوع الذي أرادوا عرضه عليه. ينظر: الرسالة نفسها.
5- الرسالة نفسها.
6-Ernest Mercier, R.C. 1878, P P : 246-247.
7- خنوف علي، المرجع السابق، ص: 21.

والفقراء من أبناء الشعب[1].

*-الامتيازات الاقتصادية: لقد شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتى عرفت الرعية أنّ هناك سياسة خاصة، فقد كان المرابطون يحرصون على تقديم خدماتهم للإدارة العثمانية والقيام بدور المدافع عن مصالح البايلك، لكنّ الأمور لم تكن دوما تسير على هذا المنوال، فكثيرا ما شهدت عدة مناطق من الجزائر حركات عصيان خطيرة أضرت بالأمن والاقتصاد معا.

وما يبين الاتجاه الأول من الصلة الجيدة بين الطرفين، نص الوثيقة المذكورة أعلاه مفادها:"...هذا كله حرمة منا ولوقوفه مع النوبة في إتيان الأرزاق..."[2]. ومن هذا المنطلق يتبين أنّ السلطة الحاكمة الممثلة في شخص أحمد باي كانت تعتمد على المرابطين في جمع المطالب المخزنية من الرعية. وبالمقابل عمدت إلى إسقاطها عنهم وعن كلّ الزوايا القائمين عليها[3]، طبعا كلّ هذا كان يتم بإصدار الأوامر إلى القائمين على جمع هذه المطالب.

ومن بين هذه الفرمانات التي نصت على ذلك ما ورد في نص الوثيقة المذكورة أنفا، والتي تحمل ختم أحمد باي حيث ذكر فيها ما نصه:"...ولا يطلب الباي لار زواياه بشيء من المطالب إنعاما تاما وتجديدا مباركا"[4].

كما نشر ناصر الدين سعيدوني وثيقة حملت ختم أحمد باي وتؤكد ما ذكر في الوثائق المعروضة سابقا، وكان نصها ما يلي؛ بعد الحمدلة والصلاة على أشرف خلق الله:

" يعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم، العلي شأنه النافذ حكمه وسلطانه من العمال والقواد وسائر المتصرفين في الأحوال من العرب والأجناد سدد الله الجميع ووفق الكل لصالح العمل وحسن الصنيع أنّا أنعمنا على

1-جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج:1، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، 1990، ص: 193.

2-خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 21.

3-أكدت هذه المعلومات جلّ المراجع المستعملة في هذا البحث نذكر على سبيل المثال: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 77).

4-Ernest Mercier, Féraud, R. C. 1878, P: 247.

العز سي محمد الصالح وإخوته عبد القادر بن محمد الصغير وحما وابن عمهم إبراهيم، أولاد المرحومين السيد محمد وسي أحمد ولدى المرحوم الصالح السيد إبراهيم بن السيد أحمد بن السعيد الشريف[*] وجردنا لهم بمقتضى ما بيدهم من الأوامر إخواننا الباي لار المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، قلت أجبت بحيث لا يتعدى عليهم أحد ولا يطالبهم بشيء. فحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل به ولا يخالف عليه"[1].

وما يلاحظ على كلّ هذه المعطيات أنّ أحمد باي حاول استمالة المرابطين، بخلاف ما فعله الكثير من البايات الذين سبقوه على حكم البايلك، فلقد استفاد كثيرا من أخطائهم وحاول أن يتفادها، مثال ذلك ما كانت عليه قبيلة أولاد سيد عبيد من مكانة معتبرة إذ لم يكن اهتمام الحكام العثمانيين بتلك القبيلة في البداية الأمر إلاّ نادرا جدا، فكانت تعيش في زاوية "قتينس" في سلام دائم مقابل تقديم بعض الهدايا إلى بايات قسنطينة، من أجل أن تحظى بالأمن والاعتبار وسط القبائل المجاورة. وقد استمرت تلك الحالة إلى غاية أن تولى صالح باي الحكم، فشن حملة على قبيلة النمامشة، وفاجأ في آن واحد تلك الزاوية مجبرا أولاد سيد عبيد على تقديم اللزمة التي قدرت بقيمة فرنكين للخيمة الواحدة.

هذه السياسة أدّت بالكثير من القبائل المرابطية إلى الهجرة وإخلاء المكان طلبا للأمن والاعتبار. بعكس ما عمل به أحمد باي، فقد أصبحت على عهده معفاة من المطالب المخزنية[2]. وكان هذا كلّه يخضع لاعتبارات دينية وأهداف سياسية، بحيث كان كلّ طرف يدافع على مصالحه، بغضّ النظر عن من هو المنتفع الحقيقي وراء هذا التحالف.

*ينتمي كلّ هؤلاء الأفراد إلى أسرة أحمد بن بوزيد التي كانت تتمتع بكلّ الاحترام والتقدير لدى سكان بلزمة، هؤلاء اعتقدوا في صلاح وتقوى مؤسس هذه الأسرة الشيخ أحمد بن بوزيد، والذي يوجد ضريحه بزاويته الواقعة بالقرب من قرية واد الماء. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 297. كما نشر هذا الباحث وثيقة من النوع نفسه من تحرير وإمضاء الباي المنماني تخص هذه العائلة بالامتيازات نفسها. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ هذا العمل كان جاري به بين البايات حتى أصبح عرفا يتداول بينهم على مر الأزمنة.

1- المرجع نفسه، ص: 303. الوثيقة حملت ختم أحمد باي ومؤرخة في أواسط شوال من سنة1243هـ/1827م.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص ص: 50-51.

وعموما ما يمكن استنتاجه هو أنّ العلاقة بين الطرفين كانت مبنية على المصالح المشتركة، فأحمد باي لم يكن زعيما دينيا أو شيخ زاوية أو صاحب طريقة، وإنّما كان قائدا حربيا يعتمد نفوذه على خبرته التي أهلته ليكون حاكما على أغنى وأوسع المناطق في القطر الجزائري، فبفعل غياب عامل الزعامة الدينية وقف المرابطون من أحمد باي موقف المساند والمتعاطف، وليس موقف التابع والمطيع. لهذا كان عليه أن ينتهج معهم سياسة خاصة من خلالها تمكن من كسب ثقتهم، وبالتالي ضمن مساندتهم له وإخلاصهم في خدمته، فقضى بذلك على عدّة عوامل يمكن لها أن تزعزع النظام العام وبالتالي الاستقرار في المنطقة. فأهم ما يلاحظ على فترة حكمه أنّه لم تحدث هناك تمردات أو حركات عصيان من طرف بعض الطرق مثلما حدث في العهود السابقة.

3)-مكانة العلماء:

كان العثمانيون في بداية الأمر يجلبون معهم علماءهم من أجل قيامهم بشؤون المذهب الحنفي الذي كانوا يتبعونه على أنّ الوظيفة التي كان يتولاها العالم هي الفتوى والقضاء.

فبايلك الشرق كغيره من المناطق الأخرى الموجودة في الجزائر كان له علماؤه الذين عرفوا بعلمهم وتقواهم، بل كانت مدينة قسنطينة من بين مراكز الإشعاع العلمي في الجزائر ليس على العهد العثماني فقط بل على مر كلّ العهود. فلقد اشتهرت بمجموعة من العائلات التي كانت لها شهرتها العلمية، توارثتها على مدى الأجيال، والتي كان من الضروري كسب تأييدها ومساندتها. لهذا كان يتقرب إليها أحمد باي بشتى الهدايا والعطايا المختلفة، كما أسقط عليها بعض المطالب المخزنية، بالإضافة إلى منحها الزعامة الروحية، كما كان يستشيرها في مختلف القضايا، لما كانت تتمتع به من حكمة ورجاحة عقل. ومن بين العائلات التي اشتهرت بالعلم الواسع والورع والعمل للمصلحة العامة بمساعدة السلطة، عائلة

بن فكون[1] وعائلة بن مومن[2].

ولم يكن كلّ الحكام على سواء في علاقتهم مع العلماء[3]، بالرغم من أنّ ذلك كان يضر بالمصلحة العامة للبلاد، ويعرقل السير الحسن للحركة العلمية والثقافيـة، والتطور الاقتصادي والاستقرار السياسي، فلقد انقسم الحكام إلى قسمين، قسم سلط على العلماء كلّ أنواع الاضطهاد الفكري والاقتصادي. وقسم آخر أبقى على علاقة طيبة معهم[4]، ذلك لأنّه علم بأنّه لابد من التحالف معهم حتى تسير الأمور بصورتها الطبيعية، ومن بين هؤلاء أحمد باي.

1-دور العلماء في الحياة العامة: لعبت هذه الفئة دورا فعالا في جميع ميادين الحياة اليومية. ومن أبرز هذه الأدوار نذكر:

أ-على الصعيد العلمي: لقد كان التعليم من اختصاص العلماء، وكانوا يلقبون بالمدرسين[5]. ولقد خصصت لهم السلطات العثمانية رواتب يتقاضونها، تضمن لهم الحياة الكريمة، وتجعلهم يتفرغون للعلم والتدريس[6]، هذا الأخير كان يتم على مستوايين:

على مستوى الرعية: وكان يتم في المساجد[7]؛ إذ كانت هذه الأماكن المقدسة، فيما عدا أوقات الصلاة، ميدانا لحلقات الدروس اليومية، وتحصيل مختلف العلوم، التي كانت تدرس خلال ذلك العهد، ولا سيما في المدن.

1- **عائلة بن فكون:** من أقدم العائلات في قسنطينة. اشتهرت بالعلم والصلاح. تنتسب إلى بني تميم ومن ثمة فهي من القبائل العربية العريقة وجدهم الفكون من قبل الأم من الأشراف الحسنيين. وكان قد تولى في قسنطينة وظيفة المزوار. ومهما يكن فإنّها عائلة قديمة في التاريخ. ينظر: عبد الكريم فكون، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1406هـ/1976م، ص، 38.

2- **عائلة بن مومن:** من بين أشهر العائلات في قسنطينة، ومن بين الصفوف القوية، تمتع أفرادها بالمكانة والحظوة والسلطة والنفوذ الديني والسياسي والاجتماعي لسنوات طويلة، كانت إقامتهم بحي الجابية بمدينة قسنطينة. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 38.

3- ورد الحديث على موضوع العلماء في كلّ من الرسالة رقم: (11-18)، ورسالة مجاورة للرسالة رقم:(8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

4- من بين الذين شجعوا ازدهار العلم في بايلك الشرق، صالح باي الذي قام بإنشاء المدرسة الكتانية، كما ألحق بالجامع الأخضر مدرسة أخرى. ينظر: حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 37.

5- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

6- الرسالة نفسها.

7- الرسالة نفسها.

كما كان تحصيل العلوم يتم أيضا في المدارس التي خصصت لإلقاء دروس الفقه واللغة، وما شابهها من العلوم الدينية، والرعية كانت تفضل هذا النوع من الدروس[1]. وقد عرف على أهل قسنطينة أنّهم كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أينما وجدت، حتى إنّ فرنسا عند احتلالها للمدينة وجدت 17 مكتبة خاصة تحتوي على ما لا يقل 14000 من المجلدات القيمة[2].

على مستوى أعيان المدينة والحكام: كان يتم ذلك في منازل بعض الوجهاء وأعيان المدينة من ذوي النفوذ والسلطة المحلية، وقد استمرت هذه العادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي؛ فقد كان الباي أو القاضي أو المفتي يجمع لديه بعض الرعية بعد تناول العشاء في منزله، ثم يشرع هؤلاء العلماء في قراءة كتابا قد تم الاتفاق عليه، هذا في غير شهر رمضان، أمّا فيه فإنّهم يواظبون على صلاة التراويح هناك، وبعد الانتهاء منها يشرعون في إلقاء الدروس الدينية حسبما جرت به العوائد[3].

2-دورهم على الصعيد الإداري: نظرا للحكمة التي كان يتمتع بها العلماء فقد كان يستفاد من خبرتهم في شتى المجالات، بحيث لعبوا دورا بارزا في المجال الإداري، إذ كانوا يشاركون في تعيين أو مباركة مشيخة المدينة، التي كانت تعمل على تنظيم الشؤون العامة للسكان. فقد تقلد هذا المنصب على عهد أحمد باي المدعو أبي عبد الله السيد محمد وذلك سنة 1246هـ/1830م، وقد وصفه أحمد باي بـ "العلم الجليل والخطيب الأصيل"[4].

وعملت السلطة العثمانية باستشارة العلماء في أمر تعيين الشخصيات المهمة واتخاذ القرارات الحاسمة، فبدون مباركتهم لا يمكن للباي أن يستمر في حكمه لمدة طويلة، وحتى وإن استمر فسوف تكون فترة حكمه كلّها صعوبات ومشاكل والتي لا

1- بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، ص: 61.

2- المصدر نفسه، ص: 60.

3- أبو القاسم سعد الله، مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهداية للفكون، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: 1-2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات، العدد مطبوع بالشركة التونسية، شهر مارس 1121هـ/1988م، ص: 388.

4- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص: 71-72.

كنه حلّها دون الرجوع إليهم.

ومثال ذلك نص وثيقة التي أمضاها أحمد باي وصادق عليها بعض علماء ينة قسنطينة، والتي جاء فيها: "ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور بارك الأفخم الجالب للخير والسرور والمضاعف بحول الله وقوته للبركة لحبور، وبه تكون إنشاء الله عافية البلاد وهناء العباد وعمارة الوطن وذهاب ؤس والمحن، وهو أن الأمير المتفق على إمارته، والنظر في كافة المصالح، عامة المطالب والمآرب، وهو السيد الحاج أحمد باي المذكور لا خلاف عند أحد ذلك، وأنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة، لا يطالبون بمغرم ولا جابدة لا غير ذلك من التكاليف الفارطة ولا يأخذ منهم شيئا سوى الزكاة والعشور بوجه حكمه قانون الشرع العزيز للاستعانة على جهاد الكفرة دمرهم الله. كتب بإذن سادات العلماء والأمير بتاريخ[1]، أواخر جمادى الأولى 1246[*].

كما كانت وظيفة القضاء حكرا على العلماء؛ لما كان لها من أهمية في الحياة عامة والخاصة للرعية. حتى في القضايا التي كانت تخص بعض أعضاء السلك عسكري، إذ نجد أحمد باي يستشير العلماء ويكلفهم بمهمة البحث في قضية الغش تي حصلت في خبز النوبة وأن يقدموا له تقريرا على ذلك، وبعد إتمام المهمة ملّهم مسؤولية كتابة تقرير آخر للباشا حسين عن كلّ ما سجلوه من مخالفات[2].

وهذا النموذج من عمل العلماء لدليل واضح على تدخلهم في الشؤون العامة الخاصة للرعية. ومن بين الذين اشتهروا في هذا المجال على عهد أحمد باي كر: " مصطفى مفتي السادات الحنفية"، و"السيد أحمد العباسي قاضي السادة مالكية"[3].

من خلال وثيقة أمضاها أحمد باي وصادقت عليها مجموعة من العلماء. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ نطينة، ص ص: 71-72. وقد ألحق أحمد باي بهذه الأسماء لقب،" العالم العلامة".

1246هـ موافقة لسنة 1830م.

ينظر الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص ص: 137-138.

3-دورهم على الصعيد الاجتماعي: بحكم مكانتهم، حظي العلماء باحترام وتقدير جميع عناصر المجتمع الجزائري، لهذا كانت كلمتهم مسموعة ومطاعة. فعمل العلماء على نشر الوعي بين أوساط الرعية خاصة أثناء الخطب التي كانت تلقى في المساجد عند صلاة الجمعة، بحيث كان معظم علماء مدينة قسنطينة أئمتها وخطباءها.

ومن بين الذين اشتهروا بهذا على عهد أحمد باي نذكر على سبيل المثال، أبو المنصور عمار الشريف(1242هـ/1826م)، الذي كان إماما وخطيبا برحبة الصوف، اشتهر بنبوغه في الفقه والأدب والأصول. أيضا المدعو محمد بن المسبح (1242هـ/1826م) والذي اعتبر من بين أكبر الأئمة والخطباء بمدينة قسنطينة، ومن رجال العلم والورع والصلاح [1].

بالإضافة إلى دورهم التعليمي والتثقيفي، كانوا ينشطون أيضا ويتحركون عندما تحل الأزمات بالبلاد، خاصة الطبيعية منها، كالمجاعات، والأوبئة والفيضانات؛ فيسخرون كلّ الطاقات الموجودة من أجل تقديم المساعدات للضحايا، ويعملون مع أثرياء المدينة ووجهائها على تقديم الدعم المادي للسكان [2].

4-دورهم على الصعيد السياسي: حتى المجال السياسي شارك فيه العلماء، فكثيرا ما نجد البايات يستعينون بهم من أجل حل النزاعات القائمة بين العائلات، خاصة، والرعية عامة؛ كما كانوا يقومون بتعبئة السكان في حالة وجود خطر أجنبي، من أجل أن تكون السلطة والرعية يدا واحدة للتصدي لذلك.

مثال ذلك ما فعله أحمد باي عندما قصد علماء مدينة قسنطينة من أجل توعية السكان بضرورة التحلي باليقظة والحيطة وكان ذلك أثناء الحصار الفرنسي المضروب على السواحل الشرقية سنة (1243هـ/1827م)، كما طلب من العلماء بضرورة توعية السكان بالدفاع على البلاد من الخطر الخارجي [3].

---

[1]-أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا، ص ص: 71-72.

[2]-أبو القاسم سعد الله، مجتمع قسنطينة من خلال كتاب منشور الهداية للفكون، ص: 38.

[3]-الرسالة الرقم:(11) . مؤرخة في: 29 من ذي القعدة سنة 1242هـ/1826م.

لأجل هذا كلّه كان على أحمد باي أن يتعامل مع العلماء بكلّ احترام وتبجيل، لما كانت لهم من مكانة بين أوساط المجتمع القسنطيني، فهو يعلم جيدا أنّه بدون الحصول على تأييدهم ومساندتهم له سوف يعرضه ذلك إلى مشاكل عدّة، قد تعجل بزوال ملكه وسلطانه، وهذا ما تبين من خلال العريضة التي قدّمها أعيان قسنطينة وعلماؤها إلى السلطان العثماني، قصد إعطائه لقب الباشا، وتوليه حكم المنطقة باسم الخلافة العثمانية بعد سقوط مدينة الجزائر[1].

وانطلاقا ممّا تم عرضه من معطيات فإنّه يتبين أنّ أحمد باي كان يقدم العلماء ويسمع كلمتهم ويأخذ برأيهم، لأنّه كان يعلم جيدا مكانتهم بين المجتمع الجزائري، وأنّه بمساعدتهم سوف يلغي الكثير من الصعاب والمشاكل. فالعقل والحكمة يقولان بأن يستفيد الحاكم من كلّ الطاقات التي لها تأثير على الرعية.

2/2)-المبحث الثاني: علاقة أحمد باي مع مختلف القبائل القسنطينية

لقد احتوى بايلك الشرق كغيره من المناطق الجزائرية تشكيلة بشرية مميزة، لهذا كان لا بد على الحكام مراعاة ذلك من أجل بناء علاقة سليمة بين السلطة والرعية. فكان من الحكام من أدرك ذلك، فعمل بهذه القاعدة، ومنهم من غاب عنه هذا، فعجّل بنهاية حكمه. وأحمد باي على غرار البايات الذين حكموا بايلك الشرق قد نشأ في الوسط الجزائري وبين المجتمع القبلي، فسمح له ذلك بالتعرف على مميزات المجتمع القسنطيني، لهذا حاول أن يترجم تلك المعرفة على أرض الواقع، مستعملا في ذلك جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق التوازن الذي طمح إليه كلّ من حكم المنطقة. ولا يمكن الجزم بنجاحه، ولكن الإشادة على الأقل بقدرته على إرساء الأمن، ولو بصورة نسبية، مقارنة بالعهود السابقة.

ومن ثمة اتخذت سياسة أحمد باي مع القبائل ثلاث اتجاهات على حسب نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين الطرفين. فلقد انتهج في بعض الأحيان اللين،

---

[1]- من خلال وثيقة نشرها عبد الجليل التميمي في مرجعه"بحوث ووثائق في التاريخ المغربي" وقد أمضاها عثمان خوجة باسم الشعب الجزائري بكلّ ما كان يحويه من فئات، وكانت من ضمنها فئة العلماء والتي بدونها لا يمكن أن تكون لهذه الوثيقة مصداقية. ينظر: ص: 196.

محاولة منه كسب ود بعض القبائل وتفاديا للدخول في صراعات على كلّ الجبهات، مما سيعجل حتما بنهاية ملكه. وفي أحيان أخرى اتسمت بالحذر مع أخذ التدابير الكفيلة لتفادي الدخول معها في مواجهات عسكرية يمكن تفادي خسائرها. ومرات أخرى اتصفت بالعنف فاتخذت صفة شن الحملات التي كانت لأغراض تأديبية أكثر منها سياسية، وبخاصة مع تلك القبائل المتمردة التي شقت عصا الطاعة، رافضة بذلك دفع ما عليها من مطالب أو لقيامها ببعض الأعمال المنافية للنظام العام.

1)-معاملة السلطة للقبائل الحليفة والرعية:

أمّا عن علاقته بالقبائل الحليفة فلم يذكر أحمد باي في رسائله أيّة معلومات يمكن من خلالها رسم صورة واضحة على نوع العلاقة التي كانت تربطه بها[1]، لأنّ محور رسائله كلّه كان مركزا على التفصيل في طبيعة علاقاته مع القبائل المتمردة. وقد كانت هناك محاولة للبحث على مادة تاريخية يمكن من خلالها سد هذا الفراغ، وما عثر عليه سوى مجرد عموميات، فحاولنا أن ننسق فيما بينها، حتى يتسنى محورة هذا العنصر، بطريقة يفهم من خلالها نوعية هذه العلاقات.

فعندما يكون الكلام على القبائل الحليفة، فنعني بها تلك التي كانت تساند أحمد باي بطرق شتى سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. ومعنى ذلك أنّها كانت تدفع ما عليها من مطالب مع الإبقاء على بعض الامتيازات التي كانت تخصص لها، بالمقابل كانت تمد أحمد باي بكلّ ما كان يحتاج إليه من دعم ومساندة. وهذا بالطبع كان يرتكز بكلّ بساطة على نوعية العلاقة التي كانت بين الباي وزعماء هذه القبائل[2].

فلقد كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي تتعامل مع هذه القبائل عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك إمّا على نفوذهم الديني، أو لكفاءتهم الحربية، أو لأصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات أحيانا الطابع الحربي، وفي أحيان

[1] من أجل الإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل في بايلك الشرق ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (4)، ص: 301.

[2] من أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: علاقة أحمد باي مع العائلات من هذه الجزئية.

أخرى اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة، مثال ذلك ما كان جاري العمل به على مستوى منطقة البابور.

كما ساعدت طبيعة الشرق الجزائري الجبلية على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أصبحت تسيطر على ثلثي بايلك الشرق حتى اضطر البايات إلى التعامل معها، والاعتراف بزعامة شيوخها؛ مثل مشيخة النمامشة، والحراكتة وقصر الطير [1] وأولاد بوعزيز ببلزمة[2]، وأولاد بوضياف[3]، وأولاد قاسم[4]، وأولاد عبدي[5]، وأولاد عاشور بفرجيوة، وأولاد مقران بمجانة، وبني جلاب بتقرت، وأولاد ابن غانة بالبيبان[6].

وبهذا أصبح التعامل مع هذه القبائل من خلال زعمائها، لأنّ الزعيم كان يمثل بالنسبة لها ذلك الرمز الذي يؤمن به أفراد القبيلة، فاحترام هذا الرمز والعمل على كسبه بكلّ الوسائل، يعني ضمان ولاء أفراد القبيلة كلّها بحيث عندما يمس هذا الرمز فإنّ كلّ أفراد القبيلة ينتقمون له، وكأنّهم ينتقمون لكرامتهم التي مست في صميمها.

وهذا ما حدث في الكثير من الحالات أثناء حكم أحمد باي، ومن بين الأمثلة على ذلك، ردود فعل كلّ من قبيلتي بورنان وبن قندوز عندما أصدر أحمد بايِ حكما بإعدام بلقندوز، فشقت عصا الطاعة، وبهذا دخل معها في صراعات طويلة[7].

ومن المفروض أنّ كلّ حاكم عندما ينصّب على إحدى المناطق، يكون شغله الشاغل العمل والسعي على تلبية حاجيات الرعية ومتطلباتها، والبحث عن الوسائل الكفيلة لتحقيق الأمن والاستقرار، الذين بدونهما لا يكون الازدهار الاقتصادي ولا نشاط الحركة الثقافية. ولكن ما عرف على بعض الحكام الذين حكموا البايلك

1- **مشيخة قطر الطير**: كانت تسيطر على الهضاب العليا الغربية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 272.

2- **مشيخة بوعزيز**: كان يمتد نفوذها من بلزمة إلى شمال بريكة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

3- **مشيخة أولاد بوضياف**: كان يمتد نفوذها بالأوراس الأوسط والشمالي. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

4- **مشيخة أولاد قاسم**: امتد نفوذها جنوب شرق قسنطينة بنواحي الشلية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

5- **مشيخة أولاد عبدي**: امتد نفوذها بجهات المنعة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

6- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ص: 108.

7- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 370.

أنهم عملوا عكس ذلك، لأنهم لم يستطيعوا تفهم طبيعة البنية الاجتماعية التي كان يتميز بها المجتمع القسنطيني على غرار المجتمعات الأخرى.

فلقد كانت قبائل الرعية تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة لسلطة البايلك، المقيمة بالأوطان[1]. وممّا لا شك فيه أنّ أحمد باي كان يتمتع بصفات ساعدته على أن يحكم بايلك الشرق لمدة طويلة بالرغم من كلّ ما كان يحويه هذا الأخير من متناقضات[2]؛ فكونه ابن لأب تركي، وأم عربية جزائرية مكّنه من الوقوف تماما على عادات الأهالي، كما ساعده ذلك على أداء مهامه بكلّ لباقة[3]، فلم تكن تنقصه مميزات الحاكم؛ إذ كان يتمتع بثقافة عملية مناسبة لمكانته، "فجمع بين فنون العرب وسلوك الترك، وبهذا كان حلقة وصل بين نظام البايات القائم على تكاتف الأقلية التركية، والمعتمد على القوة العسكرية، وبين واقع المجتمع الجزائري الذي كانت تتحكم فيه العادات العربية، وتستبد به التقاليد القبلية، وتسود فيه الروح العشائرية في الأوطان. فعرف كيف يتعامل مع ذوي النفوذ والتأثير والمكانة من الأعيان، والشيوخ" وبذلك عرف كيف يتعامل مع رعية[4].

ومن خلال وثيقة كتبها القسنطنيون، وبعثوها إلى حسين باشا، والتي نشرها عبد الجليل التميمي يتبين رأي قبائل الرعية في أحمد باي وموقفهم منه، فجاء نصها:

"مند فترة حكم صالح باي، ونحن نعيش على الهامش، حتى ولي علينا أحمد باي، هذا الأخير وفر لنا الأمن والاستقرار في المنطقة، وأعطى الأمل لكل اليائسين، نتيجة لذلك انشغلنا ببناء المنازل وجلب المياه، كلّ هذا تمكن لنا بفضل الله، ثم بفضل عدله وإنصافه. نطلب من الله أن يجازيه"[5].

فهذه الوثيقة تعبّر بصدق على موقف الرعية من حاكمهم، وإن كان هذا

1- من أجل الإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل في بايلك الشرق ينظر الملحق رقم: (4)، ص: 301.

2- ذهب إلى هذا الرأي كلّ من: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر آفاق ومنطلقات، ص: 59. أيضا:
Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 372.

3- كوران، السياسة العثمانية اتجاه احتلال فرنسا الجزائر، ص: 84.

4- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 59.

5-Temimi, Le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, P P : 61-62.

الموقف لا يمكن تعميمه أمّا بهذا الصدد ومن خلال فهمنا لمضمون الرسائل، والتي لا نملك غيرها في سد هذه الجزئية، أنّ أحمد باي كان يسهر على مصالح قبائل الرعية وينتقم من كلّ من يحاول سرقة أموالها وانتهاك أعراضها؛ ويحقق مع كلّ من يحاول التعدي على فرد من أفرادها[1].

مثال ذلك، شنّه لمختلف الحملات العسكرية ضد بعض القبائل التي كانت تحاول أن تتعدى على ممتلكات قبائل الرعية[2]. ومن بين هذه الحملات التأديبية تلك التي شنها على فرقة من قبيلة النمامشة، هذه الأخيرة كانت تبث الخوف والفساد، فقام بتأديبها وسبّب لها خسائر كبيرة، وبالتالي أراح الرعية منهم -على زعمه-؛ فقد قال بصريح العبارة: "إنّ كل الرعية التي تقطن تلك الناحية فرحوا بذلك لأنّهم كانوا مصدر قلق ورعب، فلقد كانوا يقطعون الطرقات، ويتعرضون للقوافل، وينهبون أموال الناس، كما كانوا يتصرفون في أرزاق الرعية بالبيع والشراء، فكان السكان دائمي الشكوى"[3]. وقد بعث بجثتهم إلى قسنطينة عبرة لغيرهم من "أهل الفساد"[4].

كما كان لا يهمه مكانة بعض الأطراف، إذا ما استغلت تلك المكانة، وتعدت على ممتلكات الرعية. وما يترجم ذلك، ما فعله للصحاري[5] عندما وصلته شكوى من الرعية القاطنة ببسكرة؛ وما جاء في مضمونها أنّ أفراد من هذه القبيلة "نزلوا بسعيهم وبيوتهم على أراضيهم"، فصارت مواشيهم تأكل الزرع، ممّا سبب لهم أضرارا كبيرة. حينها قرر أحمد باي أن يبعث "مكتوبان"، أحدهما للصحاري والآخر لشيخ العرب، وجههما مع رجل وصفه بالحكمة ورجاحة العقل، ومن خلالهما وبخ كلّ من شيخ العرب والصحاري وتوعدهم بالزجر العظيم والعقاب الشديد، إذا لم يتم

1- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (16-18) في الترتيب العام للمجموعة.
2- ينظر الرسالة رقم: (14-24-28-28) في الترتيب العام للمجموعة.
3- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في سنة 1242هـ/1826م.
4- الرسالة نفسها.
5- **الصحاري**: تكتب في المراجع بالسين أيّ " السحاري" بينما كتبت في رسائل أحمد باي بالصاد أيّ "الصحاري". وقد أخذنا بما ورد في رسالة أحمد باي. وقد كانت تشكل قبيلة مخزن؛ كلفت بحراسة الجهات الشمالية والشرقية لبسكرة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 281. وكان يتكون هذا المخزن من حوالي 800 فارس وعرف عن أفراده القوة والبأس. ينظر:
Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 87.

رحيلهم فورا وابتعادهم عن "أراضي أهل بسكرة". كما أمر عامله المبعوث إليهم بأن يعاين ويقدر قيمة الخسائر والأضرار التي ألحقوها بالمنطقة[1]، لتقدم التعويضات اللازمة للمتضررين[2]، وكان هذا العقاب ردعا وزجرا لغيرهم[3].

كما تصرف أحمد باي بالمثل مع إحدى القبائل، حتى وإن حاولت تقديم ولاءها وخدماتها. فلقد تقدم أولاد سحنون[4] بطلب خضوعهم وقبولهم للانصياع، ولكنّ أحمد باي رفض طلبهم هذا مشترطا عليهم أن "يردوا كل ما أخذوه لأولاد نايل[5] وأولاد ماضي[6] والصحارى". كما اشترط عليهم أن يكفوا أيديهم عن "أكل أموال الناس بالباطل والفساد في الأرض"، فإن نقضوا هذه الشروط "فلا أمان لهم"[7].

كما لم يبال أحمد باي بالنتائج الوخيمة، إذا ما تعلق الأمر بملاحقة أحد أعضاء السلك العسكري، فكثيرا ما حاول أن يرجع الحقوق إلى الرعية إذا ما واجهت هذه الأخيرة ظلما أو تعدي من طرف أحد اليولداش، فإنّه لا يتوان أو

1- ذكر أحمد باي أنّه عند قدوم "خديمه" إلى بسكرة حدث قتال بين أهل بسكرة وعرب الصحاري والبعض من يولداش النوبة، فجرح من هؤلاء ثلاثة وقتل من عرب الصحاري سبعة عشر رجلا، وبعد تدخل "خديم" أحمد الباي هدأت الفتنة كما سمّاها هذا الأخير. ينظر: الرسالة رقم :(16) في الترتيب العام للمجموعة.

2- إنّ القرار الذي اتخذه أحمد باي في شأن الصحاري بأن تفرض عليهم غرامة مالية كان بمثابة تعويضا لأهل بسكرة عن الأضرار التي تلقوها، وكان أيضا تقليدا لما فعله جاقر باي عندما قامت إحدى القبائل بالأعمال نفسها المخلة بالنظام العام، إذ فرض عليهم غرامة مالية عقابا لهم وزجرا لغيرهم. ينظر: الرسالة رقم:(16) في الترتيب العام للمجموعة. وبهذا يستنتج بأنّه كانت تتخذ بعض القرارات بناءا على ما كان يطبقه بعض البايات، فكأنّما تصبح هذه القرارات بمثابة أعرافا متداولة متى كانت هذه الأخيرة صالحة ومناسبة للزمن والحدث.

3- الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

4- **أولاد سحنون**: استقرت هذه القبيلة في بداية الأمر بالهدنة، ثم انضمت تحت لواء فرحات بن سعيد وذلك خلال سنة 1253هـ/1837م من أجل محاربة أحمد باي وعزله. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R. C, 1871-1872, P : 308

5- **أولاد نايل**: لقد تضاربت الروايات وتعددت الاتجاهات حول نسب هذه القبيلة، فبعضهم أخلط بين أبناء زكري وأبناء نايل والذي هو جد أولاد نايل في الشرق، فعند قدوم أولاد نايل إلى المنطقة ونظرا لقوتهم تمكنوا من طرد كلّ من الصحاري وبعض القبائل المرابطية مثل أولاد يعلى من أراضيهم واستقروا عليها. ينظر:
Emile Dermenchen, Le pays d'Abel , Le Sahara des ouled Nail des Larbaa et des Amour, Imprimerie moyenne, Libraire Gallimaird, 14 Octobre 1960, Paris, PP : 36-37.
في حين ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ مواطنهم الأصلية كانت في الأطلس الصحراوي والهضاب العليا جنوب تيطري. ينظر: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 288.

6- **أولاد ماضي**: التحمت هذه القبيلة مع بعض القبائل البربرية بالمصاهرة والجوار، فحصل بينها امتزاجا كبيرا بابتلاع العرب للبربر، وأشهرها وكلها في قسنطينة، فهي تتمركز قرب منطقة برج بوعريريج. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 133.

7- الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

يتخاذل في التحقيق حول المسألة و المطالبة بتطبيق العقوبة على الجناة[1].

ومن خلال هذه الأمثلة الحية على الواقع الاجتماعي الذي أظهرته نصوص رسائل أحمد باي، يتضح أنّ علاقة هذا الأخير مع القبائل الرعية كانت مبنية على مسؤولية الراعي اتجاه رعيته بحمايتها ونصرتها في حالة ما إذا حاول أيّ طرف أن يخترق الحدود التي رسمها في هذا المجال. وهذا العمل كان ساري المفعول طالما لم يتجرأ أحد الأطراف من هذه القبائل على عصيان السلطة الحاكمة الممثلة في شخصه، إمّا برفضها لدفع ما كان يجب عليها من مطالب، أو لقيامها بأعمال منافية للنظام العام.

2)-مساندة أحمد باي لقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن في البايلك:

يعود تكوين قبائل المخزن إلى عهد خير الدين، والذي من خلال تكوينهم حاول أن يجعل له قوات عسكرية ثابتة يستطيع أن يعتمد عليها، والتي كان لها نفوذا على المنطقة[2]. فحينما نتكلم عليهم فإنّنا نشير مباشرة إلى نطاق الولاء السياسي، فحيث تمتد هذه السلطة وتمارس وظائفها الردعية والجبائية بشكل مباشر وفعال كانت تعرف بالمخزن، وهذا الأخير هو تعبير فعلي ومجازي عن "بيت المال" الذي كانت السلطة السياسية تضع ما تجمعه من مطالب مخزنية، وحبوس، وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة سواء كانوا أفرادا، جماعات، أو قبائل[3]. في حين يرى "فايست"" Vayssette" أنّ المعنى الحقيقي للمخزن هو "الحكومة"، وأمّا المخزني فهو "رجل الحكومة"[4].

فقد اعتبرت هذه القبائل الوسيلة الفعالة واليد القوية للحكام العثمانيين، فكان بذلك المحور الأساسي الذي كانت ترتكز عليه السياسة العثمانية مع باقي سكان الجزائر، تلك السياسة التي كانت تهدف أساسا إلى فرض النفوذ[5]. لهذا كان من

1- مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

2- Vayssette, R. C. 1869, P : 42.

3- سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط: 2، أكتوبر 1988، ص:112.

4-Op. Cit, P : 41.

5- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 113.

الضروري أن يتعامل معها أحمد باي بكلّ لين وكرم، وذلك لما كانت تمثله بالنسبة لدوام حكمه وبسط سلطانه على كلّ مناطق البايلك.

وأمّا وسائله في جلب هذه القبائل، فكانت متعددة، إذ حاول أحمد باي أن يمنح لها عدّة امتيازات مقابل خدماتها المستمرة ونذكر منها:

المكافآت والتشجيعات: فبالإضافة إلى العديد من المنح التي كانت تقدم لهم من طرف السلطة كالفرس، والسلاح، وأدوات العمل الفلاحية التي كانت طبعا دون مقابل، أيضا كانت تعطى لهم أجورا تماثل الأجرة التي كانت تصرف لأفراد الجيش الانكشاري. وما يثبت ذلك ما ورد في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى حسين باشا يعلمه من خلالها أنّه أرسل "جرائد" سجلت فيها مرتباتهم من أجل مراجعتها وتسليمها لهم[1].

هذا بغض النظر عمّا كانوا ينتفعون به من الغنائم التي كانوا يتحصلون عليها أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية التي كان يشنها أحمد باي مرفقا بقواته التركية على البعض من القبائل المتمردة[2]؛ ومثال ذلك ما قدمه أحمد باي لرجال المخزن عندما أراد الانتقام من أولاد عبد النور، إذ أعطى لكلّ فارس ثلاثين ريالا أيّ ما يعادل (ستين فرنكا)، مع الاحتفاظ بكلّ ما تم الاستيلاء عليه من أمتعة[3].

إسقاط بعض المطالب المخزنية: كانت السلطة الحاكمة تقدم بعض الإعفاءات المخزنية والمساعدات المادية لأفراد هذه القبائل، مثال ذلك ما كانت تدفعه قبيلة أولاد علوين لأحمد باي من مبالغ رمزية قدرت بـ عشر فرنكات لكلّ سنتين مقابل مشاركتها في الحملات. أمّا الفرسان فكانوا يدفعون بالنسبة للحكر ما قيمته 25،16 فرنكا للمحراث الواحد، في حين بقيت قيمة العشور ثابتة[4].

الحق في استغلال بعض الأراضي الزراعية: كان أحمد باي يتعامل مع قبائل

1- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

2- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 267.

4- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 43.

المخزن عن طريق شيوخها وقادة فرسانها، الذين كانوا يتسلمون الأرض المخصصة لرجالهم ليقوموا بعد ذلك بتوزيعها على كلّ فرد من أفراد القبيلة حسب إمكانيات واستعداد هذا الشخص[1]، بعدما يتم التقيد بشروط متفق عليها[2]، من أهمها أن لا تخضع هذه الأراضي لمعاملات الملكية الفردية، بحيث لا يسمح بيعها أو تأجيرها لأيّ فرد كان[3]. وهذا ينفي ما أورده ناصر الدين سعيدوني حين ذكر بأنّه يجوز تأجيرها لكلّ فرد ينتسب لعشيرة المخزن المتعاملة مع البايلك[4].

ومقابل إسقاط هذه المطالب المخزنية (الامتيازات)، كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي تستغل خدماتها من أجل بسط نفوذها على الرعية، سواء كان ذلك من أجل جمع المطالب المخزنية أو معاقبة بعض القبائل التي كانت تشق عصا الطاعة بين الحين والآخر. فلعبت بذلك أدوارا ثلاثة:

الدور العسكري: عندما كان أحمد باي يخرج لمعاقبة القبائل المتمردة، فإنّه كان يدعم قواته العسكرية التركية بفرسان قبائل المخزن والتي كان يطلق عليها تسمية "القوم"[5]. في حين أطلق على القوات التركية مصطلح "العسكر"[6].

هذه القوات كان لها دور كبير في نجاح العمليات العسكرية التي كانت تتم على مستوى مناطق متفرقة من البايلك، بخاصة على مستوى منطقة الأوراس التي شهدت على عهده بعض حركات التمرد والعصيان. ذلك أنّ العامل البشري كان مهما من أجل إحراز النصر، فالفرد المحارب، أو الرجل الذي يحمل السلاح ويخوض المعركة ويواجهها هو أداة الحرب الأساسية وعنصر النصر الحقيقي،

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 113.

2- تمثلت هذه الشروط في أن تترك مساحات كافية للرعي تكون مشاعة بين أفراد القبيلة. أيضا لا يجوز اقتسامها بين الورثة في حالة وفاة الشخص المكلف باستغلالها. ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

3- الرسالة رقم :(28) في الترتيب العام للمجموعة.

4- المرجع السابق، ص: 113.

5- ورد هذا المصطلح في كلّ من الرسائل التالية: (4-7-13-15-16-18-19-29-30). وقد اعتمده عثمان الكعاك في مرجعه: موجز تاريخ الجزائر العام. وذكر أنّه يعبر عن قوات من الرعية جندت من أجل مساعدة السلطات في نشر الأمن والنظام. وتعرف ببعض التسميات منها: دوائر، وزمول، وعبيد، ومكاحلية، ومخازنية. ينظر: ص: 282.

6- ورد ذكره في كلّ من الرسائل التالية: (4-7-13-15-16-18-19-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

ولكن بعد أن تتوافر له القدرة والإمكانية والمعنويات التي تجعله يخوض المعركة دون تردد وبموقف ثابت خاصة إذا علمنا أنّ هذه المعركة كانت ضد الإخوة بالمواطنة. لهذا عمد أحمد باي إلى اختيار فرسانه من القبائل القوية وشديدة البأس، والتي يضمن إخلاصهم وعدم غدرهم.

وكان اعتماد أحمد باي على هذه القوات المخزنية لأسباب اتضحت جليا من خلال قراءة استقرائية لما ورد في رسائله، فكان اعتماده عليها يعود لمعرفتها بدروب وممرات البايلك، خاصة تلك التي كانت موجودة بين الجبال، فاستغل بذلك تلك المعرفة وسخرها لصالحه. فقد جعلها العين الساهرة والحارسة على بعض المناطق، من أجل الحد من حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل بين الحين والآخر، هذه الأخيرة كانت تشكل مصدر تهديد دائم لنفوذ السلطة مطبقا في ذلك بما كان يسمى بـ "سياسة الحزام الأمني"[1]، هذه الإستراتيجية[2] طبقت على مستوى نقاط مهمة نذكر منها:

حول الأبراج والحصون التي كانت تقيم بها الحاميات الصغيرة، وفي هذه الحالة يكون فرسان المخزن على أهبة الاستعداد لحمل السلاح، وخوض المعارك إذا طلب منهم قائد الحامية ذلك. ومن أشهر القبائل التي وضعها أحمد بايٍ حول هذه الأماكن، قبيلة أم نايل ببرج يسر، وهاشم ببرج بوعريريج[3].

وبالقرب من الخزائن الجبلية والممرات الصعبة وعند الجسور والقناطر الرئيسة. ومن بين أهم هذه القبائل المتمركزة في هذه الأماكن نذكر، أولاد إبراهيم[4]

1- **سياسة الحزام الأمني**: اعتمد هذا المصطلح خير فارس في مرجعه تاريخ الجزائر الحديث، ص: 76. وقد كان ملائما للوضع الذي كانت عليه هذه القبائل. فاستعمال أحمد باي لهذه الاستراتيجية مكنته في العديد من المرات من تحقيق نتائج إيجابية.

2- **الاستراتيجية**: وتعني في مدلولها:"علم وفن وضع للخطط العامة المدروسة بعناية والمصممة بشكل متلاحق ومتفاعل ومتسق لتحقيق أهداف معينة". ينظر: رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 1979، ص: 169. وإن كان هذا المصطلح لا يتلاءم والحقبة الزمنية المدروسة إلا أنّ مفهومه يحمل مضمون ما كان أحمد باي الممثل الأول للسلطة على مستوى البايلك يقوم به من أجل فرض النظام والأمن في منطقته.

3- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،ص: 107.

4- **أولاد إبراهيم**: قبيلة متفرعة، جزء منها موجود بالعلمة، أمّا الجزء الآخر فموجود بمنطقة سطيف. ينظر: Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 31.

في ممر الكنتور الموجود بين سطورة[1] وسطيف، ودائرة الزناتية[2].

أيضا حول الجبال ذات المسالك الخطرة. ومثال ذلك ما قام به أحمد باي مع قبيلة أولاد سلطان[3]. فقد استعمل معهم سياسة الحذر قلما عهدنها في حملاته الأخرى، وذلك نظرا لتمركزهم بين كهوف الجبل[4] المعروف بمسالكه الخطرة. لهذا وضع عليهم "عيونا" من رجاله يتحسسون وقت نزولهم[5]، وقد استعمل أحمد باي في تقريره مصطلح "الشواف"، وهي عبارة عن عملية الاستطلاع أو الاستكشاف بمصطلح العصر، وكان يقوم على حجم المعلومات التي تكون تحت بصر الباي، وحجم المعلومات كان يتوقف على الجهد الذي كان يبذل في جمعها، فلا بد أن تكون صادقة، فعلى ضوئها يدرس الموقف ويوضع له خطته.

وهذا ما حصل فعلا، فلقد تمكن هؤلاء "الشواف" من قبائل المخزن أن يرصدوا تحركات أفراد هذه القبيلة، وعندما تأكدوا من نزولهم "لكيل زرع" أعلموا أحمد باي بذلك، هذا الأخير اتخذ كافة الإجراءات والتدابير الكفيلة لتأديبها[6].

وما ذكره أحمد باي في موضوع الشواف يؤكد صحة ما ورد عند ناصر الدين سعيدوني بهذا الصدد إذ ذكر" بأنّه كان يتم خط سير المحلات من استقصاء المعلومات التي يوفرها الشواف، العارفين بمضارب خيام القبائل"[7].

أيضا بتطبيق سياسة "الحزام الاقتصادي"، ويظهر ذلك جليا في استخدام

1- **سطورة**: تقع في خليج طوله 34 ميلا وعرضه 13 ميلا، وتبعد عن سكيكدة بـ 3 كلم برا وميلين بحرا. ينظر: E. Dubouchage, *Etude sur les ports de commerce de la province de Constantine*, R. A. C, Octobre 1859, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1838, P: 231.

2- **الدائرة الزناتية**: موجودة على ممر رأس العقبة بين القالمة وقسنطينة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 107.

3- **أولاد سلطان**: قبائل بربرية مستعربة، سكنت منطقة النقاوس. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 126. وسبب تسميتهم بأولاد سلطان أنّ جدهم الأول تزوج بأختين، فاطمة وسلطانة. أمّا الأولى فكان لها أربعة أولاد، في حين كان لسلطانة سبعة، فوقع بينهم قتال فمات من أولاد سلطانة ثلاثة، عندها تفرق أولاد فاطمة وتركوا المكان، بينما بقي أولاد سلطان في جبلهم، والذي لا يزال لحد الساعة يسمى باسمهم. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 90. وطيلة سنة 1243-1244هـ/1827-1828م صمدت هذه القبيلة للحملات التي كان يشنها عليها أحمد باي. ينظر: Vayssette, R.C. 1869, P : 587.

4- لم يذكر أحمد باي في رسالته اسم هذا الجبل.

5- الرسالة رقم:(26) في الترتيب العام للمجموعة.

6- الرسالة رقم:(26). ومن هذا المنطلق يستنتج بأنّ الموقع الجغرافي وبخاصة الجبال كان لها دور كبير في حالة العصيان الذي كانت عليه القبائل. فالدور نفسه لعبته هذه الجبال أثناء الثورة الجزائرية المظفرة.

7- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 123.

التدابير الاقتصادية الفعالة ضد بعض القبائل التي كانت لا تطالها يد السلطة. فكان أحمد بايِ يستغل الأوضاع الاقتصادية للضغط عليها وإنزال العقاب بها. وعند تطبيق هذا الحزام كان يمنع أيّ نوع من التعاملات الاقتصادية مع القبائل.

ومثال ذلك، ما حدث بتاريخ 30 شوال من سنة 1244هـ/1828م. وكان ذلك عندما وقع خلافا بين أفراد قبيلة أولاد سحنون حول قبول شروط الخضوع والولاء التي فرضها أحمد باي، ففريق استجاب لهذه الشروط، والفريق الآخر عارض. وكان من وراء هذا الموقف المعارض المدعو أحمد بن الشريف بن بو عبد الله[1]، فقد ذكر أحمد باي بصريح العبارة: بأنّه هو الذي أشار عليهم "برأيه الفاسد أن يفرقوا إبلهم وغنمهم وجميع سعيهم ويخبؤه عند الجبابلية بعدما ضاع جله بالجوع والنهب". فاستجابوا لرأيه ورحلوا مع عائلاتهم[2] وسكنوا أوعار جبل بوطالب[3].

حينها عزم أحمد باي على معاقبتهم، لكنّه بعدما درس المسألة من كلّ جوانبها وأدرك خطورة الموقع الذي تحصنوا به، وأنّه سوف تقع له خسائر في صفوف قواته من غير تحصيل فائدة، ولحرصه الشديد على سلامة قواته بدليل هذه العبارة:" شفقنا عل القوم والعسكر". أيضا بقوله:" ولو مات منا واحد فيزيد فيهم ولو مات منهم الكثير[4]؛ لكلّ هذه الأسباب تراجع عن قراره ولكن لم يعن ذلك الاستسلام؛ فقد فكر في طريقة أفضل للنيل منهم، إذ وضع "عليهم شوافا من وطن ريغة"[5] وكان

---

[1]-**أحمد بن الشريف بن بو عبد الله:** من بين الزعماء البارزين في قبيلة أولاد سحنون. وكان له رأي يؤخذ به بين جزء من القبيلة. ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

[2]-الرسالة نفسها.

[3]-**جبل بوطالب:** عبارة عن سلسلة جبلية موجودة في منطقة الهدنة تمتاز بمضاربه الوعرة ومسالكه الخطرة، وكهوفه الكثيرة. ينظر: Endré Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des population rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), Presses universitaires de France, Paris, 4ème série, 3ème volume, 1961, P : 4.

[4]-الرسالة رقم :(30) في الترتيب العام للمجموعة.

[5]-**سكان ريغة:** غالبا ما تكون القبائل المستقرة في هذه المنطقة سوداء البشرة ولكن دون أن تكون من طبقة الحراثين، وهي تسمى الحشاشنة، هذه الأخيرة كانت تملك وسائل عمل فلاحية تقليدية ولكنّها جد فعالة. ومن أهم فروعها نجد: بين تقرت وجمعة، ففي الشمال نجد عرب الشراقة، وفي الجنوب أولاد سايح، وأولاد سعيد وأولاد عمور. ينظر: Jean Jacques Premas,Structures agraires et de colonisation L'oud Rhir, L'hamattan office des publications universitaires, Alger, Editeur, Librairie Paris, ISBN, 1979, P : 37.

منهم، شيخ ريغة وأولاد يلس[1] وأولاد موصلي وجميع الرعية المستقرة في المنطقة، وبعض من شواش الدايرة وأوصاهم في حالة ما إذا ظهر أحد من أفراد قبيلة أولاد سحنون "لكيل زرع"[2] أو لقضاء حاجة فلا يقتلونه، وأمّا الذي ظهر من أجل نشر الفساد "فتلزمه العقوبة"[3].

فأخذ المكلفون بالحراسة بتحسس أخبار أفراد هذه القبيلة[4]، فلمّا اشتد على هؤلاء الحصار ونفذت مؤونتهم، ولم يكن لهم موضعا آخر "يكتالون منه إلاّ وطن ريغة"، رضخوا أمام الأمر الواقع واستسلموا لإرادة أحمد باي قابلين بذلك شروطه[5]. وبهذا يتبين نجاح هذه السياسة، خاصة عندما تكون المواجهة العسكرية لا تؤت بالنتائج المرجوة ولكنّها تؤدي إلى خسائر بشرية ومادية، وهذا ما أكدته هذه العبارة:" وبهذا الحراسة والتضبيق والتطويل عليهم لا بد ان ينقادوا للخدمة التامة ان شاء الله"[6].

كما تمركزت أيضا بجوار الأسواق الرئيسة، والأسبوعية والفصلية؛ أين كانت تتم الحراسة بصورة مستمرة خوفا من تعرضها لهجمات بعض القبائل المتمردة قصد السرقة أو نشر الخوف والقلق بين أوساط الرعية ومن ثم زعزعة أركان السلطة الحاكمة في المنطقة[7]. ومثال ذلك، تمركز الدائرة الصحراوية

---

[1] **أولاد يلس:** أصلهم من عائلة تركية، ملكت بزمام الأمور. كان أبوهم يدعى يلس، قدم من الجزائر ثم انتقل إلى زمورة، ومن هناك إلى المسيلة أين تزوج بامرأة تنتسب إلى عائلة ذات نفوذ كبير في المنطقة، وبعد فترة عين من طرف باي قسنطينة قايدا على أولاد دراج. توفي يلس تاركا ولدين، أحدهما اسمه محمد صغير والآخر أحمد خوجة الذي عين قايدا على منطقة البابور. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine (Stif- Borj Bou Arreridj- Msila- Bou Sàda), R. C, 1871-1872, P : 87.

[2] امتازت المنطقة مند القدم بطابعها الفلاحي، وجني الثمار. فهذا ابن خلدون وصفها قائلا:" قد رف عليها الشجر، وكثرت النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت ينابعها الصحراء وكثر قصورها العمران من ريغة وبهم تعرف لهذا العهد". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون –المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، ج:6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1391/1871، ص: 47.

[3] من خلال رسالة مؤرخة في 30 شوال 1244/1828، تحمل الرقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

[4] لقد كانت عملية فرض إرادة السلطة وتحصيل المطالب المخزنية على مستوى المنطقة لا تتم إلاّ عن طريق شن الحملات العسكرية. ينظر:
M. TH. Pein, Lettres Familières sur l'Algérie, un petit Royaume arabe, P : 60.

[5] الرسالة رقم :(30) في الترتيب العام للمجموعة.

[6] الرسالة نفسها.

[7] الرسالة نفسها.

ومخزن بوصلاح بالقرب من سوق العثمانية الموجود غرب مدينة قسنطينة[1].

ومن خلال هذا العرض التاريخي لعلاقة أحمد باي مع قبائل المخزن، فيمكن أن نستنتج بأنّ هذه العلاقة كانت مبنية أساسا على المصلحة المتبادلة، فكلّ طرف كان يحاول أن يستغل الآخر بالطريقة التي كان يرى فيها دوام وجوده، ممّا أثر سلبا على نظرة السكان في الأوطان للحكم العثماني. كما أنّ هذا النوع من العلاقة جعل من واقع الصلة بين قبائل المخزن والرعية، علاقة دافع المطالب بمستلمها.

وحتى لا تأخذ هذه الدراسة اتجاها واحدا، فسنحاول فيما يلي تقديم صورة عن الجانب النقيض من تلك العلاقات ليس مع عنصر غريب من المجتمع، بل مع قبائل شكلت مجموعات سكانية هامة، ونقصد تلك التي رفعت لواء العصيان والتمرد؛ وما يلاحظ على هذا الموضوع أنّه أخذ الحيز الأكبر في رسائل أحمد باي.

3)-مواجهة أحمد باي للقبائل المتمردة:

لقد انتهج أحمد باي في مواجهته للقبائل المتمردة[2] سياستين: إحداهما كانت سلمية، في حين اتخذت الثانية طابع العنف والانتقام.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 108.

[2]- اختلفت المصادر والمراجع في استعمال المصطلحات التي خصت الوضعية الحقيقية التي كانت عليها هذه القبائل، فهناك من نعتها بالقبائل المتمردة والعاصية، مثال ذلك: صالح بن العنتري، وناصر الدين سعيدوني، وصالح فركوس. في حين وصفتها جلّ المراجع الأجنبية بالثائرة. أمّا أحمد باي فينعتها بـ "العاصية" ومثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (19-20-29-30) في الترتيب العام للمجموعة بقوله:"فرقة عاصية" وأمّا المفسدة، فمثال ذلك ما ذكره في إحدى رسائله: "أهل عصيان وفساد". ينظر: الرسالة رقم:(15) في الترتيب العام للمجموعة. ولكي نتمكن من إيجاد المصطلح الصحيح الذي يكون الأقرب من وضعية هذه القبائل علينا أن نعطي شروحا موجزة لكلّ ما ورد أعلاه. فالثورة لغة هي: ثار الشيء ثورا وثورانا. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج:4، دار صادر بيروت، ط:2، 1384هـ/1992م، ص: 108. أمّا اصطلاحا: فهو التغيير الجذري والسريع لنظام سياسي بأسره، وهي عملية تغيير سريعة تستلزم العنف في الكثير من الأحيان. أمّا العصيان فهو لغة: مرد، تطاول في المعاصي. ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج:5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ/1985م، ص: 273. أمّا المتمرد اصطلاحا فيقصد به ذلك الفرد الذي يقول لا، ولكنّ رفضه لا يعني الإنكار التام والمطلق، إذن هو الشخص الذي لا يتجاوز الواقع بسبب قسوة الظروف التي تتحكم فيه، ولما كان الأمر كذلك، فهدفه هو إحداث تغييرات جزئية في هذا الواقع، ويعني ضمنيا رفض للثورة التي تنطوي على فكرة التغيير الجذري، أمّا الثوري فيقف في تضاد مع المتمرد ذلك "أنّ الثوري" لا يكتفي بأنصاص الحلول، بل يتجاوز الواقع. وبهذا يستخلص من هذا كله المقارنة الآتية: إنّ الثورة تختلف عن التمرد بالنظر إلى أهميتها والنتائج التي ترنو إلى إحداثها. كما أنّ الثورة تختلف عن التمرد من حيث تنظيمها ووضوح أهدافها. أمّا التمرد فيختلف عن الثورة، ذلك أنّه ينقضي سريعا، فالتمرد هو بمثابة حركة غاضبة تفتقر إلى الوضاحة. ينظر: محمد يحاتن، مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص: 5-23. ومن خلال ما ورد من تعريفات فإنّه يرجح مصطلح التمرد لأنّه أقرب من الوضعية التي كانت عليها تلك القبائل.

1-الأساليب السلمية: من بين الأساليب التي اتّبعها أحمد باي من أجل إخضاع هذه القبائل[1] واستخلاص المطالب المخزنية منها دون أن يدخل معها في مواجهات عسكرية ما عرف في تلك الحقبة التاريخية بالحملات العادية، هذه الأخيرة كانت عبارة عن قاعدة سياسية توارثها البايات على مرّ الأزمنة من الحكم العثماني في الجزائر، ومن خلالها كان يجوب أحمد باي مرفقا بقواته بعض أنحاء البايلك من أجل جمع المطالب المخزنية، ومثال ذلك ما قام به في تاريخ 26 من ذي القعدة سنة1241هـ/1826م على مستوى منطقتي بجاية وونوغة[2]؛ وأيضا الحملة التي خص بها بلاد الحنانشة أواخر صفر من سنة 1243هـ/1827م[3]. وما ميز هذه الحملات أنّها لم تكن تحمل طابع الانتقام والهجوم بل كانت غالبا سلمية.

ولمّا علم أحمد باي أنّه لن يستطيع مواجهة كلّ الجبهات بمفرده، جنح إلى استغلال ما عرف عند العرب بـ "العصبية"[4] والتي بها "تكون الحماية والمدافعة وكلّ أمر يجتمع عليه، والناس بالطبيعة ايحتاجون في كلّ اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بدّ أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية وإلاّ لم تتم". وإنّ من فقدها عجز عن جميع ذلك[5]. فهي لا تحصل إلاّ بالتحام النسب أو ما معناه.

أمّا عصبية النسب فتمثلت في عائلة ابن غانة؛ فلا يخف على كلّ متتبع لحياة أحمد باي أنّ العناية به والإشراف على نشأته وتكوينه، يرجع فيهما كلّ الفضل إلى جده وأخواله[6]، هؤلاء أعطوا له كلّ الدعم والسند والرعاية الكافية ليكون فيما بعد رجل حكم. حتى بعد تنصيبه بايا على بايلك الشرق، نجده يتلقى المساندة والمؤازرة

---

[1] للإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل على مستوى البايلك ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (5)، ص: 302.

[2] الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

[4] إنّ العصبية عند هذه القبائل نمط سياسي تقوم على التعاون بين أفراد هذه التشكيلات الاجتماعية، كما تقوم على جماعة قليلة العدد تتمثل في أفراد من الأسرة أو أكثر داخل القبيلة أو العشيرة نفسها، الأمر الذي ولد ما يمكن أن نسميه "بالأرستقراطية"، وإن كان هذا المصطلح لا يتماشى والحقبة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ولكنّه يعبر عن الوضعية التي نريد معالجتها حيث اتخذت هذه "الأرستقراطية" من الحروب وسيلة للحصول على امتيازات. ينظر: حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 23.

[5] سميح دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، د ط، ص ص: 722-723.

[6] صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 20.

في كلّ فترات حكمه؛ لهذا وذاك كلّه عمد إلى تقريبها وتفضيلها على كلّ العائلات الأخرى، مثال ذلك تسليم منصب شيخ العرب إلى أحد أفراد عائلته، بعد عزل فرحات بن سعيد[1] أحد الشخصيات البارزة في عائلة بوعكاز، هذه الأخيرة كانت في نزاع دائم مع عائلة بن غانة، وكثيرا ما شهدت منطقة بسكرة ونواحيها معارك متعددة بين أنصار عائلة بوعكاز ونذكر منهم: أهل بن علي، وشرفة، أيضا قمرة، وأولاد أهل النور، وجزء من أولاد سحنون بالحضنة[2] وأنصار ابن غانة، ونذكر منهم: الصحاري، والسالمية، وأولاد رحمون، وابن يزيد، وأولاد حديدجة، والخضر وجزء من أولاد صاولة[3].

ومن بين المساعدات الميدانية التي كانت تدعم بها عائلة بن غانة السلطة الحاكمة والممثلة في شخص أحمد باي، عملية إمداده بأربع مائة فارس والذين كانوا يرافقونه في حملاته العسكرية[4].

وبهذا "فإنّ صلة الرحم الطبيعية -غالبا- نعرة ذوي القربى بعضهم على بعض، حتى لا ينالهم ضيم أو هلكة. فإذا قرب النسب وحصلت به وصلة الالتحام استدعى بمجرده أقصى مقدور عليه في التناصر، ومتى بعد الشيء عفي في الحمل عليه ما هو مشهور منه"[5].

ولأنّ عصبية النسب لا تكفي وحدها لبسط السلطة وفرض الطاعة على كلّ الرعية، عمد أحمد باي إلى اصطناع عصبية حصلت له بواسطة "الولاء" و"الحلف". فقد حاول أحمد باي كسب ود ومساندة أكبر عدد من العائلات والقبائل، من أجل ضمان الحد الأكبر من الولاء والطاعة، أيضا لمواجهة الحزب المعارض له؛ فلقد تبين من خلال قراءة استقرائية لبعض الرسائل أنّه كان لبعض الشخصيات المناهضة والمعارضة لسلطته مساندة قوية من بعض القبائل، وقد تمكنت حقيقة من إثارة

1- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

2- صالح فركوس، أحمد باي قسنطينة، ص ص: 53-54.

3- المرجع نفسه، ص: 56.

4-Mercel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 275.

5- سميح دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية، ص: 752.

الفتنة وزرع القلق في نفسية أحمد باي؛ مثال ذلك نذكر ما ورد في إحدى رسائله، والتي مفادها أنّ المدعو أحمد بن الشريف بن بو عبد الله أحد المتمردين على سلطة الباي كان يتزعم جزءاكبيرا من قبيلة أولاد سحنون ويحثهم على رفع لواء العصيان والتمرد، ولم يتمكن من القضاء على فتنته إلاّ بفرض حصار اقتصادي عليهم[1]. أيضا ما ذكره بشأن مقورة بن عاشور وبوزيان بن علي، هذا الأخير سبب لأحمد باي قلقا كبيرا، لما أثاره من فتنة استطاع من خلالها جلب الكثير من المؤيدين له، بدليل هذه العبارة:" والحاصل سيدي أنني كتبت لك **حتى تضررت كثيرا**". وقد تزعم بوزيان بن علي مدعما ببعض الشخصيات نذكر منها السماري والعربي حركة عصيان لم تنته إلاّ بشن العديد من الحملات العسكرية[2]. أيضا ما ذكره في إحدى رسائله المؤرخة في أواخر صفر 1243هـ/1827م، أنّ سبب رحيل بعض القبائل إلى تونس يعود إلى رحيل زعيمهم بدليل هذه العبارة: "أنّ **عمدتهم ومن كان عليه أمرهم والمعول عليه**" ذهب ولا بقاء لهم بعده[3].

لأجل ذلك عمد أحمد باي إلى إيجاد طريقة سريعة وغير مكلفة تخلصه من كلّ هؤلاء المعارضين، تمثلت في استجلاب الكثير من الشخصيات البارزة وبالتالي ضمان إخلاص ومساندة أفراد القبائل التي يتزعمونها؛ مثال ذلك ما كان له مع أولاد مقران تحت قيادة أحمد بن بوزيد، هؤلاء كانوا يشكلون سندا قويا ودعما متينا لإدارة أحمد باي؛ إذ من خلال هذا التحالف استطاع أن يضمن ولاء العائلات والقبائل الداخلة تحت نفوذهم وسلطتهم[4].

كما سعى إلى تأسيس علاقات مصاهرة مع كبار وأغنى العائلات على مستوى البايلك، وما يمكننا أن نسميه حاليا بـ "الزواج السياسي"، هادفا من وراء ذلك نيل تأييد القبائل التي كانت تحت نفوذهم، فتصاهر مع قسم من قبيلة فرجيوة

1-الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 30 من شوال سنة 1244هـ/1828م.
2-رسالة موجهة من أحمد باي إلى إبراهيم الخزناجي تحمل الرقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.
3-الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.
4-صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

وزوارة[1]. أيضا مع عائلة ابن غانة القوية والغنية، وعائلة أولاد المقراني[2]، فكانت في ذلك وسيلته في تجاوز الكثير من العراقيل والصعاب.

كما حاولت السلطات زرع روح النزاع بين القبائل[3]؛ ففي المناطق الشرقية من البلاد استطاع شيوخ هذه القبائل ضم مناطق واسعة إلى نفوذهم فقويت بذلك شوكتهم، حتى خاف منهم البايات، فاهتدوا إلى خلق روح التنافس بينهم والدس لهم، فتناحرت بذلك القبائل على الرياسة[4]، فقويت نزعة التعصب بينهم حتى تقاتلوا؛ إذ شجع البايات بصفة عامة وأحمد باي على وجه الخصوص التنافس القبلي والصراع العشائري المعتمد على مبدأ الصف وروح العصبية في كثير من الجهات، وذلك حتى تبقى الكلمة الأولى والأخيرة للممثلي السلطة العثمانية الحاكمة، كما كان الشأن في الهضاب العليا في قسنطينة والأوراس والصحراء. كما حاول بسط نفوذه بإخضاع تلك القبائل الكبرى وتنصيب شيوخ موالين له عليها[5]، وإذا لم يتمكن من ذلك عمل على الاستيلاء على أراضيها وترحيلها إلى جهات بعيدة[6].

فلقد كتب أحمد باي في هذا الموضوع، يقول: "إذ الحرب هي عادة الأعراب وأن الذي يريد حكمهم قد يتحتم عليه إبقاءها بينهم، والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس، أمّا أوضاع السلم فإنّها تقارب بين العرب

1- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 134.

2- المرجع نفسه، ص: 134.

3- **مثال ذلك:** الصراع الذي كان قائما بين كلّ من ابن غانة وبوعكاز على منطقة الصحراء. أيضا ما ذكره ناصر الدين سعيدوني في هذا الشأن، إذ كتب يقول بأنّ "السلطة اتخذت من قبائل المخزن عامل تفرق وتشتيت للأهالي لا وسيلة جمع وتأليف بين السكان فلقد قامت هذه القبائل بدور الطابور الخامس والدركي المتنقل والعين الساهرة على مصالح رجال البايلك بالأرياف الجزائرية". ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخها الطويل، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، ع:7-8 ، جانفي 1977، ص، 76.

4- **مثال ذلك:** النزاع القائم بين أولاد داود في الشمال وأولاد عبدي في الوسط. أيضا الصراع القائم بين أولاد داود وبني بوسليمان والوجانة وأولاد عبدي على حيازة السهول. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 283.

5- **مثال ذلك:** ما قام به أحمد باي عندما نصب رزقي شيخا على قبيلة الحنانشة بالرغم من أنّ القبيلة كانت ترفض هذا المنطق أيّ تنصيب شيوخا عليها يكونون من خارج أفراد القبيلة. ينظر:
Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 140.
أيضا بتنصيب بورنان بن دراجي شيخا على فرجيوة. ينظر: Charles Féraud Ferdjioua et Zouar'a (Note: historique sur la province de Constantine, R. A, 1878, P : 20.

6- **مثال ذلك:** صف أولاد سلطان المعادي لأولاد خيار من أجل حيازة أراضي تاريتشة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 283.

وتوحدهم حول غرض واحد، وهذه الحالة لا ينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليهم؛ إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كالإخوة، ويجدون أنفسهم منظمين للقيام بالثورة. وعلى العكس فإن وجدت الحرب أو العداوات بينهم فإن من يريد حكمهم يكون دائما متأكدا من إيجاد الأنصار. ومن المعلوم أن الحرب بين القبائل تقرب البلاد وتسهل السيطرة على من كانوا بعيدين عنها خاصة إذ لم تكن لها جيوش كبيرة أو حاميات متعددة الحصون عن السلطة تنفذ أوامرها"[1].

على ضوء ما جاء في كلامه فيمكن استنتاج النقاط التالية:

*-كان كلامه موجه إلى كلّ الرعية دون استثناء في قوله:"العرب" وأيضا: القبائل المختلفة الأصول والأجناس".

*-التحريض على روح المنافسة بين القبائل.

*-ضمان دوام ملكه واستمراره إذا ما نجح في بت روح النزاع والتفرقة.

*-هذه السياسة تمنحه القدرة على التحكم في المناطق البعيدة على أعين السلطة.

هذا فيما يخص الوسائل السلمية التي استعملها أحمد باي في مواجهة القبائل التي وصفها بالعصيان والتمرد. أمّا في حالة فشل هذه الوسائل فإنّه كان يلجأ إلى التدخل العسكري، وهذا الموضوع قد أسال حبر الكثير من المهتمين بتاريخ الجزائر العثماني، خاصة الفرنسيين منهم، واتخذوا منه وسيلة للتشنيع به وقذفه بكلّ التهم، غافلين في ذلك كلّ الأمور الإيجابية التي ميزت هذا الحكم.

ولا يشن أحمد باي أيّة حملة عسكرية دون مراسلة القبائل المعنية بالأمر، من خلالها ينذرهم ويتوعدهم بالعقاب الشديد إذا لم يستجيبوا لأوامره؛ وهذه ما صرحه في إحدى رسائله قائلا:"أنّني لم أغزو أحدا من هؤلاء وما قبلهم إلاّ بعد الكتب لهم المرة بعد المرة أن يعطوا ما عليهم ويتوبون ويكفون عن الفساد ولم نغز إلاّ بعد

---

[1] أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 40-41.

اليأس منهم وظهور عصيانهم وهذا دائما مع كل أحد"[1].

فمن خلال كلامه هذا يستنتج أنّ شنه للحملات العسكرية لم يكن إلاّ بعد تتبع بعض الخطوات، منها الإنذار والتهديد، ثم في حالة العصيان وعدم الدفع تتم عملية التأديب والتي كانت تتم عن طريق التدخل العسكري. ولكي تكوّن لدينا فكرة بسيطة حول مضمون الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى هذه القبائل بهدف إنذارهم بحلول العقاب عليهم إن لم تتم عملية دفع ما عليهما من مستحقات مخزنية، هذه الرسالة التي كتبها إبراهيم آغا إلى أفراد جماعة أولاد علي فبعد المقدمة كتب يقول:" إعلموا فإنّ بعثنا لكم خدامنا الاصبايحية لأجل الخلاص وننظر في أمركم فإن خلصتم بالعزم والقوة من غير تاخير في أيام قلايل فذلك المراد وإن تراخيتم فأنتم أدرى بنفوسكم وإلاّ خلصتم بالعزم فإنكم خدام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا شيء وهذا آخر كتاب بيننا وبينكم. كتب عن إذن المعظم الأسعد إبراهيم أغة أيده الله ونصره بمنه أمين[2]. أواخر جمادى الثاني 1243[*].

وبما أنّ الرسالة تحمل الفترة نفسها التي نحن بصدد دراستها فيمكن أن تكون نموذجا على تلك الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي للقبائل التي كانت ترفض دفع المطالب المخزنية.

2-الوسائل العسكرية: في حالة عدم نجاح كلّ هذه الطرق فإنّ السلطة تنتقل إلى التدخل العسكري المباشر ضد القبائل التي وصفت "بالاستقلال"[3]. وذلك من أجل سببين هما: رفض القبائل الممتنعة[4] دفع المطالب المخزنية، أو لقيامها بأعمال

---

[1] الرسالة الرقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة.

[2] رسالة في ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم:3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.

[*] 1243هـ موافقة لسنة 1827م.

[3] **القبائل المستقلة:** إنّ القبائل التي سوف يتم التطرق لها لم تكن بالمستقلة، وإلاّ فكيف كان أحمد باي يصل إليها ويقوم بمعاقبتها وتكليفها خسائر بشرية ومادية؛ فالقبائل المستقلة هي التي لا تصل إليها يد السلطة تماما ولا تقدر على ممارسة أيّة وظيفة ردعية أو جبائية، وأقصى ما تطمع فيه السلطة في هذه مناطق هو استمرار الولاء الرمزي، كأن يذكر اسم الحاكم في خطبة الجمعة على منابر المساجد. ينظر: سعد دين إبراهيم، دراسات مستقبلية، ص: 112. وإن أخذ بهذا الشرح فإنّها ليست قبائل مستقلة وإنّما قبائل ممتنعة.

[4] **القبائل الممتنعة:** وهي العبارة المعتمد عليها كلما كان الحديث عليها، بحيث المعنى الحقيقي لها يرمز بصدق إلى ما كانت عليه هذه القبائل من رفضها لدفع ما عليها من مطالب مخزنية، وبالتالي إعلانها الخضوع والطاعة للسلطة الحاكمة الممثلة في شخص أحمد باي الذي لم يكن يتهاون أبدا في هذه المسألة.

تخريبية؛ وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأحداث، ينبغي تحليل الأسباب المغيبة في رواية أحمد باي. فعندما يعالج مثل هذا الأمر، فإنه لا يعثر على معلومات وافية، ذلك أنه عندما تناول المؤرخون هذا الجانب من الدراسات التاريخية لم يقدموا إلا السرد التاريخي للأحداث دون تحليل الجوانب المؤثرة فيها. هذا ما يجعل من تلك الدراسات ناقصة، كما يجعل المتتبع لهذه الأحداث يتخذ مواقف دون معرفة خصوصيات المجتمع أو السلطة، باعتبارهما شريكين في صنع الحدث التاريخي.

أ-رواية أحمد باي: فعندما يعرض أحمد باي تفاصيل حملاته على بعض القبائل يجب علينا أن نضع نصب أعيننا أنّها تمثل رواية الغالب، إذ أنّ الأطراف المغيبة من طرف السلطة الحاكمة والذين لعبوا دورا كبيرا في سير الأحداث يعتبرون حقل المغيبين والمهمشين. فرواية أحمد باي ترجع الأسباب الرئيسة لمعاقبة هذه القبائل إلى:

-رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. وهذا ما صرحه في العديد من المرات، مثال ذلك ما ورد في الرسالة المؤرخة في أواخر من صفر سنة 1243هـ/1827م فذكر فيها بصريح العبارة:"فرقة عاصية لم يعطوا مطالبهم ولم تكن فيهم طاعة"[1].

-إثارة الفتنة والقلقلة بين أفراد القبائل. مثال ذلك ما ذكره أحمد باي في إحدى الرسائل بشأن بعض الشخصيات التي وصفها بالتمرد والعصيان، نذكر منهم، مقورة بن عاشور، والسماري، وبوزيان بن علي[2].

-قيامها بأعمال التخريب والسلب والنهب لأموال الناس. مثال ذلك ما كانت عليه بعض القبائل على مستوى منطقة الأوراس[3].

-انتهاك حرمات الرعية؛ ومن أخطرها ظاهرة اختطاف النساء، وهذا ما حدث فعلا بتاريخ 19 من جمادى الثانية سنة 1242هـ/1827م، إذ قام عرش من

1- الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.
2- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.
3- الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

أعراش بجاية بخطف امرأة محصنة، ولم يتم استرجاعها إلا بعد شن حملة عسكرية عليهم تم من خلالها تأديبهم[1].

ولهذا ففي نظر أحمد باي أنّ هذه الحملات كانت تقوم بناءا على إجارة لمستجير، واستجابة لحق مهضوم، أو محافظة على شرف طعن أو هذر. هذا فيما يخص الأسباب الظاهرة من خلال ما كتبه في رسائله. غير أنّ هذا لا يعني أنّها الأسباب الوحيدة التي كانت من وراء هذه الحملات، إذ يمكن استنتاج أسباب أخرى غيبت في تقاريره من بينها:

الأسباب النفسية: إنّ ما حصل لأحمد باي وهو صغير، وما سمعه عن مقتل والده. جعله مند الساعة الأولى يكن حقدا لا مثيل له لأعدائه[2]، وهذا ما سوف نراه ينعكس تماما على سلوكه وشخصيته. فمعظم من كتبوا في سيرته وصفوه بالقسوة الشديدة ضد أعدائه[3]، فلم تكن تأخذه الرحمة ولا الشفقة ضد كلّ من كان يشك فيه ولو للحظة أنّه يحاول الإيقاع به، فيكون بذلك انتقامه شديد، كما يتضح ذلك جليا في استعماله لكلمة "الانتقام" فكثيرا ما تكررت في رسائله بهذا الشكل: "فانتقمنا منهم"[4].

الأسباب السياسية: اتخذ أحمد باي من هذه الحملات وسيلة لتحقيق الزعامة المطلقة، وفرض سلطته والمحافظة على استمرار حكمه دون عراقيل، إذ كلّ نظام ليس قادرا ذاتيا على تأمين وسائل وجوده واستمراريته مآله حتما إلى الزوال. كما أنّ السلطة التي لا تملك الطاقة على استخلاص المطالب المخزنية من أفرادها فإنّها تفشل في تحقيق أهدافها[5]؛ فمن بين الأسس التي قام عليها الحكم العثماني في الجزائر، القدرة على تحصيل المطالب المخزنية من الرعية[6]. وهذا ما أكده أحمد باي حين صرح بذلك لحسين باشا قائلا: "...وتمنعوا من إعطاء المغرم منذ أعوام

1- الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

2- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 20.

3- من بين هؤلاء تذكر:(المرجع نفسه، ص:21) (فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص:30.) (عبد الجليل التميمي، بايلك الشرق وأحمد باي، ص:61) .(محفوظ قداش، الجزائر على العهد العثماني، ص: 156) . أمّا من المراجع الأجنبية فنذكر على سبيل المثال: M.TH. Print, Lettres familières sur l'Algérie, P : 192.

4- وردت هذه العبارة في كلّ من الرسائل التالية:(19-20-26-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

5- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، الجزائر ، ص: 56.

6- حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل في الشرق الجزائري، ص: 37.

فغزوتهم شهر التاريخ.... حتى ذلوا وتابوا وخروا....."[1].

الأسباب الاقتصادية: يقاس على ما كان يتحصل عليه أحمد باي مع قواته من غنائم بعد نهاية كلّ معركة، إذ بعد كلّ "غزوة" كان يغتنم على كميات هائلة من المواشي، هذا طبعا بناءا على ما كان يقدمه من إحصاءات في تقاريره الموجهة إلى حسين باشا[2]، فضلا على الأسلحة والملابس التي لم يرد ذكرها في الرسائل.

وتجنبا لفرض اتجاه واحد أيّ رواية الحاكم (أحمد باي) على رواية المغلوب (القبائل المستهدفة)، هذه محاولة لوضع عرض لبعض الأسباب التي قد تكون وراء ظاهرة التمرد والعصيان.

الأسباب الاجتماعية: تمثلت في أمرين هما:

أ-الانتماء الطبقي: كان المجتمع الجزائري أثناء الحكم العثماني يتكون من فئتين: الحضر وسكان الأوطان. كما كانت الرعية تنقسم إلى طبقات، وكان ذلك على أساس درجة الثروة، أو درجة العلم، أو المهنة. وإظهار نسبة المتمردين في كلّ طبقة وبين مجموع أفراد المجتمع وتحديد نوع التمرد الذي كان يرتكبها هؤلاء الأفراد، يبين اختصاص هذه طبقة دون الأخرى بهذه الظاهرة.

فسكان الأوطان[3] يندرج في صفوفهم جمع مختلف، ففيهم الفلاح، والأجير، ومالك الأرض ومستأجرها، وراعي الأغنام وقاطع الأشجار. وكلّ فئة من هؤلاء تتميز عن غيرها. ومعظم حملات أحمد باي كانت على فئة الرعاة، فهذا الصنف تفوق نسبة التمرد لديه على سائر سكان الأوطان، بل على سائر المهن الأخرى بصفة عامة[4]. وسبب ذلك أنّهم لا يقضون كلّ أوقاتهم في الأوطان، وإنّما يعتمدون على حياة الترحال، فتسود بذلك حياتهم نوع من الحرية مقارنة مع غيرهم، كما أنّ

1- الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

2- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- يتضح أنّ التكوين يشكل نموذجا لمجتمع تراثي، تتفاوت فئاته وشرائحه نتيجة لتفاوتها في ملكية وسائل الإنتاج من أرض، مراع وماشية وفي الثروات الطبيعية والجاه، فلكلّ فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به لا يستطيع تجاوزه بسبب الموروث القبلي والأعراف. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، سبتمبر 1994، ص: 26.

4- تبين ذلك من خلال ما ورد من إحصاءات حول قطعان الغنم والبقر وغيرها والتي كان يغتنمها بعد كلّ حملة كان يشنها على إحدى القبائل المستهدفة. ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30).

عملية الترحال المستمرة تجعل من نسبة السيطرة عليهم ضئيلة[1]، فكثيرا ما كان البايات يشتكون من هذه القبائل إذ لم يستطيعوا التحكم فيها لسبب تنقلها المستمر.

ب-العامل النفسي: من المعلوم أنّ لكلّ فرد ميلا غريزيا إلى التعدي، والذي يصبح بفعل الظروف الاستثنائية ميلا إلى العنف، فقيمة المطالب الكثيرة المفروضة عليهم أثقلت كاهلهم، وبذلك يحاولون التخلص منها بشتى الطرق[2]. فهذا أحمد باي يصرح بذلك قائلا:" ...هو كان في بطون الناس امتنعوا وتلذذوا **وصار الذي يعطي العادة[*] كأنه ظلم**"[3].

الأسباب الاقتصادية: تمثلت في أمور ثلاث، قد تكون واحدة منها سببا في حدوث ظاهرة التمرد والعصيان عند هذه القبائل:

الأمر الأول: إنّ الأحوال الاقتصادية للأفراد والجماعات في مختلف الأمكنة مع وحدة الزمن لها تأثيرها، والعامل هو ضغط الظروف الاقتصادية المحيطة بها وما تولده في النفوس من الشعور بالحاجة ("ويعبر عليه ضغط الشعور بالحاجة")، هذا الأخير ليس رهينا بضغط الظروف الاقتصادية السيئة بقدر ما هو مرتبط بتواتر هذا الضغط واستمرار تأثيره على الفرد وجماعته؛ فالبؤس العابر ليس خطيرا خطورة البؤس الدائم المتواتر، لأنّ استمرار البؤس على الإنسان ينزل الوهن بملكاته الجسمانية والنفسية ويسوقها إلى الانحلال[4]. لهذا فحركات العصيان بالنسبة لهذه القبائل هي وسيلة تعبير عن المعارضة بشكل مباشر وفوري، ومن خلالها تتحدى اللامبالاة أو الإهمال من جانب السلطة الحاكمة[5].

الأمر الثاني: يتمثل في أنّ هذه القبائل لا تملك منتوجا فائضا عن الحاجة، تدفعه للسلطات الحاكمة، وأنّ هذه المنتوجات لا تسد إلا حاجياتها فقط، لهذا فهي مضطرة

1- مسين بنهام، المجرم تكوينا وتقويما، ص: 181.

2- المرجع نفسه، ص: 253.

* يقصد بـ "العادة" المطالب المخزنية.

3- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

4- المرجع السابق، ص ص: 618-619.

5- توم بوتومور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، دار الطليعة، بيروت، د ط، 2000، ص: 64.

إلى التهرب عن دفع هذه المطالب التي كانت ترى أنها تثقل كاهلها[1].

الأمر الثالث: إنّ السلطة الحاكمة التي تطالب الرعية بأداء ما عليها من مطالب مخزنية، والتي تعتبرها واجبا، لا يمكن إسقاطه في أيّ حال من الأحوال، كان يجب عليها أن تؤدي بالمقابل واجباتها ومهام في عملية البناء والعمران؛ كبناء المدارس، والمستشفيات، وإصلاح الطرقات وتوفير المياه، وبصورة عامة ما يسمى حاليا بـــ "الأشغال العمومية". وإذا كانت هذه السلطة تتهاون أو تتخاذل عن أداء مسؤولياتها فإنّ هذا سوف يدفع بالرعية إلى التهرب من دفع ما عليها من مطالب متسائلة في ذلك لماذا عليها أن تدفع للسلطة ما دامت لا تتلق المقابل من العناية؟[2]

3-الأسباب السياسية: إنّ الأوضاع اقتصادية كانت أو اجتماعية تلقي الضوء على حالة الانفعال والغضب السائدة على فئة من فئات الرعية. وهذه الدراسة تبدو بالغة الأهمية بالنسبة للقائمين على الحكم، إذ نجد أنّ مهتهم الأولى والأساسية تكمن في القضاء على أسباب العناء المادي والمعنوي، وبالتالي على مصادر الحقد والتذمر لديها. وقد دلّت أحداث التاريخ وما صاحبها من حركات العصيان التي حدثت أنّ الرعية كانت دائما تقيم لإيمانها السياسي رمزا تحترمه لحد التقديس طيلة الوقت الذي يظل فيه هذا الإيمان[3]، فإذا ما ضعف الإيمان، انقلبت الرعية على الرمز عينه بعنف يزداد حدة كلما كان فقد الإيمان أكثر، وكلما طال الوقت الذي فيه الرمز منهارا مفروضا على الوعي العام[4]. فكون هذه القبائل ترفض الانصياع بدفع

1-Ahmed Henni, Etat surplus et société en Algérie avant 1830, Entreprise national de livre, Alger, P : 36.

2-اعتبر هذا المؤلف غزوات أحمد باي على القبائل طريقة عنيفة في معالجة الأوضاع. ينظر: Ibid, P : 36.

3-عندما تتصاع القبائل وتقوم بدفع ما عليها من مطالب، فإنّها تؤمن بالرمز، بحيث عندما سئلت القبائل المستقرة في جبال المدية سنة 1246هـ/1830م من طرف السلطات الاستعمارية عن سبب أدائهم للخراج وخضوعهم للعثمانيين، ردوا عليهم :"بأنّ نفس الدين الإسلامي يجمعنا ولن نطيع أحدا في وطننا هذا غير الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم". ينظر: أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطانبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984، ص: 178.

4-بنهام مسين، المجرم تكوينا وتقويما، ص: 183. فبمجرد ما ضعفت القوات العثمانية وأصبحت غير قادرة على فرض سيطرتها وبالتالي حماية رعاياها من التسلط الأوروبي عليهم وكثرت الهجمات المسيحية على الدول الإسلامية التي كانت تحت حمايتها أصبح هذا الرمز يتلاشى مع مرور الزمن.

ما عليها من مطالب، فهذا يعني أنّها أصبحت لا تؤمن "بشرعية"[1] الحكم العثماني عليها، وبذلك فهي تلغي وجود هذه السلطة من أذهانها.

مثال ذلك ما كانت عليه قبيلة السبانية[2] التي شن عليها أحمد باي عدة حملات تأديبية؛ لأنّها كانت لا تعترف بشرعية الحكم العثماني عليها، لهذا السبب كانت ترفض الانصياع ولم تكن تسدد ما عليها من مطالب مخزنية، وكلّما قامت السلطة الحاكمة بتنصيب شيخا عليها كان مصيره إمّا القتل أو الطرد بأبشع الطرق، وكانت سيرتهم هذه كذلك طيلة حكم الحكم العثماني على بايلك الشرق[3].

وبعد هذه المحاولة لمعالجة بعض المعطيات التي غيبها أحمد باي في رسائله، كما غيبتها معظم المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذه الدراسة، مع إدراكنا التام أنّها تنقصها الكثير من المعطيات، والتي من خلالها يمكن أن تفسر عدة ظواهر قد تم المرور عليها بطريقة سطحية، هذا عرض لبعض النماذج من حملات أحمد باي على القبائل التي وصفها بالعصيان، وقد خص بها فئة الرعية دون غيرها من فئات المجتمع القسنطيني ويقصد بذلك "العصيان المدني"[4]، هذا الأخير أخذ عدة صور واختلف من حملة إلى أخرى، ولكن ما يمكن استنتاجه هو العامل المشترك بينها، وتمثل في أسباب شن هذه الحملات وارتكزت على دافعين: أمّا الأول فكان من أجل رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. في حين تمثل الثاني في قيامها بأعمال تتنافى والنظام العام.

فلم يتوقف أحمد باي طيلة حكمه لبايلك الشرق (1240-1245هـ/1826-

1- **الشرعية**: إنّ هذا المصطلح يشير بمدلوله الدقيق إلى شرعية السلطة القائمة من حيث صلاحيتها كسلطة بالأمر الذي يستوجب التكليف بالطاعة، لذلك تقع في جملتها في مجال "الإيديولوجيات". ينظر: محمد طه بدوي، ليلى أمين مرسي، المبادئ الأساسية في العلوم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 2000، ص: 88.

2- **السبانية**: كان تواجدها قبيلة على بعد 40 كلم من جنوب قسنطينة، رفضت الاستقرار في السهول؛ لأنّها لم تكن آمنة بالنسبة لها، فلم يتمكن بايات قسنطينة من تحصيل المطالب منها إلاّ بشن الحملات ضدها، فكان أحمد باي يلحقها في كلّ مرة خسائر بشرية ومادية. وبهذا لم تكن تؤمن هذه القبيلة بشرعية الحكم العثماني عليها وكلما نصبت السلطات شيخا عليها كان مصيره إمّا الطرد أو القتل. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, PP : 118-119.

3- Ibid, P : 119.

4- **العصيان المدني**: عمل أو سلسلة أعمال يكون القيام بها عمدا على سبيل التحدي للسلطات من أجل الوصول إلى هدف معين، ومن مظاهرها الامتناع عن دفع الضرائب. ينظر: أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، د ط، 1989، ص ص: 26-27.

1830م)[1] عن شنّ الحملات[2] "الغزوات"[3] على القبائل التي شقت عصا الطاعة؛ وقد كانت منطقة الأوراس[4] خاصة مسرحا لها.

وعلى العهد العثماني كانت تسكن المنطقة ثلاث قبائل رئيسة هي: الحنانشة والحراكتة والنمامشة، التي كانت في صراع دائم، وكان البايات يبذلون كلّ ما في وسعهم لإشعال نيران الفتنة بينها، وقلّما توصّل قادتها إلى التفاهم والاتحاد، ولو لفترة وجيزة[5]، لهذا كانت العلاقات الاجتماعية على مستوى المنطقة تتصف بالخشونة والقسوة، والعداء والتناحر، هذا ما جعل من سكان الأوراس على استعداد دائم لمواجهة المهاجمين دفاعا على استقلالهم وذودا على مواطنهم، وهو الذي دفع البعض إلى إطلاق العبارات القاسية عليهم[6].

---

[1] لقد دام حكم أحمد باي على بايلك الشرق حتى سنة 1252هـ/1837م، ولكن قصدنا من وضع التاريخ المذكور أعلاه عدم الخروج عن نطاق الفترة التي دارت أحداثها في الرسائل المبعوثة إلى حسين باشا، بمعنى قبيل سقوط مدينة الجزائر ونهاية الحكم العثماني عليها. وإن كانت هذه النهاية غير كلّية بحيث بقيت المنطقة الشرقية تحت حكم أحمد باي.

[2] تم الاعتماد في سرد الأحداث التاريخية على منهج التسلسل الزمني لها، وعلى الموقع الجغرافي.

[3] إنّ أحمد باي عندما يتكلم على مثل هذه العمليات في رسائله فإنّه يستعمل مصطلح "الغزوة"، والذي حافظ على استعماله. كما استعملته بعض المصادر والمراجع التي تطرقت لهذا الموضوع خاصة الفرنسية منها، فنذكر على سبيل المثال: (أرنست مارسي في مرجعه: تاريخ قسنطينة). (شارل فيرو في مختلف مقالاته).(مارسيل امريت في كتابه: الجزائر في عهد الأمير عبد القادر). أمّا من بين المصادر والمراجع العربية فنذكر: (صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة). (أحمد مبارك في: تاريخ حاضرة قسنطينة). (تاريخ بايات قسنطينة لمؤلف مجهول). (مولود قايد في كتابه: تاريخ بايات قسنطينة). في حين اعتمدت بعض المراجع الأخرى مصطلح "الحملة الانتقامية" أو "الحملة التأديبية" ونذكر من بينها: (سعيدوني في كلّ مراجعه المستعملة في البحث)، (فركوس في كتابه: الحاج أحمد باي قسنطينة). وإذا أردنا أن نرجح أيّن من هذه المصطلحات أكثر ملاءمة مع المعطيات التاريخية فعلينا أن نقدم شروحا لها من أجل أن يكون هذا الاختيار مبني على أسس علمية. "فالغزوة" وردت في لسان العرب على شكل "غازية" وهي تأنيث "الغازي". ينظر: ابن منظور، لسان العرب مج: 15، ص ص: 124-125. والغزوة تعني تجنيد قوات من الرجال وتسليحها من أجل النيل من قوة أخرى، وهي تحمل صفة الهجوم أكثر من الدفاع. وقد استعمل هذا المصطلح عند العرب في الجاهلية والإسلام. أمّا الحملة: فتعني: حمل القوات العسكرية قصد تأديب بعض الفئات من السكان. وبناءا على هذا فإنّه سوف يحافظ على مصطلح "الغزوة" كلما كان الحديث يتعلق برسائل أحمد باي، ولكن في غير ذلك فسوف يستعمل مصطلح "الحملة".

[4] **الأوراس**: في اللغة البربرية تعني أراس والذي يعني أمناي آراس بمعنى فارس أصيل، وهو لا يعني جبل واحد بل هو سلسلة من الجبال الأكثر شهرة في إفريقيا، وهي تمتد على مساحة تقرب 11000 كلم مربع .ينظر: Mustafa Hadad, Origines de la résistance dans le pays de Belzma, R. H, centre nationale d'histoire historique, Alger, N : 17, 1984, P : 25.

أمّا العثمانيون فكانوا ينطقون أوراس "إيفريس" ينظر: Féraud, R. A, 1878, P : 111. ولقد ذكرت منطقة الأوراس في جلّ المصادر الجغرافية. ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة عن فرنسية: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2 ، ص: 102. و الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه ونقله من الفرنسية: محمد حاج صادق، مطبوع في بلجيكا، 1983، ص: 66.

[5] العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 26.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 270-271.

وأمام هذا الوضع حاولت السلطات، وعلى رأسها أحمد باي الذي كان مسؤولا على ضبط الأمور الأمنية، والقضاء على كلّ التيارات التي كانت تحاول تهديد الاستقرار والأمن في المنطقة، رسم سياسة حكيمة من أجل السيطرة وبسط نفوذ السلطة على الرعية خاصة المتمردة منها. ومن بين الأساليب الإدارية والإجراءات العسكرية المتخذة لإقرار هيبة السلطة على المناطق الجبلية نذكر إقرار الحاميات[1] العسكرية التي كانت تتكون من الجنود الأتراك، ووضعها بالمدن الرئيسة[2]. كما جندت بعض القبائل المخزنية على عدّة جهات من أجل رصد تحركات هذه القبائل.

وعندما كانت هذه الوسائل لا تكفي لبسط نفوذ السلطة وهيبتها كانت تشن حملات تأديبية ضد كلّ قبيلة شقّت عصا الطاعة. ومن بينها، تلك التي شنّها بتاريخ 11صفر/3 سيتمبر من سنة 1241هـ/1826م، على فرقة من قبيلة العمامرة[3] في جبال الأوراس[4]. وصفها بأنّها "فرقة عاصية ولم تكن لها طاعة لأحد"، كما أنّها لم تسدد ما كان عليها من مطالب مخزنية. "فأصبح عليها" بالتاريخ المذكور بمنطقة "الزانة"، فقتل منهم ستة عشر رجلا واغتنم بـ 15600 من الغنم، و160 رأس بقر، و32 حصانا و11 هويرا[5]. بعدها عاد رفقة قواته إلى المحلة[6].

واستغلالا لتواجده في المنطقة برفقة قواته، قام بعد يومين من الشهر نفسه

---

[1] **الحاميات**: مفردها حامية. وهي عبارة على قوة عسكرية تقيم في موقع من المواقع ويشرف عليها قائد. وتضم قوات من مختلف الأسلحة والمصالح بشكل تحقق الاكتفاء الذاتي من الناحيتين القتالية والإدارية. ينظر: أكرم ديري وآخرون، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1977، ص: 508.

[2] **توزعت هذه الحاميات على مستوى المناطق التالية**: حامية تبسة، والتي كلّفت بمراقبة تحركات النمامشة. ثم حامية بسكرة وخولت لها صلاحيات مراقبة الجهات الجبلية حول المنعة والخنقة. فحامية مركز البايلك والتي كانت تقوم بإقرار الهدوء بالهضاب العليا الشمالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 281.

[3] **العمامرة**: أصلهم من البربر وهم من سكان جبال العمامرة، وفي أسفل هذا الأخير توجد ثلاث مدن هي: باغاي، خنشلة وحسيمس، هذه الأخيرة تقع بالقرب من شمورة. ينظر: العدواني، تاريخ العدواني، ص: 306.

[4] لقد قامت السلطات العثمانية بوضع قيادة العمامرة على مستوى منطقة الأوراس، وكانت تتكون من ثلاث قبائل: أولاد سعيد، وأولاد زرارة والعمامرة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 290.

[5] **هوير**: حاولنا البحث على مفهوم هذه الكلمة فلم نعثر في المعاجم على معلومات تفيدنا بشرح، إلا أنّه ومن خلال ترجمة عثرنا عليها في مرجع الجزائر في عهد عبد القادر فهمنا أنّه نوع من الحيوانات التي تنتمي فصيلتها إلى الغنم. ينظر: Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 257.

[6] الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

بشنّ غزوة على أولاد سيد الشيخ[1] وأولاد مسعود[2]، فقتل منهم أحد عشر رجلا، كما اغتنم ما قيمته 1260 من البقر، و1310 من الغنم وعددا من الخيل[3]. وعند إقامته هناك، ورد عليه خبر مضمونه أنّ كلّ من "بن زكري"[4] و"بن نعمون"[5] وأتباعهما عزموا على الهروب إلى "الشرق"[6]، ولعلّ هذا الخبر كان مصدره الشيخ بلقاسم[7] وإن لم يفصح أحمد باي بذلك. عندها بعث عمالا له يتحققون من صحة الأمر، فأكدوا له ما ورد عليه من أخبار[8].

بعدها بعث لهم شيخ العرب بورنان بن عاشور مع جماعة من الفرسان "لإعطائهم الأمان"، وأنّهم إن عادوا عن قرارهم هذا فلن يصيبهم أذى أو مكروه؛ وعند وصولهم إلى موضعهم وقفوا من بعيد، وبعث إليهم شيخ العرب بعضا من رجاله ليبلغوا لهم الرسالة، فلم يكن منهم جواب "سوى البارود"، فقتل رجلين من جماعة بن عاشور وجرح آخرون. وبعد قتال طويل لم ينج منهم سوى أحد أبناء بن زكري[9]، وأخوين من بن نعمون، والسماري. ثم يضيف في آخر كلامه، "أنّه صبر

---

[1] **أولاد سيد الشيخ:** كان موطنهم في بلاد الحنانشة. ينظر: الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة.

[2] **أولاد مسعود:** موطن هذه القبيلة في بلاد الحنانشة وأصلهم من الخضر حلفاوي وأيضا من ريغة. ينظر:
Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 31.

[3] الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة. كما قام عبد الجليل بنشر المعلومات الخاصة بهذه الغزوة في مرجعه: بايلك الشرق وأحمد باي، ص: 53. معتمدا عل الرسالة المعروضة أعلاه في استقاء معلوماته.

[4] **أولاد سيدي يحي بن زكري:** من القبائل القاطنة في منطقة الأوراس ومن أشد الأعداء للباي أحمد. ينظر:
Charles Féraud, Ferdjioua et Zouar'a (Note Historique sur la province de Constantine, R. A. 1878, P : 20.

[5] **بن نعمون:** من القبائل الحاقدة على أحمد باي والتي لم ترضخ أبدا لسلطته وكانت دائما في حالة عصيان، وخوفا من انتقام أحمد باي فروا للاختباء في جبال القبائل. حيث كان مقورة بن عاشور يدعمهم بالحماية ويستلزمات العيش هناك. ينظر:
Ibid, P : 20.

[6] يقصد بالشرق منطقة تونس. ينظر: الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة.

[7] **بلقاسم ولد يونس:** بعد سقوط مدينة قسنطينة، دبر لأحمد باي مكيدة بالتعاون مع أولاد سيدي يحي والزرالنة، فكتب إلى القائد الفرنسي وقال له:"أعطوني 40000 دورو أوزعها على الأعراب وآتيكم برأس الباي"؛ وعندما علم هذا الأخير بهذه المكيدة حكم عليه وعلى ابنه بالإعدام. ينظر:أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 88.

[8] ذكر أحمد باي في تقريره للباشا أنّ سبب رحيل هذه القبائل يعود إلى "أنّ عمدتهم ومن كان عليه أمرهم والمعول عليه" ذهب ولا بقاء لهم بعده. ينظر: الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة.

[9] **هو الحاج مسعود بن زكري:** فرّ إلى مدينة الجزائر على إثر المجزرة التي وقعت لعائلته على يد أحمد باي سنة 1243هـ/1827م. وبعد سقوط مدينة الجزائر انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي، فولي منصب "شيخ العرب". شارك في الحملتين التي شنها الاحتلال على مدينة قسنطينة (1252-1253هـ/1836-1837م). بعدها ولي قائدا على أولاد عبد النور. ينظر:
Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 114.
في حين علق يحي بوعزيز أنّه من نجا من هذه الحادثة هو العربي بن نعمون في حين قتل كلّ من محمد بن زكري وعبد الله بن زكري وبن الأبيض والشيخ الزواوي. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 93.

كثيرا على فسادهم إلى حين هذه الواقعة، والتي فيها نفذ صبره، فأراح منهم البلاد والعباد ولم يحزن أحد على ما أصابهم"[1].

وقد أضاف أرنست مارسي بعض المعلومات المغيبة في تقرير أحمد بـاي، وعدم إدماج هذه المعطيات مع ما ورد في نص الرسالة يعود إلى عدم تأكدنا من أنه كان يتكلم على الموضوع نفسه، وإنّما هذا الطرح كان مجرد فرضيات قد يحتمـل الحقيقة، كما يحتمل غير ذلك.

فقد ذكر أرنست أنّه عندما ذهب أحمد باي إلى الجزائر لتقديم دنوش الربيع، استغل فرصة رضا الباشا وحاشيته عليه لما قدّمه من عطايا نقدية وعينية، ففاتحـه في أمر تأديب قبيلة الحنانشة، كما طلب منه الإذن بتصفية بعض الشخصيات التـي وصفها بأنّها تشكل عناصر مشاغبة تثير الفتنة وتزعزع الأمن، فكان له ما أراد[2].

وعند عودته إلى قسنطينة قام باستدعاء كلّ من ابن غانة وبن عاشور وعـز الدين وصرّح لهم بأنّه حان الوقت لتنفيذ الخطة التي اتفقوا عليها بتاريخ 1242هـــ/ 1826م. فأمر أحمد باي محمد بن غانة على رأس قوة محاربة تضم فـي صـفوفها فرسان من الجنوب بالتوجه نحو جبل شطابة[3]، في الوقت نفسه تحرك فيه بوعكاز ومعه فرسان من فرجيوة، وكذا عز الدين وتحت قيادته فرسان مـن زوارة، وعنـد الإشارة المتفق عليها هاجمت كلّ القوات الثلاث الجبل عند زاوية الزواوي[4] أيـن اجتمع الفارون واحتموا بخادم المرابط، معتقدين بأنّ تواجدهم بالزاوية سوف يحميهم من القتل، لكن ما حدث هو العكس، بحيث قتل كـلّ من كان متواجدا في الزاوية[5]. في حين ذكر آخر أنّه لم ينج منهم سوى شخص واحد[6]، وهو المدعو "العربي بـن

1- الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة.

2- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P , P : 377.

3- **جبل شطابة**:جبل موجود في المنطقة الغربية لقسنطينة. ويبلغ طوله 1316م. ينظر:
Jean Des Pois Rèné Raynal, Géographie de l'Afrique du nord-ouest, Payot, Bibliothèque scientifique, Paris, 1967, P : 173.

4- **زاوية الزواوي**: تقع في الجنوب الشرقي لدوار بني زياد (روفاش) في منطقة الشرق الجزائري. ينظر:
Bouaziz Ben Gana –Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P :35 .

5- Voir : Ibid, P : 35. Et: Ernest Mercier, Op. cit, P, P: 377.

6- Bouaziz Ben Gana, Op. Cit, P: 35.

نعمون"[1].

بعدها حملت جثث القتلى إلى مدينة قسنطينة لتعرض أمام الملء حتى تكون عبرة لكلّ من سولت له نفسه شق عصا الطاعة والخروج على السلطة الممثلة في شخص أحمد باي[2].

ولم يهدأ أحمد باي؛ فأينما كان التمرد والعصيان إلاّ وجدناه يصحب قواته بنفسه لمعاقبة العصاة. ومثال ذلك، ما حدث بتاريخ 14 ربيع الأول من سنة1242هـ/1826م، إذ قرر أن يشن غزوة على فرع من فروع قبيلة الحنانشة[3] تدعى السبانية. وعند التقاء القوتين وبعد قتال عنيف، سقط من الطرفين الكثير من الرجال، عندها اضطر أحمد باي وقواته للانسحاب تفاديا لخسائر أكثر، ولكن لم يكن يعني ذلك الاستسلام، فالمعروف على شخص أحمد باي أنه كان يرفض الهزيمة؛ لهذا أخذ ينتظر الفرصة الملائمة للانتقام منهم، فكان له مراده وتم له ذلك بمساعدة الزمول[4]، وقد تسبب لهم في خسائر بشرية ومادية[5].

ولعلّ هذه الحملة هي التي ذكرها أحمد باي في تقريره للباشا المؤرخ في 12 من الربيع الثاني 1242هـ/1826م، بحيث أعلمه بأنه شن غزوة ضد هذه القبيلة بسبب امتناعها على تسديد ما كان عليها من مطالب مخزنية مند فترة طويلة "فأصبح عليهم يوم الخميس في جبلهم"، وبعد قتال عنيف تمكن مع قواته من إحراز النصر.

1- **العربي بن نعمون**: كان جابيا للمطالب المخزنية على عهد أحمد باي، ثم اعتزل وبقي خارج قسنطينة يكشف عن نقاط ضعف الباي للفرنسيين. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:1، ص: 144. توفي سنة 1273هـ/1856م. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 93.

2- الرسالة رقم:(19) في الترتيب العام للمجموعة.

3- **قبيلة الحنانشة**: كان جدهم الأول يدعى حناش، أحد أشهر فرسان الفتح الإسلامي، وهم من نسل الأحرار النبلاء. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine, R. C, 1871-1872, PP : 128-129. وتكونت هذه القبيلة من ست عشرة فرقة، وهم من الأشراف. وكان شيخها يحمل ختما وقفطانا مزينا بالخيوط الذهبية. ينظر: Charles Féraud, Les Harar seigneurs des Hannencha, R. A, N : 18, 1874, PP : 364-365.

4- **الزمول**: قبيلة موجودة على بعد 40 كلم من جنوب شرق قسنطينة، كان استقرارهم في بداية الأمر في عين سمارة. وكانت هذه القبائل تخرج مع الباي عندما كان يشن حملاته، فهي قبائل مخزنية متكونة من 500 فارس كلهم يمتازون بالمهارة والقوة القتالية. وكان يشرف عليهم قائدا تركيا. ينظر: Leila Babes, Tribus , P :55. ويضيف آخر بأنها قبيلة عسكرية وإدارية في آن واحد من أقوى وأقدم القبائل في البايلك، استقروا في هضبة مليلة. ينظر: Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine:P :139.

5- Charles Féraud, R. C, 1871-1872, P : 365.

فقتل منهم 52 رجلا بعث "برؤوسهم إلى قسنطينة"[1]. كما اغتنم بـ 200 هـوير، و3000 رأس بقر، و3000 رأس غنم، و77 ما بين خيل وبغال؛ وممّا زاد من نسبة نجاح العملية أنّه لم يقتل أحد من رجاله إلاّ اثنين "من الدايرة" الذين جرحا[2].

وخلال السنة نفسها، توجه إلى ناحية القبلة قاصدا بلاد الحنانشة[3] لإصلاح بعض أمور الرعية هناك، فبلغه أنّ بعضا من "الجبابلية" امتنعوا طيلة السنوات الماضية عن أداء واجباتهم والمتمثلة في تسديد ما كان عليهم من مطالب مخزنية، لذلك وجب على أحمد باي "كسر شوكتهم". فشن عليهم غزوة، عندها لم يكن أمامهم حل سوى الفرار، فاستحوذ على 615 رأس من البقر، و63 ما بين خيل وبغال، و1000 رأس من الغنم[4].

كما استغل فرصة تواجده بالمنطقة فقام بمعاقبة قبيلة أخرى تدعى وشتاتة[5]. وصفها بالعصيان وعدم الخضوع لواجباتها اتجاه السلطة، فهي لا تدين بالولاء لا لقبيلة الحنانشة أو لسلطة الباي[6]، كما أنّ أهل المنطقة اشتكوا من ظلمهم وفسادهم، فأخذهم أخذا ذريعا، إذ قتل منهم الكثير[7].

أمّا بتاريخ 29 رجب من سنة 1242هـ/1826م فقام بتأديب قبيلة تدعى أولاد ضيا[8]، عندها لم يكن لها حل سوى الفرار والاختباء خوفا منه. لهذا لم يتمكن منهم،

---

[1] عندما كان يتعلق الأمر بذكر القتلى، فإنّ أحمد باي كان يستعمل في رسائله العبارة التالية: "قطعت منهم كذا رأس" وأيضا عبارة: " حملت رؤوسهم إلى قسنطينة". ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-28-29-30).

[2] الرسالة رقم: (29). وقد نشر مرسيل أمريت في مرجعه،"الجزائر على عهد الأمير عبد القادر ترجمة لها.

[3] وصفت هذه القبيلة بالقوة والغنى، إذ شغلت المنطقة الأكثر خصوبة وإنتاجا وقد استغلت مكان استقرارها الحدودي بأن تتهرب من السلطة العثمانية. ينظر:. Jean Moriszot, L'Aures, P :109 فلقد كانت قبيلة الحنانشة تتحكم في الطريق الذي يصل قسنطينة بتونس وهذا يعني بالنسبة للسلطة ضرورة التحكم والسيطرة على هذه القبيلة حتى يبقى الطريق مفتوحا أمام الجميع. Charles Féraud, R. C, 1871-1872, P : 365. وقد دخلت هذه القبيلة منذ البداية في صراع عنيف مع أحمد بايِ، ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى القرار الذي اتخذه بشأن تنصيب رزقي شيخا عليها مع أنه غريب عن القبيلة ولا ينتسب إلى سلالة الأشراف مما أثار غضبها. ينظر: Temimi, Beylec de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 140.

[4] الرسالة رقم:(29) في الترتيب العام للمجموعة.

[5] **قبيلة وشتاتة**: كان موطنها براس الدخلة ببلاد الحنانشة في منطقة الأوراس. ينظر: الرسالة نفسها.

[6] أمدنا أحمد باي بمعلومات قيمة حول هذه القبيلة والتي لم نعثر عليها في المصادر أو المراجع المستعملة في هذا البحث.

[7] الرسالة رقم:(29) في الترتيب العام للمجموعة.

[8] **أولاد ضيا**: فرع من فروع قبيلة الحنانشة، كان موطنها بمنطقة الأوراس. ينظر: الرسالة رقم (15).

ولكنّه اغتنم بـ 113 رأس من بقر، و114 رأس شاة غنم و30 مابين بغال وخيل[1].

أمّا بتاريخ 7 من رجب سنة 1243هـ/1827م، فقد قام أحمد بايِ رفقة قواته بشن غزوة على أولاد سلطان، وعند وصولهم إلى موطنهم، وجدوا المكان خاليا، ذلك أنّه تم إعلام أفراد القبيلة بأمر الغزوة، لهذا جمعوا أمتعتهم وتحصنوا بالجبل، عندها ولى أحمد باي رفقة قواته دون أن يتمكن منهم[2]. ولكنّه لم يستسلم لهذا الأمر، بل أخذ ينتظر الفرصة الملائمة لمعاقبتهم، وقد تم له ذلك في السنة الموالية أيّ في 1244هـ/1828م فأوقع بهم خسائر معتبرة[3].

واستغلالا لتواجده بالمنطقة قرر أن يشن غزوة أخرى على "فرقتين من جبابلية"، هذه الأخيرة كان موطنهما بسرج الغول[4]، "فأصبح عليهما يوم السبت الثالث من رجب فأخذهما أخذا ذريعا"، إذ قتل منهما البعض، ولكنّه أعتق البقية، أمّا في صفوف أحمد باي فقد جرح اثنين و"الأغلب سلامتهم". كما اغتنم غنائم كثيرة قدرت بـ 4000 من الغنم، و400 من البقر و100 ما بين خيل وبغال[5].

وفي 18 من ذي الحجة سنة 1243هـ/1827م، قام بتأديب فرقة من قبيلة النمامشة، تدعى "أولاد رشاش"[6]، تقيم بوطن يسمى "المحمل"، الذي كان يقع بناحية القبلة[7]. فبعدما بعث لهم رسائل تهديد وإنذار[8] ليكفوا عن أعمال "الفساد"

1- الرسالة رقم (15). ولقد تناولت بعض المراجع أحداث غزوات أحمد باي على قبيلة الحنانشة ولكن دون أن تذكر تفاصيلها، فيما بيّنها أحمد باي في رسالته هاته. ينظر كلّ من: محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 53. أيضا الرجوع إلى كلّ من: Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 91. Aussi : Pechot, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, P : 135.

2- الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

3- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية.

4- **سرج الغول**: منطقة موجودة بناحية الجوف ما يقرب ويلي جهة البحر. ينظر: الرسالة: (26).

5- الرسالة نفسها.

6- **أولاد رشاش**: تعود أصولهم إلى الفتوحات الإسلامية، والمؤسس الأول رشاش استقر منذ القدم في المنطقة، فانصهرت هذه الفرقة مع النمامشة. ينظر: Babes, Tribus et structures P : 94. في حين ذكر آخر أنّ أصول هذه الفرقة من أولاد سحاولة من الصحراء، لهم عين رائعة تدعى عين حوش بالقرب من الآثار الرومانية تسمى القصر. ينظر: Vayssette, R.C, 1869, P : 62.

7- كانت هذه القبيلة تقصد المراعي الشتوية الواقعة إلى شرق من خنقة سيدي ناجي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 282.

8- ينظر نموذجا من هذه الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى القبائل المتمردة من أجل إنذارهم الصفحة رقم: (143) من هذه الجزئية.

ويقوموا بتسديد ما كان في ذمتهم من مطالب[1]، وبعدما تأكد لـه رفـضهم وعـدم إذعانهم للأوامر، لجأ إلى الحل الأخير، الذي تمثل في معاقبتهم بشن غزوة علـيهم، وكان ذلك "ردعا وزجرا لغيرهم" -على زعمه-. فكلفهم بذلك خسائر بشرية ومادية، إذ قتل منهم 38 رجلا، في حين استحوذ على غنيمة كبيرة قدرت بـ 1621 رأسا من الغنم، و5850 من الإبل، و35 هويرا و33 رأسا من البقر[2].

ويضيف أحمد باي بأنّ فرق النمامشة "ليسوا كلهم مثل أولاد رشاش عصاة، منافقين، يقطعون الطرقات ويأكلون أموال الناس ظلما وعدوانا"، ولا يـدفعون مـا عليهم من مطالب مخزنية، فهذه العلاونة والبرارشة[3] على عكـسهم تمامـا، فقـد أذعنوا له بالولاء والطاعة، كما سددوا ما كان عليهم من مطالب مخزنية[4]، عنـدها نصب قائدا عليهم[5].

ولم تكن كلّ الحملات العسكرية التي كان يشنّها رفقة قواته على بعض القبائل سببها عدم تسديد المطالب المخزنية فقط؛ بل كانت أيضا استجابة لطلب أحد الشيوخ الذي لم يتمكن من السيطرة على الأوضاع داخل القبيلة التي كان مسؤولا على إدارة شؤونها.

فهذا شيخ الأوراس يستنجد بأحمد باي من أجل تأديب قبيلة أولاد سعيد[6]، هذه

---

[1] إنّ وضع التمرد الذي كانت عليه هذه القبيلة يعود إلى كونها كانت تعيش حياة قوامها الترحال والانتقال وراء قطعان المواشي وبحثا على مصادر المياه والكلأ، الأمر الذي ساعدها كثيرا على التهرب من السلطة والامتنـاع عن الخضوع وتسديد المطالب. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 277.

[2] الرسالة رقم:(18) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] **العلاونة والبرارشة:** أصولهم عربية، وانصهروا مع النمامشة. ينظر: Babes, Tribus et structures , P : 92. في حين ذكر آخر أنّهم كانوا منتشرين في البطاح الممتدة من خنشلة إلى باتنة. ينظر: ناصر الـدين سـعيدوني، دراسات وأبحاث، ص:277. فكان العلاونة يترددون على مراعي نقرين، في حين كان البرارشة ينزلون فركان. ينظر: المرجع نفسه، ص: 282.

[4] من خلال هذه المقارنة يحاول أحمد باي أن يوضح أمرا مهما، وهـو أنّ كلّ من سدد ما عليه من مطالب مخزنية، ولم يقم بأعمال تتنافى والمصلحة العامة للرعية فإنّه في مأمن من العقاب، في حين كلّ من يتجرأ على نقد هذه القواعد فيحق عليه العقاب. هذه العدالة في رأي أحمد باي.

[5] الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

[6] **أولاد سعيد:** ظهرت هذه القبيلة في القرن الثالث عشر ميلادي. كانت تتفرع في مطلع العهد العثمـاني إلـى فرعين رئيسيين: الفرع الأول يضم أولاد مولود الذين استقروا بنواحي نقرت، أمّا الفرع الثاني وهم سعيد عطية فاستقروا بنواحي نفوسة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحـاث فـي تـاريخ الجزائـر، ص: 266. وخضعت هذه القبيلة لقيادة العمامرة بالأوراس. ينظر: المرجع نفسه، ص: 290.

الأخيرة شقت عليه عصا الطاعة، وخالفت أوامره، فلم يجد له طاقة في مواجهتها سوى طلب العون من أحمد باي. لهذا جهز لها هذا الأخير قوة عسكرية من أجل معاقبتها. فتم له ذلك، وقد قتل منهم الكثير، واستحوذ على غنائم قدرت بـ 6000 ما بين غنم وكباش، و600 رأس بقر، و70 هويرا وعددا من البغال والخيل. وتم له كلّ ذلك في 30 من شوال سنة 1244هـ/1928م[1].

وفي التاريخ نفسه، قام أحمد باي رفقة قواته بمعاقبة فرقة من أولاد دراج[2]، هذه الأخيرة شقت عصا الطاعة على السلطة[3]، فبعد أن ألحق بها خسائر كبيرة، لم يعد أمامها حل سوى الرضوخ بالطاعة مقدمين له أربعة عشر فرسا[4] كرمز لبداية عهد جديد[5].

كانت هذه بعض النماذج الحية عن الحملات العسكرية التي كان يشنها أحمد باي رفقة قواته على القبائل المستقرة بمنطقة الأوراس[6]، هذه الأخيرة لم تكن الوحيدة التي كانت مستهدفة، بل كانت هناك مناطق أخرى غيرها على مستوى البايلك أين قام أحمد باي بشن حملاته عليها، ولكن لم يكن هو قائدها، بحيث تمت عملية التأديب دون تدخله المباشر. مثال ذلك ما كان له على مستوى منطقة فرجيوة.

1- الرسالة رقم:(30) في الترتيب العام للمجموعة. وقد نشر أرنست مارسيل ترجمة لها في مرجعه:
Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abed Kader, PP : 245-246.

2- **أولاد دراج:** قدم أجدادهم من أولاد سلطان، وهم يشكلون دوارا واحدا يبلغ مساحته 3214 هكتار. ينظر:
Charles Féraud, Notes historiques sur la tribus des Ouled Abd Nour, R.C, 1861, P : 101.
في حين ذكر عبد الجليل التميمي بأنّها تتكون من تسع دواوير مستقرة في جنوب مدجانة من جانب مدينة مسيلة. ينظر:
Abdel Jelil Temimi, Beylec de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 137.
وأولاد دراج كانوا يملكون خيولا مدربة على الإغارة ، لهذا عرفوا بأنهم قطاع طرق وسراق، وفي حالة تمرد وعصيان دائمة ضد السلطات العثمانية، ولهذا كثيرا ما فرضت عليهم عقوبات. ينظر:
Jean Morizot, L'auras ou la mythe de la montagne rebelle, P : 106.

3- بالرغم من التمرد الذي كانت هذه الفرقة إلا أنّها في سنة 1259هـ/1843م وعندما تحول أحمد باي إلى الجهات الغربية فبلغ نواحي الحضنة، استنجدوا به ليقف معهم ضد خليفة الأمير عبد القادر على الحضنة والزيبان محمد الصغير بلحاج، فألف منهم قوة من الفرسان والمشاة وتوجه بهم نحو بسكرة آملا على استرجاعها وجعلها قاعدة لمقاومته، ولقد حقق انتصارا. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص: 51.

4- كان تقديم الفرس للباي الممثل الأول للسلطة العثمانية في تلك الحقبة التاريخية يمثل رمزا للخضوع وطلب الأمان والدخول في الطاعة. ينظر:
M. TH. Pein. Lettres Familières Sur L'Algérie, P : 186.

5- الرسالة رقم:(30)، في الترتيب العام للمجموعة.

6- من خلال وضع مقارنة بين المعلومات الواردة في هذه المراجع وما جاء في رسائل أحمد باي، فإنّه تبين أنّ هذه الأخيرة قدمت معلومات جديدة حول هذه الحملات بكلّ تفاصيلها الصغيرة والكبيرة.

فبتاريخ 19 من محرم عام 1244هـ/1828م، قصد أحمد باي رفقة قواته وطن فرجيوة، ليعاين أمور الرعية والأحوال الأمنية بها. فعلم بموضوع مقورة بن عاشور[1]، الذي كان ينشر الفتنة ويزرع روح العصيان بين أفراد القبائل المستقرة على مستوى المنطقة[2].

أثناءها تجرأ مقورة مع مجموعة من رجاله (خدامه) على التسلل إلى أن وصلوا إلى مكان إقامة المحلة أين كان شيخ العرب[3] متواجدا. فحدث بين الفريقين قتال عنيف، من خلاله هزم مقورة وجماعته، هؤلاء ولوا بالفرار بعدما قتل منهم ستة، حملت رؤوسهم إلى أحمد باي؛ هذا الأخير ذكر بأنّه "ما قويت شوكة مقورة إلاّ بأموال بن زكري" التي قام بتوزيعها على القبائل ليشتري منها ولاءها ومساندتها ضد كلّ من كان يمثل السلطة العثمانية. وبهذا أصبحت هذه الشخصية تشكل خطرا كبيرا على الأمن بالمنطقة، لذلك أصبح من الضروري التخلص منها. وبالفعل تم له ذلك، فقد ذكر في تقريره للباشا أنّه تم القضاء عليه والتخلص من شره، الذي كان يهدد كيان السلطة في المنطقة[4].

وبهذا فقد استعمل أحمد باي كغيره من البايات الذين سبقوه على حكم البايلك صفة شن الحملات العسكرية -الغزوات- ضدّ كلّ من كان يرفض دفع المطالب المخزنية أو لقيامهم بأعمال تخالف النظام العام الذي فرضته السلطة وهذا بناءا على ما ذكره أحمد باي. وقد استخدم من أجل ذلك فرسان المخزن كسلاح يجرد في أيّ وقت ضد المناهضين للسلطة والمتمردين على الحكم، ممّا ترك أثرا سلبيا على نفسية السكان ونظرتهم للوجود العثماني بالبلاد، فأصبحوا لا يستجيبون لأيّ عمل جماعي، همهم الوحيد انتظار وتوقع الحملات الانتقامية لفرسان المخزن وما تسببه

1- حول ترجمة لهذه الشخصية ينظر: الفصل الأول، المبحث الثاني، ص: (66).

2- **سكان المنطقة**: ومنها تلقب قبيلة فرجيوة، هذه الأخيرة كانت تضم أربعة وعشرون فرعا تتوزع على ثلاثين دوارا. ينظر: Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 137.

3- **سلطة شيخ العرب بالمنطقة**: امتدت سلطة الشيخ من الشرق إلى الغرب، ومن عين خشياج إلى جميلة. وبعد سقوط مدينة قسنطينة عينت السلطات الاستعمارية خليفة على فرجيوة والذي كان تحت إدارته كلّ قبائل شرق قسنطينة بين السهل، ووطن سطيف، والجريد. ينظر: Ibid, P : 137.

4- الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

من قتل وسلب للثروات والمصادرة للأراضي الزراعية، إذ قدر مجمل من قتل من الرعية بـ 255 شخص؛ في حين قدرت قيمة الثروات المصادرة بـ40827 رأس غنم، و6149 رأس بقر، و377 ما بين بغال وخيل، و423 هوير، و592 من الإبل[1].

وهذا لا يمنع أن نشير بأنّ هذه السياسة هي التي مكنته من أن يعيد غالبية قبائل البايلك إلى الطاعة، مثال ذلك قبيلة النمامشة التي ظلت طوال العهد العثماني ثائرة ولم يتم إخضاعها إلاّ على عهده، حيث بدأت تستجيب لدفع المطالب المخزنية.

3/2)-المبحث الثالث: علاقات أحمد باي على مستوى الايالة.

إنّ عرض هذا المبحث هو عبارة على محاولة لإلقاء بعض الضوء على نوعية العلاقات التي كانت تربط أحمد باي مع حاكمه حسين باشا، وكذا مع بعض موظفيه الساميين، هؤلاء لعبوا الأدوار الأولى على مستوى مؤسسات الحكم. وأيضا موقفه من باي تيطري. وبالرغم من أنّ المعلومات التاريخية المستعملة في هذه الجزئية كانت شحيحة، خاصة فيما خص علاقته مع كلّ من باي تيطري ومنعدمة بالنسبة لباي الغرب، إلاّ أنّها كانت محاولة لتأسيس مادة تاريخية يمكن من خلالها تكوين صورة على مثل هذه العلاقات، حتى وإن كانت قليلة وغير متكافئة مع ما ورد في المبحث الثاني، فهذه الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على حجم المعلومات التي قدمتها الرسائل حول كلّ موضوع، لهذا فإنّ أيّ خلل في التوازن بين المباحث يعود إلى هذا السبب.

1-الولاء والتبعية لحسين باشا:

يعتبر الباي الشخصية الأولى على مستوى البايلك من حيث المسؤولية الملقاة على عاتقه، والأعمال الكثيرة التي كان مكلفا بإنجازها، الحضارية منها أو السياسية. فعندما نأخذ شخصية كأحمد باي، والذي كان مسؤولا على إدارة أكبر وأغنى منطقة على مستوى الجزائر، فإنّنا نقف أمام حاكم وجهت له مسؤوليات كبيرة، بحجم المنطقة التي كان يحكمها، والتي كان ملزما بها أمام الرعية أولا ثم أمام الباشا

---

[1]- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

وحاشيته ثانيا.

فلقد اتسمت علاقة أحمد باي مع حسين باشا بطابع الاستشارة خاصة في كلّ الأمور القضائية والبعض من المسائل الأمنية[1]. فما يستنتج من نصوص هذه الرسائل أنّه كان يعلمه بكلّ مستجدات الأمور الأمنية والاقتصادية على مستوى البايلك، الكبيرة منها والصغيرة، كما كان يحيطه بكلّ ما كان يقوم به من أعمال إدارية كالتولية والعزل[2]، وهذا بناءا على توصيات وأوامر من الباشا، فلقد صرح أحمد باي بذلك في إحدى رسائله مبينا أنّ الباشا حسين قد سبق له وأوصاه بأن يعلمه بكلّ ما كان يقع في دائرة مسؤولياته[3].

في حين تمثلت رموز الولاء والطاعة في عدة أمور منها ما كانت شكلية وأخرى ميدانية. فأمّا الشكلية فبرزت في الكثير من العبارات المتكررة، مثال ذلك نذكر ما ورد في إحدى رسائله:"...فانك اعزك الله لو تامرني في بدل نفسي لبدلتها والله رقيب علي وانا خديمك ووكيلك..."[4]. أيضا من خلال الدعاء له وتسميته بأسماء توحي بذلك[5].

أمّا رموز الولاء الميدانية، والتي نقصد من ورائها العمل الميداني الذي يوحي بذلك الولاء لصاحب الأمر، فتمثل في ظاهرة الدنوش[6]، هذه الأخيرة كانت توحي بصدق وبصورة واضحة على مدى التبعية والخضوع للسلطة المركزية. فالباي وهو يؤدي هذه المهمة يثبت على ولائه وطاعته لولي الأمر.

أمّا رضا الباشا فكان يفسر ويترجم في تسليم القفطان للباي[7]، والذي كان

1- الرسالة رقم:(15) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 23 شوال 1243هـ/1828م.

2- ينظر كلّ من: الرسالة رقم: (5-7-27) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

4- الرسالة نفسها.

5- يراجع في ذلك المدخل، ص ص: 8-9.

6- الرسالة التي ذكرت بأنّ الخليفة حمل الدنوش تحمل الرقم: (4) والمؤرخة في: 7 ربيع الثاني1241 هـ/1826م. أمّا الرسالة التي من خلالها حمل الباي الدنوش بنفسه فحملت الرقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة، والمؤرخة في أوائل ذي القعدة 1242هـ/1827م.

7- **القفطان**: حاولنا تقديم وصف لهذا القفطان ولكن لم نعثر في المصادر والمراجع على معلومات تساعدنا على معرفة شكله، سوى ما قدمه أحمد توفيق المدني فيما خص بوصف قفطان الباشا. ينظر: عثمان باشا الجزائر، ص: 164. وقد ورد ذكر موضوع القفطان في كلّ من الرسالة رقم: (5-18) في الترتيب العام للمجموعة.

يعبر في عرفهم على تجديد الثقة من الإدارة المركزية، وتمكينه من مباشرة مهامه وسلطاته المخولة له[1].

كما اتضحت من خلال استجابة أحمد باي لأوامر الباشا، مثال ذلك نذكر ما ورد في الرسالة المؤرخة في جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م من إعطاء الأمان لكلّ من السماري وبوزيان بالرغم من كونهما من ألد أعدائه والمتمردين على سلطته، فقد ذكر بصريح العبارة: "...وأعلمتهم أنهم جاءوا من المقام المعظم فلو كانوا قاتلين أن عليهم أمان الله ورسوله"[2].

ويتضح ذلك أيضا من خلال تنفيذه لكلّ الأوامر التي كانت ترده من السلطة العليا دون مناقشة أو تماطل، أو حتى إظهار أيّ نوع من العجز، خاصة تلك التي خصت أوضاع البايلك أثناء الأزمة الفرنسية الجزائرية[3]؛ فقد وجهت لأحمد باي مسؤوليات جسام بحكم أهمية المنطقة، ولأنها ضمت مركزا تجاريا "الباستيون" وأنّ تسليح هذا الأخير كان من بين الأسباب الأساسية لتأزم الوضع بين الحكومتين[4].

وكلّ ما ذكر من علامات الولاء والتبعية لولي الأمر تنفي تماما ما أورده البعض من المؤرخين خاصة الفرنسيين منهم، فهذا "مارسيل إمريت" "Mercel Emerit" يؤكد بأنّه لا توجد أيّة تبعية أو مرجعية لأحمد باي اتجاه الحاكم الأول في البلاد حسين باشا[5].

وممّا يدل أيضا على العلاقة الطيبة والمودة التي كانت قائمة بين أحمد باي وحسين باشا ورضا هذا الأخير عليه هو مناداته بـ "ابنه"[6]. فهذه المكانة لم تكن ممنوحة لكثير من الشخصيات التي كانت تحكم البلاد.

1- حينما كان يؤدي الباي الدنوش بنفسه فهو الذي كان يحمل القفطان معه، أمّا إذا أداه الخليفة فإنّه يعود بقفطان الشرف والذي كان يعتبر مناسبة فرح وابتهاج يهلل له قصر الباي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 65.

2- الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

3- ينظر في هذا الأمر كلّ من: الرسالة: (10-11-12-20) في الترتيب العام للمجموعة.

4- حول هذا الموضوع ينظر كلّ من الرسالة رقم: (10-11) في الترتيب العام للمجموعة.

5-L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 257.

6-Veyssette, Histoire de Constantine sous la domination Turque, R. C, 1869, P : 587.

والدليل الآخر على حسن العلاقة بين الطرفين، عملية تبادل الهدايا التي كانت تتم بينهما، مثال ذلك، الهدية التي قدمها حسين باشا لأحمد باي الممثلة في بندقتين ذهبيتين من أروع ما تكون عليه الأسلحة في تلك الحقبة التاريخية[1]. وأيضا ما أهداه له في إحدى المرات من "طنان ذهب من أفخر السلاح"[2]. كذلك من خلال المنحة القيمة التي منحها له إياها بتاريخ 13 من ربيع الثاني سنة 1243هـ/1827م، وتمثلت في جواد من أحسن الخيول العربية وأمهرها، وبندقية من النوع الفاخر، أيضا في جميع "أزواج الحرث بمنطقة حمزة وونوغة ومجانة وبحيرة عنابة"[3].

كما أرسل أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 1243هـ/1827م، هدية معتبرة تمثلت في قافلة من التمر والزيتون، وفرسين أحدهما أحمر والآخر أزرق، وبرنوسين جريديين، وبرنوسين من الحرير، وقندورة مجعبة بالحرير[4].

هذا عن موضوع الولاء والتبعية، أمّا فيما يخص رموز "الاستشارة"، فنجدها غالبا ما تبرز في المسائل القضائية، إذ لم يكن أحمد باي ليقرر أو يصدر أمرا أو حكما دون اللجوء إلى الباشا. فكثيرا ما ورد في نصوص رسائله أمر الاستشارة وطلب النصح، مثال ذلك ما جاء في نص هذه الرسالة: "... وشاورناك ونظرك أصلح"[5]، أيضا بقوله: "... ونظنك أصلح فالذي تأمرني به فالسمع والطاعة لله ثم لك يا أمير المومنين"[6]؛ ذلك أنّ أحمد باي كان يرى بأنّ الباشا أكثر منه علما وخبرة، ثم أنّ الأخذ بما كان يقدم له من استشارات لم يكن يعني أنّه كان غير قادر على حل تلك المسائل، بقدر ما دل على التبعية، وضرورة اللجوء إليه في كلّ الأمور[7].

1- الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في: 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/1826م.
2- الرسالة رقم:(30) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في: 14 ربيع الأول من سنة 1242هـ/1826م.
3- ملف الوثائق العثمانية، مجموعة رقم: 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.
4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 194.
5- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.
6- الرسالة نفسها.
7- حول هذا الموضوع ينظر كلّ من الرسالة رقم:(24، 28، 30) في الترتيب العام للمجموعة.

2)-علاقته مع كبار موظفي الايالة:

ترجمت هذه العلاقـات في شخصيتين لعبتا الأدوار الأولى فـي مؤسسات الحكم على عهده وهما: يحي آغا[1]، وإبراهيم الخزناجي.

أ-موقفه من يحي آغا: تميزت العلاقة بين الشخصيتين بنوع من الاضطراب، هذا إذا أخذنا بما ورد في البعض من المصادر والمراجع. أمّا من خلال ما قدمتـه المعلومات الواردة في البعض من الرسائل فتبين أنّ يحي آغا كان العـين السـاهرة للباشا على طريقة تسيير الأمور في البايلك[2]. كما شهد مع أحمد بـاي مختلـف الأحداث السياسة وأعانه على حلّها وتسويتها. فكانت بدايتها عندما أمره حسين باشا بمرافقته على رأس محلة قوية، وتم ذلك بتاريخ 1240هـ/1826م[3].

ففي بداية الأمر كان مرورهم بسور الغزلان، فونوغة، ثم زمـورة وبعـدها سطيف، فعنابة أين مكثوا فترة من الوقت لتسوية بعض الأمور العالقة. وأخيرا كان دخولهم مدينة قسنطينة. فتسنى لهما أثناء الطريق تأديب بعض القبائل، وردّ البعض الأخرى إلى الطاعة، من بينها، قبيلة أولاد سلطان التي كانـت فـي حالـة تمـرد وعصيان[4]. كما ساعده على ضبط الكثير من الأمور التي كانت عالقة. وقد كـان يوم دخولهما الأحد الحادي والعشرين صفر من تلك السنة "ففتحوا المحكمة المباركة، والمقصورة وبيوت دار الإمارة، كما اطلعوا على ما بداخل دار الحريم وهذا كلّه تم بحضور أهل ديوان النوبة". وكلّ ما عثروا عليه "جرد" في "جريدة" وبعث بها إلـى

---

[1] يحي آغا: هو من إقليم دنيز، عرف بقامته المتوسطة التي تميل إلى الضخامة وبشرته المائلة إلى السمرة، إلتحق بالجزائر في سن مبكرة واشتغل إلى جانب مهنته العسكرية حذاءا وذلك في أوقات فراغه. كان يجيد اللغة العربية والتركية، ممّا مكنته من ترقي في السلم العسكري من جندي بسيط بأوجاق رقم 253 بثكنة باب العزون، إلى منصب خزندار على عهد علي باشا (1231هـ/1815م)، بعدها أصبح قائدا على بوفاريك ثم على بني جعاد. وعندما تولى حسين باشا الحكم، سمحت له كفاءته وقدراته إلى جانب صداقته للداي إلى أن يرتقي إلى منصب قائد الجيش. عرف بأخلاقه الحميدة وعدله وإحسانه للضعفاء، شديد القوة على الجناة، لا يتورع عن معاقبة القياد الذين كانوا يسيئون التصرف. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 16.

[2] من بين الرسائل التي ورد فيها ذكر يحي آغا الرسالة رقم:(22-25) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] ينظر الملحق رقم: (6) من أجل الإطلاع على خريطة تبين مسيرة أحمد باي رفقة يحي آغا من مدينة الجزائر حتى وصولهما إلى مدينة قسنطينة مركز الحكم.

[4] من خلال رسالة بعث بها يحي آغا إلى حسين باشا. ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

حسين باشا ليطلع عليها[1].

ومن خلال هذه المعطيات فيستنتج أنّ يحي آغا قد شارك أحمد باي في مسيرته، خاصة في بداية حكمه، فلم يتخل عنه حتى بعدما تأكد من تسوية كلّ الأمور الإدارية، كما أعانه على تنصيب الشيوخ مثال ذلك تولية أربعة شيوخ على مستوى مناطق متفرقة من البايلك؛ إلاّ أنّ أحمد باي لم يقابل ذلك بالمثل، فقد شارك في مؤامرة حيكت ضده.

وأصل ذلك أنّ الحاج أحمد قبل أن يتولى منصبه كبايا على بايلك الشرق حاول أن يكسب ثقة يحي آغا[2]، الذي اعتبره الوسيلة الوحيدة لتحقيق مراده في الوصول إلى الحكم نظرا لمكانته ونفوذ كلمته عند الباشا، لهذا حاول إغواءه بشتى الهدايا والعطايا الثمينة، فقبلها يحي آغا بكلّ فرح وامتنان، لكنّه لم يتدخل في أمر تنصيبه. حينها أحس الحاج أحمد بخيبة أمل، فتحولت تلك الصداقة-المبنية على المصلحة- إلى حقد دفين، ومند ذلك الوقت أخذ ينتظر الفرصة المناسبة للانتقام منه، فسعى جاهدا للإيقاع به عند الباشا حسين.

وقد تم له ذلك، فقد اتفق مع إبراهيم الخزناجي على خطة محكمة لا تكون مصدر شك، هذه الأخيرة تمثلت في مفاتحة الباشا حسين بموضوع تقصير يحي آغا في توفير ما كان يلزم من المؤونة المخصصة لمحلة الشرق، فاستطاعا إقناع الباشا بتسببه في فساد "أقوات الجنود" أثناء عملية الحصار الذي ضربته القوات الفرنسية على السواحل الشرقية سنة 1243هـ/1827م[3].

أمّا الشريف الزهار فقد ذكر بأنّ يحي آغا عند رجوعه إلى مدينة الجزائر

---

[1] ملف الوثائق العثمانية رقم: 3206، الملف رقم: (1)، رسالة من يحي آغا إلى حسين باشا.

[2] بعد تدخلات ومساع قامت بها كلّ من والدته وعدة شخصيات مرموقة لدى يحي آغا، سمح له هذا الأخير بالإقامة في مدينة بليدة حيث مكث هنالك مدة عام ونصف. أثناءها وقع زلزال عظيم ضرب المدينة(المعلومات أكثر حول موضوع الزلزال الرجوع إلى: وليام شالر: مذكرات شالر، ص: 36.). حينها لعب الحاج أحمد دورا فعالا وكبيرا أظهر من خلاله التفاني والإخلاص في مساعدة الضحايا، كلّ هذا أثار إعجاب كلّ الرعية عامة ويحي آغا على وجه الخصوص، وكان من نتائج هذا العمل أن سمح له بالإقامة في ضاحية من ضواحي مدينة الجزائر، لكن لم يؤذن له بدخولها إلاّ في أيام الجمعة لأداء الصلاة. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 116-117.

[3] المصدر نفسه، ص ص:116- 117.

واجتماعه بالباشا حسين قدّم له تقريرا عما فعله مع أحمد باي من أجل إقرار الأمن بالبايلك، وأنّه أنفق ما عنده على المحلة، أمّا جملة ما جمعه من الأموال فقد تركها للباي الذي لم يقدم له أيّة مساعدة. فاغتاظ الباشا من ذلك، عندها كتب يلوم أحمد باي على تقصيره اتجاه الآغا. وعندما التقى أحمد باي بالباشا، وأثناء تقديمه للدنوش أكد له افتراءات الآغا، حيث كشف له بالدليل والحجة على كلّ ما كان يتقاضاه من مصاريف المحلة. وانتهى الأمر بعزل يحي آغا ونفيه إلى مدينة البليدة[1]. ولم ينته الموضوع عند هذا الحد، بل أمر الباشا فيما بعد بإعدامه[2].

وما يؤكد سوء العلاقات بين الطرفين، ما ذكرته بعض المراجع التاريخية في موضوع تعرض أحمد باي لهجوم مفاجئ من طرف قوات عسكرية يقودها يحي آغا في منطقة مجانة، ولكنّهم فشلوا في قتله[3].

وبهذا نجد أنّ العلاقة بين الرجلين لم تكن على ما يرام، فقد تخللتها منذ البداية أحاسيس الكره والحقد، هذا طبعا بناءا على ما قدمته بعض المراجع العربية والأجنبية، ولكن ما يستشعر من خلال ما ورد في البعض من الرسائل أنّه لم يكن يبدي ليحي آغا أيّ نوع من العداء أو التقليل من شأنه[4].

ب- علاقته مع إبراهيم الخزناجي: لقد شغل إبراهيم هذا منصب الشاوش في إدارة بايلك الشرق عندما كان الحاج أحمد خليفة عليه، لهذا فإنّ معرفته به كانت سابقة[5]. وعندما تزوج إبراهيم ابنة الباشا حسين ولقب آغا العرب في 1244هـ/ 1828م[6]، لعب الأدوار الأولى على مستوى الحكم، لهذا لجأ إليه الحاج أحمد من أجل أن يدعم حكمه ويكون له السند المعنوي والمادي، فوعده بأن يقدم له كافة

1- الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 29.

2- Charles Féraud, R. A. 1874, P : 118.

L. Pechot, l'Afrique du Nord, P : 135.

3- نذكر على سبيل المثال:

4- من بين الرسائل التي ورد فيها ذكر يحي آغا الرسالة رقم:(22-25) في الترتيب العام للمجموعة.

5- Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 90.

6- Ibid, P : 117.

المساعدات اللازمة. ولقد صرح أحمد باي بذلك في إحدى رسائله بدليل هذه العبارة:"...وأنتم وليتموني لإصلاح الوطن وتعينوني على من يفسد فيه..."[1]، وهذا التصريح الواضح يؤكد المعلومات التي أفادت بأنّ إبراهيم الخزناجي كان على وفاق وتفاهم مع أحمد باي.

ولم تنته علاقتهما عند هذا الحد بل تواصلت حتى بعد ما استلم أحمد باي زمام الحكم، فزيادة على ما ذكر أعلاه من العمل سويا على الإطاحة بيحي آغا. نجده يستشيره في بعض القضايا العالقة، والتي استعصى عليه حلّها.

فمن بين مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها، يوجد رسالة واحدة وجهت شخصيا إلى إبراهيم الخزناجي[2]، من خلالها عرض عليه قضية المدعو بوزيان بن علي[3]، مع أنّ هذه القضية قد تم مناقشتها عند لقائهما في موسم الدنوش، وقد أشار عليه إبراهيم الخزناجي بأن يعلم الباشا بتفاصيلها، إلاّ أنّ أحمد باي رفض معللاً بأنّه لا يريد أذيته وأن يمهله بعض الوقت، عسى أن يستقيم حاله. إلاّ أنّه زاد في عصيانه، وهو يستشيره في ما يجب أن يؤخذ من تدابير في شأنه[4].

كما اشتكى له أيضا من المدعو ولدو أورابح[5]، الذي أخذ يفشي أسرار إبراهيم الخزناجي بين الرعية[6]. ويضيف أحمد باي بأنّ مثل هذا الأمر لا يجب السكوت عليه، إذ من الضروري أن تتخذ ضده عقوبات صارمة وإلاّ فسوف يتجرأ

1- الرسالة رقم:(7) في التريب العام للمجموعة.

2- الرسالة نفسها.

3- **بوزيان بن علي**:عينه أحمد باي آغا الدار، وكان هذا المنصب من بين المناصب المهمة على مستوى إدارة البايلك. بعدها اتهمه بالتخاذل في دفع ما جمعه من مطالب مخزنية، ثم تبين له بعد ذلك بأنّه سرقها، عندها عزله بدون أن يصدر أيّة عقوبة في شأنه. بعدها اجتمع المدعو بوزيان بقريبه العربي والسماري عند مقورة بن عاشور، وعملوا على نشر روح العصيان والتمرد بين القبائل. ينظر: الرسالة رقم : (7) في الترتيب العام للمجموعة. دون تاريخ. وقد ذكر صالح بن العنتري أنّه عين آغا الدايرة على عهد محمد منماني. ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 89.

4- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

5- **ولد أورابح**: عندما قام أحمد باي بشن حملة على قبيلة بورتلي، ساعدها ولدو أورابح وسهل لأفرادها الأمر على الهروب والدخول إلى مدينة الجزائر وهذا ما أغضب أحمد باي كثيرا. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

6- لم يذكر أحمد باي تفاصيل هذه الأسرار. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

كلّ شخص سولت له نفسه إشاعة أسرار الحكام وزرع الفتنة بين أفراد القبائل[1].

وبهذا يستنتج أنّ العلاقة بين الطرفين كانت على وفاق ووئام. ولعلّ ذلك يرجع إلى مساعدة إبراهيم الخزناجي في أمر توليه إدارة أكبر وأغنى منطقة على مستوى التراب الجزائري.

3)-موقفه من باي تيطري:

لم تتطرق الكتابات التاريخية التي اهتمت بدراسة شخصية أحمد باي إلى ذكر نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين أحمد باي والبايات الآخرين. وبالرغم من ذلك فهذه محاولة لتقديم بعض المعلومات التي يمكن من خلالها إلقاء بعض الضوء على نوعية العلاقات القائمة بين هذه الأطراف، وإن كانت هذه الأخيرة لا تعبر بصدق وموضوعية على ذلك.

فقد كان المدعو مصطفى بومرزاق حاكما على بايلك تيطري على عهد أحمد باي، إذ تولى إدارته من 1235هـ إلى غاية سنة 1245هـ الموافق لسنة 1819/1830م[2]. وقد سام العلاقة بين الطرفين نوع من الاضطراب وعدم التوافق. وما يؤكد صحة ذلك، تعرض أحمد باي عند عودته من مدينة الجزائر أين حمل الدنوش إلى الباشا وبالقرب من البيبان غير بعيد من سور الغزلان، لمقاتلة مجموعة من الرجال كانوا تحت تصرف باي تيطري، فتصدت له القوة العسكرية المرافقة له بقيادة الحاج بن عبد الله وتمكنوا من قتل عدد منهم، بعدها انسحبت البقية هاربة. وبذلك نجا أحمد باي من مكيدة كادت أن تقضي على حياته لولا إخلاص وشجاعة

1- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **مصطفى بومرزاق**: وصفه فندلين شلوصر الذي رآه في إحدى المرات فقال عنه:" كان سنه يتراوح ما بين 42 و45 سنة، وهو رجل جميل الطلعة، طيب القلب". ينظر: قسنطينة على أيام أحمد باي، ص: 51. كما وصف بالشجاعة والحزم، عينه الباشا قائدا للجيش ولكنّه لم يستطع أن يحقق أيّ نصر. وبعد دخول العدو الفرنسي مدينة الجزائر أعلن بومرزاق الالتزام بالاتفاق المبرم. ادعى بومرزاق لقب الباشا لنفسه وراسل أحمد باي لكي يعترف به ويبايعه على ذلك ولكنّه رفض رفضا جازما. لم يطل موقف بومرزاق اتجاه العدو الفرنسي، فسرعان ما أعلن الحرب ضد العدو الفرنسي، فعزله كلوزيل وعين مكانه مصطفى بن الحاج عمر. وأخذ بومرزاق أسيرا إلى الجزائر. ولم يسع إلاّ الرضا بالنفي، فاختار بذلك الإسكندرية حيث مات في تاريخ غير معروف. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص: 38.

رجاله[1].

وتجهل أسباب هذا الهجوم، ولكن ما يمكن استنتاجه هو أنّ العلاقة بين الطرفين لم تكن بالودية. وتأكد ذلك، من خلال ما ورد في إحدى الرسائل، حيث ذكر أحمد باي لحسين باشا بأنّ بومرزاق عاتبه على تصرفاته اتجاه "الاصبايحية المسيليين"، هؤلاء أظهروا له خوفهم من أحمد باي عندما توجهوا "لخدمة" المحلة الموجودة في بايلك تيطري. ويعلل أحمد باي بأنّه لم يتسبب لهم في أذى وإنّما كان حزمه وقسوته عليهم، سببهما تخاذلهم وتكاسلهم على أداء مهامهم[2].

أمّا عن علاقة أحمد باي بحاكم بايلك الغرب، الذي كان يتولى إدارته الباي حسن[3] فلم ترد في شأنها أيّة معلومات سواء في المصادر والمراجع التاريخية، أو في رسائل أحمد باي. ويعتقد أنّ نقص المادة التاريخية بهذا الشأن يعود إلى بعد المسافة بين المنطقتين.

---

[1] محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 53.

[2] الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] **الباي حسن بن موسى**: تركي الأصل. لم يستطع السيطرة على الوضع في بايلك الغرب. فلم تكن له علاقات لا مع الحضر أو أهل البدو وغيرهم من ذوي النفوذ. وأثناء الحملة الفرنسية على المنطقة الغربية حاول الباي حسن أنّ يدعم سلطته باللجوء إلى الشعب، فاستشار أعيان البايلك لكنّهم لم يرضوا به حاكما عليهم، وبدلا من أن يعيد تنظيم أمور البايلك ويجند السكان باسم الجهاد ضد العدو المشترك فضل الانسحاب من مسرح الأحداث تاركا وراءه الأمور في فوضى. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص ص: 167-168.

الفصل الثالث

دور أحمد باي في العلاقات الجزائرية الخارجية

1/3)-المبحث الأول: العلاقات الجزائرية الفرنسية

-أسباب الأزمة الفرنسية الجزائرية

-الحصار الفرنسي على السواحل الشرقية

2/3)-المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية

-العلاقات الديبلوماسية

-دور تونس في الأزمة الفرنسية الجزائرية

إنّ مجموعة الرسائل التي كتبها أحمد باي إلى حسين باشا تعد من بين الوثائق المهمة التي تساعد على رصد الظاهرة التاريخية في تلك الحقبة، خاصة وأنها كانت تعالج الأوضاع المختلفة عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر. وما يميزها عن غيرها أنّها لم تتطرق إلى العلاقات الجزائرية الخارجية بأبعادها الثقافية أو التجارية، وإنّما كان محتواها يذهب إلى ذكر بعض التفاصيل عن الأزمة الفرنسية الجزائرية مخصصة كلّ المعلومات التاريخية حول الحصار الفرنسي المضروب على السواحل الشرقية والتدابير المتخذة من أجل مواجهة هذا الوضع الجديد.

كما تطرقت الرسائل إلى ذكر بعض المواضيع حول العلاقات الجزائرية التونسية، بما فيها المراسلات التي كانت تتم بين الطرفين. أيضا تم طرح بعض المشاكل العالقة التي كانت تقع بين الحكومتين، وكيف كان يتم معاجلتها.

ولم يتطرق أحمد باي في رسائله إلى ذكر تفاصيل عن علاقات أخرى غير الفرنسية والتونسية، وبناء على ذلك فسوف يكون محور موضوع هذا الفصل مركزا على العلاقات التي كانت تربط بين الجزائر وحكومتي فرنسا وتونس، مع تجنب الدخول في تفاصيل لا تمد بصلة للمعلومات الواردة في الرسائل.

وأول ما يستهل به موضوع هذا الفصل هو الأزمة الفرنسية الجزائرية ودور أحمد باي في مواجهة هذه الأزمة خاصة وأنّ السواحل الشرقية كانت من بين المناطق الأكثر استهدافا من وراء هذا الحصار، نظرا لمكانتها الاقتصادية والاستراتيجية. وبما أنّ أحمد باي كان المسؤول الأول على بايلك الشرق فكان عليه أن يواجه هذا الوضع، وتقاريره هذه تعطي صورة واضحة المعالم على الطرق التي واجه بها هذه الأزمة. وقبل الخوض في تفاصيل الحصار، لا بدّ من التطرق إلى الأسباب التي أدّت إلى اندلاع الأزمة بين الحكومتين.

1/3)-المبحث الأول: الأزمة الفرنسية الجزائرية

1-الأسباب المباشرة وغير المباشرة لاندلاع الأزمة:

ظهرت الجزائر منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، بتبعيتها للسلطة

عثمانية تحت قيادة "البايلرباي"[1] وبذلك بدأت معالم الحدود الإقليمية للجزائر تظهر ستقر تدريجيا، وينمو معها كيانها السياسي المنفصل عن تونس والمغرب الأقصى. خلال القرن السابع عشر بدأت الجزائر تنفصل إداريا عن الدولـــة العثمانيـــة [2]. بهذا أصبحت للجزائر روابط عديدة مع مختلف البلدان، ويظهر أنّ أوسع وأوثـــق ذه العلاقات كانت مع فرنسا[3].

فقد ربطت الجزائر مع فرنسا علاقات تقارب وصداقة وخاصة علـــى عهـــد نري الرابع، ثم تدعمت هذه العلاقات أثناء الثـــورة الفرنـــسية[4]، بحيـــث قـــدمت جزائر لفرنسا مساعدات تمثلت في قروض بدون فوائد، ومونتها بالحبوب لتفـــادي قوعها في مجاعة. وهذا فإنّ التزامات الحكومة الفرنسية المسجلة في هذه المناسبة م تحترم وتولدت عنها القضية الغامضة لديون فرنسا مع الباشا حسين[5] بواســـطة لتاجرين اليهوديين، أدّت هذه المسألة إلى نشوب أزمة حادة بين الحكومتين انتهـــت حادثة المروحة الشهيرة[6]، ثم فرض الحصار البحـــري علـــى كافـــة الـــسواحل

---

[1]- **عصر البايلرباي (950-995هـ/1544-1587م)**: اجتمع أهل الديوان يوم أن توفي محمد حسن آغا على تولية لحاج بكير –أوبشير– مكانه مؤقتا ريثما يتصل بهم الحاكم التركي المولى من طرف الباب العالي، فمكث الحاج كير على رأس الإدارة الجزائرية إلى أن قدم عليهم حسن باشا سنة 950هـ/1544م يحمل لقب "بايلرباي". نظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 48. ويعتبر هذا العصر من أزهى عصور الحكم لعثماني في الجزائر. ينظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص: 488.

[2]- من أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان لمطبوعات الجامعية، د ط، 1999، ص ص: 13-14.

[3]- قام التعاون الفرنسي العثماني أشبه بالتحالف سنة 942هـ/1535م، تلاه تعاون فرنسي جزائري. وقد عـــرف لفرنسيون كيف يستفيدون من صداقتهم مع أوجاق الجزائر ونجحوا في سنة 985هـ/1577م من تعيين قنـــصل يمثل مصالحهم، ثم تحصلوا في السنة الموالية نتيجة لأمر سلطاني على إذن باصطياد المرجان فـــي الـــسواحل لشرقية، شريطة أن يدفعوا مقابل ذلك رسوم متفق عليها، وعلى أن لا يقيموا قلعة بالمنطقة. فأقاموا على أساس ذلك مركزا تجاريا. ينظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص ص:217-218.

[4]- إبراهيم المياسي، المرجع السابق، ص: 15.

[5]- **جذور هذه القضية**: منذ عام 1208هـ/1793م، شرع باكري وبوشناق في عملية تزويد فرنسا بحبوب الجزائر عن طريق الوكالة الإفريقية إلى أن وصلت ديونها إلى 2 مليون فرنك، وكانت الخزينة الفرنسية تدفع إلى بكري وبوشناق مبالغ الحبوب لحسابهما، وباسمهما. وفي عام1211هـ/1796م أصبح لباكري، وبوشناق فـــي مينـــاء مرسيليا أكثر من أربعين ألف قنطار من حبوب الجزائر تم شحنها لصالح الوكالة الإفريقية لكي يتم تحويلها إلى الحكومة الفرنسية. ولكن يعقوب كوهين باكري ابن يوسف باكري جمدها في الميناء لمّـــا عجـــزت الحكومـــة الفرنسية عن دفع أثمانها. ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع دول وممالك أوروبا، ص: 110.

[6]- هذا بشهادة أبنائها فهذا الكاتب شارل يقول بهذا الصدد :"ما كانت هذه الحادثة إلاّ ذريعة وبادرة تتعلق بالسياسة الداخلية قامت بها حكومة تعاني صعوبات، فقد حاولت أن تبحث لها عن عملية تحفظ بها هيبتها. ينظر: شـــارل روبير أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعـــة العربيـــة لعيـــسى عـــصفور، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط:1، 1982، ص: 14.

الجزائرية، وأخيرا الاحتلال سنة 1246هـ/1830م.

وقد كان من وراء فرض الحكومة الفرنسية لهذا الحصار أسباب ودوافع مباشرة وأخرى غير مباشرة، منها ما كانت لها صلة بأحمد بايِ الممثل الأول على بايلك الشرق، ومنها ما لم تمد له بصلة. ولكن كان لا بد من الخوض في كلّ هذه الأسباب حتى لا يمهل أيّ حدث تاريخي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى حتى تُكوَّن سلسلة من الأحداث تخلو من بعض الثغرات التاريخية.

*-الأسباب غير المباشرة: لقد حاول الكثير من المؤرخين الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة، أن يجعلوا من قضية المروحة السبب الرئيس لاحتلال فرنسا للجزائر، لكنّ حكومة فرنسا قد خططت ودبرت له مند فترة طويلة، وهذا ما سيتبين من خلال ما سنبرزه من أحداث تاريخية، هذه الأخيرة أظهرت بأنّ الحكومة الفرنسية كانت ترمي إلى احتلال الجزائر مند زمن بعيد، فاختارت بذلك الوقت الملائم لتحقيق هدفها المسطر؛ وقد بحثت السلطات الفرنسية على الشخصية الملائمة التي يمكن لها أن توتر العلاقات بين الطرفين، فلم تجد سوى قنصلها بالجزائر "بيار دوفال""Duval Pierre"(1230-1242هـ)/(1815-1827م)[1] الذي أتقن أداء أدوار التمثيلية الناجحة التي أدّت إلى نشوب أزمة حادة بين الجزائر وفرنسا[2]، فنتج عنها إرسال الأسطول البحري الفرنسي بغرض تأديب حسين باشا وثأرا لكرامتها-على

---

[1] بيار دوفال: كان يبلغ من العمر عام 1239هـ/1825م خمسة وخمسين سنة، ابن لمترجم فرنسي. كان يتكلم اللغتين العربية والفرنسية بفصاحة. كتب عنه الكابتان كران في تقريره الذي سلّمه للشرطة الفرنسية بمرسيليا سنة 1239هـ/1825م، أنّه كان غير مرغوب فيه بين الأوساط الأوروبية، ذلك لأنّه كان يتعامل إلاّ مع الأتراك واليهود. أمّا القنصل الأمريكي (1229هـ/1815م) فكتب عنه يقول:" إنّه عميل للأمراء، كما وصفه بعدم الكفاءة. ينظر: Charles Endré Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 24.

في حين وصفه حسين مؤنس:"بأنّه فرنسي فاسد الخلق، كاذب. فهذا الرجل كان يدّعي أنّه يمثل المصالح الفرنسية ولكنّه كان يتاجر لحساب نفسه، كما كان زير نساء عربيدا وهو دبلوماسي مشكوك في أمره. ينظر: تاريخ المغرب وحضارته، ص ص: 378-379. الرأي نفسه ذهب إليه بعض المؤرخين، فذكر أحدهم بأنّه كان شخصية غير لامعة ولم تكن له الخبرة الكافية التي كان يجب على كلّ قنصل أن يتمتع بها. ينظر:

Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination turque, P : 54

كما وصف بذلك الشخص الانتهازي المشبوه فيه. ينظر: بيار أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 14.

[2] لقد جرت العادة على أن لا يلتحق القناصل الأوروبيين بمناصبهم في الجزائر إلاّ بعد استشارة الباشا وموافقة السلطات على قبولهم، وكثيرا ما تم تغييرهم بناءا على طلب من السلطة الجزائرية، وهو تقليد كان جاري العمل به في ذلك الوقت. ينظر: جمال قنان، الأزمة الجزائرية، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من 1984، رقم:17، الجزائر، ص: 13. وهؤلاء القناصل الذين يقيمون في الجزائر لا يتصلون بالسلطات إلاّ بوصفهم قناصل. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص: 105.

زعمها-، ثم انتهت بظهور سلسة من الأحداث، أولها الحصار ثم الاحتلال. ولكن هناك أسباب أخرى هي الفعلية والحقيقية التي غيبها الخطاب الفرنسي سواء ذاك الذي كان على لسان ضباطها أو مؤرخيها[1] أو حتى على لسان بعض المؤرخين العرب، ومن بين هذه الدوافع نذكر:

أ-المطالب الإقليمية[2]: لقد كان الصراع على أشده بين فرنسا وانجلترا[3] من أجل بسط سلطانها ونفوذها على حوض البحر الأبيض المتوسط عامة، وعلى الجزائر خاصة، لما كانت تتمتع به هذه الأخيرة من موقع استراتيجي، ولما كانت تملكه من ثروات؛ خاصة منطقة عنابة، التي كانت محل طمع لكلّ الدول، نظرا لموقعها التجاري، فالوضع الملائم لمينائها وملاءمته للملاحة لم يخف على الكثير من التجار الأوروبيين خاصة الفرنسيين منهم[4] ونتيجة لما كانت تتوفر عليه من ثروات طبيعية[5]؛ من أجل ذلك حاولت الحكومة الفرنسية الاستيلاء عليها حتى تتمكن من امتلاك مركزا تجاريا وحربيا بشمال إفريقيا، منافسة في ذلك انجلترا التي كانت صاحبة السيادة في المنطقة[6]. كما كانت ترغب من وراء ذلك إلى

1- إنّ الحملة العسكرية التي شنّها الفرنسيون على الجزائر لم يكن الهدف منها تأديب الداي أو ثأرا لكرامة فرنسا، بل كانت فكرة اختمرت طويلا في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا ابتداء من هانري الرابع ومرورا بلويس الرابع العشر ونابليون بونابرت، فلقد هددوا جميعا وتوعدوا وحاولوا وأقسموا ولكن في النهاية لم يفلحوا. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 5. وما يؤكد صحة هذه المعلومات نص الوثيقتين. فأمّا الوثيقة الأولى فهي عبارة عن مذكرة مؤرخة في 1240هـ/1826م والتي بمقتضاها أعلنت فرنسا نيّتها في فرض الحصار البحري وذلك قبل حادثة المروحة بخمس أشهر. أمّا الثانية فتمثلت في رسالة وجهها وزير الخارجية إلى الداي حسين في عام1241هـ/ 1826م، وهي التي تعمد دوفال عدم تسليمها إلى الداي. ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع دول وممالك أوروبا، ص: 15.

2- اتفق جملة من المؤرخين على تسميتها كذلك. وقد أخذنا بذلك.

3- لقد كان اهتمام انجلترا بالبحر الأبيض المتوسط محدودا في القرنين السادس عشر والسابع عشر وكاد أن يكون قاصرا على أعمال شركة (الليفانت) التي تأسست سنة 989هـ/1581م، ولذلك كانت انجلترا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية بالجزائر، ولكنّ هذا التمثيل القنصلي الإنجليزي كان منقطعا مثل التمثيل القنصلي الفرنسي. ومن بين الاتفاقيات التي عقدتها الجزائر مع هذه الدولة تلك التي تمت عام 1222هـ/1807م وبمقتضاها تنازلت لها الجزائر عن حصن القالة لمدة محدودة. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 470.

4- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 204.

5- وأصدق دليل على ذلك ما جاء في نص الوثيقة التي عرضت على أحمد باي من أجل استسلامه، من بين ما جاء فيها تسليم مدينة بونة "عنابة" لكي يتخذ من مرساها مركزا لصادراتها ووارداتها بدلا من مرسى تونس. ينظر: المهدي البوعبدلي، جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، الأصالة، س:5، جمادى الثانية، رجب 1396هـ/1976م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص: 220.

6- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص: 448. وخاصة بعدما أصبحت انجلترا تتمتع بنفوذ سياسي في شبه جزيرة اليونان. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 18.

تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف لا تبعد كثيرا عن الوطن الأم[1].

ب-الأسباب الاقتصادية: تعددت وتنوعت الأسباب الاقتصادية التي دفعت بفرنسا إلى فرض الحصار على السواحل الجزائرية بما فيها الساحل الشرقي نذكر منها: جلب المعادن الضرورية من الجزائر إلى فرنسا لتتم عملية دوران عجلات الصناعة فيها، كذلك لجعلها مستوطنة للأعداد الكبيرة من الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة للاستيلاء على أجود أراضيها واستغلال ما فوقها وما تحتها من خيرات وثروات.

كما حاولت السلطات الفرنسية من خلال احتلالها للجزائر كسب رضا الطبقة البرجوازية التي وصلت إلى السلطة مع قيام الثورة عام 1204هـ/1789م، بعدما تحطم الإقطاع[2]، من أجل ذلك انضمت هذه الطبقة إلى الملك شارل في عدوانه على الجزائر وذلك من أجل تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى[3].

ج-الأزمة الداخلية في فرنسا: لا يمكن معرفة الأسباب الحقيقية لهذه الأزمة دون الإطلاع على الأحوال العامة داخل فرنسا؛ فعند وفاة لويس الثامن عشر سنة 1238هـ/1824م كانت الحكومة الفرنسية في أيدي طبقة الملكيين، التي كسبت تعاطف وتأييد الملك الجديد شارل العاشر، الذي أعاد الكثير من الامتيازات لرجال الدين وأعطى لطبقة الأشراف مليونا من الفرنكات كتعويض على ما فقدوه أثناء الثورة الفرنسية، كما ألغى حرية الصحافة وجرّد معظم أفراد الطبقة الوسطى من حق الانتخاب؛ كلّ هذه الإجراءات أدّت إلى ظهور علامات السخط والتذمر بين أفراد الشعب، حينها شعر شارل العاشر وجماعته بأنّ تيار الشعب الفرنسي يسير ضدهم، فرأوا أنّ الحل الوحيد للخروج من هذه الأزمة وامتصاص غضب الرعية،

1- حمدان خوجة، المرآة، ص: 5.

2- لقد ازدهرت خلال الحروب النابليونية الصناعة الفرنسية وتكدست منتجاتها وفاضت على حاجة البلاد، ولم تجد أسواقا واسعة لامتصاصها، بينما نمت البرجوازية الإنجليزية في هاته الفترة على حساب فرنسا التي ضيعت بعض مستعمراتها بعد سقوط نابليون، فغزتها البرجوازية الإنجليزية، بينما الإنتاج الاقتصادي للبرجوازية الفرنسية قد ازدهر كثيرا ممّا جعل هذه الطبقة تندفع نحو سياسة استعمارية نشيطة وتدخل حلبة التنافس والتصارع، بل والتقاتل من أجل توسيع دائرة النفوذ، وبناء المستعمرات التي هي بمثابة البقر الحلوب بالنسبة للدول الاستعمارية. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 22.

3- المرجع نفسه، ص: 22.

هو التفكير والتخطيط لشن حملة عسكرية ضد الجزائر للبث في الـروح الوطنيـة ولمنع أو على الأقل تأجيل الثورة التي كانت متوقعة[1].

*-الأسباب المباشرة: من بينها، ما عرف بحادثة المروحة المشهورة. وأصل هذه الواقعة تعود إلى الزيارة التي قام بها القنصل الفرنسي "بيـار دوفـال" "Pierre Duval" من أجل تقديم تهانيه للباشا حسين بمناسبة عيد الفطر كما كانـت تقتـضيه العادة والعرف المتداول عليهما في تلك الحقبة التاريخية، وأثناء تلك المقابلة جـرى حوار بين حسين باشا والقنصل دوفال[2]، انتهى بإثارة غضب الباشا[3]، هذا الأخير من فرط غضبه ضرب القنصل بالمروحة التي كان يحملها في يده[4]. ومـا أثيـر نقاشه في هذا الحوار الساخن مسألة تحصين الباستيون[5]، وقضية حجـز الرسـائل المبعوثة من طرف الباشا إلى الحكومة الفرنسية المتضمنة أمر تسوية الديون، التي تخذت منعرجا خطيرا.

فأمّا المسألة الأولى، فسببها يعود إلى مفاتحة القنصل دوفال الباشا في أمـر طلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين تم أسرهم من طرف البحارة الجزائريين، فلقد ظن القنصل أنّه في مثل هذا اليوم العظيم والسعيد لدى المسلمين يمكنه أن يستجيب ه الباشا وينفذ طلبه هذا، ولكن ما حدث كان العكس، بحيث اشتدّ غـضب الباشـا

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 257. ولم يكن السبب الرئيس من وراء هذه حملة، فهناك أسباب أخرى من بينها: إيجاد ميدان للجيش الفرنسي الذي فرض عليه مؤتمر فينا البقاء المستمر ي الثكنات، ويعتبر هذا في نظر الجميع خطرا يهدد الحكم القائم من حين لآخر. أيضا عمـل شـارل العاشـر أنصاره على كسب أكبر عدد ممكن من المقاعد في الانتخابات التشريعية التي تحدد إجراؤها، وتكـون حملـة جزائر أكبر وسيلة دعاية. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 19.

[2] أجري هذا الحوار باللغة التركية ولم يكن بينهما مترجم، وهذا يؤكد صحة المعلومة التـي ذكرت بـأنّ هـذا قنصل كان يجيد اللغة التركية. ينظر: E. Le Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger D'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Librairie académique Perrin et C^{ie}, 1913 P : 106

[3] كتب حسين باشا في سنة 1240هـ/1826م إلى وزير الخارجية الفرنسي فيلال طالبا منه تغيير دوفال بقنصل خر يكون أحسن منه سلوكا، وأكثر خبرة بأمور السياسة وحكم، فقد اتهمه حسين باشا بمشاركته في المـؤامرة، أنّه شخصا مشكوكا في استقامته وأخلاقه. ينظر: Charles André Julien, Histoire de l'Algérie, P : 26.

[4] هذه المعلومات أوردتها معظم المصادر والمراجع المستعملة في هذا الفصل.

[5] **الباستيون**: كلمة تستعمل للدلالة على المكان الذي بنى فيه الفرنسيون بعض المساكن لإيواء صيادي المرجان، كما ضم مخازن لحفظ هذه البضاعة. ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص: 91. أمّـا حسـين باشا فوصفه بأنّه مبنى صغير يمكن أن يقيم فيه ثلاثة إلى خمسة أشخاص. ينظر:
Kuran, Erkament, La lettre du dernier Dey d'Alger au grand Vizir de l'Empire Ottomane, R. A N : 96, 1952, P : 191.

متهما دوفال بأنّه حصّن وسلّح الباستيون[1]، بالرغم من أوامره الصارمة والواضحة في ذلك [2]. فلقد قامت السلطات الفرنسية ببناء حصن ووضعت أربعة عشر مدفعا من حديد ومدفعين من نحاس ومنجقين، كان يقوم على حراستها وصيانتها أكثر من مائة جندي تحت مراقبة وكيل القنصل الفرنسي بعنابة المدعو "ألكسندار دوفال" "Alexandre Duval"[3].

وعندما شاعت أخبار تسليح الباستيون ووصلت إلى مسمع المركانتي،[4] قام هذا الأخير بإبلاغ أحمد باي، ونظرا لخطورة المسألة والموقف، قام الباي بإعلام الباشا حسين. حينها استدعى الباشا القنصل دوفال طالبا منه تقديم توضيحات عن ما كان يجري في كلّ من مدينتي القالة وعنابة، فزعم معلّلا أنّ الرعية القاطنة بالمنطقة كانت تقلق الفرنسيين المتواجدين هناك وذلك بارتكابهم لعمليات سطو وسرقات متكررة، لهذا السبب فقط اتخذ المسؤولون على الباستيون إجراءات أمنية من أجل تخويفهم، فصنعوا مدفعين من خشب تظهر وكأنّها حقيقية ووضعوها أمام نوافذ المبنى، ثم أضاف بأنّ هذه الإجراءات عبارة عن إستراتيجية اعتمدها معظم ممثلي

---

[1] لم تكن تلك المرة الوحيدة التي حصن فيها الباستيون، فبالرغم من الأوامر الصارمة التي تمنع منعا باتا تحصينه منذ العهود السابقة، إلاّ أنّ السلطات الفرنسية لم تتوان على فعل ذلك، لأجل هذا أصدرت السلطات الجزائرية أمرا بتدميره سنة 1013هـ/1604م؛ أيضا من بين الأسباب التي دفعت السلطة العثمانية إلى تحطيم الباستيون هو أنّ الفرنسيين قاموا بشراء القمح من الأهالي من أجل بيعه للأوروبيين بالرغم من القحط الذي عمّ البلاد في تلك الفترة، ممّا أغضب السلطة. وبعد كلّ هذه الأحداث أعيد بناؤه سنة 1038هـ/1628م، إلاّ أنّه بعد تسع سنوات أصدر أمرا بتهديمه بعد أن ساءت العلاقات الجزائرية الفرنسية. ولكنّه أعيد بناؤه من جديد سنة 1050هـ/1640م. ينظر: كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال فرنسا للجزائر، ص: 19.

[2]-H. D. Le Grammont, Histoire de l'Algérie sous la domination turque 1515-1830, Arnest Leroux, Editeur, 1887, P : 38.

[3]-**الكسندر دوفال** "Alexandre Duval": هو ابن أخ القنصل الفرنسي بيار دوفال. استلم مهامه في الجزائر سنة 1239هـ/1229م، وصف بأنّه رجل طموح وعنصري فلقد تابع سياسة عمه بعدما توفي هذا الأخير بوباء الكوليرا سنة 1243هـ/1827م. عاد إلى الجزائر مع الحملة الفرنسية سنة 1246هـ/1830م، وانضم إلى مجلس الحكومة الفرنسي. ينظر: Capitaine Maitrot, Bône militaire, P :151.

[4]-**المركانتي**: عادة ما يكون هذا الأخير شخصا مثقفا وموكلا مباشرة من طرف الباي، ويضطلع بمهام التحصيل الجمركي في ميناء عنابة، كما يعتبر ممثلا للتجارة الجزائرية في هذه المدينة. وكان يتولى تطبيق الأوامر التي كانت تصله من الباي فيما يخص السماح أو منع تصدير السلع، إلى جانب اهتمامه باستقبال وشراء السلع وتخزينها ومراقبة والوقوف على شحن هذه السلع على متن السفن الأجنبية. ينظر: Derdour, Annaba, P:42.
كما كلف بمراقبة ومنع الغش والتهريب وعدم السماح للشركة إلاّ بشحن الكميات المسموح لها بها فقط. كما كان مسؤولا على مخازن الباي في عنابة حيث كلف باستقبال القمح الذي تحضره القبائل، ووزنه، ثم حفظه في المخازن، ومن ثم الوقوف على عملية بيعه حسب الأوامر التي كان يتلقاها من الباي. ينظر:
Journal de Bone, 9،21,1783, Archive de C. C. I, Marseille, L.3 / 1217, P:2
ولقد أسند أحمد باي هذه الوظيفة للمدعو الحاج عمار بن زقوطة الذي سوف يأتي الحديث عليه لاحقا.

الدول من أجل إخافة وإبعاد اللصوص، لكنّ الباشا حسين لم يقتنع بهذا الطرح المزيف، لهذا أمر أحمد باي بإرسال رجلين ثقاة إلى القالة[1] للتحقيق في المسألة.

وبعد عملية البحث تعين له صحة الأخبار الواردة عليه والتي مفادها أنّ السلطات الفرنسية قامت بتسليح الباستيون[2]. ولقد دلّت بعض المعلومات الواردة في رسائل أحمد باي على تواجد أسلحة في الباستيون، ممّا يؤكد صحة هذه المعلومات التاريخية؛ فلقد ذكر المركانتي لأحمد باي أنّهم وجدوا ست مدافع قديمة مطروحة أرضا و أمّا المدافع الجديدة فحملوها معهم عند مغادرتهم لمدينة القالة[3].

فيما تمثلت المسألة الثانية في حجز الرسائل المبعوثة من حسين باشا لممثلي السلطة الفرنسية. فمن ضمن ما دار من حوار بين الباشا والقنصل دوفال استفسار الباشا حول موضوع الرسائل التي لم يتلق عليها ردا. فسأل الباشا دوفال قائلا: " ما الأسباب التي دفعت بحكومتك على عدم الرد على رسائلي"؟ فكان جوابه:"هل تعتقد صراحة أن تتحصل على إجابة من حكومتي، لن تكتب لك هذا غير مهم"[4]. في حين ذكر حسن دردور أن جوابه كان بالشكل التالي:"لن تتدن أبدا حكومتي وتكتب لداي بربروسي، ولا أن تضع قيمة لاعتراضاتك"[5].

أمّا الباشا حسين فقد ذكر في التقرير الذي أرسله للسلطان العثماني أنّ القنصل الفرنسي دوفال ردّ على أسئلته بكلّ غرور ووقاحة قائلا:" إنّ ملك فرنسا لن يستطع أن يردّ جوابا على الرسائل التي بعثتها". ثم أضاف عبارات تسيء للدين الإسلامي وإلى حضرة السلطان العالي. وأمام هذا الموقف لم يحتمل الباشا هذا التعدي لكلّ الحدود المشروعة حينها لم يستمع إلاّ لصوت العزة والشجاعة وطبيعة

1- هؤلاء هما الحاج عمار بن زقوطة وابنه الحاج مكي، لكنّ الروايات التاريخية تذكر أنّهما لم يدخلا داخل الباستيون ولكنّهما تحريا الأمر من بعيد. وأمام غياب النص التاريخي في رسائل أحمد باي فتبقى هذه المعلومات دون تأكيد سواء بالتصديق أو بالتكذيب. ينظر: Derdour, Annaba 25 siècle de lute, P : 204.

2-Maitrot, Bône militaire, P : 152.

3- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 13 ذي الحجة 1242هـ/1827م.

4- ينظر كلّ من: Le Grammont, Histoire de l'Alger sous la domination turque, P : 389. Et : E. Le Marchant, L'Europe et la conquête, P : 106.

أيضا: أحمد توفيق المدني في مرجعه: عثمان باشا داي الجزائر، ص: 75.

5-Derdour, Op. Cit, P : 205.

الإنسان المسلم، فضربه مرتين أو ثلاثة بمروحته[1] التي كان يمسكها بيده"[2].

أمّا القنصل الفرنسي دوفال فكتب في العريضة التي قدّمها لـــــ "دوماس" "Daumes"[3] وأعضاء المجلس تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين الباشا حسين، فذكر بأنّ الباشا اتهمه بالخيانة وحجز الرسائل، وعندما أراد التعقيب ضربه بالمروحة وطرده من مجلسه[4].

في حين يرجع بعض الباحثين إلى أنّ الردّ العنيف للباشا حسين كان سببه الحالة النفسية السيّئة التي كان عليها، فأخبار هزيمة الأسطول الإسلامي عامة والأسطول الجزائري على وجه الخصوص في معركة نافرين عام 1242هـ/ 1827م[5]، جعل من الداي عصبي المزاج عند مقابلته للقنصل[6]. ومهما كانت الأسباب فلقد اجتمعت كلّها لتجعل من العلاقات الجزائرية الفرنسية تسوء أكثر

1- وقعت حادثة المروحة في قاعة خشبية موجودة في مؤخرة الدور الثاني من قصر الجنينة. ينظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص: 363.

2-Kuran, Erkament, La lettre du dernier Dey d'Alger au grand vizir, R. A, 1952, P : 190.

المعلومات نفسها أكّدها كلّ من: (حمدان خوجة، في كتابه: المرآة، ص: 180.)، (جمال قنان، في مقاله: الأزمة الجزائرية، ص: 15.)، (ناصر الدين سعيدوني، في مرجعه: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 81.)

3- **دوماس:** هو "أجين دوماس" "Eugène Daumas" (1218- 1255هـ/1803-1871م). كان قائدا عسكريا؛ تخرج من مدرسة الخيالة برتبة نقيب مساعد سنة 1242هـ/1827م. وفي سنة 1250هـ/1835م ترقى إلى رتبة نقيب مدرب في جيش قناصة إفريقيا، وبعد معاهدة تافنة عام 1253هـ/1837م عين قنصلا لفرنسا بمعسكر خلفا للقنصل الأول منافيل. وشغل هذا المنصب من 1253هـ/1837م إلى عام 1255هـ/1839م عشية استئناف الحرب. ينظر: مذكرات الأمير عبد القادر، سيرته ذاتية، تحقيق:محمد الصغير بناني، ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح الجونن، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ص: 134.

4-E. Le Marchand, L'Europe et la conquête, P P : 72-73.

5- **معركة نافرين:** في 8 من رجب سنة 1242هـ/5 فبراير1827م، عرضت انجلترا رسميا على الدولة العثمانية العلية توسط جميع الدول بينها وبين التابعين لها، فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير انجلترا بتاريخ 15 من ذي القعدة من السنة نفسها وبعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التدخل أنّها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا. فاغتاظت الدول من هذا الجواب، فاتفقت كلّ من فرنسا وانجلترا وروسيا بمقتضى وفاق تاريخه 11 من ذي الحجة من السنة نفسها على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون ضريبة معينة يتفق على مقدارها فيما بعد، كما يتم الاتفاق على حدود الفريقين، وأمهلوا الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضد اليونان وإلاّ فسوف تضطر هذه الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ مرغوبها. ولمّا بلغت صورة هذه المعاهدة إلى الباب العالي لم يحفل بها. وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها بالتوجه إلى سواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من إبراهيم باشا الكف عن القتال فأجابهم أنّه لا يتلقى الأوامر إلاّ من سلطانه أو أبيه. ومع ذلك فإنّه قبل إيقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة. وتربص هو وجنوده على أهبة القتال. واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء نافرين لمنع "الدونانمتين" التركية والمصرية من الخروج منها. وفي 28 ربيع أول سنة 1243هـ/19 أكتوبر1827م، تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة، ولم تلبث السفن المقابلة لبعضها حتى نشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه وسلّطت القوات الأوروبية مدافعها على المراكب العثمانية بعد أن استمر القتال لمدة ساعات انتهى بانتصار قوات الحلفاء الأعداء على الأسطول الإسلامي. ينظر: فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ص: 426-427.

6-H. D. Grammont, Histoire de l'Alger sous la domination turque, P : 390.

وتتحرك نحو القطيعة.

2-الحصار الفرنسي على السواحل الشرقية:

لقد انتهت الأزمة التي نشبت بين الجزائر وفرنسا بالقطيعة في العلاقات والمعاملات على كلّ الأصعدة، السياسة والدبلوماسية[1] والاقتصادية. لهذا قررت فرنسا أن تفرض حصارا بحريا[2] على كلّ السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية، هذه الأخيرة كانت بمثابة الكنز الذي سوف تحاول السلطات الفرنسية جاهدة للاستحواذ عليه بشتى الوسائل والطرق خاصة القهرية منها.

ففي سنة 1243هـ/1827م، وصل إلى ميناء الجزائر الأسطول الفرنسي "لابروفانس""La Province" يحمل معه عريضة تضم مطالب الحكومة الفرنسية[3]، وتطالب فيها بتقديم الإعتذارات اللازمة للقنصل الفرنسي ولحكومة فرنسا، ولن يتم ذلك إلا بإرسال وفد مكون من كبار الشخصيات، من بينها: وزير البحرية والشؤون الخارجية "وكيل الخرج"[4]، وأن يتوجهوا إلى سفينة الراسية على شاطئ مدينة الجزائر، وأمام الملأ يعلن وكيل الخرج نيابة عن الباشا حسين اعتذاره على سلوك الباشا الغير المتحضر اتجاه قنصلهم، وبعدها تطلق مائة طلقة مدفعية لتحية الأسطول الفرنسي[5]، كما يجب أن يرفرف العلم الفرنسي فوق قصر الداي والقصبة[6]. وإن لم

---

[1] لقد أحصيت جميع المعاهدات أو الاتفاقيات التي أبرمت بين كلّ من الحكومة الجزائرية والفرنسية بـ 58 معاهدة، وبلغ عدد مبعوثيها السياسيين 96 مبعوثا فرنسيا. ومن أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: جمال قنان، علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا.

[2] الحصار البحري: "BloKade" عملية إحاطة لشواطئ البلد المستهدف بسفن حربية، بغية عزل تلك الشواطئ وما فيها من موانئ ومنع السفن من ارتيادها، بقصد حرمان البلد المستهدف ما يحتاج إليه من ذخائر وأسلحة ومؤن ومعدات. ينظر: الموسوعة العسكرية، ج:1، ص: 817.

[3] لقد عرضت بنود هذه العريضة على بعض الساسة الفرنسيين، وعلى رأسهم القنصل دوفال وقبطان السفينة لوبوتي توماس"Le petit Thomas" قبل أن تصاغ في شكلها النهائي. ورغم شروط الترضية القاسية، فقد اعتبرت في نظر الساسة والقادة أفضل العروض الثلاثة التي يمكن المطالبة بها، فهي في نظرهم أقلها مهانة وإثارة لنفوس الجزائريين. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص:81-82.

[4] من أجل معرفة تفاصيل أكثر حول هذه الشخصية ينظر: الفصل الأول، المبحث الأول، ص: (46).

[5] من خلال رسالة وجهها كولي لحسين باشا سنة 1242هـ/1827م. ينظر: H. Klien, Feuillet d'el Djezair, La comité du vieil Alger, Imprimerie Oriental Fontana, Alger, 1910, P : 111.

[6] بالإضافة إلى المعلومات السابقة الذكر أضافت مجموعة من المصادر والمراجع الشرط الأخير. ينظر كلّ من: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 45. أيضا من خلال الرسالة بعثها حسين باشا إلى السلطان العثماني. ينظر: Kuran, Erkament, R. A, 1952, P : 191. Voir aussi : Engéne Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France, P : 564.

تنفذ هذه المطالب في أجل حدد بأربعة وعشرين ساعة تبدأ القطيعة فورا بين الحكومتين[1].

ولكنّ الباشا حسين رفض هذه المطالب واصفا إيّاها بالشروط الغير المعقولة والمهينة، والمسيئة إلى الشرف والدين الإسلامي، وردّ على طلبهم بكلّ حزم وصرامة مؤكدا[2] "أنّ مثل هذه الشروط لا تصدر من حكّام أذكياء، ولكنّها تصدر من مجانين محجوزون في مصحة، وإذا أردتم توضيحات حول هذه القضية، ابعثوا لنا رجلا حكيما وليقم بتحقيق، وسوف يتأكد لكم من أنّ القنصل دوفال الدسيس لا يصلح لنا ولا لكم، وإلى حين تعيين قنصل آخر تتوفر فيه الخبرة والكفاءة والاستقامة، فلن يؤخذ بعين الاعتبار هذه المطالب المهينة والشاتمة التي وردت في عريضتكم، وإذا بعثتم إلينا من يتباحث معنا باسمكم في غدو الأربع والعشرين ساعة المقبلة فتأكدوا من أنّ الأمور سوف تتوضح لديكم[3]، وإلاّ فسوف تكون القطيعة"[4].

ونتيجة لكون موقف الطرفين المتنازعين-الجزائري والفرنسي- متناقضا بهذا الشكل، فإنّ التوفيق بينهما أصبح غير ممكنا، وهذا ما انجرّ عنه القطيعة بين الطرفين وإعلان تطبيق الحصار البحري على السواحل الجزائرية.

فبتاريخ 19 من ذي القعدة سنة 1242هـ/14جوان1827م حرر أحمد باي عريضة يخاطب فيها كبار الشخصيات بالبايلك، والقائمين على الجهاز العسكري، ويدعوهم من خلالها إلى التحري باليقظة وضرورة توعية الرعية بحساسية الوضع

1- كان الهدف من تحديد أجل قبول هذه المطالب بأربع وعشرين ساعة فقط، هو تمكين قادة الأسطول الفرنسي من إرغام حكام الجزائر على قبول شروطهم القاسية والمذلة، ومحاولة دون أيّ استعداد حربي معاد قد يلجأ إليه الجيش الجزائري. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 82.

2- لقد عرف على حسين باشا بأنّه كان رجلا عنيدا، إذ وصفه ناصر الدين سعيدوني بقوله:"إنّ المتتبع لحياة الداي حسين يجد أنّ سلوكه لا يخل من الكياسة وأنّ طباعه المندفعة الجياشة لا تجعل منه رجلا قاسيا متغطرسا، وأنّ عناده في بعض القضايا وتصلّبه في بعض الأحكام يجعلانه شخصا مهابا وحاكما مطاعا. ينظر: معجم مشاهير المغاربة، ص: 157.

3- لقد نسبت بعض الروايات الفرنسية كلمة للباشا، تصور مدى استفزازه واستهجانه للسلوك الفرنسي المعادي لسلطته والموجه ضد شخصه بالذات، فحسب هذه الرواية أنّ الداي حسين صرّح غاضبا عندما عرضت عليه شروط الترضية التي طالب بها الفرنسيون، قائلا:" أتعجّب كيف لم يطلبوا مني زوجتي أيضا". ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 82.

4-Kuran, Erkament, R. A, 1952, P : 191.

الذي تعيشه الجزائر عامة[1]. ويتضح من خلال نص هذه العريضة أنّ السلطات الجزائرية كانت تتحسس وقوع أحداث وردود فعل عدوانية من طرف السلطات الفرنسية.

ورغم ذلك فإنّ السلطات الجزائرية على مستوى الشرق الجزائري والممثلة في شخص أحمد باي كانت واعية بالتزاماتها الدبلوماسية والإدارية. ففي هذه الوثيقة نجد ما يؤكد عدم الاعتداء على "النصارى الفرنسيين"[2]، الذين كانوا متواجدين في كلّ من مدينتي عنابة والقالة، ولقد كان هذا الأمر ملزم التطبيق على الجميع، لدرجة أنّهم خصوا "بأمان الله لا ينالهم مكروه[*] وإن أرادوا الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم فلا يمنعهم عن ذلك أحد "ولا يتعدى عليهم، ويرفعون مالهم وأمتعتهم عن أخرها بحيث لا يضيع لهم شيء أصلا" [3].

فمن خلال هذه الفقرة تتبين عدّة أمور قد أنكرتها الكتابات الفرنسية، من بينها، أنّ السلطة الحاكمة بالرغم من سوء العلاقات، ومن كلّ المؤامرات التي حيكت ضد الجزائر، إلاّ أنّها لم تستغل الموقف بانتقامها من الرعايا الفرنسيين المقيمين في كلّ من مدينتي القالة وعنابة، لكنّ ما حدث هو العكس، فلقد ضمنت لهم أرواحهم وأموالهم إن أرادوا الرحيل أو البقاء[4].

وبعد هذه الأحداث، أرسل أحمد باي تقريرا إلى الباشا بتاريخ 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/جوان1827م[5]، ذكر له فيه بأنّه في يوم السبت 28 من الشهر نفسه وهو مقيم بقناق حمزة وصلته رسالتين، إحداهما من علماء عنابة والأخرى من

---

[1]- E.Bigonet, Une lettre d'un Bey de Constantine, R. A, 1899, P : 166-167.

[2]- يسميهم أحمد باي في رسائله بـ"الفرنصيص".

[*]- ذكر حسن دردور أنّه بقي في مدينة عنابة بعد القطيعة بعض الرعايا الفرنسيين، هؤلاء عاملهم الجزائريون بمنتهى الاحترام ولم يحدث أيّ اعتداء على أحدهم، وذلك تنفيذا للأوامر الصارمة التي أصدرها الباشا حسين وصبر على تنفيذها أحمد باي. ينظر: H'sen Derdour, Annaba. 25 siècle de vie, P : 207.

[3]- ما ميز نص هذه الوثيقة وضوح العبارات واختصار مدلولها، فكلّ كلمة حملت معناها والهدف المرجو تحقيقه منها، كما لا يمكن تأويلها أو التلاعب فيها. وهذه الميزة تضاف إلى الجهاز الإداري الذي تميز بتنظيمه الدقيق بعكس ما أظهرته بعض الكتابات الأجنبية. ينظر: E.Bigonet, Op. Cit, P : 166-167.

[4]- Ibid, P P : 166-167.

[5]- الرسالة رقم:(11) في الترتيب العام للمجموعة.

ولد المركانتي[1]، يعلماه فيهما بدخول سفينتين فرنسيتين فذكرا له أنّه: "دخل إلى مرسى عنابة سكونة وكربيط[2] قرصان فرنصيص[3] وطلع لهما قنصر الفرنصيص[4] ووكيل الكبانية[5] ونصارى فرنصيص[6] ولما علموا بطلوعهم طبعوا على ديارهم وعملوا لها تاويلا"[7].

فمن خلال هذه الفقرة المتباينة يمكن استنتاج ثلاث خطوات اعتمدها المسؤولون على مستوى مدينة عنابة، تمثّلت في:

- أنّ السلطات الممثلة في شخص أحمد باي رفضت المواجهة الفورية مع ممثلي الحكومة الفرنسية، ذلك أنّ الأوامر كانت "بالطبع على ديارهم عند رحيلهم" وليس قبل ذلك. وهذا ليس خوفا منهم، ولكن تفاديا لتأزم الوضع أكثر ممّا هو عليه.

-أمّا الخطوة الثانية فتمثلت في رحيل كلّ من ممثلي السلطة الفرنسية بما فيهم وكيل القنصل ألكسندر دوفال ووكيل الكبانية والرعايا الفرنسيين[8] وعدم تدخل السلطات في هذا الأمر بمنعهم أو عرقلة عملية رحيلهم.

-في حين كانت الخطوة الثالثة عبارة عن غلق كلّ المباني الفرنسية الموجودة بمدينة عنابة ومنع الدخول إليها، في انتظار الأوامر المقبلة.

كما يضيف في نص الرسالة نفسها أنّه يجب تشديد الحراسة ليلا ونهارا[9]، وهذا تطبيقا لما جاء سابقا في العريضة التي حررها أحمد باي قبل هذه الرسالة

1- **ولد مركانتي:** هو الحاج مكي ابن عمار بن زقوطة، انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي أثناء حملتهم على مدينة قسنطينة. توفي عام 1300هـ/1882م. ينظر: E. Bigonet, R. A, 1899, P : 174.

2- **سكونة وكربيط:** سفن حربية وتعني باللغة الفرنسية: "Corvette de guerre, Vaisseau" ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 607.

3- **قرصان فرنسيس:** يقصد بهم البحارة القائمين على تسيير السفينة. ينظر: Ibid, P: 607.

4- **قنصر فرنسيس:** يقصد به وكيل القنصل الفرنسي ألكسندار دوفال الذي تم التعريف به سابقا.

5- **وكيل الكبانية:** هو ممثل الوكالة للأمة الفرنسية وتعني باللغة الفرنسية: "Le représentent de la compagnie des nations Français". Voir: Op. Cit, P : 607.

6- **نصارى فرنسيس:** يقصد بهم الرعايا الفرنسيين المقيمين بمدينة عنابة.

7- الرسالة رقم :(11) في الترتيب العام للمجموعة.

8- لقد تم رحيلهم في 20 جوان من سنة 1242هـ/1827م، فلقد غادر فلكان مرسى عنابة حاملا على متنه 28 شخصا من الجنسين وكان من ضمنهم وكيل القنصل الفرنسي. ينظر: Charles Féraud, Op. Cit, P : 606. في حين ذكر آخر أنّه تم ذلك في يوم 15 جوان من السنة نفسها. ينظر: L. Pechot, L'Afrique du Nord avant 1830, P : 564.

9- الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

بحيث ذكر فيها بصريح العبارة أنّه يجب على كلّ المعنيين بالأمر "وقوف الجدّ والاجتهاد والتيقظ والانتباه وتحرسون الحراسة التامة جهة البحر ليلا نهارا"[1]. ومن هنا يتبين أنّ السلطات الجزائرية كانت تتحسس وقوع أحداث وردود فعل غير مرغوب فيها من طرف الحكومة الفرنسية. كما أنّها كانت تتوقع أن يكون هذا التدخل العسكري من جهة البحر فقط، فلم يشر أحمد باي إلى الحراسة برا. وهذا ما يجعلنا نستبعد الهجوم البري، ذلك أنّ المنطقة منيعة ولا يمكن اقتحامها[2].

كما نجده في الرسالة نفسها يطمئن حسين باشا ويعلمه بأنّ الأمور الأمنية بمدينة عنابة مستقرة. ويعلمه أيضا بأمر إرسال المدعو "الآغا حفصي"[3] إلى الموضع الذي أمره أن يتجه إليه لتنفيذ المهمة المسندة إليه[4].

ولقد اتضحت نوعية هذه المهمة التي أسندت للآغا الحفصي من خلال التقرير الذي وجهه أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 13 من ذي الحجة سنة 1242هـ/21 جويلية 1827م، وتمثلت في تدمير كلّ المباني التابعة لحكومة فرنسا. فلقد ورد في الرسالة ما نصه:" أنّ سي الحفصي بن عون قدم إلينا وخبرنا بأنّه لمّا وصل إلى الشيخ محمد بن مطير بمكتوبك الكريم فتلقاه بالقبول وأذعن بالسمع والطاعة لسيادتكم وجمع ناسه وذلك بعدما قدم إليهم البيانة وركب بنفسه في جماعته مع سي الحفصي ومضوا إلى القالة[5].

ومن خلال هذه الفقرات تتبين أمورا عدة من أهمها:

-أنّ الأوامر الموجهة للمدعو سي الحفصي لم تكن صادرة من أحمد باي

1- E. Bigonet, R. A, 1899, P: 166.

2- **موقع عنابة:** كان ينحصر فوق الهضبة الصخرية المحاذية لشاطئ البحر والمطلة على الجهات الداخلية المواجهة للغرب، الأمر الذي جعلها غير معرضة للرؤيا من ناحية البحر مع محاذاتها له. وكان لهذا الموقع من الأهمية إذ يكسب المدينة ميزة كبيرة بحيث يجعلها في مأمن من غارات الأساطيل المهاجمة ويرد عنها طلقات المدافع المفاجئة، ومن جهة أخرى يساعد على سهولة اتصال المدينة بداخل البلاد، ما يؤهلها لأن تصبح مدينة حصينة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،، ص ص: 201-202.

3- **آغا الحفصي بن عون:** وكله أحمد باي بقراءة نص البيان الذي كتبه بخصوص توعية الرعية بالأحداث الخطيرة التي لمّت ببايلك الشرق خاصة والجزائر عامة. وقد تم ذلك على مستوى 38 مسجد وجامع المتواجدة عبر أنحاء بايلك الشرق. ينظر: H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P : 20.

4- الرسالة رقم: (11) في الترتيب العم للمجموعة.

5- الرسالة رقم :(10) في الترتيب العام للمجموعة.

على لسان حسين باشا، ولكنّه أخذها من هذا الأخير يدا بيد وكانت مكتوبة غير شفهية بدليل قوله"مكتوبك".

-أمر تدمير هذه المباني كان موجها للمدعو "محمد بن مطير"[1] ولم يذعن لهذا الأمر بالسمع والطاعة إلاّ بعدما أظهر له الآغا الحفصي بيانا صادرا من حسين باشا شخصيا [2]. وهذا ما يظهر نقطتين: أمّا الأولى فيصحح فيها المعلومات التي أوردها "مايتروت" Maitrot "والتي مفادها أنّ بعد رحيل كلّ الرعايا الفرنسيين كلّف سي الحفصي بن عون بتحطيم كلّ المباني التابعة للوكالة الفرنسية وقد تم ذلك في 1242هـ/ 22 جوان1827م[3].

-الطابع الإداري الذي تميزت بها المهام التي وكلت بها بعض الشخصيات الهامة، المتمثلة في تنفيذ بعض العمليات التي مست الجانب الأمني أو غيره. وهذا الأمر يظهر أيضا من خلال نص العريضة التي حررها أحمد باي[4]، إذ أمر من خلالها كلّ المعنيين بأن تؤخذ من كلّ الرعايا الفرنسيين وثيقة مكتوبة بخط أيديهم تثبت على أنّهم غادروا البلاد بمقتضى إرادتهم حاملين معهم كلّ أموالهم وممتلكاتهم.

-عملية التدمير هذه لم تكلف بها جماعة السلك العسكري، بل خصّت المدنيين، بدليل عبارة "جمع ناسه" فهذه العبارة الأخيرة تعبر على الطرف المدني وليس العسكري. كما تدل على أنّ هؤلاء الناس "القوم" كانوا من قبيلته أو عصبيته بدليل عبارة "جماعته"؛ ومن هذا المنطلق يتضح أمرا مهما لم تتطرق إليه المصادر والمراجع التاريخية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث، وهو أنّ أمر تدمير المباني الفرنسية قام به الطرف المدني وليس العسكري.

ثم يضيف في الرسالة نفسها ما نصه:" ومضوا إلى القالة فوجدوا النصارى

---

[1]-**الشيخ محمد بن مطير**: كان زعيما على القبائل المجاورة للقالة، عرف لدى التجار الفرنسيين باسم شيخ الزمول. ينظر:

Charles Fèraud, Destruction des établissements Français de la Calle, d'aprés des documents indigènes, R. A 1873, P : 425.

[2]-الرسالة رقم : (10) في الترتيب العام للمجموعة.

[3]-Maitrot, Bône militaire, P : 158.

[4]-E. Bigonet, R. A, 1899, P: 166.

رفعوا ما فيه ولم يتركوا شيئا إلا ستة مدافع قديمة مطروحة في التراب من الزمان الأول وأما المدافع الجديدة رفعوها فهدموا جميع ما بنوه جديدا حتى تركوه على ما كان عليه قبل البناء ووجدوا أكثر بنيانهم باللوح فأطلقوا فيه النار حتى انحرق وخربوا وحرقوا ما وجدوا فيه من الألواح المعدة للبنيان وبعد أن فرغ من هذه وقضى حاجته فيه انصرفوا"[1].

فمن خلال هذا العرض التفصيلي لعملية تدمير المباني الفرنسية والذي لم تتطرق إليه جلّ المصادر والمراجع التاريخية بهذه الصورة المفصلة يتبين ما يلي:

-مغادرة كلّ الفرنسيين للمكان.

-أنّ المعلومات الواردة بشأن تسليح المباني كانت صحيحة، فلقد عثروا على مدافع قديمة مطروحة أرضا، بدليل هذه العبارة: "مند الزمان الأول". أمّا العبارة الثانية التي تؤكد ذلك قوله بأنّ كلّ المدافع الجديدة قد حملت أثناء مغادرة الفرنسيين للمنطقة. إذن كلّ هذه المعلومات تؤكد صحة ما ذكره حسين باشا والذي مفاده أنّ هناك عملية تسليح جديدة تمت على مستوى الباستيون في فترة قريبة.

-معظم المباني الموجودة كانت مصنوعة من مادة الخشب، وهذا يدل على استغلال السلطات الفرنسية للمناطق الغابية المتواجدة في النواحي. كما يدل على توفرها بكثرة وسهولة اقتنائها. أيضا عثورهم على مادة الخشب المطروحة أرضا دليل على نيّة السلطات الفرنسية في التوسع والقيام بعملية بناء جديدة.

-الأمر الصادر من حسين باشا كان يقضي بإحراق كلّ ما عثر عليه دون استثناء، وإلاّ فلماذا إحراق مادة الخشب المطروحة أرضا بدلا من أن يستفاد منها في أعمال الترميم التي كانت تقوم بها السلطات على مستوى البايلك؟

وأخيرا يضيف أحمد باي في نص الرسالة أنّ ابن مطير سوف يوجّه "مكتوبا" إلى الباشا يعلمه من خلاله بتفاصيل العملية[2]. ولعلّ المكافأة التي منحها أحمد باي لهذه الشخصية والمتمثلة في بندقية وفرسا وبرنوسا تعود لنجاحه في أداء المهمة

---

[1]- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العم للمجموعة.

[2]- الرسالة نفسها.

المسندة إليه وتفانيه وإخلاصه على تنفيذ الأوامر وخدمة الوطن[1].

وعندما علمت السلطات الفرنسية بخبر إتلاف ممتلكاتها في مدينة القالة، كتبت للباشا رسالة تطالبه فيها بتقديم تعويضا ماليا قدر بـ 30000 بيستاس مقابل السلام[2]؛ في حين ذكر آخر أنّ قيمته حددت بـ 15000000 فرنك فرنسي[3]. وأمام غياب نصوص تاريخية أخرى، تؤكد صحة الرقم الأول أو الثاني يترك الأمر كما هو دون ترجيح.

كما أبلغ أحمد باي الباشا في الرسالة نفسها أنّه تمّ نجاة المدعو الرايس علي الفالوجي[4] من قبضة العدو الفرنسي، الذي حاصره على بعد مسافة من راس الحمرا[5]، ولكنّه تمكن من الهروب؛ وقد وجهت له السلطات المتواجدة بالقرب من المكان قاربين[6] وعلى متنهما مجموعة من الجنود، فقاموا بإنقاذه وحملوه إلى مدينة عنابة[7]. هنالك عاين "الطبابن"[8]، ولقد ذكر أحمد باي بأنّ هذه المهمة كانت في السابق من صلاحيات الباش طبجي ولكن بعد التسيب والفوضى الذي عمّ المنطقة في العهود الماضية أصبح هذا الأمر مهملا. وكأنّه يفهم من كلامه هذا، أنّ البايات الذين سبقوه على حكم البايلك اتصفوا بالتسيب والتفريط. فقد ذكر بصريح العبارة:

1- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العم للمجموعة.

2- من خلال وثيقة رقم: 1255 حررت من طرف داماس. ينظر:
Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France Avec la cour 1770-1830, Ancienne librairie Germer Bailliere et c[ie] Felix Eclan- Editeur , P : 634.

3- E. Le Marchant, L'Europe et la conquête d' Alger, P : 85.

4- **الرايس علي الفالوجي**: كان من بين قياد الأسطول الجزائري؛ عرف بشجاعته ومهارته، لهذا كلف بقيادة الأسطول البحري الذي كان مخصصا لمنطقة الشرق خاصة مدينة القالة. ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 352. كما ساهم في عملية نقل الرعايا الفرنسيين بعدما أخذ منهم توقيعا على أنهم غادروا الجزائر بملك إرادتهم حاملين معهم كلّ ممتلكاتهم، وتم ذلك بالاتفاق مع كولات. ينظر:
H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P : 211.

5- **راس الحمرا**: منطقة موجودة في واد تادجنت، وهو مكان استقرار المرابط سيدي محمد بن يحي. ينظر:
Charles Féraud, R. C. 1861, P : 73.

6- ورد في الرسالة عبارة: "زوج فلايك". ينظر: الرسالة رقم :(10) في الترتيب العام للمجموعة.

7- لقد وضعت قوات عسكرية جزائرية أمام قلعة "الجينوة" "Fort Génois " تحت أوامر باش بلوك يسهرون على عملية الحراسة مع المحلة المتمركزة هناك من الجهة الشمالية حتى راس الحمرا المذكور أعلاه والحدود التونسية لتكون بذلك مستعدة للتدخل في أيّ وقت. ينظر: Derdour, Op. Cit, P : 211.

8- **الطبابن** : مكان تواجد المدافع. وهذا من خلال فهمنا للترجمة الفرنسية للرسالة التي نشرت في المراجع المذكورة سابقا.

"وهذا الزمان الفارط لا حرص لهم على ذلك والآن إنهم يخدمون ويصلحون فيها"[1].

ولم تكن هذه المرة الأولى التي يؤكد فيها أحمد باي بضرورة الاعتناء بهذه الآلات الحربية، فقد أصدر أوامر صارمة في أول عريضة كتبها، إذ جاء فيها ما نصه: "تتفقدون الطبابين وتصلحون أمر المدافع والقرارط بحيث يكون أمرها موجودا حاضرا"[2]. وإن دلت هذه المعلومات على شيئ فإنّما تدل على أنّ هذه الآلات الحربية لم تكن في حالة جيدة[3]، ويؤكد أيضا على إهمال الحكام الذين سبقوه على إدارة البايلك أمر إصلاح العتاد الحربي.

ثم أنّ حرص أحمد باي الممثل الأول للسلطة على إصلاح العاطل من الآلات الحربية والجد والاجتهاد في الحراسة ليلا ونهارا يدل على حالة التأهب والطوارئ التي كانت تعيشها الجزائر عامة والمنطقة الشرقية على وجه الخصوص، وهذا ما ينفي تماما ما ذكره "مارسيل امريت""Marcel Emerit" عندما قام بنشر ترجمة لنص الرسالة، حيث ذكر بأنّ مضمون الرسالة لا يوحي للقارئ أيّ نوع من الخوف أو إحساس بوقوع حرب بين الجزائر وفرنسا[4].

ويضيف في الرسالة نفسها أنّ هذا الرايس قد عثر على ثمانية "كرارط"[5] جديدة بقصبة عنابة[6]، وتم "تجريدها" في " جريدة" سوف يبعثها الديوان لحسين باشا حتى يعاينها ليكون على علم بكلّ النفقات التي تم صرفها على هذا الجهاز

1- الرسالة رقم : (10)، في الترتيب العام للمجموعة.

2- E. Bigonet, R.A. 1899, P: 166.

3- الرسالة السابقة.

4- Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 257.

5- **الكرارط**: هي المدافع. وهذا من خلال فهمنا للترجمة الفرنسية للرسالة التي نشرت في المراجع المذكورة سابقا.

6- **قصبة عنابة**: هو مكان استقرار الحامية العثمانية. كانت تضم قصرا تم بناؤه بأمر من زكرياء بن إسحاق الحفصي، ثم أدخلت عليه الحامية الجنوية عدة إصلاحات هامة عندما كانت تقيم به أثناء الاحتلال الإسباني للمدينة؛ ونظرا لأهمية حصن القصبة الاستراتيجي فإنّه كان طيلة الفترة العثمانية مقر الحاكم العثماني ومكان استقرار الحامية العثمانية المكلفة بالدفاع على المدينة والمعروفة "بالنوبة" والتي كان عدد أفرادها يتراوح حسب الظروف ما بين 50 إلى 100 جندي. وفي السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي كان هناك مائة جندي يتمركزون بالحصن تحت قيادة أحد الكراغلة من ذوي النفوذ والهيبة، ثم تناقص عددهم قبل الاحتلال مباشرة إلى 50 جندي، هؤلاء كانوا يعيشون في عزلة بين أسوار القصبة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 203-204. وكانت هذه القصبة تملك حينها 105 مدفعا، من بين130 مدفع التي كانت تملكها مدينة عنابة. ينظر: Marcel Emerit, Op. Cit, P : 209.

العسكري[1]. فمن خلال عمليات الإصلاح هذه يتبين أنّ السلطات قد خصصت ميزانية خاصة من أجل إتمام هذه العملية على أكمل وجه.

وبتاريخ 15 من محرم 1243هـ/1827م، يؤكد أحمد باي للباشا أمر وقوفه على إصلاح المدافع وآلات الحرب موقف "جدّ واجتهاد"، بحيث وفر كلّ الطاقات البشرية والمادية لذلك، فقد سخر نجاري مدينة عنابة لإنجاز هذه العملية فقصدوا الجبل لقطع "الكراستة"[2] وعملوا على إصلاح المعطل منها[3].

وهذا يدل على أنّ عملية الإصلاحات كانت تعتمد على استعمال مادة الخشب في عملية البناء وإصلاح مراكز الحراسة، وهذا ما عمل به أيضا المسؤولون الفرنسيون عندما أرادوا تسليح الباستيون، ممّا يؤكد على أنّ المنطقة كانت غنية بمادة الخشب، التي كانت تجلب من المناطق الغابية المحيطة بعنابة، وقد امتاز خشب هذه المناطق بجودته وملاءمته لأعمال البناء وصنع السفن الشراعية[4].

ويضيف في الرسالة نفسها أنّه وجّه نداءا لأهل عنابة ونبلائها وذكّرهم بالتحلي باليقظة والحيطة والتفطن لكلّ ما يجري في المنطقة، فالأمر بدونهم لا يكتمل ولا يحقق من ورائه أيّ نجاح[5]. فمن خلال هذه الفقرة يتبين عملية تحسيس الرعية وتسخير كلّ الطاقات من أجل مواجهة الأزمة بكلّ روح وطنية وشجاعة.

كما تكلم أحمد باي في الرسالة نفسها على اقتراحات سلام سعى إليها أحد الأوروبيين، هذا الأخير نعته الباي بـ "الرومي"[6]، فذكر بهذا الصدد "إن وقع

1- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **الكراستة**: يقصد بها مادة الخشب (الحطب). ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 611.

3- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

4- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 214.

5- الرسالة السابقة.

6- يعتقد أنّه قنصل سردينيا "داتيلي دولا توري" الذي سهر على رعاية المصالح الفرنسية بموافقة الباشا حسين، فقد كانت له مهمتان، الأولى تتمثل في السهر على حسن معاملة الأسرى الفرنسيين، والثانية الدخول في مفاوضات سلم بينهما. ينظر:

Abbè Alfred Berengrer, La prise d'Alger raconté par un témoin, R. H. C. M, N : 2, Janvier 1967, P : 86.

في حين ذكر فيرو أنّ هذا الأوروبي هو "ريمباخت" Raimbert " كان وكيل القنصل الفرنسي بالقالة. ينظر:

Charles Féraud, Op. Cit, P: 612.

وعلى حسب المعلومات الواردة في بعض المراجع المذكورة سابقا في البحث أنّ وكيل قنصل فرنسا في منطقة الشرق كان يدعى ألكسندار دوفال.

الصلح على وجه الرضا والطوع فيأخذ خط الرومي ويبعثه لنا نوجهه إليكم وإن امتنع الرومي من ذلك فيأتينا الرجل مربوطا حتى نبلغه لحضرتك السعيدة"[1]. فمن خلال هذه الفقرة يستنتج توسط أحد الأوربيين الذي لم يذكر أحمد باي اسمه ولا جنسيته من أجل عقد عملية صلح بين الجزائر وفرنسا على أساس أن تراع فيها كرامة وهيبة الجزائر، وأن يتم ذلك خطيا.

أمّا في 26 من ذي الحجة سنة 1243هـ/ 1827م، أرسل أحمد باي أوامر إلى المركانتي القائم على أمن عنابة مفادها إطلاق المدافع على كلّ سفينة فرنسية تظهر على السواحل العنابية[2]، على عكس الأوامر التي أصدرها في العريضة التي كتبها ووجهها إلى الشخصية نفسها وكذا القائمين على استعمال هذا النوع من الأسلحة، فقلد ذكر في إحدى فقراتها أنّه:" إذا أبصرتم شقف قرصان قاصدا إلى عنابة فاعملوا له الفمادة[*] من بعيد فإذا لم يرجع إلى ورائه وبلغ حد الرمية فارموه بالمدفع من غير حجر ولا كور، فإن لم يرجع وتمادى داخلا فبادروه بالرمي بالمدفع بالكور واغرقوه وأهلكوه"[3].

فمن خلال ما ورد في نص هذه الفقرة يستنتج أنّه لا يتم إطلاق المدافع إلاّ على السفن الحربية التي خصّها بالذكر ولا يكون ذلك إلاّ على بعد مرحلتين من مكان توقفها. كما لا يتم ذلك إلاّ على مراحل، فالمرحلة الأولى يعمل لهم "الفمادة" أولا قبل إطلاق النار؛ ثم تطلق عليها المدافع من غير "حجر" أو "كور". و إن لم تدعن هذه السفن للإنذار الموجه إليها ترمى بـ "الكور".

أمّا الأوامر الصادرة في الرسالة المذكورة أعلاه[4] فقد اتخذت اتجاها مخالفا تماما، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلّ على تأزم العلاقات بين البلدين وحالة التأهب القصوى التي كانت عليها القوات العسكرية نظرا لخطورة الوضع الأمني.

1- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.
2- الرسالة رقم :(12) في الترتيب العام للمجموعة.
*- **الفمادة:** وهي عملية إشعال النار وكانت تستعمل كإنذار. ينظر:
E. Bigonet, R.A. 1899, P: 166.
3- Ibid, P : 166.
4- الرسالة رقم : (12) في الترتيب العام للمجموعة.

كما أمر الخليفة[1] برفقة المحلة أن يتوجهوا إلى مدينة عنابة و"يعسكروا" في مكان قريب منها، بعد أن دعمهم بفئة الخوزجية [2]، كما وفر لهم المؤونة اللازمة التي تضمن لهم السير الحسن والوقوف التام على أمر الحراسة، بحيث أكّد لهم على عدم التهاون أو التكاسل[3].

ولم يخص فئة الخوزجية بمهمة الحراسة والسهر على أمن المنطقة فحسب، بل أكد ذلك أيضا على فئة الطبجية[4]، فجاء ما نصه: "التوكيد الأهم على الطبجية فلا يتأخر منهم أحد ولا يبيت منهم في داره"[5].

وبالرغم من أنّ الجيش الجزائري كان يتكون من عدّة فرق عسكرية كلّ على حسب المهام المنوط بها[6]، إلاّ أنّ أحمد باي يؤكد على فرقة واحدة وهي الطبجية، ومن هذا المنطلق يستنتج بأنّ هذه الأخيرة كانت لها مكانتها في الجيش الجزائري وكان عليها الاعتماد الأكبر في حالة وجود خطر أجنبي، ومن خلال هذه العبارة أيضا يصرح أحمد باي بأنّ القوات العسكرية كانت في حالة استنفار تامة (طوارئ) إلى درجة أنّه لا يغيب أحد منهم ولا ينام في بيته.

وما يمكن ملاحظته على هذه الرسائل التي تناولت الأزمة الفرنسية الجزائرية أنّها عالجت إلاّ الفترة الممتدة ما بين 1242-1244هـ/1827-1828م، في حين توقف أحمد باي عن ذكر تفاصيل هذا الموضوع[7] إلى أن كانت سنة 1245هـ/

1- من خلال ما ورد في نص الرسالة يتبين دور الخليفة العسكري بالإضافة إلى دوره الإداري والاقتصادي.

2- **الخوزجية**: كلمة تركية أطلقت على الأفراد الذين استأجروا من أجل تعويض أو النيابة عن الأشخاص القاطنين في المدن، بحيث كان يتم تسخيرهم في الحالات الاستثنائية وحالات الطوارئ، أو للقيام ببعض الحملات المهمة. ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 610.

3- الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

4- **الطبجية**: وهم المدفعيين، كلفوا بتلقيم المدافع وإطلاق النار على العدو. ينظر: أحمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 38.

5-E. Bigonet, R. A, 1866, P: 166.

6- كان الجيش الجزائري على العهد العثماني يتكون من: مشاة الأتراك:، وتقسم إلى كتائب وفرق من بينها الفرسان (الخيالة)، وكانت تتكون من الكراغلة وقبائل العرب. ثم البحارة: وهم نخبة من العزاب عملهم كان على المستوى البحري، بحيث كانت تسلم لهم مهمة الدفاع على الجزائر بفضل أساطيلها. وأخيرا المدفعيين (الطبجية) وهم الذين أكد عليهم أحمد باي في تقريره. ينظر: أحمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص: 37-38.

7- حول المادة التاريخية المتعلقة بموضوع الحصار المضروب على السواحل الجزائرية عامة وما طرأ عليه من مستجدات وتغييرات على الصعيدين السياسي والعسكري يراجع في ذلك كلّ المصادر والمراجع المستعملة في هذه الجزئية من البحث والتي تحدثت بصورة واسعة على هذه الأحداث.

1829م، أين نجده يبعث بتقرير إلى الباشا، يعلمه من خلاله أنّه موّن سكان مدينة عنابة بمائة بندقية[1] لكي يتم توزيعها. وذلك من أجل تعزيز أمر الحراسة، بعدما تمت معاينة بعض السفن الفرنسية بالقرب من السواحل العنابية، هذه الحادثة نشرت بعض القلق والخوف بين أوساط الرعية، لهذا أبلغوا أحمد باي بانشغالهم هذا. كما طلبوا منه أن يمونهم بالأسلحة، ذلك لأنّهم كانوا فقراء لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم وعن بلادهم. وبعد عملية توزيع البنادق على المواطنين تم تجريد كلّ ما وزع في"جريدة"من أجل أن يطلع عليها الباشا[2]. ومن خلال ما ورد في نص هذه الرسالة يتبين ما يلي:

-اليقظة والحذر الذين تمتعا بهما سكان مدينة عناية، ووعيهم بخطورة الوضع الراهن.

-حالة الفقر وقلّة الحاجة التي اشتكي منها سكان المنطقة.

-لا يتم توزيع الأسلحة على الرعية إلا بإذن وتسريح من الباي شخصيا. كما أنّ كلّ ما كان يوزع يتم "تجريده" في "جرائد" خاصة، ليتم عرضها على الباشا في الجزائر.

-كان أحمد باي على علم بكلّ ما كان يحدث في بايلكه، بحيث لم يلهه الحكم والسلطان على متابعة أمر الحراسة والأمن بنفسه، كما كان لا يتوان على تقديم أيّة معونة أو دعم للرعية ما دام الأمر يتعلق بحماية البلاد والعباد من الخطر الخارجي، وهذا بتسخير كافة الطاقات البشرية من أجل مواجهة الخطر المشترك، وعدم تهميش الرعية التي هي عصب الدولة والسلطان.

وبهذا فإنّ الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية عامة بما فيها الشرقية، لم يضر بالجزائر بقدر ما أضر بفرنسا، فهذه شهادة أحد أبنائها الذي عايش الحدث فكتب يقول:"إنّ هذا الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية كان متعبا

1- ورد في نص الرسالة كلمة "مكاحلة"، وهي كلمة عامية تعني البندقية. ينظر: الرسالة رقم:(3) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الرسالة نفسها.

وغير مجدي ومكلفا أيضا"[1].

ويضيف آخر في الشأن نفسه عندما عرض تقريره على الحكومة الفرنسية: "إنّ هذا الحصار المفروض غير مجد ولن يأت بنتائج ملموسة، ولا بالأهداف المرجوة، فلم يتم تحطيم السفن الجزائرية لأنّها لم تخرج إلى عرض البحر، كما لم يتم السيطرة على اقتصاد الجزائر. ثم يضيف قائلا:"إنّ هذا الحصار لم يؤثر على الداي وعلى الجزائر، لهذا فإنّ الحل الوحيد هو تجهيز حملة عسكرية، لأنّها وحدها الكفيلة باسترجاع كرامة فرنسا وإذلال الداي والشعب الجزائري"[2].

وما يلاحظ على العموم أنّ عرض أحداث هذه الأزمة على مستوى البايلك قد تميز بالتفصيل في بعض الأحيان وبالاختصار في أحيان أخرى، وهذا يعود إلى نوعية المعلومات التي قدمتها رسائل أحمد باي، مع العلم أنّها اعتبرت من بين الوثائق المهمة والحية التي وصفت لنا أطوار الأزمة بشهادة عدة مؤرخين[3].

2/3)-المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية

كما ذكر أنفا في مقدمة هذا الفصل أنّ المعلومات الواردة في شأن العلاقات الجزائرية الخارجية قد اقتصرت على طرفين فقط هما فرنسا وتونس. أمّا عن تونس، فكلّ ما تطرق إليه أحمد باي في رسائله مجرد معلومات متفرقة لم يتم التفصيل فيها. ولعلّ تخصيص أحمد باي بذكر ايالة تونس[4] يعود إلى أمرين هما:

1-Charles Féraud, La Calle, P : 617.

2-Charles Roux, La France et l'Afrique du nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête, Librairie Félix Alean, P : 150. الرأي نفسه أيّده أبو القاسم سعد الله، في مرجعه آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 255.

3-لقد قام عدد من الباحثين الفرنسيين والجزائريين بنشر النصوص العربية لهذه الرسائل مع الترجمة الفرنسية لها ينظر كلّ من: Charles Féraud, La Calle, P : 617. Et: Derdour, Annaba 25 siècle de vie, PP : 220- 210. Voir aussi : Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, PP, 607-613. Et : Maritot, Bône militaire, P P : 160-166. Et: Charles Fèraud, Destruction des établissements Français de la Calle, d'après des documents indigènes, R. A 1873, P P : 398-437. **Et:** Spasa Colligo, Documents pour servir l'histoire de Bône, R .A. 1872, P : 6

4-دخلت تونس تحت حكم العثمانيين سنة 981هـ/1573م كغيرها من البلاد العربية بعد عدّة أحداث، وقد استطاع العثمانيون طرد الإسبان على إثر استنجاد الجيش الحفصي بهم ودخول القائد التركي دارغوت باشا القيروان واستطاع القائد سنان استعادة الحصون وأسر محمد الحفصي سنة 981هـ/1573م واعتقله بالاستانة أين توفي، وبذلك انتهى عصر الدولة الحفصية التي حكمت تونس ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين سنة أيّ من 981هـ/1573م إلى غاية 1016هـ/1607م. وقد وضع القائد سنان نظاما لحكمها قوامه حاكم مدني يلقب بالباشا يمثل السلطان العثماني. ينظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص ص: 453-454.

تقارب المسافة بينها وبين بايلك الشرق، أيضا تلك العلاقة البعيدة التي نشأت بين البلدين وما ضمنتها من مشاكل أحيانا كثيرة واستقرار* في أحيان قليلة.

ويعود الصراع بين كلّ من تونس والجزائر في أساسه إلى التنافس الحاد الذي كان بين حكومتي البلدين، وقد تمكن أثناء هذا الصراع بعض بايات قسنطينة ودايات الجزائر من تحقيق انتصارات حاسمة على بايات تونس[1]، وتحميل دولة تونس خسائر مادية وبشرية، منها ما حدث عامي 1036هـ/1626م[2]، و1106هـ/1694م[3]، كما استطاعوا في بعض الأحيان أن ينصبوا حلفاء لهم على العرش التونسي مثال ذلك ما تم مع علي باشا الذي ارتقى العرش التونسي بمساعدة حسين باي قسنطينة[4] عام 1148هـ/1735م[5].

ومرات أخرى توصل الحكام الجزائريين إلى فرض إتاوة مالية وضريبة عينية على حكومة تونس مقابل تقديم بعض المساعدات والعون إلى بعض المطالبين بالعرش التونسي، كما حدث مع أبناء حسين باي تونس عام 1169هـ/1756م[6] والذين تعهدوا بإرسال حمولة سفينة من الزيت كلّ سنة إلى الجزائر. ولكنّ طموح

1- لقد دام حكم الدايات من سنة 990هـ/1590م إلى غاية سنة1041هـ/1630م، حيث ظهرت سلطة الباي وأصبح الحكم في البلاد لهؤلاء البايات، وحكمت منهما أسرتان أولاهما الأسرة المرادية من سنة 1047هـ/1637م إلى غاية سنة 1118هـ/1706م. وثانيهما الأسرة الحسنية وذلك من سنة 1119هـ/1707م إلى غاية 1377هـ/1957م. وكان أول بايات الأسرة المرادية إسطا مراد؛ أمّا بالنسبة للأسرة الحسنية فكان منشؤها حسين بن علي التركي الذي بويع له بالخلافة وأصبحت بذلك الولاية وراثية عقبه. ينظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص ص: 454-455.

2- تم ذلك على عهد مراد باي عام 1032-1057هـ/1622-1647م. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص: 34-35.

3- حدث ذلك على عهد علي خوجة عام 1104-1112هـ/1692-1700م . ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 50-51.

4- **حسين باي** (1225-1149هـ/1713-1736م): هو قليان حسين باي المدعو بوكمية. وصف بالحزم والنشاط، والقوة ممّا ساعده على البقاء في الحكم مدة 23 سنة وضع خلالها حدا لكلّ الفتن التي شهدتها مناطق متفرقة من البايلك، وخلال شهر جانفي عام 1138هـ/1725م قصد الحنانشة والأوراس لجمع المطالب المخزنية، وتهدئة الأوضاع الأمنية ومراقبة الأمور في المنطقة. ينظر: المصدر نفسه، ص: 53.

5- نشبت هذه الحرب عام 1148هـ/1735م. من أسبابها اختلاف باي تونس حسين بن علي مع حفيده علي باشا، ولجوء هذا الأخير إلى الجزائر واحتمائه بالداي الذي قبل لجوءه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 55.

6- قرر الداي بابا علي إعلان الحرب على تونس عام 1168هـ/1755م، بعد أن رفض باي تونس دفع الضريبة السنوية المطلوبة منه، وكلف الداي باي قسنطينة زرق عينو بذلك، وجند للأمير التونسي اللاجئ عنده بقسنطينة علي بن حسين باي بن عالي قوات اقتحموا بها مدينة تونس يوم 5 من ذي الحجة عام 1169هـ/1756م، وقتلوا علي باشا وابنه محمد باي أكبر أبناء حسين بن علي؛ وأمّا الباي زرق عينو فإنّه أعاد رفيقه الذي جاء معه من قسنطينة وولاه على عرش تونس، بعدها رحل من تونس راجعا إلى قسنطينة حاملا معه النصر. ينظر: المصدر نفسه، ص:59-60.

بايات تونس للتخلص كليّة من التبعية للجزائر ورغبتهم في تحقيق انتصارات على بايات قسنطينة أدّت إلى استمرار حالة العداء بين البلدين، منها ما قام به مراد باي[1] عام 1112هـ/1700م بحيث هاجم مدينة قسنطينة وانتهت المعركة بهزيمة ثقيلة ثم بعدها عقد صلح في1114هـ/1702م، ولكنّ الصراع تجدّد في 1117هـ/1705م[2]. بعدها توترت العلاقات مرة أخرى بسبب النزاع الذي كان قائما على زبيرة[3] إلى أن رأى الباب العالي ضرورة إلحاقها بالجزائر[4]، وانهزم بذلك إبراهيم الشريف باي تونس[5]. وبعد هدوء نسبي استمر طيلة القرن الثامن عشر تجددت حالة التوتر عام 1121هـ/1806م[6]. وبهذا بقيت العلاقات غير مستقرة بين البلدين إلى أن تدخل الباب العالي سنة 1236هـ/1820م[7] وعقد معاهدة سلام بينهما[8].

أمّا على عهد أحمد باي فقد كانت العلاقات بين البلدين في استقرار ولم تقع سوى بعض المشاكل العالقة التي كانت تحدث بين الحين والآخر[9]، كما سيتضح ذلك من خلال ما ورد في بعض من الرسائل. ويمكن تقسيم المسائل التي تطرقت إليها هذه المراسلات إلى ثلاث محاور:

1- **العلاقات الدبلوماسية**[10]: إنّ الجزائر كدولة كانت لها سيادة وطنية وحدودا

1- **مراد باي**: هو مراد بوبالة، استباح كلّ المحرمات من هتك والمجاهرة بالفواحش وسفك دماء الأبرياء لمجرد الظن أو التهمة الكاذبة. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، الدار التونسية للنشر، د ط، 1976، ص: 174.

2- قام مراد بالهجوم على الجزائر، انتهى بانهزامه؛ وفي يوم 18 من ربيع الثاني 1112هـ/3 أكتوبر1700م استولى الجزائريون على كلّ أمواله وذخائره وأسروا عددا من جنوده . ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

3- المرجع نفسه، ص: 52.

4- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ص: 42.

5- **إبراهيم باي الشريف**:أصله من جند الأتراك بالجزائر، قدم إلى تونس وانخرط في خدمة محمد باي حتى ترقى إلى خطة آغا. فلمّا أوقع بمراد بوبالة، بايعه الجند وبالتالي تم له حكم تونس. ينظر:المرجع السابق، ص: 175.

6- لمعلومات أكثر حول الموضوع ينظر: الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص ص: 95-101.

7- لقد استهل عام 1236هـ/1820م بحادث عظيم في تاريخ إفريقيا الشمالية وهو وقوع صلح نهائي بين تونس والجزائر بمساعي من الدولة العثمانية التي وجهت رسولا لإتمام هذه الهدنة، فأبرم الصلح بين الطرفين. ينظر: حسن حسني، المرجع السابق، ص: 192.

8- ناصر الدين سعيدوني معجم مشاهير المغاربة، ص: 158.

9- لم يعثر على مادة تاريخية تدل على أنّه وقعت حروب أو فتن خطيرة بين تونس والجزائر على عهد أحمد باي لهذا فإنّه يمكن القول بأنّ العلاقات أثناء حكمه كانت على أحسنها مقارنة بالعهود السابقة.

10- **الدبلوماسية**: هو علم وفن وقانون ومهنة. فهي تعني في مدلولها الأعم:" فن التعاطي مع الغير والنجاح والفشل فيها متوقفان على النبوغ في هذا الفن، وهذا النبوغ متوقف على فقه نفسية الغير". ينظر: حسن صعب، الدبلوماسي العربي. ممثل دولة أو حامل رسالة، دار الملايين، بيروت لبنان، ط:1، 1973، ص ص: 11-12.

مرسومة المعالم، اتخذت لها سياسة مميزة بين كلّ الدول عامة، والدول العربية خاصة مع جيرانها[1]. لهذا نصّبت على مستوى هذه الدول ممثّلين لها ينوبون عن مصالحها ويقومون على شؤون الرعية الجزائرية المقيمة على أراضيها.

ومثال ذلك، ما كان ساري العمل به في إيالة تونس، فقد ولّت الجزائر وكلاء لها[2] أسندت لهم مهمة مباشرة ومتابعة مصالحها في هذه الدولة. ومن بين الوكلاء الذين مارسوا هذه الوظيفة على عهد أحمد باي، الحاج عمار وسي محمود[3]، هذا الأخير كان الأول من استلم هذه المهمة، بحيث ورد ذكره في مجموعة الرسائل المؤرخة ما بين سنة 1242-1243هـ/1826-1827م[4]. أمّا الحاج عمار فقد ورد ذكره في كلّ من الفترة الممتدة بين 1244-1245هـ/1828-1829م[5].

فلقد أسندت مهمة اختيار هؤلاء الوكلاء إلى أحمد باي، وعندما يتم ذلك، كان يبعث بمن يقع عليه الاختيار إلى الباشا حتى يتم إقراره في هذا المنصب. ثم يعاد إرساله إلى أحمد باي من أجل متابعة أمر تعيينه على مستوى حكومة تونس. ومثال ذلك، ما كان في أمر تعيين الحاج عمار كوكيل للجزائر في تونس. إذ وكل الباشا

1- ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 158.

2- عندما كان يتعلق الأمر بالخوض في العلاقات الجزائرية التونسية لم يكن يستعمل أحمد باي مصطلح "القنصل"، وهذا المصطلح هو اسم من اللاتينية "Consul" ويعني القاضي الأعلى للجمهورية ومن هنا المعناه الفرنسي. والقنصل هو شخص مأمور رسمي تكلفه حكومته بأن يمارس، في منطقة تحددها دولة إقامته عددا معينا من الوظائف ذات الطابع الإداري أو الاقتصادي تسمى "وظائف قنصلية" وتعني حماية مصالح الدولة التي أرسلته ورعاياها. ينظر: جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة، منصور القاضي، جزء: ص-ي، ص: 1296. في حين كان يستعمل أحمد باي مصطلح "وكيل الجزائر" كبديل عنه. وهذا الأخير يعني لغة : ذلك الرجل الذي يقوم بأمر موكله، وسمي وكيلا لأنّ موكله قد وكل إليه القيام بأمره فهو موكول إليه الأمر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج: 11، ص ص: 735-736. أمّا اصطلاحا فالمراد منه ذلك الشخص الذي تناط به العناية بقضايا بعض الأشخاص أو الشركات أو طائفة مهنية معينة. ويمكن أيضا تسميته بـــ "الممثل" هذا الأخير يعطى له حق التصرف عن طريق التمثيل باسم الممثل ومكانه ولحسابه مع سلطة الإلزام بموجب سلطة تضفيها عليه اتفاقية. ينظر: المرجع السابق، ص: 1607. مع العلم أنّه عندما كان يتعلق الأمر بالحديث على العلاقات الجزائرية الفرنسية فإنّه كان يستعمل مصطلح "القنصل". هذا كله يجعلنا نستنتج أنّ مصطلح القنصل كان متداولا في ذلك العهد، ولكنّه لم يستعمله أحمد باي عندما تعلق الأمر بالعلاقات الجزائرية التونسية، وربما ذلك راجع إلى نوعية الأعمال التي كان مكلفا بها هذا الوكيل.

3- **سي محمود:** وقد ألحق أحمد باي باسمه "أمين السكة" وهذه الأخيرة كانت عبارة على مهنة يحترفها كلّ من يكون قائما على أعمال السكة والنقد وكلّ ما اتصل بالعملة وضربها. ولعلّ إلحاق هذه التسمية به يعود إلى امتهانه هذه المهنة في فترات سابقة. وهذا مجرد استنتاج قد يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ مع غياب المادة التاريخية التي تؤكد أو تنفي ذلك. ومع هذا فقد قدمت لنا رسالة أحمد باي بعض المعلومات عن شخصه، فقد ذكر بأنّه كان وكيلا للجزائر في تونس، يقوم على مصالحها ويدير شؤونها. ينظر: الرسالة رقم: (20).

4- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (11-16-17-22-23) في الترتيب العام للمجموعة.

5- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (1-2-3) في الترتيب العام للمجموعة.

أحمد باي في إحدى الرسائل التي وجهها إليه[1] بأن يبحث له عن رجل يتميز برجاحة العقل والحكمة والخبرة، وأن يكون قد سبق له وأن أتبث من قبل كفاءته وقدرته على قضاء مصالح الدولة[2]. واستجابة لطلب الباشا قام أحمد باي بعملية بحث طويلة ودقيقة، توصل من خلالها إلى ثلاث شخصيات كانت معروفة بين أوساط المجتمع القسنطيني وهي:

سي علي بن عيسى[3] الذي كان متواجدا حينها في تونس لقضاء بعض الأعمال[4]. وقد ذاع صيته حتى وصل إلى منطقة تونس، إذ عرف بتأثيره الكبير ومكانته في نفوس الجزائريين. قبائلي الأصل، كان يتراوح عمره سنة 1247هـ/ 1832م ما بين 58 و60 سنة[5]. له لحية بيضاء. عاش بقرية قرومة[6] بفليسة، أين كان المرابط والزعيم الروحي لهذه القبيلة[7].

أمّا الشخصية الثانية، فهي الحاج عمار المركانتي الذي كان مستقرا في مدينة عنابة [8]، وقد ذكرت بعض المصادر والمراجع أنه ينتسب إلى عائلة ذات أصول يهودية[9]، اسمه الكامل ليفروني بن يمين زقوطة[10]. كان زعيما على إحدى

1- الرسالة رقم:(24) في الترتيب العام لمجموعة.

2- وإن لم يحدد الباشا نوعية المهمة التي سوف تسند إلى من سيقع عليه الاختيار إلا أنّه يمكن من خلال هذه العبارة أن نستنتج بأنّها مهمة تؤدى في خارج الجزائر. وهذا ما أكدته بعض الروايات التاريخية والتي مفادها أنّ الباشا حسين طلب من الباي أحمد أن يبحث له عن شخص ذا كفاءة وخبرة من أجل تنصيبه وكيلا للجزائر بتونس. ينظر: (بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 97. أيضا: صالح فركوس، الحاج أحمد باي، ص، 32.)

3- **علي بن عيسى**: كان ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، بل هو شيخها على منطقة جرجرة كلها، وقد انتشرت هذه الطريقة بعد موت عبد الرحمان بأبي قبرين في قسنطينة على يد الشيخ باشتارزي. ينظر: رضا بن حمدان خوجة، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة، ص: 21. ويضيف آخر أنّه قاد جيش قسنطينة للدفاع عن عنابة عند محاولة احتلالها سنة 1247هـ/1832م، وأبلى بلاءا حسنا. حتى شهد له خصومه بأنّه كان شعلة في الدفاع عنها، ثم عن قسنطينة؛ لكنّه في نهاية المطاف رضخ للأمر الواقع أو تظاهر بقبوله واستسلم للسلطات الفرنسية سنة 1253هـ/1838م، فعينته خليفة، ولكنها لم تكن تثق فيه فاعتقلته ونفي خارج الجزائر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص: 142.

4- الرسالة رقم:(24) في الترتيب العام للمجموعة.

5- بعملية حسابية بسيطة يكون تاريخ مولده ما بين 1186-1188هـ/ 1772- 1774م.

6- **قرية قرومة**: الأخضرية حاليا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج:2، ص: 128.

7- المرجع نفسه، ص: 128.

8- الرسالة رقم:(24) في الترتيب العام للمجموعة.

9- ذكر حمدان خوجة أنّ ميكائيل بوجناح كان حفيده. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 180. أيضا:
Spasa Colligo, *Documents pour servir l'histoire de Bône*, R .A, 1872, P : 6.

10- Ibid, P : 6.

العائلات النبيلة في قسنطينة، عرف بحكمته ورجاحة عقلـه[1]، كمـا تميـز ببعـد نظر[2]. في بداية الأمر كان قائدا على قبيلة التلاغمة[3]، وفي الـسنوات الأخيـرة أصبح مسؤولا على التعاملات التجارية التي كانت تعقد بين الأمم الأوروبية (وظيفة المركانتي) وقد أسند إليه أحمد باي سلطات مماثلة لمهام حاكم عنابـة. قتـل سـنة 1247هـ/1832م بأمر منه[4].

كما اقترح أحمد باي على الباشا شخصا ثالثا من أجل أداء هـذه المهمـة وهـو الحاج حسين بن المرابط[5] الذي كان متواجدا بتونس ينجز بعض الأعمال. وصـفه برجاحة عقله وتعدد معارفه[6].

أمّا بن العنتري وصالح فركوس فقد ذكرا أنّ أحمد باي وقع اختياره على شخصيتين فقط هما: الحاج عمار وبن عيسى. فاختار الباي هذا الأخير، ولكنّ بعضا من موظفيه نصحوه بأنّه ليس كفؤا لهذه المهمة وينبغي عليه أن يختار رجلا آخر يكون قد مارس السياسة من قبل، ويمتاز بخبرة وقدرة على تسيير مصالح البلاد مع الدول الأخرى[7]. وقد أصابا في ما ذهبا إليه، فقلد فوقع اختياره على الحاج عمار، الذي أرسله إلى الباشا ليختبر حكمته وكفاءته، فظهر له من سياسته ورجاحة عقله ما يليق بمنصب وكيل الجزائر؛ عندها أقره على هذا المنصب[8]، ثم بعثه إلى أحمد باي الذي كلّف بمراسلة باي تونس في أمر تعيينه[9].

1- E. Bigonet, *une lettre d'un Bey de Constantine*, R. A, 1899, P : 174.
2- Maitrot, *Bône militaire*, P : 157.
3- Op. Cit, P : 174.
4- Charles Féraud, *La calle*, P : 609.
5- لم يعثر على ترجمة وافية لهذه الشخصية ماعدا تلك المعلومات التي ذكرها أحمد باي في شأنه.
6- الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.
7- **أهم الملاحظات حول ما جاء بقلم بن العنتري وصالح فركوس مقارنة مع ورد في رسالة أحمد باي:**
*لم يتبين في مضمون الرسالة التي كتبها أحمد باي على من وقع عليه الاختيار من بين الشخصيات الثلاثة. في حين ذكرا المؤلفين هوية الشخصية التي وقع عليها الاختيار.
*- كما لم يرشح كلّ من بن العنتري وفركوس الحاج حسين بن مرابط، بعكس أحمد باي، لهذا يعتقد أنّ المصدر الذي أخذت منه هذه المعلومات لم تكن مستقاة من رسائل أحمد باي.
8- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.
9- وردت هذه المعلومات في كلّ من:(صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 97). أيضا: (صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 32). وممّا يؤكد صحة هذه المعلومات أنّه ورد اسم الحاج عمار كوكيل للجزائر في تونس.

ومنذ تلك الواقعة أصبح علي بن عيسى يكّن للحاج عمار عداوة وحقدا كبيرين، لهذا حاول الإيقاع به إلى أن تمّ له مراده، فلقد لعب دورا كبيرا في إصدار أمر إعدامه من طرف أحمد باي[1].

وبهذا أصبح الحاج عمار وكيلا للجزائر على تونس لمباشرة مصالحها هناك. ولقد كان لهذا الوكيل نائبا، بحيث صرحت إحدى الرسائل التي تم العثور عليها في أحد الملفات العثمانية بالمكتبة الوطنية أنّه بتاريخ 1242هـ/1826م، كان المدعو مصطفى بن صابر الجزايري نائبا لوكيل الجزائر بتونس[2]؛ ومن المهام التي كلف بها، كتابة التقارير ومساعدة الوكيل في أعماله[3].

ومن بين الأعمال التي كلف بها الحاج عمار بعد استلامه لمهامه، تقديم تقارير مستمرة على كلّ الأمور التي كانت تخص الجزائر من قريب أو بعيد. كما كان يشكل حلقة وصل بين حسين باي تونس[4] وحسين باشا في الجزائر. أيضا كان يتسلم كلّ الرسائل التي كان يبعثها باي تونس ثم يرسلها إلى الباشا عبر أحمد باي. لهذا فإنّ هذه المراسلات قد أخذت صفتين، إحداهما محلية والأخرى خارجية.

*-فأمّا المحلي منها، فتمثل في كلّ الرسائل التي كان يكتبها الحاج عمار ويبعثها إلى الباشا حسين وكبار موظفي الحكومة الجزائرية، ومن خلالها كان يقدم كلّ المعلومات أو التفاصيل التي كانت تخص مصالح الجزائر ورعاياها. وما يلاحظ

1- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، 97.

2- ينظر نومذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزئر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (2).

3- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

4- **حسين باي**: (1238-1250هـ)/(1824-1835م). عندما توفي محمود باشا ابن محمد باشا ابن حسين باشا بتاريخ 28 رجب 1239هـ/1825م تولى بعده مباشرة ابنه حسين باشا بتاريخ 21 رجب 1239هـ/1825م. ينظر: الشيخ حسن بن مصطفى الترجمان، أيام الدايات والبايات والباشوات بتونس وأسماؤهم وكم لبث كل واحد منهم، قطعة من مخطوط رقم: 1618، ورقة: 41. قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة. وقد تقلد منصب الولاية بدون أيّة معارضة، ووصف على أنّه الصديق الحميم لفرنسا، وأنّه لم يستطع أن يخبأ سعادته عندما علم بمشروع الغزو. ينظر:
Augustin Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Challanel Editeur, Paris, 1893, Tome : 1, P : 125.
وباشر هذا الباي كثيرا من الإصلاحات منها إبطال قيس مزارع الحبوب قبل الحصاد وتعويضه بضريبة العشر، كما رتب الجند التونسي ترتيبا نظاميا، وأبطل فرقة الانكشارية؛ وأمر الباي موظفيه وأرباب الرتب العسكرية بترك زيهم المعهود وحمل اللباس النظامي. ينظر: حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ص ص: 196-197. وقد توفي بتاريخ 22 محرم 1251هـ/20 ماي 1835م، تاركا وراءه ذرية كثيرة. ينظر:
Alfred Berenguer, R. H. C. M, Janvier, 1967, P : 186.

على هذه الرسائل أمرين، الأول أنّها كانت ترد على أحمد باي أولا ليبعثها إلى الباشا في الجزائر بواسطة عماله، ومن أجل أداء هذه المهمة على أكمل وجه، سخر أحمد باي مجموعة من العمال سهروا على ذلك بكلّ أمانة، فكان الباش سيار هو المسؤول على قافلة البريد، إذ كان مكلفا بحمل الرسائل الموجهة من طرف أحمد باي إلى الباشا والعودة إليه بالردود[1]. كما كلف بعض الفرسان الذين كانوا يخضعون لقيادة "الدايرة" بهذه المهمة[2]، ومقابل ذلك كانوا يأخذون ثماني فرنكات[3].

أمّا الأمر الثاني فأنّه لم ترد أيّة المعلومات حول مضمون ما كان يكتبه وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا وكبار المسؤولين، فكان أحمد باي يقتصر على ذكر أنّها وردت رسائل من الوكيل وأنّه قام بإرسالها إليه على وجه السرعة. لهذا أجريت محاولة بحث في مجموعة الوثائق الأخرى الموجودة في الملفات العثمانية من أجل معرفة ما كان يكتبه وكيل الجزائر إلى الباشا وعماله، وهذا طبعا مهم، لأنّه يكشف على بعض المهام التي كان يقوم بها هذا الوكيل، كما يلقي الضوء على بعض الأحداث التاريخية الواقعة في تلك الفترة الزمنية. ومن بين الرسائل التي تم العثور عليها في هذه الملفات والتي ناسبت الإطار المكاني والزماني للأحداث الواردة في رسائل أحمد باي نذكر منها:[4]

ما كان بتاريخ 29 رجب من عام 1242هـ/1827م، إذ كتب أحمد باي رسالة إلى الباشا، يعلمه من خلالها حضور عامل "من الدايرة" كان قد رافق وكيل

1- محمد صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص:21.

2- كما ورد في الرسالة المؤرخة في: 27 ذي القعدة 1245هـ/1829م أنّ اثنين من فرسان الدايرة قاموا بنقل بعض الرسائل الواردة من وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا وعماله، تحمل هذه الرسالة الرقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص:28.

4- حاولنا من خلال عرض محتوى هذه الرسائل وضع مقارنة بينها وبين ما ورد في رسائل أحمد باي، خاصة في التاريخ ثم في الأحداث، فمن وجد فيها التناسق أخذ بها، ومن وجد أنّها لا يمكن أن تكون تلك التي تحدث عنها أحمد باي تم التخلي عليها. وبغض النظر عن كلّ هذا وذاك فإنّه لا يمكن الجزم بأنّها هي النصوص الصحيحة لمحتوى الرسائل التي بعثها وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا، ولكنّها تبقى مجرد محاولة قد تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب، فالحقيقة تكون فيها نسبية، وتبقى مجرد محاولة للبحث عن بعض الحقائق، وهذه حجتنا في عرض هذه المعلومات التاريخية.

الجزائر سي محمود[1] إلى تونس وقد حمله رسالة على أن توجه إلى الباشا[2]، وأعلمه من خلالها أنّه عند دخوله تونس، قابل الباي حسين، الذي استقبله بكلّ حفاوة، كما قدّم له المؤونة اللازمة، وكان هذا الأمر الجاري العمل به مع كلّ وكلاء الدول الأخرى. كما أبلغه بوصول رسائل من أوارين عن طريق مرسيليا، علم من خلالها بقدوم إبراهيم باشا إلى أوارين، وقد تمكن من أسر نحو خمسة آلاف أسير من كلا الجنسين، وقد جاء إبراهيم باشا من الدولة العلية يحمل معه القفطان، فصار يدير نحو عشرين مركبا من مراكب السلطان، مدعّما بخمسة عشرة آلاف من الجنود من أجل عملية الجهاد[3].

أمّا بتاريخ 22 صفر من سنة 1243هـ/1827م، فلقد أعلم أحمد باي الباشا بوصول رسالتين من وكيل الجزائر بتونس، واحدة له شخصيا والأخرى لوكيل الخرج[4]. أمّا الرسالة التي خصت شخص الباشا فقد ورد فيها أخبار عن الأوضاع الخارجية، بحيث أخبره وكيل الجزائر سي محمود بن أمين السكة بحضور "قبجي" من "الدولة العلية" وتمت إقامته بطرابلس، كما يبلغه أيضا بأنّه لم ترد عليه أيّة أخبار عن أحوال "الأسطول الإسلامي بالإسكندرية". وبأنّه قدمت بعض المراكب من مرسيليا ومن القرنة فاستغل ذلك الأمر، وتمكّن من خلال كلامه مع البعض من الذين قدموا على متن هذه المراكب معرفة أمر سعي الفرنسيين لعملية الصلح[5].

كما يضيف في محتوى رسالته أنّه قدم مركبا من السويد يحمل هدية للباشا حسين، ولكنّه تعرضت له بعض السفن الفرنسية فاحتجزت كلّ ما كان على متنه. ويعلمه أيضا بأنّه تم قدوم خمس مراكب فرنسية نزلت بمسافة يوم من غرب تونس فدخلوا بساتينها وأخذوا كلّ ما كان فيها من محصول العنب[6].

1- ينظر نموذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزائر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (3).

2- الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

3- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

4- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206.

5- المصدر نفسه.

6- وفيما يخص هذه المراسلة فلقد ورد فيها أنّ أحمد باي وجّه الرسالة التي بعثها حسين باشا إلى وكيل الجزائر سي محمود مع دواوير، ولقد ورد في الرد بتاريخ 25 محرم أنّه وصلته رسالة الباشا مع دواوير أحمد باي.

أمّا في 15 من شهر محرم سنة 1243هـ/1827م، وصلت بعض الرسائل من باشا إلى أحمد باي، من ضمنها رسالة يجب أن توجه إلى وكيل الجزائر[1].

ومن خلال رسالة مؤرخة في 20 محرم من الشهر والسنة نفسها، كان الرد على ما جاء في رسالة الباشا حسين، فأخبره من خلالها بقدوم القبجي إلى مالطة برفقته رجل من الدولة العلية يدعى محمد باي وهو ما زال مقيما بمالطة. كما أعلمه بقدوم مراكب من مرسيليا، فاستغل وجودها ليستفسر من بعض القادمين على متنها على الأحوال الأمنية بالإسكندرية. لكنّه لم يتمكن من معرفة الجديد[2].

كما أخبره بقدوم الرايس علي الميورقي إلى تونس، أين مكث ثمانية أيام ولم يتمكن أثناءها من الحصول على المؤونة المخصصة له، وهو يجهل السبب، وقد وضع احتمالين، أحدهما إمّا خوف باي تونس من إغضاب القنصل الفرنسي؛ أو لعدم تلقي السلطات التونسية أجوبة على الرسائل التي بعثتها إلى باشا[3].

وفي 21 من ذي القعدة سنة 1245هـ/1829م، ذكر أحمد باي في رسالته الموجهة إلى حسين باشا أنّه قد وردت عليه رسالة من وكيل الجزائر بتونس الحاج عمار وأنّه سوف يوجهها إليه[4]. فحسين باشا كتب إلى الحاج عمار[5] بتاريخ 29 من ذي الحجة من السنة نفسها يعلمه من خلالها أنّه قد فهم كلّ ما ورد في رسالته التي بعثها له جملة وتفصيلا.

ومن جملة هذه الأحداث، قدوم مركب من اسطنبول[6] حاملا معه رسائل من أحمد قبطان يخبره فيها أنّ السيد طاهر باشا[7] يسعى إلى محاولة الصلح بين

1- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

2- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

3- المصدر نفسه.

4- الرسالة رقم: (1) في الترتيب العام للمجموعة.

5- ينظر نموذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزائر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (4).

6- في الرسالة كتبت "اسلام بول".

7- **طاهر باشا:** قدم من أستانة موفدا من قبل السلطان وحائزا على الرخصة الكاملة والصلاحية المطلقة لحل النزاع وفك الحصار، وكان الفرنسيون يخافون دخوله لأنّه لو تمكن من إقناع الجزائر بقبول الشروط التي وضعتها الحكومة الفرنسية تكون المشكلة قد حلت، لهذا سعت لمنعه من الدخول برا عن طريق تونس بتخويف حسين باي تونس. ينظر: أحمد توفيق المدني، من الوثائق العثمانية عن تاريخ الجزائر، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، النصف الأول من سنة 1982، ص ص: 26-27.

الجزائر وفرنسا، وأنّه غير راض على ذلك. كما ذكر بأنّ قبطان باشا البابوجي قد توفي وولي مكانه خليل باشا. وأخبره أيضا "بأنّ الله قد أعاد نعمته" على اسطنبول، إذ ورد مركبا من أزمير[1] "من حضرة الحاج محمد رايس" يخبره "بأنّ أزمير في هذه الساعة في أمن وأمان ورخاء". كما يشكره فيها على التهاني التي قدمها له بمناسبة تدمير المركبين الفرنسيين[2].

كانت هذه بعض النماذج من المراسلات التي تمت بين وكيل الجزائر بتونس والباشا بالجزائر والتي كان أحمد باي وسيطا فيها. أمّا فيما يخص المراسلات المتبادلة بين وكيل الجزائر بتونس مع كبار الموظفين في السلطة، فهذه أمثلة عن بعضها:

منها الرسالتين التي بعث بهما الوكيل سي محمود إلى كلّ من وكيل الخرج وإبراهيم آغا بتاريخ 23 من شوال 1243هـ/1827م. أيضا رسالة أخرى تحمل التاريخ نفسه وجهت إلى بعض النصارى المقيمين بمدينة الجزائر[3]. كما نجد في بعض المرات يخص كلّ من المركانتي ووكيل باب الجهاد بالمراسلة دون الباشا وذلك ما كان بتاريخ 26 من ذي الحجة 1242هـ/1826م[4].

*-النوع الثاني والخاص بالمراسلات التي كانت تتم بين كلّ من أحمد باي وحسين باشا مع باي تونس، بواسطة وكيل الجزائر الذي كان حلقة وصل بينهم. وما يلاحظ عليها أنّها عالجت مواضيع شتى.

ومن بين المراسلات التي كانت تتم بين الحاكمين -حسين باشا وحسين باي تونس-، نذكر ما كان بتاريخ 7 رجب من سنة 1243هـ/1827م، فهذا حسين باشا

1- **أزمير**: مدينة تاريخية عريقة في وسط غرب تركيا الأسيوية، تبعد عن مدينة أنقرة بحوالي 400 كلم وإلى الغرب منها. ويعود تأسيسها إلى عهد الروم وقد عرفت باسم مسيرنا وكانت ميناءا مهما من المنظور التاريخي، والمدينة التي تقع على بحر إيجة سيطر عليها العثمانيون إبّان فترة حكم السلطان أورخان بن عثمان الذي بنى فيها جامعة للمعارف والآداب. ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ص:45.

2- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

3- الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

4- الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

يبعث بعض رجاله، منهم محمد الشاوش وسي الحاج العربي[1] والاصبايحية إلى أحمد باي ليبلغوه أمر الباشا الذي كان مفاده كتابة رسالة إلى باي تونس، كما طلب منه أن يجعل منها نسخة يبعث بها إلى وكيل الجزائر حتى يكون على علم ودراية بكلّ الأمور إذا ما استدعاه باي تونس وناقشه في الموضوع الذي لم يتم الإفصاح عليه في مضمون الرسالة. بعدها بعث أحمد باي إلى حسين باشا يطمئنه على إتمام المهمة وأنّه حينما يصله الرد من باي تونس يبعثه إليه فورا دون انتظار[2].

أيضا الرسالة التي أرسلها حسين باشا في أوائل ذي الحجة من سنة1243هـ/1827م، عبر عامله أحمد باي إلى باي تونس يستفسره من خلالها على وصيفه وخادمه "ابن كانون". وقد أكد له أحمد باي بأنّه حين وصول الرد يوجهه إليه دون تعطيل[3].

أمّا فيما يخص المراسلات التي كانت تتم بين أحمد باي وحسين باي تونس، ما تم بتاريخ 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/1826م. فقد كتب أحمد باي رسالة إلى باي تونس، وقبل أن يبعثها إليه أرسلها إلى الباشا حسين بالجزائر لكي يطلع على مضمونها، فيصححها له أو يترك النص على ما هو عليه[4].

وبتاريخ 3 شعبان من سنة 1827/1243، بعث أحمد باي رسالة إلى حسين باي تونس، من خلالها يطالبه بإعطاء تفسيرات حول سكوته وقبوله بإقامة أحد الرعايا الجزائريين المتهم بالعصيان وسرقة أموال البايلك. وعندما ورد جواب باي تونس، ولمّا قرأه أحمد باي اندهش لموقفه؛ فلقد رفض باي تونس تسليمه له

---

[1] **الحاج سي العربي**: هو المرابط العربي الذي قال عنه أحمد باي في مذكراته أنّه برهن له في تلك الظروف على لؤم شديد وعداوة، فعندما كان قائدا على العواسي رفع إلى الباشا حسين اتهامات ضده. ولكنّه بعد احتلال مدينة الجزائر لجأ إلى أحمد باي من أجل أن يحمل له زوجته وأولاده، وأثناء الطريق نسيا ما كان بينهما من عداوة، بعدها عيّنه أحمد باي قائدا على قرية صغيرة على مقربة من الميلة، ولكنّه بعد سنوات ظهر منه تغيير إذ تآمر عليه وارتبط بيوسف وأصبح رائدا لجميع أنصاره. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 58-59.

[2] الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] الرسالة نفسها.

[4] الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

واعتبره لاجئ[1] ولا يمكنه "كسر هذه الحرمة". ويضيف أحمد باي مبينا موقف باي تونس الخاطئ بأنّه من تنطبق عليهم هذه الصفة هم أولاد مبارك الحنانشي الذين وصل عددهم إلى نحو ستة عشر رجلا، أمّا هذا الشخص فليس بهارب لأنه في نظر السلطات الجزائرية سارق ويجب أن يحاسب وينال حقه من العقاب[2].

لكنّ باي تونس لم يقتنع بما جاء على لسان أحمد باي، بل أكد أنّه لا يمكن تسليمه للسلطات الجزائرية، لأنّ ذلك يعتبر "كسرا لحرمة" حكومته. ويؤكد أحمد باي في تقريره للباشا على أنّ مجمل رعية البايلك التي فرّت إلى تونس قد رجعت نظرا لسوء الأحوال المعيشية هناك. وقد ضمن لهم الإقامة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى. وفي آخر الرسالة يطلب من الباشا الاستشارة والنصيحة في هذه المسألة[3].

ذلك أنّ الأمر لم يكن يسير بهذه الطريقة في كلّ الأحوال، فلقد حاول باي تونس منع بعض الرعايا الجزائريين الفارين دخول بلاده. ولم يذكر في نص الرسالة أيّ تفاصيل أخرى عن سبب رفض باي تونس لهؤلاء، مادام أنّه فعل ذلك مع غيرهم من الفارين[4].

وفي الرسالة نفسها أعلم أحمد بايِ الباشا حسين بأنّه أمر قواته بتشديد الحراسة على منطقة الكاف الحدودية والتي كانت ممرا للفارين؛ ولكنّ هذا الأمر أقلق السلطات التونسية معتقدة بأنّ تعسكر الجنود الجزائريين في هذه المنطقة كان لأغراض غامضة فاتخذوا لأجل ذلك التدابير الأمنية الكافية لتفادي أيّ طارئ قد يحدث، إذ فرقوا قواتهم العسكرية على كلّ المكان لحراسته[5].

وبهذا فإنّ رواية أحمد باي في تقريره للباشا ترجع سبب فرار الرعية الجزائرية نحو تونس، إلى الأمور التالية:

---

[1] مصطلح اللاجئ: هو أيّ شخص اضطر إلى الهرب من بلده الأصلي أو البلد الذي كان فيه محل إقامته المعتاد من أجل تفادي أخطار جسمية، وعلى وجه الخصوص لتجنب اضطهاد سياسي أو عرقي أو ديني، ولا يمكنه أو لا يريد بسبب خوف مشروع، اللجوء إلى حماية سلطات بلده. ينظر: جيرار كورنو، معجم المصطلحات السياسية، ص: 1328.

[2] الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] الرسالة نفسها.

[4] الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في 29 من رجب 1242هـ/1827م.

[5] الرسالة نفسها.

-رفضها الانصياع وتسديد ما كان عليها من مطالب مخزنية.

-ارتكابها لعمليات سرقة مست أموال البايلك.

أمّا بعض الكتابات التاريخية التي تناولت الموضوع فأرجعت ذلك إلى أنّه " متى وجد العرب أنّ استبداد الباي وطغيانه لا يطاق، يرحلون إلى منطقة أخرى، وبهذه الطريقة خلت سهول عنابة من سكانها تقريبا"[1].

ولم يقتصر الهروب واللجوء إلاّ على الطرف المدني فقط، بل خصّ أيضا العنصر العسكري. بحيث كثيرا ما كانت تتم عملية هروب اليولداش من بايلك الشرق قاصدين بذلك أراضي تونس. وهذا ما ذكره نص الوثيقة المحصل عليها من المكتبة الوطنية والمؤرخة في 10 رمضان من عام 1242هـ/1826م، والتي ذكرت بأنّه تم هروب مجموعة من اليولداش إلى تونس وصل عددهم الثمانيين، وعندما طالب وكيل الجزائر بضرورة تسليمهم بأمر من الباشا حسين، أجابه بأنّه كلّ "من دخل سنجاقه فهو آمن"[2] ولا يجوز تحت أيّة ظروف أو ضغوط اختراق "هذه الحرمة"[3].

هذا فيما يخص ظاهرة هروب بعض الرعايا الجزائريين إلى تونس. أمّا فيما يخص لجوء بعض التونسيين إلى قسنطينة وطلبهم الاستقرار فيها، فقد ورد في هذا الأمر بعض المعلومات.

فلقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنّه لجأ إليه بعض من أفراد قبيلة الشراقة التونسية طالبين منه الإذن بالاستقرار على أرض الجزائر. لكنّ أحمد باي لم

1- شارل، منكرات شارل، ص: 106.

2- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

3- المصدر نفسه. ومن خلال ما ورد في نص هذه الوثيقة يستنتج أنّه كان يستعمل في تلك الحقبة التاريخية بما يسمى حاليا بحق اللجوء السياسي، هذا الأخير الذي يعني في مفهومه العام " حقّ الدولة في أن تمنح ملجأ في إقليمها للأشخاص المضطهدين لأسباب سياسية في دولة أخرى. ويستثنى من حق اللجوء السياسي المجرمون العاديون، فيترتب على الدولة رفض إيوائهم قطعا، وتسليمهم إلى السلطات المحلية". ينظر: أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص: 131. وبهذا فإنّ السلطة التونسية برفضها تسليم هؤلاء الجنود ومنحهم كلّ الضمان والأمان، فإنّها بذلك تمنحهم حق اللجوء السياسي. وبغض النظر عن كلّ هذا فالسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا قام هؤلاء اليولداش بالهروب إلى دولة أخرى؟ إجابة تحتاج إلى دراسة موثقة.

يرض بذلك إلاّ بعد أن أمل عليها شروطا كان يجب التقيد بها[1].

ولقد أبلغ أحمد باي الباشا في رسالة أخرى، بأنّه لجأ إليه بعض التونسيون طالبين منه حق البقاء في قسنطينة، لما لقوه من اضطهاد أقلق معيشتهم. فرحّب بهم، وأحسن معاملتهم، كما أعطى لهم كامل الحرية في الأخذ بسبل العيش ما دام ذلك في إطار المحافظة على النظام العام للبلاد واحترام قوانينها، وأسقط عليهم كلّ أنواع المطالب المخزنية من حكر أو عشر[2].

2-تونس والأزمة الفرنسية الجزائرية: لقد أجمعت معظم المصادر والمراجع التاريخية على أنّ العلاقات بين الجزائر وتونس قد أخذت منعرج التذبذب وعدم الاستقرار. ففي معظم الأحيان كان البلدين في حالة اصطدام دائمة، ويرجع ذلك لمعطيات جغرافية واقتصادية واضحة المعالم. فلقد حاولت تونس أن تضم لإقليمها بايلك الشرق، هذا الأخير كان بمثابة ثروة عظيمة لكلّ من اكتسبها هذا من جهة، ولقرب المسافة بين المنطقتين من جهة أخرى.

كما حاولت تونس جاهدة للتخلص من سيطرة حكام الجزائر عليها ومن دفع الإتاوات التي كان يفرضها عليها بعض الدايات. كلّ هذا وذاك جعل من العلاقات الجزائرية التونسية تحمل البعض من الحقد والانتقام. ولقد اتضح ذلك جليا من خلال موقفها الغير مشرّف إزاء الأزمة الفرنسية الجزائرية.

فلقد استقبل باي تونس أمر الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية بما فيه الساحل الشرقي براحة، ولم يكن له ردود فعل ايجابية بموجب المجاورة والأخوة في الدين والدم. فهذا قنصل فرنسا في تونس "قايس" "Guys" كتب في تقرير لحكومته، بأنّ باي تونس مرتاح من طريقة معاملة فرنسا للجزائر، ومن الحملة التي سوف تشنها ضدها، لأنّه كان يتمنى منذ زمن بعيد سقوط الجزائر[3].

كما يؤكّد بأنّه سوف يتم التخطيط للاستيلاء على قسنطينة من مقرهم الثاني

1- الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

3-L. Pechot, France et l'AFrique du nord avant 1830, P : 587.

بتونس[1]. حيث استعملت المنطقة كمركز للتجسس وتحسس الأخبار نظرا لقرب المسافة بينهما، إذ كانت الحكومة الفرنسية تستعمل بعض الرعايا العرب التي ترى فيهم الثقة والذكاء من أجل أن ينقلوا لها أخبارا ومعلومات حول كلّ ما يتعلق بقسنطينة مهما كانت أهميتها مقابل مبالغ مالية كانت تدفعها لهم[2].

وقد ذكر أحمد باي في تقريره المؤرخ في 15 محرم من سنة 1243هـ/1827م، بأنّ وكيل فرنسا السابق بمنطقة القالة قد توجه إلى قبيلة نهد[3] المقيمة على الحدود التونسية واستأذنها ببناء مركز يمارس فيه نشاطه التجاري[4]. وقد استفسر أحمد باي حول صحة هذا الموضوع، وإن كان بعلم باي تونس وابنه[5]. وما هو أكيد أنّ هذا المركز لم يكن الغرض منه التجارة بقدر ما كان يراد منه التجسس وتحسس الأخبار بشأن كلّ ما يتعلق ببايلك الشرق.

كما عمد حكام تونس إلى السهر على حماية مصالح فرنسا المتواجدة فوق أراضيها. فمن خلال مضمون الرسالة التي بعثها قايس قنصل فرنسا بتونس إلى حكومته بتاريخ 1243هـ/1827م، مفادها أنّ حكومة تونس قامت بتسليح أربع "بركوات" مدفعية حتى تتمكن من حماية الممتلكات الفرنسية المتواجدة على أراضيها ضد اعتداءات البحرية الجزائرية، وهذا دون طلب من فرنسا[6].

كما عمد الحكام التونسيون إلى تموين القوات الفرنسية بكلّ ما كانت تحتاجه من أغذية ومياه. فهذا أحمد باي يخبر الباشا في أحد تقاريره التي وجهها إليه بتاريخ

1- L. Pechot, France et l'AFrique du nord avant 1830, P : 587.

2- Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France, P : 647.

3- **قبيلة نهد:** سكنت هذه القبيلة الحدود بين تونس والجزائر، وهي في معظمها تميل إلى الاستقلال، حيث سمح لها بعدها عن السلطة الجزائرية والتونسية على المحافظة على بعض من هذا الاستقلال. وقد كانت تتعرض بين الحين والآخر إلى بعض الحملات من بايات تونس تارة، ومن بايات قسنطينة تارة أخرى، طالبين منها دفع ما يجب عليها من مطالب مخزنية. ومن بين فروعها لهواوشة وأخضر، فأمّا الفرع الأول فكان تواجده على بعد 13 كلم جنوب شرق القالة. في حين كان استقرار الفرع الثاني على بعد 18 كلم شرق القالة، وتتشابه مواطن هاتين القبيلتين في كونهما جبليتين نوعا ما، أيضا لامتلاكهما لبعض السهول والأودية ممّا جعل أراضيها صالحة للزراعة. ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 63.

4- من خلال التعريف بهذه القبيلة استنتجنا أنه كانت تميل إلى الاستقلال، وتميزت بالعصيان والتمرد على السلطات الحاكمة لهذا لجأت إليها السلطات الفرنسية من أجل بناء هذا المركز متأكدة من مساعدتها لها، نظرا لموقفها من كلتا السلطتين التونسية والجزائرية.

5- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

6- Engène Plantet, Op. cit, P : 634.

15 محرم من سنة 1243هـ/1827م، أنّه وردت عليه أخبار من تونس على لسان محمود الطبجي، مفادها قدوم 18 سفينة حربية فرنسية إلى ميناء تونس، وعلى متنها قنصل فرنسا و"الكمنداد"، فتوجه إليهم باي تونس وحملهم على متن عربته[1] وذهب بهم إلى مقر إقامته؛ وأثناء الليل قدّم لهم مساعدات عينية تمثلت في أربعين رأس من البقر وكمية كبيرة من المياه الصالحة للشرب[2].

ولم تكن هذه المرة الأولى التي قدمت فيها السلطات التونسية مساعدات للقوات الفرنسية، ففي سنة 1245هـ/1829م، قامت الحكومة التونسية بتموين الجيش المكلف بشن الحملة على جزائر بقطيع من البقر ومكافأة لها، قررت فرنسا بأن تمنح لمصطفى أخ الباي حسين عرش قسنطينة، على أن يكون له كلّ مداخيل البايلك، مقابلها يدفع ضريبة تقدر بـ 800000 فرنك فرنسي أثناء سنة 1246هـ/1831م، ومليون فرنك فرنسي للسنوات القادمة[3].

كما أكدّ أحمد باي للباشا في الرسالة نفسها خبر شن حملة على وهران باتفاق بين كلّ من فرنسا والإسبان، وأنّ مصدر معلوماته أكيد وموثوق فقد جاءه بها المدعو محمود الطبجي[4].

وعلى ضوء ما عرض من معطيات تاريخية منه ما أكدته مصادر وطنية، والجانب الآخر أكدته بعض المصادر والمراجع الأجنبية، تبين كيف أنّ السلطات التونسية لعبت دورا غير مباشرا، وساعدت من بعيد على نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، معتقدة في ذلك أنّها سوف تكون في مأمن من العدو المشترك، وناسية أو متناسية بأنّ وجه المحتل لا يأخذ عدّة ألوان أو أشكال، ولكن يأخذ لونا واحدا وهو لون الدم، كما يأخذ شكلا واحدا وهو شكل المغتصب الطامع في خيرات الغير،

1- **العربة**: سماها أحمد باي في الرسالة بـ "الكروسة". ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. تكونت هذه العربة من أربع عجلات تقودها مجموعة من البغال، ولم يكن الحق سوى للباي بامتلاك مثل هذه العربات. ينظر:

Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France, P : 657.

2- الرسالة رقم :(30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- Mathieu De Lesseps, Algérie et la Tunisie, Librairie Hachette et C^{ele}, 1909, P : 184.

4- الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

فرنسا لم تكن لتقنع بمستعمرة واحدة خاصة عندما تفتح لها الأبواب على مصرعيها، فكانت الجزائر هي البوابة نحو مناطق أخرى. وهذا ما أكدته الأحداث التاريخية فيما بعد، فقلد وقعت تونس أيضا في المصير نفسه الذي لاقته الجزائر[1].

[1] فرضت فرنسا الحماية على تونس وقد اعترف بها محمد الصادق باي ووقع على المعاهدة التي عرضها عليه الجنرال بريار غداة حصاره لقصر السعيد بباردو وكان ذلك في 12 جمادى الثانية 1289هـ/12 ماي 1881م. ينظر: حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ص: 214.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والاجتماعية على عهد أحمد باي

1/4)-المبحث الأول: الحياة القتصادية على عهد أحمد باي

-الفلاحة والحرف والتجارة

-مصادر الدخل وأوجه الإنفاق

-العملة

2/4)-المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية على عهد أحمد باي

-تركيبة المجتمع القسنطيني

-مميزاته

-الاحتفال بالأعياد الدينية والمناسبات

1/4)-المبحث الأول:الحياة الاقتصادية على عهد أحمد باي.

1-الفلاحة والحرف والتجارة:

كلّ الذين كتبوا على بايلك الشرق، أجمعوا على أنّه من أغنى وأوسع الأقاليم على مستوى الجزائر على العهد العثماني. فموقعه الجغرافي واختلاف تضاريسه مع تنوع ثرواته الطبيعية، وهبت له أهمية كبيرة ومكانة على المستوى الداخلي والخارجي. فمن بين أهم القطاعات المؤسسة لاقتصاد البايلك، الفلاحة والرعي، ثم الحرف فالتجارة الداخلية والخارجية.

أ-الفلاحة: لم يتطور القطاع الفلاحي في الجزائر منذ أواسط القرن السابع عشر، فاقتصر الفلاحون على استعمال الآلات البسيطة التي كانت وإلى غاية أواخر القرن الثامن عشر لا تتعدى المحراث الخشبي[1]. وبهذه الأساليب البسيطة ظلت أغلب الأراضي الخصبة تعاني الإهمال[2]، إلا أنّه بالرغم من هذه الظروف الإنتاجية التقليدية، فإنّ الفلاحة كانت مزدهرة ما عدا في سنوات القحط. إذ كانت الجزائر تنتج جميع أنواع الفواكه والخضر والحبوب بكميات تزيد عن حاجيات السكان، وقد أكد شارل هذا الأمر حين كتب يقول: "إنّ هذا القطاع كان مزدهرا فكانت هناك أجنة الكروم والأشجار المثمرة التي لم تعرف مثلها في أوروبا. وأنّ الأراضي كانت مغطاة بأجمل الغابات والبساتين"[3].

ولقد تميز بايلك الشرق بشساعة أراضيه، لهذا التجأت السلطة العثمانية إلى عملية تقسيم الأراضي بالشكل الذي رأته كفيلا بأن يقدم لهذا القطاع نوعا من

1- **المحراث الخشبي:** وصفه نوشي فقال إنّه محراث بدون عجلات وهو مكون من قطعة خشبية من خمس إلى ست أقدام على طوله عريض بعرض اليد. ينظر:
Endrè Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), P : 63.
وكان هذا المحراث مكون من قطعتين مجتمعتين، ومزود بسبكة حديدية في طرفه الأسفل، وقد حالت دون تعمقه في التربة واقتصر أثره على ملامسة الأرض. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 56.

2- المرجع نفسه، ص: 56.

3- شارل، مذكرات شارل، ص: 108.

التوازن، وقد كانت الملكيات على أنواع منها:

الملكية الخاصة: كانت قليلة، ولا تكاد تكون موجودة إلاّ بضواحي المدن[1].

الملكية المشاعة[2]: ضمت أراضي العرش والتي كان يستغلها كامل أفراد القبيلة كلّ حسب طاقته[3].

الأحباس وأملاك الدولة: كانت تشرف على تسييريها المصالح الإدارية بمساعدة قبائل المخزن، وفي بعض الأحيان كانت تعطى هذه الأراضي لبعض الأفراد أو حتى لبعض القبائل لتقوم باستغلالها مقابل أجر يتفق عليه[4]. وقد أطلق عليها أحمد باي مصطلح "أراضي المخزن"[5].

وأراضي الدولة لا يجوز امتلاكها أو تأجيرها لأيّ كان دون الرجوع إلى السلطة العثمانية. ففي إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى حسين باشا والمؤرخة في 19 محرم من سنة 1244هـ/1828م، ذكر فيها أنّ أحدا من رعيته يدعى ابن الأبيض باع أرضا تابعة للمخزن بعقد مزور، وهو ما لا يمكن امتلاكه، على أساس أنها من ممتلكات البايلك، لهذا قام بكلّ الإجراءات اللازمة من أجل استرجاعها[6].

أراضي عزل البايلك: كانت أراضي عزل البايلك ضمن دائرة مركزها -مدينة قسنطينة- والتي لا تكاد تفصلها إلاّ بعض الملكيات الخاصة، التي كانت لا تتجاوز مساحتها عشرة آلاف هكتار على امتداد وادي الرمل[7] ووادي بومرزاق[8]

1- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 58.

2- **الملكية المشاعة**: ويطلق عليها أيضا الملكية العامة للقبيلة أو العرش، وغالبا ما يكون هذا النوع من الملكية العامة في المناطق السهلية، لهذا كان من الطبيعي أن تكون لبعض القبائل أراضي واسعة تقدر بالآلاف من الهكتارات، وترسم هذه الملكية بحدود عرفية هي موضع رضا وقبول من لدن كلّ القبائل المجاورة لها. وكثيرا ما كانت تسمى هذه الملكية "الوطن". ينظر: حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 34.

3- كانت الأسبقية تعطى للمعوزين حتى يتخلصوا من الفقر والفاقة، وإذا كان أحد أفراد القبيلة قادرا على العمل وهو لا يملك وسائل الإنتاج، فإنّه يشترك مع غيره. ينظر: العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 59.

4- إذا كانت ضمن الأراضي الخالية من السكان، فتعتبر أرض غير صالحة ومن أحياها فهي له، وإذا كانت قريبة من العمران فيفتقر محيوها إلى إذن من الحاكم بخلاف البعيدة عن العمران. ينظر: المرجع نفسه، ص: 59.

5- الرسالة رقم :(28) في الترتيب العام للمجموعة.

6- الرسالة نفسها.

7- ورد ذكره في الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. ينظر الفصل الأول، المبحث الثاني، ص: 93.

8- **وادي بومرزاق**: أو وادي بومرزوق يقع بضواحي مدينة قسنطينة ويلتقي بوادي الرمل على مقربة منه آتيا من الخروب. ينظر: أحمد العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص: 36. وهو يخترق مدينة قسنطينة ثم يصب فيه وادي سمندو. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 159.

ووادي الزناتي والوادي الكبير[1]، وبعض القطع المنعزلة بضواحي مدينة عنابة أو على سفوح الجبال[2].

وكانت هذه الأراضي على اختلاف ملكياتها تنتج كميات كبيرة من الحبوب بأنواعها والخضر والفواكه. وكانت هذه المحاصيل تسد حاجيات سكان البايلك، كما كان يصدّر البعض منها نحو المناطق الداخلية أو الخارجية. ومن أهمها نذكر:

القمح[3] والشعير: كتب أحمد باي في مذكراته يقول: "إنّ كلّ ثروتنا تتمثل في القموح"[4]، ذلك أنّ تربة الأرض تصلح لهذا النوع من الإنتاج الزراعي. فقد كان بايلك الشرق بعدما يسد حاجيات السكان، يمون مدينة الجزائر بكميات معتبرة. فكان يبعث بها عن طريق عنابة[5]، تبعا للعادة الجاري العمل بها منذ عهد إنقليز باي[6].

وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله التي وجهها لحسين باشا، المؤرخة في 15 جمادى الثانية من عام 1826/1242، فقد أعلم الباشا بوصول مؤونة من قمح بعثها له عن طريق عنابة[7]، والتي كانت من ضمن المناطق الأكثر إنتاجا لهذه المادة، فقد كانت سهولها تمتد على مساحة طولها "أربعون ميلا وعرضها خمس وعشرون، وهي في منتهى الخصوبة وتنتج جميع أنواع الحبوب"[8]، ولكن ما كان

1- **وادي الكبير:** المصب الأيسر للوادي الموجود على بعد 66 كلم من مدينة قسنطينة، قسم منه يتجه نحو القالة. ينظر: Charles Féraud, L'oued- El Kebir et Collo, R. A. 1868, P, 199.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 91.

3- **القمح الجزائري:** كان من النوع الصلب، والدقيق الذي يطحن منه يشبه الرمل في مظهره، وهو مشهور في الأسواق الأوروبية خاصة الإيطالية منها، ويفضله التجار الأجانب على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص ص: 19-20.

4- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص، 45.

5- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص: 163.

6- **انقليز باي:** ورده ذكره في الرسالة رقم : (23) في الترتيب العام للمجموعة. اسمه الحاج مصطفى انقليز باي، تركي قديم في قسنطينة تولى إدارة بايلك الشرق عام 1212هـ/1798م. وكان سبب عزله أنّ أحد أبنائه اشتهر "بالفسق والفساد" وتأذت الرعية كثيرا منه فلما وصل خبره إلى الباشا بالجزائر أمر بعزله وانتقاله إلى مدينة الجزائر مع عائلته، ويعود سبب نجاته من العقاب تلك الصداقة والمودة التي كانت تجمع بينه وبين بعض عمال السامبين "فتشفعوا له " لدى الباشا وعزل سنة 1218هـ/1804م. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص: 68-69. أمّا ناصر الدين سعيدوني فيرجع سبب نفيه إلى أنّه بعدما حكم أربع سنوات حرض التونسيين على محاصرة مدينة قسنطينة . فقد جرد حمودة باشا حملة على قسنطينة، ومن آثارها تلك المدافع التي وجدها الجيش الفرنسي عند استيلائها عليها. ولهذا عزل. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 153.

7- الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

8- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 58.

يعيب على مدينة عنابة مناخها، ذلك أنّ ظروف التخزين بها كانت غير صالحة، ممّا كان يؤدي إلى إفساد مخزون القمح في فترة قصيرة، عكس ما كان يحدث على مستوى قسنطينة[1].

أمّا كميات القمح التي كان يمون بها بايلك الشرق مدينة الجزائر[2] فقد قدرت بأربعين حمولة؛ أيّ ما يعادل "ستة عشر ألف قيسة من الحبوب"، وقد بلغت في السنوات الخصبة مائة ألف صاع[3].

وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله الموجهة إلى الباشا، والمؤرخة في 24 جمادى الثانية من عام 1245هـ/1829م. ومن خلالها يتضح دور العوامل الطبيعية في مردود الإنتاج الزراعي خاصة القمح والشعير منه. فقد ذكر بأنّه بفضل كثرة الأمطار "النافعة" عم الرخاء والنعيم على كلّ الرعية، بدليل هذه العبارة الواردة في نص الرسالة:" وبلادك ووطنك في هناء وعافية قد من الله تعالى في هذه الخريف **بالمطر النافع والخصب الشاسع والكلإ الواسع فأخصبت البلاد وأعشبت وسرت بذلك أهل الحاضرة والبواد** والحمد لله تعالى"[4].

وإن حدث العكس، ونعني بذلك سوء الأحوال المناخية فإنّ المردود يقل، ولا يستطيع القائمون على البايلك إرسال المؤونة المعتاد إرسالها إلى مدينة الجزائر. مثال ذلك ما حدث في سنة 1243هـ/1827م، إذ اشتكى أحمد باي من الجفاف[5] الذي أصاب المنطقة[6]، والذي تسبب في وقوع أزمة غذائية. وأيضا خلال السنة

1- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في أوائل ذي الحجة عام 1243هـ/1827م.
2- الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة
3- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 213.
4- الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.
5- من أهم السنوات التي قاست فيها الجزائر في أواخر العهد العثماني من ظاهرة الجفاف تلك التي حدثت في كلّ من عام 1232-1235هـ/1816-1819م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج:1-2، ص: 436. أمّا على مستوى بايلك الشرق فلقد أصاب المنطقة عام 1219هـ/1804م، جفاف أدى إلى حدوث مجاعة عظيمة . فذكر ابن العنتري أنّه" وقعت مجاعة وقحط مهول سنة 1219هـ/1804-1805م أضر بأهل قسنطينة ووطنها، ودام الحال كذلك ثلاث سنوات متواصلة. ينظر: محمد صالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1394هـ/1974م، ص: 27-28.
6- الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

نفسها هاجمت جموع من الجراد[1] الأراضي، فزادت بذلك من حدة الأزمة[2].

كما أنّ كثرة الأمطار كثيرا ما كان تحدث فيضانات، بخاصة على مستوى الأودية، ذلك أنّ مؤونة القمح والشعير التي كانت تبعث إلى مدينة الجزائر كانت تمر على أحد الأودية الموجودة في شرق البايلك.

وهذا ما أكّده أحمد باي في إحدى رسائله المؤرخة في 11 ذي القعدة من عام 1243هـ/1827م، فقد ذكر بأنّ كثرة الأمطار أدت إلى "حمل النهر"[3]، لهذا تعذر عليه إرسال الكميات اللازمة من مادتي القمح والشعير إلى مدينة الجزائر[4].

زيادة على منتوج القمح والشعير كان بايلك الشرق ينتج الذرة التي كانت ثاني مادة زراعية ذات أهمية، وتميز هذا المنتوج بسهولة تخزينه ونقله[5].

أمّا صحراء البايلك فكانت تعرف بتمورها المشهورة بجودتها؛ إذ كانت منطقة وادي ريغ[6] وحدها تملك سبع وأربعين واحة تنتج أجود أنواع التمور[7].

مادة الخشب: كان بايلك الشرق يملك مساحات غابية كبيرة، وقد ساعد ذلك في تطور الصناعة، بحيث تعتبر هذه المادة من المواد الأساسية في بعض

1- تعتبر ظاهرة الجراد من الآفات الطبيعية التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني، وتسببت في حدوث مجاعات واختفاء الأقوات وهلاك الكثير من السكان. ومن بين أهم السنوات التي عانت منها الجزائر أواخر العهد العثماني من ظاهرة الجراد هذه، تلك التي حدثت في كل من سنوات التالية: 1232-1238-1240هـ/1816-1822-1824م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، ص: 436. أمّا على مستوى بايلك الشرق فلقد هاجمت في السنة 1219هـ/1804-1805م، جموع من الجراد على المنطقة فزادت من حدة الأزمة. وما يلاحظ أنّ الجفاف دائما يتبع بهجوم الجراد على المنطقة ممّا يزيد من تأزم الوضع الغذائي. ينظر: العنتري، القحط والمسغبة في بلد قسنطينة، ص: 28.

2- الرسالة رقم : (4) في الترتيب العام للمجموعة.

3- لم يذكر أحمد باي في رسالته اسم هذا الوادي، ولكنّه يعتقد أنّه وادي بجاية. فلقد ذكر العربي الزبيري أنّ كلّ الأودية في الجزائر كانت غير صالحة للملاحة ما عدا وادي بجاية في شرق البلاد وهو وادي الصومام الذي ما يزال جزء منه صالحا للملاحة حتى الآن. ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 65. ووادي الصومام هذا اختلفت تسميته حسب الجهات التي يمر بها، فهو يدعى في أعالي قرية بني منصور بوادي بني منصور، ثم تغير اسمه إلى وادي عباس وأقبو وبني غليس وتازمالت، وأخيرا حمل اسم وادي السمار ثم سمي بالصمام. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 154.

4- الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة.

5- Jean Morszot, L'Aurès ou la mythe de la montagne rebelle, P : 107.

6- **وادي ريغ:** يسميه ابن خلدون ببني ريغة، وذكر بأنّهم كانوا أحياء متعددة "ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم إلى جبل عياض". ينظر: ابن خلدون، تاريخ العبر، ج:7، ص: 47. وهذه المنطقة متواجدة حاليا في الجنوب القسنطيني تحدها من الغرب وادي جدي. ومن أجل تفاصيل أكثر حول هذه المنطقة ينظر: الفصل الثاني، المبحث الأول، ص ص: (135-136).

7- Jean Jacques, Structures agraires, P : 60.

الصناعات. وهي في مجملها تجلب إلى عنابة من المناطق الغابية المحيطة بها وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله[1]، ومن بين هذه المناطق نذكر: غابات إيدوغ[2] وبني صالح والقالة[3] ووادي سيبوس[4]. وقد امتازت أخشاب هذه المناطق بجودة أنواعها وملاءمتها لأعمال البناء[5].

وما يؤكد ذلك المعلومات التي أوردها أحمد باي في إحدى رسائله المؤرخة في 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/1826م، فقد ذكر أنّ كلّ المباني التي بناها الفرنسيون في القالة كانت من مادة الخشب، كما وجدوا الكثير منها مطروحا بالقرب من مبانيهم[6].

مادة الشموع: كان أهالي الشرق الجزائري يقومون في فصل الربيع من كلّ سنة بجني الشموع ثم يقومون ببيعها إلى إحدى المؤسسات الفرنسية، أو يتم تصديرها إلى تونس، وقد كانت مدينة القل أكبر منتج لهذه المادة[7].

العسل: كانت من بين المواد النادرة، لهذا كان إقبال الأوروبيين على استيرادها كبيرا، من أجل هذا السبب بادرت السلطات على مستوى البايلك إلى احتكار تجارتها وإعطاء حق تصديرها إلى الشركات الأجنبية، مثل الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية وكان ذلك مقابل رسوم جمركية مرتفعة[8].

وبشهادة بعض المؤرخين، كان القطاع الفلاحي على عهد أحمد باي مزدهرا إلى درجة كبيرة، "في حين قبل توليه الحكم كانت الأراضي مهملة[9]، إلى درجة أنّ

1- الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **منطقة ايدوغ:** وقد وردت تسميتها كذلك في الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة. وامتدت هذه المنطقة من السهل في الجنوب حتى راس الحمراء في الشمال على مسافة 14 كلم من مدينة عنابة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 204.

3- المرجع نفسه، ص: 214.

4- **وادي سيبوس:** يجمع أودية شرف وبوحمدان. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 159. وهذا الوادي موجود في شرق قالمة. ينظر: Mathe et Edment, Kitab aayane el Marhariba, P : 20.

5- الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

6- الرسالة نفسها.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 214.

8- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 60.

9- حمدان خوجة، المرآة، ص: 173.

السكان لم يكونوا قادرين على دفع ما كان يترتب عليهم من مطالب مخزنية"[1].
وهذا ما تأكد من خلال المعلومات التي وردت في الرسالة التي بعثها محمد منماني إلى حسين باشا والمؤرخة في 5 رمضان من سنة 1240هـ/14 أبريل 1826م، فقد ذكر أنّ الأحوال الاقتصادية بالبايلك في تدهور كبير حتى أنّ "البقرة بيعت بريالين"[2].

وبذلك انصرفت الرعية على عهد أحمد باي إلى خدمة الأرض واستغلالها، ومثال ذلك، أراضي أولاد عامر الشراقة التي لم تكن تستخدم سوى للمرعى فقط، فأصبحت على عهده تزرع ويستفاد منها خاصة في محاصيل الحبوب[3].

القول نفسه أكدّه عبد الجليل التميمي، وذلك من خلال وثيقة حررها سكان قسنطينة والتي نقلوا فيها إلى الباشا حسين سرورهم ورضاهم على حكم أحمد باي الذي على عهده ازدهرت الزراعة[4].

وأخيرا ما يؤكد كلّ هذه المعلومات ما ورد في إحدى الرسائل المؤرخة في 24 جمادى الثانية من عام 1245هـ/1829م، ومن خلالها أعلم أحمد باي الباشا بأنّ الرخاء والنعيم عمّ على كلّ الرعية، سواء على مستوى "الحضر أو في البادية"[5].

وما يتبع القطاع الفلاحي ويتصل به اتصالا مباشرا الرعي. فلقد كان بايلك الشرق يمتلك الأعداد الكبيرة من أنواع الماشية والبقر والخيل والبغال، وما يؤكد صحة هذه المعلومات ما ورد في رسائل أحمد باي من الأعداد الكبيرة لمختلف أنواع الماشية التي كان يتحصل عليها من خلال شنه لمختلف الحملات العسكرية ضد بعض القبائل التي كانت ترفض دفع المطالب المخزنية، أو لقيامها ببعض الأعمال المنافية للنظام العام. فقد قدرت إجمالا بـ 40827 رأس غنم[6]، و6149 رأس من البقر[7]، و423 ما بين خيل وبغال والتي كان يطلق عليها أحمد باي

1- الرسالة رقم : (6) في الترتيب العام للمجموعة.
2- الرسالة نفسها.
3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 58.
4- Temimi, Le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, P P : 61-62.
5- الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.
6- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.
7- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

"الزايلة"[1]، و377 من الهوير[2]، و592 من الإبل[3]. وكلّ هذه الغنائم تحصل عليها ما بين سنة (1242-1244هـ/1826-1828م)[4].

وإذا قدرت قيمة هذه الغنائم الممثلة في الغنم والبقر والهوير والبغال والخيل فإنّنا نتوقف عندها لحظة للقول في نهاية الأمر أنّ سكان الأوطان كانوا يملكون الكثير من هذه المواشي، وبالتالي فإنّ حرفة الرعي كانت من بين أهم الحرف التي كان يمارسها الكثير من سكان البايلك، خاصة القاطنين بمنطقة الأوراس والصحراء. ومع هذا فإنّه لا يمكننا حصر عدد القطعان التي كان يملكها البايلك بشكل حقيقي.

ب-الحرف: لم تكن موجودة في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر ما يسمى بـ "الصناعة"، ولكن ما كان موجودا هو بعض الحرف التي تطورت شيئا فشيئا خاصة في بعض المجالات[5]. فقد كان يوجد على مستوى البايلك عدد كبير من أصحاب الحرف، وفي مجالات متنوعة نذكر:

النجارون: تمثلت مهمتهم في صناعة الصناديق والأبواب والنوافذ وغيرها من المنتوجات الخشبية[6]. وقد أستفيد من خبرة هؤلاء الحرفيون في إصلاح العتاد الحربي؛ فلقد استعان بهم أحمد باي في هذا الشأن، وكان ذلك أثناء الحصار الذي فرضته القوات الفرنسية على السواحل الشرقية[7].

الحدادون: تولوا صناعة الأدوات التي كانت تستعمل في العمل الفلاحي كالمحارث والمناجل والألجمة[8].

1- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-26-29) في الترتيب العام للمجموعة.

2- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

3- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

4- أرخت كلّ من الرسالة رقم: (14-15-19) في سنة (1242هـ/1826م). في حين أرخت كلّ من الرسالة رقم: (18-26) في سنة (1243هـ/1827م). أمّا الرسالة رقم: (30) فأرخت في سنة (1244هـ/1928م).

5- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 452.

6- Charles Féraud, Corporation des métiers à Constantine avant la conquête française, R. A. 1872, P : 70.

وقد تم الاستعانة بمرجع التجارة الخارجية لصاحبه العربي الزبيري لترجمة المعلومات الواردة في هذه المجلة ينظر: ص ص: 453-454.

7- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

8- Charles Féraud, Op. Cit, P : 70.

الصفارون: تخصصوا في صناعة الأواني النحاسية ونقشها وإصلاحها[1].

الجلابون: وتمثلت مهمتهم في تربية المواشي وتسويقها[2].

شقماقجية: تخصصوا في صناعة الأسلحة عند كسرها[3].

الحواكون: اختصوا بصناعة الملابس الصوفية والقطنية وحياكة الزرابي والأغطية[4]، والخيام، هذه الأخيرة كانت تمون بها أفراد الجيش، خاصة أثناء الحصار الذي ضرب على السواحل الشرقية، فقد ذكر أحمد باي أنه مون الخوزجية بمجموعة من الخيام[5]. وقد عرفت المنطقة بجودة منتوجاتها النسيجية[6].

الفخاريون: اختصوا بصناعة الأدوات الفخارية[7].

البناؤون: اختصوا ببناء المنازل وغيرها من المرافق العامة[8]. وقد ورد ذكرهم في أحد تقارير أحمد باي، وذكر بأنهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى[9].

الجزارون: تمثلت مهمتهم في ذبح المواشي وبيعها[10]. وكان بايلك الشرق يمتلك على عهد أحمد باي أعددا كبيرة من الغنم والبقر والإبل[11].

الكواوشة: وهم صانعو الخبز؛ وقد احتكر البسكريون[12] هذه الحرفة؛ وكانت هذه الأخيرة من بين أهم الحرف التي كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية، فالخبز كان العنصر الأساسي في غذاء الجزائريين[13]. وقد اتضح ذلك من خلال

1- Charles Féraud, R. A, 1872, P: 70.
2-Ibid, P : 70.
3-Ibid, P : 70.
4-Ibid, P : 70.

5-ينظر: الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة.
6-Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 192.
7-Op.cit, P : 70.
8-Ibid, P : 70.

9-الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.
10-Charles Féraud, Op.cit, P: 70.

11-ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.
12-**البسكريون**: استقروا بالمنطقة التي تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي ثماني أيام وتسمى بلاد الجريد، وضمت هذه المنطقة مدينة كبيرة، يقيم بها بضعة آلاف من السكان، وتوجد قربها بئر يرتوي منها السكان، وهي لا تصلح لجفافها لا لتربية الماشية، ولا للزراعة، كما تميزت بكثرة النخيل. ينظر: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1974، ص: 155. ويضيف شارل أنّ البسكريين "قوم مسالمون ومخلصون وكثيرا ما يستخدمون في المنازل. ينظر: مذكرات شارل، ص: 109.
13-كما يتبين ذلك من خلال ما ورد في بعض رسائل أحمد باي. مثال ذلك الرسالة رقم: (22).

كلام أحمد باي في إحدى رسائله، إذ ذكر أنّ هذا الغداء كان من بين المواد الأساسية التي كان يستهلكها الجزائريون خاصة أفراد الجيش؛ وأيضا تبين ذلك من خلال اهتمام أحمد باي الشخصي بإصلاح "الكوشة" التي كان يطبخ فيها خبز الجنود[1].

الطباخون: اختصت هذه الفئة بعملية الطبخ، خاصة في قصور الدايات والبايات وكبار موظفي الحكم العثماني آنذاك. وقد اختص الميزابيون[2] بهذه الحرفة[3]؛ إلاّ أنّ هذه القاعدة لم يكن يعمل بها في كلّ الحالات، فقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله، أنّ الباشا حسين وكّله بالبحث عن طباخة ماهرة تعمل في قصره. وبهذا يتأكد أنّ هذه الحرفة لم تكن حكرا إلاّ على فئة الميزابيين وحدهم، إذ أنّ الباشا حسين لم يشترط ذلك. كما يدل أيضا على أهمية هذه المهنة، كيف لا وقد وكّل أحمد باي شخصيا بعملية البحث، كما وكّل بها وكيل الجزائر بتونس[4].

وكانت هذه الحرف منظمة على شكل جمعيات مهنية كلّ واحدة منها تختص بنوع من الحرف. وكان على رأس كلّ حرفة مسؤول يلقب بالأمين أو النقيب، الذي كان يقوم على مصالح اليد العاملة، ويجمع مختلف الرسوم المستحقة عليهم ليقدمها إلى الجهات المسؤولة[5]، وهذا التنظيم دليل على أنّ الأمور لم تكن تسير بطرق عشوائية.

كلّ هذا جعل مدينة قسنطينة من بين أهم المدن الجزائرية من حيث إنتاجها الحرفي. فلقد كانت تملك وحدها ثمانين معملا لصناعة السروج ومائة وثمانية وستين معملا لصناعة الأحذية[6]. ومن خلال هذه المعطيات يتبين أنّ بايلك الشرق قد

1- الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **الميزابيون**: استقروا بالناحية التي يطلق عليها الزاب، وتقع على حدود الصحراء، يمتد قسم منها داخلها وتمر قوافلهم عبر الصحراء لتصل إلى بلاد السود، فيشترون من هناك عبيدا صغارا يدعى رئيسهم بأمين الميزابيين، الذي كان مقره في مدينة الجزائر، ومنها يدير شؤونهم بواسطة موظف تابع له. ينظر: سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ص: 163.

3-Charles Féraud, R. A. 1872, P : 70.

4- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

5-Op. Cit, P : 70.

6- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 62.

تخصص في صناعة الأحذية، وهذا ما أثبته أحد المعاصرين لحكم أحمد باي[1]. كما تخصص سكان البايلك في دباغة الجلود، ممّا أدى إلى انتشار معاملها، فلقد قدرت عشية الاحتلال الفرنسي للبايلك بـ ثلاثة وثلاثين معملا؛ وهذا ما يؤكد صحة المعلومات التي ذكرت أنّ المنطقة كان يملك أعددا كبيرة من الماشية، خاصة البقر منها[2]، والتي كانت تستعمل جلودها في مختلف الصناعات.

وما ساعد على تطور هذه الحرف وكثرة الإنتاج فيها توافرها على المادة الأولية. ومن بين ما كان يملكه بايلك الشرق النحاس والحديد، أمّا المعدن الأول فكان متواجدا بكثرة في نواحي عين بابر[3]، في حين كانت مادة الحديد متواجدة في أماكن متفرقة مثل بوحمزة[4] ومناجم مجاز الرسول. كما كانت تستخرج مادة الحجارة من سكيكدة وبجاية، وكان استعمالها في عملية البناء والترميم[5].

ج-التجارة: كانت التجارة في الجزائر على العهد العثماني كما هو الشأن في الدول الأخرى على نوعين، داخلية وخارجية. وبايلك الشرق بحكم موقعه الممتاز وتعدد ثرواته كان على اتصال بالعديد من الدول تحت رعاية وإدارة السلطة المركزية في مدينة الجزائر. غير أنّ التجارة الخارجية في هذه المرحلة لم تكن تسير على الوتيرة التي كانت عليها في فترات سابقة، فلقد تقلد أحمد باي حكم البايلك والجزائر تعيش توترا خارجيا بسبب تكالب القوات الأوربية عليها.

وبما أنّ رسائل أحمد باي لم تتناول موضوع التجارة خاصة الخارجية منها فإنّ هذا العنصر سوف يتناول إلاّ التجارة الداخلية، ذلك أنّه ورد في بعض من الرسائل التي حررها أحمد باي معلومات مفادها أنّ هذا السلطات كانت تسهر على حماية القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق. والتجارة الداخلية كانت تتم على مستويين: المدينة والأوطان.

1- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 87.
2-ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.
3- **عين بابر:** منطقة موجودة بسفوح إيذوغ الشمالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 216.
4- المرجع نفسه، ص: 216.
5-Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 189.

أمّا على مستوى المدن فكانت تتم في "الحوانيت" التي انتشرت عبر الأحياء، فكان السكان يشترون منها ما يشاؤون من المنتوجات والمصنوعات[1]. وقد خصصت لكلّ حرفة من الحرف التي كانت موجودة في تلك الفترة مكانا خاصا بها، مثل قسم النساجين والنجارين والفخاريين...الخ[2]. وكان يتم ذلك بالتنسيق مع هيئات أخرى، التي كانت تسهر على تنظيم العمل التجاري وتراقب الأسعار والموازين ونوعية البضائع المعروضة، كما كانت هناك هيئات أخرى تقوم بجمع الرسوم المترتبة على التجار الذين كانوا يمارسون هذه الحرفة كلّ حسب اختصاصه ونوعية البضائع التي كان يقوم ببيعها[3].

في حين كانت تتم على مستوى الأوطان في الأسواق المحلية أو الجهوية[4]، وتتناول كلّ ما كان يحتاجه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة. وكانت تعقد هذه الأسواق أسبوعيا في ساحة كبيرة من بعض القرى المركزية أو خارج المدن. ويأتيها المنتجون والمستهلكون من مختلف المناطق المجاورة. ومن أهم الأسواق الجهوية التي كانت متواجدة على مستوى البايلك، نذكر: سوق أولاد عبد النور، وسوق الحراكتة، وسوق السبانية، وسوق التلاغمة[5].

وما يلاحظ على هذه الأسواق أنّها أخذت اسم بعض القبائل المتواجدة في البايلك، ولعلّ ذلك يعود إلى أحد الأمرين، أولهما أنّ هذه القبائل كانت تقوم بتنظيم هذه الأسواق على أراضيها. أمّا الأمر الثاني فيتمثل في كون هذه القبائل كانت من أقوى القبائل وأغناها على مستوى البايلك، ممّا سمح لها أن تهتم بالشؤون العامة

---

[1] امتازت مدينة قسنطينة بهذه الصفة منذ زمن بعيد فهذا البكري ذكر بأنّ "مدينة قسنطينة كانت تزخر بمتاجر رابحة". ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص: 63.

[2] كانت مدينة قسنطينة تضم أسواقا اختص كلّ واحد منها بحرفة معينة، وبهذا فقد عرفت التجارة الداخلية على مستوى المدينة تنظيما جيدا. وهذه الأسواق مازالت موجودة في قسنطينة لوقتنا الحالي، ومن أهمها سوق الغزل وسوق الرحبة، مع حفاظها على تسميتها القديمة بالرغم من تباعد الفترة الزمنية. ينظر: مرايا ونوافذ، ولاية قسنطينة، منشورات اللجنة الولائية لإحياء ذكرى 2500 سنة على نشأة مدينة سيرتا، ص: 10.

[3] العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 64.

[4] لقد ذكر البكري هذه الميزة منذ فترة بعيدة، فكتب يقول بهذا الصدد: "كانت بها أسواق جامعة". ينظر: المصدر السابق، ص: 63. وهذا ما يؤكد أنّ المنطقة عرفت بازدهار تجارتها منذ القدم.

[5] المرجع السابق، ص: 64.

للسكان خاصة الاقتصادية منها، لهذا تداولت على هذه العملية على مر السنوات، مع العلم أنّ أحمد باي لم يكن على وفاق مع بعض الفرق من هذه القبائل، فكما مرّ علينا أنفا فإنّه قد شن عدة حملات ضد كلّ هذه القبائل ونقصد بها الحراكتة والسبانية والتلاغمة[1]. لهذا فإنّ ما يفسر بقاء هذه القبائل على ممارسة النشاط التجاري فوق أراضيها يعود إلى عرف وتقليد تداول عليه سكان المنطقة قبل مجيء أحمد باي بسنوات كثيرة ولا يمكن أن يتغير صدفة. لهذا فضل أحمد باي إبقاءها على ما كانت عليه، تفاديا للدخول معها في متاهات هو في غنى عنها.

"أمّا المعرض السنوي"[2] فكان يقام بوادي العثمانية بإشراف شيخ العرب[3]. ومن هذا المنطلق تتبين الوظيفة الاقتصادية التي كانت تمارسها هذه الشخصية[4]، زيادة على وظيفتها الإدارية والعسكرية. وبهذا تعددت مهامها، فيمكن اعتبار شيخ العرب بمثابة الشخصية الأولى على مستوى الأوطان.

وعلى العموم وبشهادة البعض ممّن كتبوا على بايلك الشرق، فإنّ قسنطينة كانت من بين أهم الأسواق داخليا، فلقد وصلت علاقتها التجارية إلى دار السلطان[5]. حيث كانت التجارة هي عصب الحياة بالبايلك؛ إذ كانت معظم العائلات تمارس هذه الحرفة بطريقة أو بأخرى، بالجملة أو بالتفصيل[6]. وبفضل هذه الأسواق خرج اقتصاد الأوطان من اقتصاد الكفاف الذي كان يقتصر على تلبية حاجيات الأسرة، إلى اقتصاد تبادلي بدافع أن تستكمل الأسرة النقص من وسائل الإنتاج الأخرى من وإلى منطقة أخرى[7]. وكان التاجر يدفع الرسوم قبل دخوله إلى هذه الأسواق

1- ينظر كلّ من الرسالة رقم :(29) في الترتيب العام للمجموعة.

2- مع أنّ هذا المصطلح لا يتلاءم مع الفترة التي نحن بصدد دراستها إلا أنّه تم الإبقاء عليه أخذا بما ورد في مرجع التجارة الخارجية لصاحبه العربي الزبيري.

3- المرجع نفسه، ص: 64.

4- قد تم التعريف بهذه الشخصية ومن تداول على هذه الوظيفة على عهد أحمد باي. من أجل ذلك ينظر، الفصل الأول، المبحث الأول الموسوم بـ "الجهاز الإداري على عهد أحمد باي"، ص ص:61-62.

5-L.Pèchot, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 18.

6- أبو القاسم سعد الله، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ص: 389.

7- حميدة عميراوي، جوانب من السياسية الفرنسية، ص: 32.

رسوما[1]. وقد وكّل القايد بالإشراف على مراقبة سير عملية التبادلات التجارية[2].

أمّا عن وسائل النقل المستعملة لحمل البضائع من سوق لآخر، فقد اختلفت من منطقة لأخرى. ففي التل استعمل التجار البغال لحمل السلع، والخيل للأشخاص. أمّا في الصحراء فاستعملت الجمال[3] والحمير[4]. وما يدل على أنّ السكان كانوا يمتلكون أعدادا كبيرة من هذه الحيوانات خاصة البغال والخيل منها ما ورد في بعض الرسائل من إحصاءات[5].

وكانت هناك طريقتان مشهورتان للقيام بعملية النقل هذه؛ أولاهما كانت تتم بواسطة القافلة. وثانيتهما هي النجع أو القبيلة السيارة، وهذه الأخيرة أبطأ من الأولى ولكنّها أضمن بالنسبة للتجار[6]. وقد ساعد على ازدهار التجارة الداخلية وجود شبكة طرقات برية، اختلفت كلّ الاختلاف عن مثيلاتها في القارة الأوروبية، وكانت تنقسم إلى سلطانية[7] وجهوية. وأهمها بالنسبة لبايلك الشرق:

الطريق العرضاني الشمالي: ربط تونس بمدينة فاس[8] مرورا بمدن الكاف، قسنطينة، حمزة والجزائر[9].

الطريق العرضاني الأوسط: كان يربط قفصة[10] بمدينة فكيك[11]، مرورا

1- العربي الزبيري ، التجارة الخارجية، ص: 65.

2- Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, P : 36.

3- وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5). مؤرخة في 26 من ذي القعدة سنة 1241هـ/1826م.

4- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 68.

5- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14- 19-26-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

6- المرجع السابق، ص: 68.

7- **الطرق السلطانية:** هي الطرق التجارية الكبرى وكانت تستعمل أيضا لعبور القافلات المحملة بمختلف المواد قصد حملها إلى مدينة الجزائر وما كان يعرف بالدنوش. ينظر: العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص: 176.

8- **مدينة فاس:** مكونة من مدينتين بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة. والمدينة الشمالية منها تسمى عدوة القرويين، وتسمى الجنوبية عدوة الأندلس. ينظر: شهاب الدين بن عبد الله الياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:4، دار الصادر، بيروت، لبنان، د ط، 1422هـ/2002م، ص: 230.

9- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 67.

10- **مدينة قفصة:** مدينة من البلاد الجريدية "بينهما نقيوس مرحلة". وهي كبيرة قديمة أزلية، وهي متوسطة بين القيروان وقابس وفي داخلها عيون كثيرة. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، روض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط:1، 1975، ص: 477.

11- **مدينة فكيك:** هي عبارة عن ثلاث قصور في وسط الصحراء. يحيط بها عدد كبير من النخيل. عرفت نساؤها بنسيجها، والذي كان يباع بأثمان مرتفعة في مدن بلاد البربر، وهذه القصور موجودة على بعد 250 ميلا شرقي سجلماسة. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص: 132.

بكلّ من مدينة بسكرة[1]، والأغواط، والبيض وسيدي الشيخ[2].

العرضاني الجنوبي: يربط نفطة بتافيلالت[3]، مرورا بأهم الواحات[4].

الطريق القطري الشرقي: كان يربط وادي ميزاب[5] بتونس، مرورا بكل من الأغواط[6] وبوسعادة[7].

ومن أجل المحافظة على أرواح وأموال التجار من قطاع الطرق، وضعت السلطات العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي على مقربة من طرق المواصلات الرئيسة والمسالك المهمة، وعند محطات القوناق[8] مراكز أمنية. ومثال ذلك تمركز بعض الدوائر[9] منها الدائرة الصحراوية ومخزن بوصلاح[10].

كما قام أحمد باي مدعما بقواته بشن حملات عسكرية ضد بعض القبائل التي كانت تتعرض للرعية أثناء ترحالهم، فتسرق منهم أموالهم وبضائعهم[11].

ومثال ذلك ما ذكره في إحدى الرسائل الموجهة إلى حسين باشا فكتب يقول فيها:"وهذان الفرقتان عصاة سراق **يقطعون الطرقات ويتعرضون للقوافل وينهبون**

1- **بسكرة:** تدعى ملكة الجنوب، وهي من أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق. دخلها العثمانيون سنة 960هـ/1552م، تحت قيادة الباشا صالح رايس. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 185.

2- العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، ص: 176.

3- **تفيلالت:** يقصد بها سجلماسة. وهي "تمتد على مسافة عشرين ميلا على طول مرحلة من الشمال إلى الجنوب تشمل ما يقرب من ثلاثمائة قصر كبير وصغير. فضلا على المداشر". وأهم القصور فيها ثلاث: "تجيوت"، و"تبعصامت"، و"المأمون". ينظر: الياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 15، ص ص: 125-126.

4- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 176.

5- **وادي ميزاب:** موجود في الجنوب الجزائري، وتتواجد في منطقته ست بلدان وقرى، أكبرها، غرداية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص:254.

6- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 68.

7- **بوسعادة:** تعتبر مركز صحراوي بديع في وسط الهضاب العليا، تحدق بالمدينة من ثلاث أطرافها واحة بديعة على شكل هلال، ويجري من تحتها وادي بوسعادة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 187.

8- **القوناق:** وقد ورد ذكره في الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة. وقد أقيمت هذه الأماكن عادة عند نهاية كلّ مرحلة من مراحل المخزن لتكون مأوى ومكانا أمينا تحط به القوافل رحالها لتستريح عنده. ينظر: المرجع السابق، ص: 176.

9- **الدوائر:** أمّا أحمد باي فيستعمل مصطلح "الدواوير" ينظر الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة. وكانت تتكون من رجال حرب وفرسان، ويتم انتقاءهم من كلّ القبائل. ويرأس الدايرة رجل يحمل لقب "آغا الدايرة" ويبلغ عدد أفراد كلّ دايرة حوالي ألف فارس كانوا يعسكرون في عدّة أماكن منها: دايرة الوادي في وادي يوسلا بين عين الخنشلة وجميلة، أيضا دايرة السراوية المتواجدة في السرا جنوب ميلة، ودايرة وادي زناتي في قرفة وأخيرا دايرة قسنطينة. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص: 25-26.

10- **مخزن بوصلاح:** كان متواجدا بالقرب من سوق العثمانية ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 108.

11- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19-26) في الترتيب العام للمجموعة.

اموال الناس والشكاية بهم دايما... **ويتصرفون فيه بالبيع والشراء...**"[1]. وقد شن عليهم أحمد باي حملة عسكرية كلفتهم خسائر بشرية ومادية كبيرة "ردعا وزجرا لغيرهم من اهل الفساد"[2].

2/4)-المبحث الثاني: مصادر الدخل وأوجه الإنفاق

قام النظام المالي في الجزائر على مصادر الدخل،[3] وأوجه الإنفاق[4]. وكانت الجزائر تعيش خلال العهد الأخير من الحكم العثماني لها اضمحلالا في مواردها، نتيجة لأسباب داخلية وأخرى خارجية[5]، قد أثرت بصورة مباشرة على الاقتصاد الجزائري، ومنه على بايلك الشرق.

وبايلك الشرق كغيره من المناطق الجزائرية كان يعمل بنفس التنظيم المالي الذي كان سائرا في كلّ البلاد. فلقد اعتمد على أمرين: مصادر الدخل، وأوجه الإنفاق.

1- الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الرسالة نفسها.

3- **مصادر الدخل:** عرض ناصر الدين سعيدوني عدة تصنيفات لباحثين أوروبيين حول مصادر الدخل الجزائرية. فأمّا التصنيف الأول فكان لدي بواتانفيل الذي أجمل مصادر الدخل في خمس فروع هي: الأعمال البحرية وحقوق الإمتيازات والإقطاع والاحتكارات اليهودية والأجنبية، أيضا الحقوق الديوانية وعتق الأسرى، وكذا مساهمة اليهود المالية. أمّا التصنيف الثاني فكان لصاحبه المدعو لوكونت دوبيرسار، الذي ذكر في تقريره للجنة الإفريقية حول المساهمة المالية "للايالة الجزائرية"، خمسة عشر مصدرا، كان أهمها، ضرائب البايلك الغرب والشرق، وضرائب قياد دار السلطان، أيضا مدخولات الأملاك العامة، وعوائد بيت المال، كذا التغريمات والمصادرات ورسوم المرسى والأسواق، وفوائد احتكار الصوف والشمع والجلد والملح، ورسوم النقابات وجزية اليهود، أيضا حقوق الاحتكارات الفرنسية وإتاوات الدول الأوروبية. ثم يأتي بعد هذا تصنيف بافي، الذي ذكر بأنّ مصادر الدخل لا تتعد ثلاث أنواع وهي: اللزمة والعوائد والتغريمات. ثم يليه تصنيف نوشي الذي ميز بين نوعين من الضرائب فذكر ضرائب كبرى كالعشور والحكور واللزمة والغرامة، ثم ضرائب إضافية متنوعة. أمّا برونان فضمن مصادر الدخل في كلّ ما يأتي من النشاطات الاقتصادية. وفي الأخير يرجح ناصر الدين سعيدوني التصنيف الثاني لصاحبه لوكونت دوبيرسار. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص:86.

4- **أوجه الإنفاق:** كانت تشمل مختلف النفقات المالية كجرايات الجند ورواتب الموظفين والعمال ونفقات بيت المال وكذا النفقات التي كانت تخص الأشغال العمومية. ينظر: المرجع نفسه، ص: *12*.

5- **الأسباب الخارجية:** تمثلت في التغييرات العامة لموازين القوى العالمية ولأنماط الإنتاج وللمعطيات "الجيوستراتيجية" الجديدة الناتجة عن الاكتشافات الجغرافية الحديثة والثورة العلمية والمعرفية الديناميكية التي غيرت وجه العالم منذ عصري النهضة بأوروبا، هذه التطورات منحت لأوروبا دفعة قوية نحو التقدم والعصرنة على جميع المستويات. فكانت بمثابة عناصر تفوق لها في وقت ظل جلّ اهتمام الإمبراطورية العثمانية منصبا على قوتها العسكرية، ولم تتمكن من مسايرة هذه التحولات الكبيرة. زيادة على ذلك تعدد التدخلات الأوروبية العسكرية على الجزائر منذ عام 1230هـ/1815م. ينظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1996، ص: 109.

1-مصادر الدخل: اشتمل على نظام الجباية والغنائم والمصادرات والتركات.

أ-النظام الجبائي: كان هذا النظـام يتماشـى وطبيعـة البنيـة الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها بايلك الشرق، لهذا فإنّ تسديد المطالب المخزنية[1] كان مفروضا على مختلف فئات المجتمع[2]، وعلى كلّ النـشاطات الاقتـصادية. وقـد اختلفت نوعية هذه المطالب باختلاف المنطقة، لهذا انقسمت إلـى مطالـب كانـت تحصل على مستوى المدن وأخرى تجمع على مستوى الأوطان.

وما يلاحظ على مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها أنّها لم تتطـرق في محتواها إلى أيّة معلومات تخص المطالب التي كانت تفرض على سكان المدن. بعكس ما عثر عليه من إشارات حول المطالب على مستوى الأوطان. ولعلّ ذلـك يعود إلى نسبة تعداد سكان الأوطان مقارنة مع سكان المدن، ومع هذا كانت هنـاك محاولة لإلقاء بعض الضوء على نوعية المطالب التي كانت تستخلص على مستوى المدن دون الخروج على الإطار الزماني المحدد للدراسة.

*-النظام الجبائي على مستوى المدن: تمثلت في مختلف المطالب التي كانت تفرض على الهيئات المهنية والدكاكين التجارية. فكان أمناء الهيئات المهنية يتكلفون بجمع هذه المطالب وتقديمها إلى العمال المكلفين بذلك، ومثال ذلك ما كانت تقدمـه هذه "النقابات" على عهد أحمد باي نذكر أمين "الدباخين" الذي كان يقدم 4000 فرنك، وأمين "الحوكة" (النساجين) الذي كان يدفع 6000 فرنك، وكذا أمين السراجين الـذي كان يدفع ما قيمته 2000 فرنك، أمّا أمين الفضة فكان يقدم ما قيمته 8000 فرنك[3].

ولقد قدر مارسيل امريت "Emerit Marcel" قيمة ما كانت تدفعـه الـدكاكين على عهد أحمد باي بـــ 100000 فرنك [4].

1-في كلّ الرسائل التي تناولت هذا الموضوع لم يستعمل أحمد باي مصطلح الرسوم أو الضرائب، وإنّما استعمل مصطلح المطالب. مثال ذلك ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. ولقد تم الاعتماد على ما ورد في رسائل أحمد باي لأنّه أكثر ملائمة للحقبة التاريخية المدروسة ذلك فيما خص الجباية على مستوى الوطان، أمّا ما كان العمل به على مستوى المدن فلم ترد في شأنه أيّة معلومات لهذا تم الإبقاء على مصطلح الرسوم أخذا بما ورد في معظم المراجع المستعملة في هذه الجزئية.

2-يستثنى منهم جماعة المرابطين والعلماء الذين كانت لهم امتيازات خصتها بهم السلطات العثمانية.

3-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

4-Ibid, P : 260.

وإذا وضعت مقارنة بسيطة بين ما كان يقدمه كلّ أمين حرفة معينة، فإنّه يلاحظ أنّها لم تكن موحدة فعند البعض كانت مرتفعة، وعند البعض الآخر منخفضة، وذلك يعود إلى طبيعة الحرفة ومكانتها في النشاط الاقتصادي، وقيمة المداخيل التي كانت تتحصل عليها. وهذا ما يؤكد أنّ النظام الجبائي كان قائما وفق معطيات اقتصادية واجتماعية.

كما فرض على كلّ الممارسين لأيّ نشاط اقتصادي توفير خدمات اقتصادية وتزويد موظفي السلطة بمواد مصنوعة مجانا. كما كان يسهم كلّ دكان برسوم شهرية قدرت بثلاثين سنتيما حسب العملة الفرنسية المتعامل بها في تلك الفترة[1].

أيضا من أهم عوائد سكان المدن ما كان يعرف عند الأهالي بضيفة دار الباي[2]، والتي بفضلها كان يشتري أحمد باي جلّ الهدايا المخصصة للباشا، والتي كانت تقدم غالبا كلّ ستة أشهر[3]. وكانت تؤخذ من سكان المدن التي ليس لها نوبة، وتراوحت قيمتها ما بين 800 و2000 ريال، يضاف إليها أربعة عشر حصانا[4].

هذا فيما خص المسلمين. أمّا ما كان يفرض على اليهود من رسوم فترجع في أصولها إلى الجزية المفروضة على أهل الذمة القاطنين في البلاد الإسلامية مقابل أمنهم وصيانة معتقداتهم. فهذه الرسوم يتكفل بدفعها أمين جماعة اليهود نيابة عن أفراد طائفته بمعدل قرش واحد عن كلّ فرد[5].

وبالإضافة إلى ذلك كان يحصل أحمد باي من اليهود على 500 فرنك، إذا ما وافق موسم عيد الفطر بيوم السبت. كما كانوا يدفعون على عهده ما قيمته 600 قطعة لباس من نوع المعاطف الواقية لفائدة موظفي الحكم، مع تقديم كمية من الورق تفي بحاجة بيت المال[6].

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 106.

2- المرجع نفسه، ص: 97.

3- من بين الرسائل التي ذكرت بأنّ أحمد باي قد جمع قيمة الدنوش الصغير وأرسله برفقة خليفته الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 7 من الربيع الثاني سنة1241هـ/1826م.

4- المرجع نفسه، ص: 104.

5- المرجع نفسه، ص: 105.

6- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص: 159.

*-النظام الجبائي على مستوى الأوطان:

إنّ كلّ ما كان يستخلصه بايات قسنطينة من مطالب مخزنية من الرعية[1] لم يكن يتجاوز اثنين في المائة من مدخولات البايلك. ولقد استحدث أحمد باي أمورا في المجال النظام الجبائي على مستوى الأوطان، إذ قام بإعادة تنظيم الحكور والعشور على أسس جديدة. كما أبقى على اللزمة، غير أنه استثنى من ذلك الامتيازات التي كانت تحظى بها بعض العائلات والقبائل[2]. وقد ضمت هذه المطالب كلّ من:

العشور[3]: يعتبر العشور "قدر معين من لدن الشرع"، يؤخذ من نتاج الأرض أو الحيوان[4]. وظلت التنظيمات المالية ببايلك الشرق المعمول بها مند عهد صالح باي (1185-1186هـ)/(1771-1791م)[5] تمثل آخر تطور انتهى إليه نظام العشور في الجزائر على العهد العثماني. وبموجب هذه التنظيمات قسم بايلك الشرق إلى قسمين: من الغرب حتى وادي الحمام، ومن الشرق حتى الحدود التونسية[6].

وكان كلّ قطاع تحت إشراف قائد الجابري[7]، وقد كلف بهذه المهمة على عهد أحمد باي المدعو السماري[8]، الذي كان يقوم بجولتين في قطاعه. إحداهما في فصل الخريف، والثانية بعد الحصاد لتقدير قيمة المحصولات[9].

1-لقد صرح أحمد باي في إحدى رسائله أنه كان يقوم باستخلاص المطالب المخزنية من الرعية بنفسه مرفقا بقواته. ينظر: الرسالة رقم: (5-19) في الترتيب العام للمجموعة.

2-الحاج أحمد باي، مذكرات الحاج أحمد، ص: 37.

3-كذلك ورد ذكره في الرسالة رقم: (23). وكان يحل مكان العشور في المناطق النصف بدوية "المؤونة" أو "الغرامة". وهي غير محددة وتؤخذ عينا أو نقدا. ينظر: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 98.

4-بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 38.

5-**الإصلاحات الاقتصادية على عهد صالح باي:** لقد تظم هذا الباي اقتصاد البايلك الزراعي. فشجع غراسة الزيتون، وفلاحة الأرز، وباقي أشجار الفواكه. كما استحدث شبكة من قنوات الري لإيصال المياه إلى المزروعات المسقية خاصة بالحامة وسيبوس. واتخذ لنفسه مزرعة نموذجية لمنزله. وأمر باستصلاح مستنقعات ضفاف وادي سيبوس لاستغلالها في الزراعة. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 64.

6-Nouchi, *Enquête sur le niveau de vie*, P : 97.

7-**قايد الجابري:** كلف باستخلاص المطالب العينية وتحديدها. ينظر: فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص:37.

8-الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

9-**كيف كان يتم جمع المطالب المخزنية:** كان يعين كلّ قايد على قسم من القسمين، فيخرج في جولة أثناء فصل الخريف لإحصاء الحرث. بعدها تأتي الجولة الثانية التي من خلالها يتم إحصاء الأرض المحصودة حقيقيا، وهنا يضع قايد العشور إحصاءه النهائي، كما يحرر كاتبه تذكرة التي تبقى بين يدي القايد. بعدها تبعث هذه التذاكر إلى أحمد باي ليتم مراجعتها. ثم يرسل إلى القايد الأمر بجمع هذه المطالب. فينطلق القايد مرفقا بزمالة لجمعها. ويرى هذا المؤرخ بأنّ هذا النظام في تحصيل المطالب عادل، ذلك أنّ الفحص يتم مرتين، زيادة على ذلك وقوف الفلاح مع القايد عند تحديده لقيمة الأرض المحصودة. ينظر: Nouchi, Op. Cit, P P : 97-98.

ولقد قدر أحمد باي قيمة العشور المستخلص بثلاثة ألاف وسبعة مائة جابدة على كلّ جابدة "صاع"[1] قمح وصاع شعير "بكيل[2] قسنطينة"[3].

الجابرية: كلّف أحمد باي المدعو السماري بتحصيل قيمة الجابرية[4]، وكانت تعادل تقريبا قيمة العشور، لكنّها لم تكن تعتمد على الأسس نفسها وتتغير في كلّ سنة. وقد اختلفت قيمتها، فهناك من حددها باثني عشر صاع من القمح واثني عشر صاع آخر من الشعير وعشر قفات من التين[5]. في حين أكّد صالح فركوس بأنّها لم تكن تقل أبدا عن خمسة وعشرين صاعا[6]. فيما قدرها أحمد باي بـ 300 جابدة، على كلّ جابدة اثنا عشر صاعا من القمح "بكيل قسنطينة"[7].

وإذا قمنا بمقارنة بسيطة مع ما قدمه صالح فركوس من تقديرات، فإنّنا نجد أنها كانت بعيدة عن التقدير الذي أعطاه أحمد باي. فالأوّل حددها بخمسة وعشرين صاعا، فيما قيمها أحمد باي باثني عشر صاعا، فالفرق شاسع وكبير بين القيمتين. وما يرجح هي القيمة التي أوردها أحمد باي في رسالته.

كما كانت تضاف مواد أخرى. فكان يقدّم على عهد أحمد باي شبكة من التين. و"العلفة" وخروفان، وكان هذا عند حلول المحلة[8].

1- **الصاع**: وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله. وهو عبارة عن مكيال لأهل المدينة المنورة. وجمعه "صعان" و"أصواع". يتعاملون به في بيعهم وشراءهم. وهو وحدة للكيل الأساسية التي تتفرع عنها سائر المكاييل العربية والإسلامية من مدّ وقسط ومكوك وغيرها وقد كان موجودا عند العرب قبل الإسلام واستمر التعامل به حتى عهد قريب. وصاع الجزائر حدد بما يعادل ثماني قلبات وكل قلبة أربعة أرباع، والربع = 3.5 كيلوغرامات تقريبا، أي أنّ الصاع العرفي في الجزائر يعادل حاليا = 8×4×3.5=112 كيلوغرام تقريبا. ينظر: محمود فاخوري، صلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص: 268. وينظر الملحق الخاص بالجداول والرسومات البيانات رقم: (2) من أجل الإطلاع على جدول خاص بالمكاييل وما يعادلها.

2- **الكيل**: وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله. وهو وحدة للكيل، كان يتعامل بها في بعض البلدان العربية والإسلامية، والكيل من المكاييل العرفية التي كانت تستعمل في بعض البلدان ولا سيما في بلاد الشام لكيل الحبوب العامة كالقمح والشعير ونحوهما، ولم يكن ثابتا في مقداره بل كان يختلف من بلد لآخر ومن عصر لآخر. وعندما اعتمدت السلطات العثمانية النظام المتري في عام 1282هـ/1769م إبان خلافة السلطان عبد العزيز أطلقت أسماء المقاييس القديمة الموجودة لديها على مقاييس النظام المتري وعلى هذا أطلق على هكم اسم كيل أعشاري، ثم صار الكيل الأعشاري كيلا جديدا. ينظر: المرجع نفسه، ص ص: 310-311.

3- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

4- الرسالة نفسها.

5-Nouchi, Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 97.

6- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 37.

7- الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

8- المرجع السابق، ص: 37.

الحكور[1]: وهي مطالب عينية كانت تجمع من المحصولات الزراعية، وتستخلص من سكان أراضي العزل. وقد اختلفت قيمتها، فهناك من ذكر أنها قبل تولي أحمد باي الحكم كانت تقدر بـ 32.50 فرنكا للمحراث الواحد. ولمّا تقلد إدارة البايلك رفعها إلى 35 فرنكا[2]. فيما حددها ناصر الدين سعيدوني بعشر قطع نقدية من فئة 2.5 فرنكا على كلّ جابدة، مع إمكانية تخفيض قيمة الكراء إلى اثني عشر ريالا لبعض القبائل مقابل خدماتها[3].

ولقد اختلفت الإحصاءات حول قيمة المطالب التي كانت تدفعها القبائل المقيمة بين وادي الساحل والحضنة على عهد أحمد باي، فحددت تارة بـ 70000 فرنك، وتارة أخرى بـ 50000 فرنك[4]. أمّا فركوس فقد رجح القيمة الثانية[5].

الأمر نفسه كان بالنسبة لعائلة ابن غانة، التي تكلفت بتحصيل المطالب المخزنية من القبائل التي كانت مستقرة في الزيبان. وقد قدرت قيمة المطالب التي كانت تجمعها على عهد أحمد باي بـ 10.526 فرنكا، و252 صاعا من القمح، و1200 كيلا من الزيوت، و1200 قطعة صابون، و1200 كيلا من الدهون، وهو ما يقدر في مجموعه بالقيمة النقدية بـ 17.760 فرنكا[6].

أمّا على مستوى مشيخة[7] فرجيوة فقد أعفي بوعكاز بن عاشور من دفع بعض المطالب المخزنية، ومقابل ذلك كان يقوم بتحصيل هذه الأخيرة من القبائل المستقرة في المنطقة، وقدرت قيمتها بما لا يتجاوز 40000 فرنك[8].

وعلى العموم فقد قدر "مارسيل إمريت" "Marcel Emerit" القيمة الإجمالية التي كانت تستخلص من الرعية من مادة القمح بـ 200000 صاع[9].

1- كذلك ورد ذكره في الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

2- حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 28.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص ص: 548-549.

4- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 40.

5- المرجع نفسه، ص: 40.

6- المرجع نفسه، ص:40.

7- كذلك كان يسميها أحمد باي في رسائله. ينظر: الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

8- المرجع السابق، ص:41.

9-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 256.

اللزمة[1]: أطلق عليها في بعض الأحيان مصطلح "المعونة"؛ كانت ذات قيمة نقدية وعينية[2]. وهي تستند على "مبدأ المحافظة على قوة الجماعة الإسلامية". خصصت لتموين الجند على مستوى الأوطان، "فهي بمثابة الخراج الذي نصت عليه أحكام الشريعة"[3]. وأسندت مهمة تحصيلها للشيوخ[4]. كما كانت السلطات الحاكمة تعاقب كلّ من يرفض دفع قيمتها سواء كان فردا أو قبائل[5]؛ فلقد قام أحمد باي بعزل مقورة بن عاشور؛ لأنّه لم يقم بتسديدها[6].

الغرامة[7]: كانت تؤخذ من القبائل التي كانت تمتنع عن دفع ما كان يجب عليها من المطالب المخزنية[8]. وتقدر قيمتها حسب مجموع أفراد القبيلة. كما كانت تفرض بصفة شخصية، مثال ذلك ما فرضه أحمد باي على شخص آغا الدايرة المدعو بوزيان بن علي[9]. كما فرضها عدة مرات على بعض القبائل التي كانت تمتنع عن دفع المطالب المخزنية، أو كتعويض على المخالفات أو الجرائم التي كانت تقوم بها ضد بعض القبائل الأخرى، مثلما فعله مع قبيلة السحاري عندما تعرض أفرادها بالنهب والسلب لممتلكات سكان بسكرة[10].

الخطية[11] أو الدية: كانت تفرض على بعض القبائل المتمردة عند إقرارها بسلطة البايلك وإعلانها الخضوع والطاعة وتقدم عادة مقابل حصولها على الأمان. مثلما فعله أحمد باي مع قبيلة أولاد سحنون[12]. وأيضا مع أولاد دراج الذين قدموا

1- كذلك ورد ذكرها في الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.
2- الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.
3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 96.
4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص: 280.
5- الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.
6- الرسالة نفسها.
7- كذلك ورد ذكرها في كلّ من الرسالة رقم: (7-16) في الترتيب العام للمجموعة.
8- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 280.
9- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.
10- من أجل معلومات أكثر ينظر الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.
11- كذلك ورد ذكرها في الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.
12- الرسالة نفسها.

لأحمد باي كرمز للطاعة والانصياع أربعة عشر فرسا[1].

البشارة: كانت تمثل رمزا للفرح والابتهاج بتولية الباي أو لإقراره من جديد. أو بمناسبة الأحداث السعيدة[2]، وتكاد تكون سنوية. ولقد وفرت للخزينة ثروات مهمة،والتي قدرت على مستوى البايلك بـ 20000 بوجو ما يعادل 36000 فرنكا[3].

حق البرنوس[4]: وهو عبارة عن هدية تقدم للباي بمناسبة تسليم الشيوخ الخلعة كرمز لإسناد المنصب أو تجديده[5]. وهي التي سماها عبد الجليل التميمي بـ "المشيخة"[6]. ومن بين الأسباب التي جعلت أحمد باي يعزل الشيخ مقورة بن عاشور عدم تسديده لقيمة هذه الهدية[7]. وقد اختلفت المراجع حول تحديد قيمتها، فأحدهم ذكر بأنّها عبارة عن فرس بسرجه[8]. في حين صرح "مرسيل إمريت" "Marcel Emerit" أنّ قيمتها كانت نقدية، وقد قدّم قائمة بالمبالغ التي كان على الشيوخ تسليمها لأحمد باي عند تنصيبهم فكانت كما يلي:

كان على كلّ من شيخ الحنانشة وشيخ الصحراء وشيخ مدجانة ما قيمته 50000 فرنكا. أمّا كلّ من شيخ لمامشة وفرجيوة وشيخ الدار فكان عليهم أن يدفعوا ما قيمته 15000 فرنك. في حين كان على شيخ ريغة ما قيمته 25000 فرنك. ثم شيخ بلزمة الذي كان يدفع لأحمد باي ما قيمته 20000 فرنك. أمّا شيخ بني مروان فكان يقدم ما قيمته 4000 فرنك. وأخيرا شيخ أولاد بلال الذي كان يدفع ما قيمته 10000 فرنك[9].

رسوم القياد أو الأغاوات: كان يتعين على القايد أو الآغا عند استلامهما لمنصبهما تقديم قيمة مالية لأحمد باي، تجمع من أفراد القبائل، وقدرت بالنسبة لقبائل

1- الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.

2- **مثال ذلك**: عند ازدياد مولود لدى لسلطان العثماني. ينظر الرسالة رقم:(21) في الترتيب العام للمجموعة.

3-Nouchi, Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 101.

4- كذلك سماه أحمد باي في الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

5- حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 28.

6-Temimi, Le Beylic de Constantine et Ahmed bey, P : 65.

وسمّاها كذلك لأنّها خصت الشيوخ، إذ كانوا يدفعونها للباي عندما كانوا يستلمون مناصبهم.

7- الرسالة رقم:(20) في الترتيب العام للمجموعة.

8-Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie, P : 24.

9-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

المخزن بـ 1.80 بوجه للخيمة، وذلك عندما يكون الأمر مرتبطا بتنصيب القياد. أمّا عند تنصيب الآغاوات، فكان أفراد القبيلة يدفعون ما قيمته 2 بوجه[1].

وبدورهم كان القياد يقدمون نسبة من هذه المطالب للباي. وهذه قائمة ببعض القياد وقيمة المطالب التي كانوا يدفعونها لأحمد بايِ:

فلقد قدر المبلغ المدفوع عند تنصيب قايد الزمالة بـ 20000 فرنك، وكلّ من قايد الأوراس، وقايد التلاغمة وقايد سيبوس بـ 10000 فرنك، أيضا قايد عزاب بكار وقايد أولاد عبد النور أيضا قايد تبسة[2] بـ 6000 فرنك، قايد السهل وقايد عامر مكريز بـ 5000 فرنك، وقايد سهل بني مهنة و قايد الميلة[3] أيضا قايد الشرقة بـ 4000 فرنك، ثم قايد أولاد إبراهيم بـ 3000 فرنك، وقايد حمزة[4] بـ 2000 فرنك[5].

ومن خلال هذه التقديرات النقدية فإنّه يستنتج أنّ قيمة هذه المطالب لم تكن ثابتة، ذلك لارتباطها بأهمية القبيلة التي كان يتكلف القايد بإدارة شؤونها.

مهر الباشا: وهي عبارة عن إعانة يسهم بها السكان في نقل هدايا الدنوش إلى الجزائر[6]، وكانت تختلف قيمتها من ناحية إلى أخرى. فهي تقدر على مستوى بايلك الشرق ما بين 600 و700 حصان[7].

الفرس: كانت عبارة عن مساهمة إضافية، تلتزم بها القبائل الخاضعة، التي لم تكن تمارس زراعة معتبرة، وتمثلت في تقديم فرس حربي[8].

1-Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie, P : 19.

2-**تبسة**: كانت المدينة مركز قبيلة النمامشة وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار 900 متر وبها صناعات أهلية متقنة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 201.

3-**الميلة**: كانت في القديم تعرف باسم ميلو، حولها أرض خصبة وهي مدينة لها قيمة كبيرة. ينظر: المرجع نفسه، 241.

4-**حمزة**: وهو عبارة عن حصن يضم نوبة واحدة. ينظر:
Lwis Rinn, Le royaume d'Alger sous le dernier Dey, P : 87.

5-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

6-الرسالة التي ذكرت بأنّ الخليفة حمل الدنوش تحمل الرقم: (4) المؤرخة في: 7 ربيع الثاني1241هـ/1826م. أمّا الرسالة التي من خلالها حمل الباي الدنوش بنفسه فحملت الرقم: (16)، والمؤرخة في أوائل ذي القعدة 1242هـ/1827م.

7-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني ، ص: 28.

8-المرجع نفسه، ص: 28.

-حق الزمام: وهو رسم إضافي يستلمه قايد العشور كتعويض على خدماته أثناء جمعه للعشور، وكان يعود لفائدة متوسطي وصغار الموظفين[1].

ب-المصادرات: إذا عدنا إلى مختلف المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، فإنّه لا يعثر من المصادارات[2] إلاّ التي كانت تتحصل عليها السلطات الحاكمة على مستوى الحكم المركزي من أسرى أو سفن محجوزة، أمّا فيما يخص بايلك الشرق فنستطيع القول أنّ المادة التاريخية حول هذه النقطة تكاد تكون منعدمة. ومن خلال إحدى رسائل أحمد باي تمكنّا من العثور على نموذج من هذه المصادرات.

فلقد تم بتاريخ 24 جمادى الأولى من سنة 1242هـ/1826 حجز مركبين "شقوف"[3] من طرف الرايس[4] محمد بن قارة؛ وسبب الحجز هذا يعود إلى متاجرة أصحابها في مادة البارود. ولقد "ساقهما إلى عنابة" أين أفرغ محتوياتهما النقدية والعينية، كما قام بتجريد كلّ الموجودات في "جريدة أمام مرأى من أربابها"[5].

فأمّا القيمة النقدية التي حجزت فتمثلت في" 272 دور فرنسي، و328 بوجه دراهم تونس، و110 محبوب سكة ردية ضرب طرابلس". في حين تمثّل المحتوى العيني "في نصيب من القمح والملح، كما عثر على قلال فخار" من بينها قلتين، عثر في إحداهما على كمية من البارود نحو النصف، أمّا الثانية فكانت "دون ذلك". فيما

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني ، ص: 27.
[2]- **مصطلح المصادرة:** أورد هذا المصطلح الشريف الزهار في مذكراته، ص: 160. أمّا أحمد باي فيستعمل في رسائله مصطلح الحجز. ينظر: الرسالة رقم:(21) في الترتيب العام للمجموعة. وهذا المصطلح لغويا يعني منع صاحب المال من التصرف فيه حتى يؤدي ما عليه. ينظر: معجم الوسيط، ج:1، راجع تجارب هذا الكتاب، عبد الوهاب السيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ط:3، ص: 164.
[3]- الرسالة رقم:(21) في الترتيب العام للمجموعة.
[4]- **طائفة الرياس:** كأيّ مؤسسة بحرية أخرى كان لها رتب وطريقة الترقية تتدرج إلى رتبة الكابتن وهي مرتبة بحار فزميل ثم ضابط وأخيرا رايس وهي قيادة الأسطول. ينظر: وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 61. وقبل تنصيب الرايس كان عليه أن يجتاز امتحانا يتم بمحضر كبار الضباط، وعندما ينجح في امتحانه هذا يصادق هؤلاء الضباط على تنصيبه ولكن يبقى قرار تعينه للداي، بعدها تسلم له شهادة بعد أن تقام المراسيم، حينها فقط يلتحق الرايس بسفينته التي كان عليه أن يقودها طوال حياته. ينظر:
Moulay Bellkamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1837), Entreprise National du livre, Alger, 2ème édition, 1986, P : 16.

[5]-الرسالة رقم:(21) في الترتيب العام للمجموعة.

وجدت باقي القلال فارغة. ويؤكد أحمد باي على أنّها كانت مملوءة بالبارود، لأنّ أثره ما زال باق فيها. كما عثر على جواز سفر فرنسي قيد ضمن المحتجزات[1].

في حين ذكر "مارسيل إمريت" "Marcel Emerit" أنّ المركبين كانا ملكا لأحد المسيحيين، وكانا محملين بالأسلحة والذخيرة. فقد كانت السلطات الفرنسية تساند بعض القبائل المتمردة[2].

إذا يستنتج من هذه المسألة أنّ عملية الحجز هذه كانت نتيجة لمتاجرة المركبين في مادة البارود[3] والتي منع المتاجرة فيها بأمر من الداي وكان على الباي السهر على تنفيذه بكلّ صرامة[4]. فكلّ من عثر عليه يتاجر في هذه المادة، كان يعاقب بكلّ صرامة. وما يؤكد ذلك ما حدث على عهد أحمد باي؛ إذ أمسك عمر قايد مدينة عنابة رجلا من أولاد دياب[5] "وبيده خمسة أرطال من البارود"؛ وبعد استجوابه ذكر أنّه بيعت له من طرف تركي متزوج في المدينة من إحدى الجزائريات. عندها أصدر القايد أمرا بالقبض عليه وإحضاره على علم من "أهل الديوان". بعدها أبلغ أحمد باي بالقضية[6]. ومن تم فإنّه يستنتج أنّ المتاجرة في مادة البارود أو السلاح ممنوعة وكلّ من عثر عليه متلبسا يعاقب عقابا صارما، حتى وإن كان تركيا.

أمّا فيما يخص جواز السفر الفرنسي الذي عثر عليه في أحد المركبين فدليل على أمرين هما:

1- الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

2- قام هذا الباحث بنشر ترجمة لهذه الرسالة وما جاء أعلاه إلاّ تعليقا على مضمونها. وهو لا يستبعد صحة المعلومات التي قدمها أحمد باي في تقريره لأنّه على زعمه كان يبدو جديا فيما ذهب إليه من معلومات. وأضاف بأنّه حاول أن يبحث على هذا الجواز في الأرشيف الفرنسي ولكنّه لم يعثر عليه. ينظر:
Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 242.

3- **مادة البارود:** كانت منطقة ورقلة تملك مادة حيوية وهي ملح البارود، والتي مهر صناع المنطقة في تحويلها إلى سروج، والجمة، وأحزمة، وسكاكين، وسيوف. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 244.

4- Kuran, Erkament, La lettre du dernier dey d'Alger au grand vizir de l'empire ottoman, R. A, N : 96, 1952, P : 191.

5- **أولاد دياب:** أصلهم من منطقة القالة، ويشكلون فرع مهم من فروع القبيلة الكبيرة نهد وكان أفرادها قديما جباة لحساب قبيلة شابية. ينظر:
Leila Babes, Tribus et structures, P : 28.

6- من خلال رسالة مؤرخة في: 21 محرم 1244هـ/1828م، ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

الأمر الأول: فالمعلومات التي ذكرت والتي مفادها أنّ المراكب كانت ملكا لأحد المسيحيين أمرا صحيحا[1]، وما كانت تلك القبائل التي تتاجر عليها إلاّ ستارا.

الأمر الثاني: فيظهر تواطؤ السلطات الفرنسية في عمليات التمرد التي كانت تحدث بين الحين والآخر[2]، فكثيرا ما اشتكى الباشا حسين من مساندة الفرنسيين للقبائل المتمردة وتدعيمها بالبارود والأسلحة[3].

ج-الغنائم[4]: تمثلت في كلّ ما كانت تتحصل عليه السلطات العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي من غنائم[5] عينية ونقدية. وقد تمكن أحمد بايِ خلال فترة حكمه من تحصيل غنائم كثيرة، وكان ذلك عادة ما يتم عند شنه للحملات العسكرية برفقة قواته التركية وفرسان قبائل المخزن[6].

وتمثلت هذه الغنائم في أعداد كبيرة من مختلف أنواع الحيوانات التي كانت تستعمل لتلبية الحاجيات اليومية، من بينها الغنم والبقر والهوير والخيول والبغال

1- Mercel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 242.

2- من بين الأسباب التي أزمت الوضع بين السلطات الجزائرية والفرنسية الحادثة التي وقعت على السواحل العنابية؛ فلقد قامت بعض العناصر الفرنسية بتهريب مادة البارود وكذا الأسلحة وبيعها للمتمردين من بعض قبائل الجبابلية. ولما تأكدت السلطات العثمانية على مستوى بايلك الشرق من القضية طاردتهم وقتلت منهم العديد. وعندما علمت الحكومة الفرنسية بالأمر حاولت أن تستغل هذه الأوضاع لصالحها، فذكرت أنّ من قتلوا كانوا مجرد صيادين تم الاعتداء عليهم بغير وجه حق ويجب الثأر لهم، نتيجة لهذه التحريضات قتل العديد من الجزائريين، خاصة في كلّ من مرسيليا وتولون ينظر: H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P: 201.

3- Erkament Kuran, R. A, 1952, P : 191.

4- **الغنائم**: ظلت الأعمال البحرية لمدة طويلة موردا ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط الاقتصاد، فقد كانت مهنة مربحة في نظر الكثير من المؤرخين المحدثين، تنال الدولة من غنائمها حصة تتراوح بين السبع والعشر، وتحظى بـ 12% من أسعار السفن المحتجزة، وتضع تحت تصرفها كلّ الأسلحة المصادرة في الأعمال البحرية باعتبارها غنائم حرب مشروعة، كما أنّها تنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوروبيين. لكنّ أرباح الأعمال البحرية لم تعد في الفترة الأخيرة مصدر ثروة كبير، إذ بدأ نشاطها يخف وعوائدها تقل منذ القرن الثامن عشر ميلادي، رغم فترة الازدهار القصيرة التي عرفتها البحرية الجزائرية في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، بفضل جهود البحارة المشهورين كالرايس حميدو وملائمة الظروف الدولية، والتي ساعدت بقسط وافر على تغطية العجز المالي للإيالة 1220-1231هـ/1805-1815م بأرباحها البالغة ثمانية ملايين فرنك. وقد وضعت حدا لهذا الانتعاش حملة اللورد اكسموت سنة 1232هـ/1816م، والتي نتج عنها تحطيم أغلب السفن وإطلاق ما تبقى من الأسرى بدون مقابل، وكان عددهم يتراوح نسبيا بـ 1606 أسيرا. كما أدى تدمير السفن الجزائرية المشاركة في معركة نافرين البحرية وفرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية سنة 1243هـ/1827م إلى تدهور أرباح العمليات البحرية، ثم انقراض نشاطها. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص ص: 113-114.

5- **مصطلح الغنيمة**: لقد ورد هذا المصطلح في رسائل أحمد باي، إذ عندما كان يتكلم على نتائج حملاته، فإنه يستعمل مصطلح "غنمنا". مثال ذلك ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

6- مثال ذلك ما ورد في كلّ من الرسالة رقم: (19-22) في الترتيب العام للمجموعة.

والحمير. وقد قدرت قيمة هذه الغنائم بما يعادل 40827 رأس غنم، و6149 رأس بقر، و377 ما بين بغال وخيل، و423 هوير، و592 من الإبل[1]. وإذا قيست هذه الغنائم بالقيمة النقدية فإنّها سوف تصل إلى مبالغ كبيرة.

د-التركات: من بينها بيع أملاك الباي السابق محمد منماني. فلقد عثر يحي آغا على عقود لأملاك الباي السابق فطلب من أحمد باي أن يعرضها للبيع، ولكنّ هذا الأخير رفض أن يقوم بذلك دون رجوع إلى الباشا واستشارته. ومن أجل ذلك بعث إليه يطلب رأيه في الموضوع. فصرح له بأن ينفذ أمر البيع[2].

وهذه الممتلكات كانت مكونة من دارين، وقد بلغ إلى مسمع أحمد باي أنّ شخصا قام ببيعها دون علمه. ثم دار أخرى يقيم بها ابنه. ويؤكد أحمد باي أنّ هذه الممتلكات لم يتحصل عليها محمد منماني إلاّ أثناء ولايته[3]، أمّا قبل ذلك، فلم يكن يملك منها شيئا[4]. وعادة ما كانت تعود تركة الباي المتوفى إلى ورثته باستثناء العتاد الحربي، وكلّ ما كان له صلة بالإدارة التي كان مكلفا بها[5].

وقد تكررت مثل هذه العمليات أثناء فترات مختلفة من الحكم العثماني في الجزائر عامة وفي بايلك الشرق على وجه الخصوص. منها ما حصل لجاقر باي، فبعد مقتله حملت كلّ أمواله إلى الخزينة العامة بالجزائر[6]. وأيضا من خلال ما ذكره يحي آغا بأنّه "عند دخوله محروسة قسنطينة" وبرفقته أحمد باي حاول العثور على ممتلكات إبراهيم كريتلي الباي المعزول لدى أقاربه واستخدم من أجل ذلك كافة الوسائل من أجل استردادها وضمها إلى خزينة الدولة[7].

2-أوجه الإنفاق: إنّ كلّ حكم ليس قادرا على تلبية حاجيات الرعية، فإنّ مآله

1- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الرسالة رقم:(15) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 23 شوال 1243هـ/1827م.

3- من خلال هذه العبارة يحاول أحمد باي أن يثبت للباشا حسين بأنّ عملية المصادرة هذه شرعية. فلا يمكن للسلطة أن تصادر ممتلكات دون أن تكون ملكا لها، أو تم الحصول عليها بطرق غير شرعية.

4- الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

5- حمدان خوجة، المرآة، ص: 138.

6- الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 160.

7- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم : 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

حتما إلى الزوال. فالرعية لا تقبل أبدا أن تؤدي واجباتها ولا تتلقى حقوقها. ومن بين حقوق الرعية على السلطة دفع الأجور وبناء وإصلاح مختلف المرافق العمومية التي بموجبها تسير الحياة اليومية بشكلها العادي، وتمثلت أوجه الإنفاق في جرايات الجنود والعمال، وعوائد النوبات، وإصلاح مختلف المرافق العمومية. فهذا كان واجب السلطة الممثلة في شخص أحمد باي اتجاه الرعية بمختلف فئاتها الاجتماعية. أمّا واجباته اتجاه السلطة المركزية في مدينة الجزائر والممثلة في شخص حسين باشا، فكان يتمثل في تقديم الدنوش الذي كان له دور كبير في تدعيم الخزينة العامة.

وما يلاحظ على مجموعة رسائل أحمد باي أمران، أمّا الأول فيتمثل في عدم الخوض في التفاصيل الخاصة بموضوع الدنوش، وأمّا الثاني، فيتمثل في قلة المعلومات الواردة حول نفقات الطرف المدني، وكلّ ما تحدثت عنه الرسائل هو نفقات الطرف العسكري وباختصار شديد.

أ-أوجه الإنفاق على مستوى بايلك الشرق:

من بين أوجه الإنفاق دفع الرواتب لمختلف فئات المجتمع القسنطيني، سواء كان مدنيا أو عسكريا. وما عثر عليه في إحدى الرسائل الموجودة في المجموعة أنّ كلّ الرواتب كانت تقيد بصورة مستمرة حتى لا يخرج أيّ راتب وصاحبه متوفى بدليل هذه العبارة:"ليلا يمت أحدا ويبقى يخرج راتبه"[1].

*-"جرايات" الطرف المدني: لم توفر الرسائل من مادة تاريخية حول هذا الموضوع سوى ما تعلق بالتأكيد على دفع رواتب "أهل الجوامع" مثل المدرسين[2]، الذين كانوا يتلقون أجورا ثابتة من الأوقاف وهدايا وعطايا خلال المناسبات، كما ضمنت لهم جزءا من الغنائم ونحوها[3]. أيضا خصصت للخطباء والمؤذنون وشهداء القاضي و"خدام المساجد" رواتب يتقاضونها تضمن لهم الحياة الكريمة[4].

1- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.
2- الرسالة نفسها.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 327.
4- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

كما اعتنت السلطات بفئة المستضعفين ويقصد بها الشيوخ والعجزة وفاقدي البصر، فوفرت لهم رواتب يتقاضونها مرتين كلّ سنة[1]، حتى تضمن لهم الحياة الكريمة.

*-"جرايات" الطرف العسكري: والمتمثلة في "جرائد" مرتبات الجنود[2]. فلقد كان يقوم على رواتب الجنود في الجزائر عامة وبايلك الشرق على وجه الخصوص الباي ويساعده في ذلك مجموعة من العمال. وعند إعدادها ترسل إلى الجزائر مركز الإدارة ليراجعها الباشا ويصادق عليها، وبعدها تدفع لمستحقيها[3].

فكلّ ما كان يحصل عليه الجندي عند قدومه إلى الجزائر قميصا من القماش الخشن، وصدرية، وسروالا من القطن، ومعطفا، وشاشية جزائرية، وحزاما أحمرا، وحذاءا وغطاءا من الصوف. ثم بعدها يقصد "الكاشرية"[4].

كما كانت تقدم له السلطة راتبا عينيا ونقديا. أمّا الجزء الأول فكان يتمثل في أربع خبزات (وزن رطلين) تسلم له يوميا. إضافة إلى زيت الطبخ واللحم، وكان يدفع الجندي مقابل ذلك ثلث سعر الشائع في السوق[5].

أمّا مرتبه النقدي الذي كان يتقاضه عقب انخراطه مباشرة، فكان يعادل 7 فرنكات و50 سنتيما في الشهر[6] وتكون إمّا ذهبا أو فضة. ومن أجل استلامه من عند الصراف كان على الجندي الحضور شخصيا[7]. غير أنّ هذه المرتبات لم تبق على ذلك الحال وإنّما ازدادت خلال السنوات الأخيرة من العهد العثماني[8].

ومع هذا فإنّ الجندي كان في حاجة مالية مستمرة، وهذا ما تأكد من خـــلال

1- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا..

2- الرسالة رقم:(5) في الترتيب العام للمجموعة وهـــي مؤرخـــة في: 26 ذي القعدة من سنة 1241هـ/1826م. من خلالها يخبر الباشا حسين بأنه بعث مع هذه الرسالة جرائد مرتبات الجنود لترسل إليهم.

3- يستنتج ذلك من خلال ما ورد في نص الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

4- **الكاشرية**: وتعني (الثكنة العسكرية). وأصل هذه الكلمة من التركية وتعني دار الانكشارية. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 185.

5- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 58.

6-Ernest Mercier, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kadar, P : 257.

7-Trossel Lucien, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, P : 55.

8- وليام شالر، مذكرات شالر قنصل أمريكا، ص: 53.

مضمون رسالة بعثها أحمد باي إلى حمزة آغا نوبة عنابة، فلقد ذكر فيها أنّ الجنود كانوا يقترضون مبالغ مالية من السلطة، وكلّف بالاشراف على هذه العملية أحد الشواش[1].

كما خصصت السلطة لفرسان قبائل المخزن العاملين إلى جانبها رواتب مالية تسلم لهم من مدينة الجزائر، وكان يشرف على إرسالها الباي شخصيا، ويؤكد على الباشا حسين بضرورة إرسالها لهم[2].

وكانت تسجل هذه الرواتب النقدية في جرائد كبيرة الحجم، كتب عليها بمداد أسود أسماء الجنود ومراتبهم ورواتبهم. ويصعب فهم مضمونها، فمعظمها مكتوب باللغة التركية[3].

*-"عوائد النوبات": ويقصد به ما كانت تأخذه كلّ نوبة[4] من تموين. وقبل عرض القيمة النقدية والعينية لهذه المؤونة هذا تقديم لأهم النوبات[5] المنتشرة عبر كلّ البايلك على عهد أحمد باي، فلقد سجل "دوفلوكس" "Devouloux"[6] قائمة هذه النوبات في 1245هـ/1829م فكانت كالآتي[7]:

نوبة مدينة قسنطينة: ضمت نوبة واحدة متفرعة إلى خمسة صفر كلّ صفرة[8] تضم عددا من الجنود. فالأولى تضم ثلاثة عشر جندي. أمّا الثانية فكانت مكونة من ستة عشر جنديا. في حين تكونت الثالثة من خمسة عشر جنديا والرابعة:

1- الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

2- ينظر كلّ من الرسالة رقم:(5-20) في التريب العام للمجموعة.

3- عثر على مثل هذه الجرائد في المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، بداخل خزانة المخطوطات.

4- تتكون كلّ نوبة من ديوان عسكري وإداري يتولى الفصل في القضايا التي كانت تقع بين الأتراك والكراغلة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 44. ونظام النوبات هو نظام دفاعي من مهامه الرئيسة إبقاء قبائل الرعية خاضعة لمراقبة وإشراف الشيوخ لهذا اعتمدت في فرض سلطتها وإخضاع السكان وربطهم بالحكم على عمل النوبات. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 279.

5- ورد ذكرها في الرسالة رقم: (28) في الترتيب بالعام للمجموعة. مؤرخة في 19 محرم 1244/1829.

6- **دوفلوكس:** لقد قام هذا الباحث بترجمة دفتر التشريفات، هذا الأخير كان اسم السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة العثمانية الجزائرية ترسم فيه أعمالها ومذكراتها العامة وما كان يتم تقريره من نظم وقوانين. وهو سجل محفوظ في خزائن الباشاوات ويتولى الباش كاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه، فهذا السجل يعتبر وثيقة من أهم الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر العثماني. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا، ص: 149.

7- A. De Voulx, Tachriffette, Recueil et notice historique sur l'administration dans l'ancienne règonce d'Alger, Imprimerie du gouvernement, 1852. P: 34.

8- **الصفرة:** تعني الخيمة. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص:46.

من أربعة عشر جنديا. أمّا الخامسة فكانت تضم خمسة عشر جنديا[1].

نوبة مدينة عنابة: يوجد بها نوبة واحدة موزعة إلى خمس صفر. فكلّ من الصفرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة مكونة من أربعة عشر جنديا. في حين ضمت الصفرة الخامسة خمسة عشر جنديا. ومجموعهم واحد وسبعون جنديا[2].

نوبة مدينة بسكرة: مكونة من نوبة واحدة، توزعت إلى أربع صفر، ضمت الصفرة الأولى والرابعة خمسة عشر جنديا. في حين ضمت الثانية والثالثة: ستة عشر جنديا. وبهذا فإنّ مجموعهم يساوي اثني وستين جنديا[3].

نوبة مدينة بجاية: بدورها تكونت من نوبة واحدة. تفرعت إلى ثلاث صفر. فكانت كلّ من الصفرة الأولى والثانية تضم خمسة عشر جنديا. في حين ضمت الصفرة الثالثة أربعة عشر جنديا. وبهذا يكون مجموعهم، أربعا وأربعين جنديا[4].

نوبة مدينة تبسة: تضاربت المعلومات حول عدد صفرها. فالرواية الأولى ذكرت أنّها كانت مكونة من نوبة واحدة تفرعت إلى صفرتين، ضمت الأولى خمسة عشر جنديا. أمّا الثانية فأربعة عشر جنديا. ويكون مجموعهم إذا تسعة وعشرين جنديا[5].

كما أضاف صالح فركوس كلّ من نوبتي القل وزمورة، وكلتاهما ضمتا ثلاث صفر[6].

ولقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله[7] أنّه أرسل إلى حسين باشا قائمة لعوائد نوبة قسنطينة وعنابة وتسبة. وهذا نموذج على ما كانت تأخذه نوبة عنابة من "عوائد"، وذلك خلال سنة 1245هـ/1829م:

1-De Voulx, Tachriffette, P: 34.
2-Ibid, P: 34.
3-Ibid, P: 34.
4-Ibid, P: 34.
5-Ibid, P: 34.

الرأي نفسه ذهب إليه صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 45.

6-المرجع نفسه، ص: 45.

7-من خلال رسالة مؤرخة في 19 محرم 1245هـ/1829م. تحمل الرقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة؛ ومن خلالها يعلم الباشا حسين بأنه أرسل ثلاث جرائد دون فيها ما تأخذه النوبات الثلاثة من عوائد مع العلم أن هذه المعلومات لم ترد في مضمون الرسالة.

فعندما كانت تحل نوبة جديدة بمدينة عنابة، كان يقدم لها من أجل الاحتفال بقدومها "ضيفة" خلال ثلاث الأيام الأولى وكانت تتشكل من خروف لكلّ صفرة. كما كان يتلقى كلّ جندي 17 ريالا بوجه بما يعادل 30 إلى 50 فرنك[1].

أمّا المؤونة الخاصة بشخص الآغا فكانت تتمثل في "قلتين"من زبدة وعسل. وكذا كان يعطى المثل لكلّ صفرة[2]. أمّا فيما يخص مؤونة القمح، فكان يقدم للآغا في كلّ شهر اثنا عشر صاعا. أمّا باقي الجند، فلكلّ واحد ست صاعات. كما كانت توفر لهم السلطة 130 قطعة صابون. وريال بوجه بما يعادل 30،60 فرنك[3]. وقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنّه قد وقع نقص في عوائد نوبة مدينة عنابة أثناء سنة 1829/1245[4].

أمّا في حالة الطوارئ وأثناء الحصار الفرنسي (1243هـ/1827م) المضروب على السواحل الشرقية فوفرت السلطة "للخوزجية" ما يكفي حاجتهم من "الأخبية"[5]. وأمّا فيما يخص مؤونتهم الغذائية فتمثلت في "بشماط"[6]، و"برغل"[7]، ودهان وزيت، بالإضافة إلى مجموعة من البغال[8] لأداء مهامهم على أكمل وجه[9].

*-إصلاح بعض المرافق العامة: لم تتطرق الرسائل في هذا الشأن إلاّ فيما خص إصلاح بعض المرافق العسكرية. ومن بين ما ذكر بهذا الصدد، الخطاب الذي وجهه أحمد باي إلى حمزة آغا، ومن خلاله يعلمه بأنّه وجه إليه المركانتي[10] حتى

1- De veloux, Tachriffette, P : 60.

2- Ibid, P : 60.

3- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 46.

4- الرسالة رقم: (5). وهو يستشير الباشا في الطريقة التي يمكنه من خلالها مواجهة هذا الوضع.

5- **الأخبية**: وهي الخيمات التي كان يعسكر فيها الجنود. ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 611.

6- **بشماط**: وهو نوع من الحلويات. ينظر: Ibid, P : 611.

7- **البرغل**: وهو الدقيق من النوع الغليظ. ينظر: Ibid, P : 611.

8- **البغال**: كانت تستخدم كوسيلة لحمل الماء الصالح للشرب. ينظر: Ibid, P : 611.

9- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

10- **المركانتي**: لقد أجمعت معظم الدراسات التاريخية التي تعرضت لسيرة صالح باي من بينها نذكر على سبيل المثال: Vayssette, Histoire de Constantine, R. C, 1867, P P: 459-462 أنّه هو أول من وضع منصب المركانتي من أجل مراقبة التجارة الخارجية والإشراف عليها في جميع الموانئ؛ إلاّ أنّه أثبتت بعض الوثائق التي عثر عليها في ملفات العثمانية أنّ هذه الوظيفة كانت موجودة قبل تولي صالح باي للسلطة. ملف الوثائق العثمانية، رقم المجموعة: 1641، الرسالة رقم: (31)، أرسلها أحمد باي إلى قبطان الباستيون بتاريخ 1763.

يتابع عملية تصليح "الكوشة"[1]، التي كانت تلبي حاجيات الجند من الخبز[2].

كما أدت الوضعية الأمنية التي كان عليها بايلك الشرق إثر الحصار الذي ضربته القوات الفرنسية على السواحل الجزائرية سنة (1243هـ/1827م)[3] إلى الوقوف "وقوف جد واجتهاد" على إصلاح كلّ ما كان معطل من المعدات الحربية ومن مراكز الحراسة المتواجدة في كلّ من القالة وعنابة. وكلّ ذلك استجابة لأوامر الباشا، والتي كان على أحمد باي السهر على تنفيذها دون كسل. لهذه الأسباب سخر أحمد باي كلّ الطاقات البشرية والوسائل المادية لأجل إتمام هذه المهمة[4].

كما كانت تمون الرعية، خاصة على مستوى مدينة عنابة بالأسلحة حتى تقوم بالدفاع على وطنها ضد أيّ عدوان خارجي[5].

ب-أوجه الإنفاق على مستوى السلطة المركزية: من بين ما كان يدعم الخزينة العامة الجزائرية بمبالغ مالية معتبرة ما كان يسمى في تلك الحقبة التاريخية بالدنوش[6]، الذي كان يتم على فترتين. أمّا الصغير فكان يؤخذ كلّ ست أشهر. في حين كان الدنوش الكبير يؤخذ كلّ ثلاث سنوات.

والدنوش في نظر أحمد باي يعبر عن "تلك الزيارة التي كان يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كلّ ثلاث سنوات". أمّا المقدار العيني والنقدي الذي كان يأخذه إلى الباشا فيسميه"اللازمة"[7]. واتفق معه أبو القاسم سعد الله في ذلك[8]. في حين أطلق عليه محمد بن عبد الكريم مصطلح "الإتاوة"[9].

وعلى العموم كلّ المراجع والمصادر التاريخية اتفقت في المضمون، وإن

1- **الكوشة:** ويقصد بها الفرن الذي كان يطبخ فيه الخبز. وهذه الكلمة ما زالت متداولة بين أفراد المجتمع الجزائري لوقتنا الحالي.

2- الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة، دون تاريخ.

3- ينظر كلّ من الرسالة رقم: (10-11-12) في الترتيب العام للمجموعة.

4- من أجل تفاصيل أكثر ينظر: الفصل الرابع، المبحث الأول.

5- الرسالة رقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

6- **الدنوش:** لفظ محلي، معناه المحاسبة. شاع استعماله في النوع من الالتزامات المالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 100.

7- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 11.

8- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 134.

9- محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 53.

اختلفت في التسمية. فالدنوش عندهم هو تلك المساهمة بكميات معتبرة من الأموال والمواد العينية، منها ما كان يذهب إلى الخزينة العامة، ومنها ما كان يحظى بها كبار موظفي الحكم في شكل هدايا وترضيات، تسلم لهم في مواعيد محددة، وحسب الطرق المتعارف عليها(1).

فأمّا الدنوش الصغير فكان يؤديه الخليفة(2) كلّ ست أشهر(3). بمعنى مرتين كلّ سنة، مرة في فصل الخريف والأخرى في فصل الربيع(4). وأول مرة دنش فيها خليفة أحمد باي منذ أن استلم مقاليد الحكم، كانت بتاريخ 7 من الربيع الثاني عام 1241هـ/1826م(5). أمّا الثانية فكانت بتاريخ 24 من جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م(6).

وعند كلّ مرة كان يتوجه أحمد باي برسالة إلى حسين باشا يبلغه من خلالها بتوجه الخليفة إلى مدينة الجزائر(7) برفقة المحلة(8) ومعه "لزمة الدار الكريمة"(9). وهذا نموذج من الذي كان يكتب بهذا الصدد:"... سلام كريم طيب عميم تعبق

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 100.

2- لقد انفرد محمد خير فارس بذكر معلومات لم ترد في معظم المصادر والمراجع التاريخية تمثلت في إمكانية تعويض الخليفة بشخصية أخرى وهي وكيل السباهية. وكان يقدم الدنوش الصغير على شكل عدة دفعات، تكون كلّ شهر أو شهرين أو حتى ثلاث أشهر. ينظر: تاريخ الجزائر الحديث، ص: 74.

3- أمّا تفاصيل الموضوع، فهي أن الخليفة كان يعود من الجزائر مصحوبا بقوة عسكرية"المحلة" لاستخلاص المطالب المخزنية من الرعية. وكانت تتشكل هذه المحلة من ستين خيمة وتتألف الخيمة الواحدة من خمس وعشرين رجلا، وعندما تلتقي هذه القوة العسكرية بأحمد باي عند قصر الطير تلتحق به أربعون خيمة، بينما العشرون الأخرى يجوب بها الخليفة ساحل البابور وفرجيوة وزواغة ومعاوية وبني وليان وبني مهمنة وإيدوغ وساحل عنابة ومرداس وبني صالح. أمّا أحمد باي فيتوجه بما كان لديه من قوات عسكرية إلى أولاد الساحلية بمنطقة بوطالب وأولاد سلطان والحراكتة والحنانشة، ويلتقي بالخليفة بفج العرب ليعودوا بعد ذلك مع المحلة إلى قسنطينة. ثم يتوجه الخليفة إلى الجزائر بعد أن يمكث بمدينة قسنطينة مدة شهرين أو ثلاث أشهر لتقديم "الدنوش الصغير". ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص ص: 160-161.

4- صالح فركوس، الحاج أحمد باي، ص: 33.

5- الرسالة رقم : (4) في الترتيب العام للمجموعة.

6- الرسالة رقم : (6) في الترتيب العام للمجموعة.

7- كانت قافلة الدنوش قبل وصولها إلى مدينة الجزائر تمر على مجموعة من المحطات تأخذ في كلّ منها قسطا من الراحة، وهذه المراكز هي بئر البقيرات، وذراع الطبول، وركب، ومجاز الحمار، أيضا كلّ من سطيف وعين تاغروط وسيدي مبارك وذراع لحمر ومجانة وبني منصور والدهوس وحمزة وبني هيني وذراع البرال والحوش ومتيجة وأخيرا تصل إلى مدينة الجزائر. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 26.

8- كانت تحرس الخليفة وما كان يحمله من مطالب عينية ونقدية قوة عسكرية مكونة من عشر خيام، كان يأخذها من الحامية التركية التي تعسكر بالقصبة. ثم لا يلبث أن يعود بعد ذلك من الجزائر مصحوبا بستين خيمة لاستخلاص المطالب مرة أخرى وهذا ما كان يحدث سنويا. ينظر: سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 162.

9- الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

نواسمه وتنفح بأرجائكم مباسمه وتزكو أوائله وخواتمه فـإن ابنكم وخديمكم ابننا مصطفى الخليفة قادم ووارد على حضرتكم العظيمة العلية الفخيمة يقصد زيارة سيادتكم وتقبيل يدك الكريمة وأصحبنا معه لوازم المعلومة المقررة المفهومة ونطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم أن يبقي لنا وجودك ويبارك لنا في عمرك وأن يمدك جنابك الرفيع بالنصر والعافية وأن يديم عليكم نعمه الوافية ويعاملكم بكل جميل وينيلكم من فضله الجزيل هذا سيدنا وأن المحلة المنصورة بالله تعالى واردة مع الخليفة في حفظ الله وأمانه ونسئل الله جل وعلا وردوهم عليكم ورود خير وعافية وهناء وستر دايم وسلامة أمين يا رب العالمين وهذا ما وجب به إعلام سيادتكم العليا وما دمت لنا بخير وعافية وصحة وسلامة فأنا كذلك عندنا كل خير وبلادك ووطنك في هناء وعافية..."[1].

أمّا القيمة المالية الإجمالية لهذا الدنوش، فكان يدفع الخليفة نصف ما كان يدفعه أحمد باي في كلّ شيء إلاّ "المصوغ"[2]. وكانت تقدر قيمته النقدية بـ 340000 ريال، بحيث كلّ ريال كان يعادل 0.93 فرنك، أيّ ما يعادل 416200 فرنك[3]. في حين قدرها صالح فركوس بـ 40000 بوجو[4]. أمّا العربي الزبيري فحدد قيمتها بـ 700000 بياستر فضي أيّ حوالي نصف مليون دولار إسباني[5]. وبعملية حسابية بسيطة نجد أنّ الباي كان يدفع 350000 بياستر كلّ ست أشهر بما يعادل أيضا 2500000 دولار إسباني.

في حين تكونت القيمة العينية من: 1500 رأس بقر منها 100 رأس بقر كان يدفعها مقابل الأمان والمرور عبر أبواب الحديد[6]. و6000 رأس خروف، و17 ما بين فرس وحصان أصيل، تكون من نصيب الداي وكبار موظفي القصـر، وأيضـا

1- الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

2- الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 46.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 161.

4- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 33.

5- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 70.

6- وهذا ما أكده مولود قايد حين ذكر بأنّ جزء معين من البقر والغنم كان يقدم لرؤساء الجبايلية، وكان ذلك يـتم عند مرورهم بأراضي أولاد المقراني (بني عباس) حتى تتمكن قافلة الدنوش من المرور بكلّ حرية ودون خطر إلى باب الحديد. ينظر: Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 135.

100 بغلة، منها 40 من النوع المهيأ للركوب. بينما البقية الأخرى كانت تستخدم للنقل، و70 برنس من النوع التونسي الرفيع، و50 غطاء من النوع الحائك التونسي الرفيع، و40 سبحة من العنبر والمرجان. أيضا 3 أوقيات من عطر الياسمين، و16 كيس معد لحفظ الساعات موشى ومطرز بالذهب، أيضا 30 قطعة من جلد النمر أو الأسد، و من 8 إلى 10 أسود أو نمور[1]، و700 قفة من التمور، كلّ قفة تسع لعرجون من التمر يتراوح وزنه ما بين كلغ إلى كلغ ونصف. أيضا 50 سلة من الزيتون الأخضر، و حمولتا بغال من القماش المستعمل في تبطين السروج وغيرها، أيضا 20 حمولة من الزبدة، والكمية نفسها من الكسكس[2].

وكان الخليفة بعد أدائه لهذا الدنوش يعود بقفطان الشرف إلى أحمد باي، وكشكر وامتنان واعتراف بالجميل من هذا الأخير لرضا الباشا عليه كان يبعث له 1000 سلطاني ذهبي[3]، وبرفقته القفطان؛ وكان السلطاني يعادل 9 فرنكات، بما يعادل في الإجمال 9000 فرنك[4]. وهذا نموذجا على ما كان يكتبه أحمد باي بهذا الصدد: "... سيدنا أعزك الله وأيدك فالذي يتصل بشريف علمكم هو خير ان شاء الله أننا وجهنا القفطان السعيد مع عوائده المعلومة قيمة ألف سلطاني نسئل من الله تعالى أن يجعل وروده عليكم ورود خير وعافية وسلامة وكرامة بجاه من ظللته الغمامة صلى الله عليه وعلى أله..."[5].

في حين ذكر بن ميمون الجزائري بأنّ بايات قسنطينة كانوا كلّ سنة يبعثون إلى الباشا بمدينة الجزائر 100 ريال (بوجه) أيّ حوالي 180000 من الفرنكات بالصرف الفرنسي[6]، ما يعادل كلّ ست أشهر 90000 فرنك. أمّا الباشا فكان يبعث له مع الخليفة إذن بإعادة التولية ولباسا فاخرا وبندقية و"يتاقان"[7]؛ وهـذا مـا عثر

1- ذكر أسير أحمد باي فندلين شلوصر أنّ الباي كان يمتلك ثمان أسود وضعت في حضيرة كان يقوم على رعايتها والاهتمام بها عمال مختصون. ينظر: قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 41.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 161.

3- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 26 ذي القعدة من سنة 1241هـ/1826م.

4- المرجع السابق، ص: 162.

5- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

6- التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 41.

7-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 135.

عليه في بعض من رسائل أحمد باي، إذ ذكر أحمد باي في إحدى المرات أنّ الباشا قد أهدى له بندقتين صغيرتين من الذهب[1]؛ وفي مرة أخرى أهدى له "طنان ذهب من أفخر السلاح[2].

وما يلاحظ على أمر الدنوش الصغير، أنّه لم يكن بالضرورة ذهاب الخليفة كلّ ست أشهر، وإنّما كانت تحدث هناك بعض استثناءات. فهذا أحمد باي يستأذن الباشا حسين على غير العادة من أجل أن يحمل له الدنوش الصغير بدلا من خليفته. وقد أذن له الباشا بذلك. وكان ذلك في أوائل ذي القعدة من سنة 1242هـ/1827م[3]؛ وهذا ما ورد في مضمون الرسالة لتكون نموذجا على ما كان يكتبه البايات في مثل هذه المناسبات:" ...سيدنا اعزك الله وابقى لنا وجودك فالذي يكون في شريف علمكم هو خير ان شاء الله اننا انفصلنا من قسنطينة يوم الاثنين الثاني من دي القعدة الحرام بقصد دنوش الربيع المعلوم متوجهين انشاء الله الى حضرتك المعظمة وتقبيل يدك الزكية المكرمة والله يمدنا بعافيته ويصحبنا السلامة في سفرنا سيدنا وان يجعل ورودنا على مقامكم الكريم ورود خير وعافية ونسئله سبحانه ان يمد لنا في حياتك ويبارك لنا في سنينك واعوامك مع بقاء ملكك ودوام سلطانك مصحوبا بالسعادة والسلامة والتمكين مويدا بنصر الله والعافية والفتح المبين انه على ذلك قدير..."[4].

وما جعلنا نتأكد من أنّه الدنوش الصغير وليس الكبير، هو الفرق الزمني بين أول مرة أخذ فيها الخليفة الدنوش، والتي تمت في ربيع الثاني من سنة 1241هـ/1826م،وثاني مرة والتي كانت في ذي القعدة من سنة 1242هـ/1827م[5].

أمّا الدنوش الكبير فكان يقوم به أحمد شخصيا، وقد ذكر في هذا الشأن" أنه في سنة 1245هـ/1830م ذهبت إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش وكانت تلك المـرة

---

[1]- الرسالة رقم:(14) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/1827م.
[2]- الرسالة رقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 14 ربيع الأول من سنة 1242هـ/1827م.
[3]- الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.
[4]- الرسالة نفسها.
[5]- وقد ذكرت بعض المراجع هذا الأمر نذكر منها: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 376.
أيضا ينظر: L. Pechot, L'Afrique du nord avant 1830, P : 135.

الثانية التي أقوم بهذا الواجب"[1]. أمّا من خلال مجموعة الرسائل فإنّه لم يرد أيّة معلومات في الموضوع. وعموما تعددت قيمة هذا الالتزام من حيث النقد والعين.

أمّا المحمولات النقدية فتمثلت في القيمة المالية التي كان يحملها أحمد باي إلى حسين باشا مثال ذلك ما تم في سنة 1245هـ/1829م، فقدرت قيمته بـ778811 فرنك فرنسي[2]. في حين ذكر "شالاخ" "Shaler" "بأنّ قيمتها عادلت 60000 دولار إسباني. في حين حددها "وغني" "Warnier" بـ 100000 فرنك. أمّا من خلال تقرير "روزيت" "Rozet" فقد قدرها بـ 293660 بوجه بما يعادل 546218 فرنك[3]. في حين قدرها "أرنست ريكار" "Ernest Ricard" بـ10000 ريال[4]. أمّا ناصر الدين سعيدوني فقد حددها بـ 294150 فرنك[5]. في حين قدر شارل قيمتها بـ 300000 دولار[6]. أمّا صالح بن العنتري فذكر أنّه من عادة بايات قسنطينة أن يدنشوا كلّ ثلاث أعوام بما قيمته مليون ونصف مليون فرنك من غير الحلي والبغال والبقر والقمح والشعير[7].

ومهما يكن فإنّ الاختلاف في هذه القيم يعود إلى أنّ كلّ مثل هذه الأمور يبقى التحقيق فيها نسبيا ولا يحتمل التأكيد الكلي أو البطلان. وما علينا إلاّ عرضها بدون أن نعلق عليها، فمع غياب النص التاريخي لأحمد باي فإنّه يصعب الترجيح.

أمّا المحمولات العينية فتمثلت في مختلف المواد والمجوهرات وكذا الحيوانات[8] التي كان يقدمها أحمد باي عند قيامه بهذا "الواجب" كما يسميه[9]. ومن بينها نذكر:

15000 صاع من القمح لكل صاع 3 بوجه بما يعادل 45150 بوجـه، و450

1- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 11.
2-Ernest Ricard, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, P : 17.
3-Nouchi Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 110.
4-Op.Cit, P : 17.

5- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 102.
6- شارل، مذكرات شارل، ص: 46.
7- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 56.
8- لم تكن تستعمل في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر العربات، وإنّما كانت وسائل النقل تقليدية من بينها البغال والجمال. ينظر: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 99.
9- أحمد باي، المصدر السابق، ص: 11.

قلة من الزبدة بما يعادلها نقدا 4400 بوجه، أيضا 100 حايك بما يعادله نقدا 2000 بوجه، و3000 رأس غنم بما يعادله 6000 بوجه، و600 رأس بقر بما يعادله نقدا 10000 بوجه، أيضا 200 بغل بما يساويه نقدا 10000 بوجه، و130000 صاع قمح بوزن دار السلطان ويعادله في ذلك نقدا ما قيمته 39000 بوجه، و100 برنوس بما يساوي 1500 بوجه، أيضا كميات كبيرة من العسل والتمر والزيتون والكسكس والشمع بما يعدلها نقدا 7000 بوجه. أمّا العطور والأحذية المزينة بالذهب والأسرجة والسبح المصنوعة من المرجان الخالص والعنبر فقد قدرت كلها بـــ 1000 بوجه(1).

وبهذا تصير القيمة الإجمالية العينية بالنقد ما يعادل 79900 بوجه ما يساوي 148614 فرنكا. وبالتالي فقيمة الدنوش الكلية في نظر نوشي تقدر بـــ 418716 بوجه، ما يعادل 778811 فرنكا(2). وأضاف عبد الجليل إلى هذه القائمة 14 قلة من ماء الزهر، و3 قلل من ماء الياسمين(3).

بالإضافة إلى الدنوش الصغير والكبير كان على أحمد باي أن يقدم للسلطة المركزية على مستوى مدينة الجزائر اللزمة، وكانت تعادل 80000 ريال كبيرة(4) كما كان على بايات بايلك الشرق أن يدفعوا في العوائد والمواسم زكاة القمح والشعير(5). وقد قدر عبد الجليل التميمي الكمية التي كانت تمون بها مدينة الجزائر بـــ 10000 صاع من القمح و9000 قنطار من الشعير(6)؛ وقد ذكر أحمد باي في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى حسين باشا ما يؤكد هذا الأمر، إذ أعلمه من خلالها أنّه بعث بحمولة من القمح إلى مدينة الجزائر(7).

ويزيد باي الشرق دون البايات الآخرين ما قيمته ألفي رأس بقر؛ كما كان يبعث في صيف من كلّ سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن مدعما المراكب الجهادية

1- Nouchi Enquéte sur le Niveau de vie des populations rurales, P P : 110-111.
2- Ibid. P P : 110-111.
3- Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 53.
4- الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 46.
5- المصدر نفسه، ص: 46.
6- Temimi, Op. Cit, P : 54.
7- الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/ 1826م.

قا من مرسى عنابة[1]، وهذا ما تأكد من خلال ما ورد في مضمون إحدى
ائل، إذ ذكر أنّه كان يمون مدينة الجزائر بمختلف المواد عن طريق مدينة
ة[2]. أيضا كان على أحمد باي أن يمون السلطة المركزية بكمية معتبرة من
ب[3]، وكان بايلك الشرق من بين المناطق التي كانت تملك الكثير من هذه
ة[4].

وعلى عموم فبشهادة جلّ المؤرخين كان دنوش بايلك الشرق من أغنى
شات على مستوى الجزائر، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنّما يدل على الحالة
صادية التي كان عليها البايلك، ممّا أهلته أن يحتل المرتبة الأولى اقتصاديا
نة بالبيالك الأخرى[5].

أيضا هناك جزء مهم يتعلق ويتصل مباشرة بالنظم المالية، ألا وهو العملة
ف كان تداولها وأنواعها ووضعيتها على عهد أحمد باي.

3-العملة:

إنّ العملة هي إحدى المظاهر البارزة للاستقلال المالي للجزائر أثناء العهد
ماني. فالعملة مهما كانت أشكالها المادية، هي ذلك الرمز الاجتماعي للثروة الذي
م تقسيمها ما بين الأفراد. ولذا تكون العملة دليلا على علاقات اجتماعية بين
راد وتصويرا سيكولوجيا لها[6].

هذا فيما يخص الجانب الاجتماعي من هذه الظاهرة الاقتصادية، أمّا الجانب
قتصادي منها فهو أنّ العملة أداة قاطعة في النشاط الاقتصادي ويدل استخدامها
ى وجود دخل نقدي وأسعار تنظم توزيع الخيرات بين الأفراد. لذا تسهم العملة

الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار ، ص: 47.
الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.
3- Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 54.
الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 13 ذي الحجة من سنة 1242هـ/1827م.
ينظر الملحق الخاص بالجداول والرسومات البيانية رقم: (3) للإطلاع على رسم بياني يوضح مكانة بايلك
رق الاقتصادية مقارنة بالبيالك الأخرى.
أحمد هني، العملة والنقود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 6.

ي إعادة الهيكلة الاقتصادية أو إصلاحها[1]. فهي مجموع الرموز والإشارات مادية التي تسمح بتوزيع الخيرات الاقتصادية اعتمادا على نظام المداخيل الأسعار، فتكون بهذا أداة قاطعة في النشاط الاقتصادي[2].

ورغم المشاكل التي كانت تعيشها البلاد ومزاحمة النقود الأجنبية، وهذا ما تم ستنتاجه من خلال ما ورد في نص إحدى الرسائل التي بعث بها أحمد باي إلى الباشا[3] إلا أنّ العملة الجزائرية امتازت آنذاك بتنوع مادتها واختلاف قيمتها، فهناك العملة الذهبية والفضية[4]. بالإضافة إلى الموزونة، وزوج موزونة، وريال درهم المعروف بدقة شيك، والصائمة. أمّا النقود البرنزية والنحاسية فكانت متنوعة وكثيرة التداول[5]. مع أنّ هذه الأنواع تعرضت لصعوبات جمة[6].

وفيما يتعلق بالنقود التي كانت تستعملها الجزائر بالإضافة إلى بعض العملات الأجنبية مثل الدولار الأسباني[7]، والبياستر التونسي[8]، والعملة المغربية[9]، والعملة الفرنسية[10]، كان هناك السلطاني[11]أو المحبوب، أيضا البياسيتر الفضي القسنطيني

1- أحمد هني، العملة والنقود ، ص: 7.
2- المرجع نفسه، ص: 6.
3-الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.
4-الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة.
5-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.
6-إنّ النقود الجزائرية لم تكن هي وحدها المستعملة في الجزائر أثناء العهد العثماني، بل كانت هناك نقود أخرى أجنبية رائجة في المعاملات التجارية. وتعتبر مزاحمة النقود الأجنبية إحدى الصعاب الكثيرة التي واجهت العملة الجزائرية منها، عدم استقرار أسعار النقود، وقلة الكميات المطروحة بالأسواق، أيضا انعدام العملات الورقية، وموقف الأجانب المشكوك فيه. ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 13.
7-**النقود الاسبانية**: لقد شاع استعمال النقود الاسبانية في الجزائر، ويعود ذلك إلى هجرة الأندلسيين واليهود إلى الجزائر وبفعل التواجد الأسباني بوهران. وأهم أنواعها، الدبلون، والدوكة، والكرونة، والدورو، والقرش، والدولار، والريال، والأسبر. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.
8-**البياستر التونسي**: انتشر استعمالها على مستوى بايلك الشرق، بحكم الحدود المشتركة والتبادلات التجارية التي كانت تتم بين البلدين. ينظر: Ernest Picard, La monnaie et le crédit, P : 45. فضلا على ما ذكر أعلاه فكانت هناك نقود أخرى كانت منتشرة، منها السلطاني، والريال والخروبة والفلس والدرهم الناصري. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27. وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5).
9-**العملة المغربية**: من بين النقود المغربية التي انتشر استعمالها على مستوى الجزائر أثناء العهد العثماني نذكر، السلطاني والبندقي العشراوي والمثقال والدرهم والفلس والموزونة. ينظر: المرجع السابق، ص: 27.
10-**العملة الفرنسية**: كان تدوالها في الأراضي الجزائرية بحكم التبادلات التجارية، إذ كانت فرنسا من الدول الأجنبية التي احتلت المرتبة الأولى في المبادلات التجارية. وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5).
11-**السلطاني**: ورد ذكر هذه العملة في الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. وكانت تزن من 3 إلى 3,5 غرامات. ينظر: Nasserdine Saidouni, Algérois rural à la fin l'époque Ottomane (1791-1830), Dar El Charb- Al Islami, 2001, P : 243.

والريال بوجه[1]، والنصف بوجو، و الثمن بوجو، أيضا البيتاك شيك، والريال مجبور، والموزونة، والصايم[2].

وكان يتم إصدار العملة بأمر من الباشا، هذا الأخير كان هو الوحيد الذي له السيادة في ضرب النقود من الذهب والفضة[3]. وكان يتم ذلك بإشراف الخزناجي[4]، الذي كان يراقب سك العملة وتحديد قيمتها[5].

والأهمية التي كان يحظى بها الخزناجي "تعود في حقيقة الأمر إلى التطور التاريخي والظروف الاقتصادية والسياسية التي عاشتها الجزائر"[6]. ومن بين الذين تقلدوا هذه الوظيفة الحساسة على عهد حسين باشا، المدعو إبراهيم بن سليمان، وكان ذلك في سنة (1234-1245هـ)/(1818-1829م)[7]. ثم يأتي في طليعة المساعدين للخزناجي أمين السكة[8]، وتكلف هذا الخير برعاية ومراقبة ضرب النقود المختلفة وتقدير قيمة المجوهرات بعد وزنها وفحصها[9].

وكان مركز ضرب النقود في مدينة الجزائر (دار السلطان) الواقع في مبنى صغير موجود في قصر الجنينة في مدخل طريق الديفان[10]. ولقد وجدت القوات الفرنسية أثناء احتلالها لمدينة الجزائر في الخزينة العامة[11] ما كان يعادل قيمته

1- **بوجه**: ورد ذكر هذه العملة في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة. وكان وزنه في عام 1245هـ/1830م حوالي 10 غرامات. ينظر: Nasserdine Saidouni, Alger urbaine, P : 243.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 70. ينظر الملحق الخاص بالجداول والرسومات البيانية رقم: (4)، ص: 308 لمعرفة قيمة هذه النقود مقابلة مع العملات الأجنبية التي شاع استعمالها في الجزائر في ذلك العهد.

3- Ernest Picard, La monnaie et le crédit, P: 43.

4- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.

5- المرجع نفسه، ص: 26.

6- ناصر الدين سعيدوني، الخزينة الجزائرية، <u>المجلة التاريخية المغربية</u>، ع: 3، جانفي-يناير 1975، تونس. ص:19.

7- المرجع نفسه، ص: 19.

8- لعلّ وكيل الجزائر الملقب بمحمود أمين السكة قد تقلد هذه الوظيفة نظرا لإلحاق اسمه بنوعية الوظيفة. ولقد ورد ذكر اسمه في كلّ من الرسالة رقم: (8-9-10) في الترتيب العام للمجموعة.

9- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 19.

10- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 61.

11- **الخزينة**: كانت عبارة عن دهاليز مقوسة تحت الأرض، وبابها يفتح في صحن الدار التي كان يجتمع فيه الديوان، وعلى باب الدهاليز مقاعد خشبية يجلس عليها باستمرار ستة عشر خزنة. كانت توضع فيها بالإضافة إلى النقود، السيوف الذهبية، والبنادق، والحلي والجواهر التي كانت ترجع للدولة عندما يموت أحد كبرائها. وكذلك فيما يدفعه البايات، وما كانت تدره التجارة وغيرها. ينظر: عبد الله شريط ومحمد الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985، ص: 171.

25000 إلى 30000 فرنك[1].

ولقد ازداد وضع العملة الجزائرية خطورة واختلالا، نتيجة للسياسة النقدية المتبعة من طرف آخر دايات الجزائر، خاصة بين فترتي (1226-1239هـ)/(1811-1823م). أمّا الأولى، فكانت على عهد الباشا الحاج علي سنة (1226هـ/1811م)[2]. في حين حدثت الثانية على عهد علي خوجة، وذلك في سنة(1233هـ/1817م)[3]. ثم الأخيرة على عهد حسين باشا آخر دايات الجزائر وذلك عام (1239هـ/1823م). وفي هذا التاريخ تم تخفيض العملة الجزائرية بنسبة عشرة في المائة (10%)[4].

والحادثة الثانية التي وقعت على عهد حسين باشا تلك التي حدثت على مستوى بايلك الشرق، فهذا أحمد باي يبعث إلى حسين باشا بتاريخ 11 من ذي القعدة عام 1243هـ/1827م[5]، تقريرا على الأحوال الاقتصادية، ويشتكي من خلاله وجود نقص في وزن النقود الذهبية والفضية، لهذا أبطل "الصرف في قسنطينة" إلا أنه لم يتخذ أيّ تدابير أخرى، وهو يستشيره ويطلب منه النصيحة والإجراءات التي يجب اتخاذها، لأنّ الأمر بالغ الخطورة ولا بد من إيجاد حلول عاجلة لهذه المشكلة[6].

ولقد ضم هذا الجهاز بالإضافة إلى العمال الذين تم ذكرهم مجموعة أخرى من أهمهم النقاد أو المقتصد. وهو صاحب السلطة على كلّ المصالح المالية والإنفاق[7]. ثم الباش الكاتب الذي كان يشرف على سجلات المحاسبة[8]. فقائد المهور أو خوجة الخيل الذي كان مسؤولا على تنشيط سير البغال والأحصنة

1-Ernest Picard, , La monnaie et le crédit , P : 43.

2-**الحاج علي الشريف:** تولى حكم البلاد في 18 محرم 1224هـ/3 مارس1809م. من فواتح أعماله أنه شمل بعفوه الرايس حميدو واستقدماه من منفاه. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 309.

3-Nasserdine Saidouni, Alger urbaine P : 245.

4-Ibid, P : 245.

5-الرسالة رقم :(25) في الترتيب العام للمجموعة. ويعد سقوط مدينة الجزائر، واستسلام حسين باشا، أمر أحمد باي بضرب عملة هي السلطاني ذو الخمس ريالات، ونصف السلطاني ذو الريالين ونصف. ينظر: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 88.

6-الرسالة السابقة.

7-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 150.

8-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 128.

ومصاحبة الخليفة إلى مدينة الجزائر عند حمل الدنوش في الربيع. كما كلّف بإرسال أمتعة القافلة أثناء عودتها[1]. أيضا المحتسب، وهو المسؤول على أخذ المطالب النقدية على كلّ المنتجات التي يحملها سكان الأوطان لبيعها في المدينة[2].

2/4)-المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية على عهد أحمد باي

مع أنّ رسائل أحمد باي لم تقدم مادة تاريخية كبيرة حول مظاهر الحياة الاجتماعية على عهده، إلاّ أنّه كانت هناك محاولة لتقديم بعض المعلومات التي وردت في البعض من رسائله، مع تدعيمها بما جادت به المصادر والمراجع بهذا الصدد.

فلقد تميز المجتمع القسنطيني كغيره من السكان في باقي أنحاء الجزائر بخصوصيات ميزته عن باقي المجتمعات العربية. إلاّ أنّ الدراسات الموضوعية في هذا المجال قد تكون قليلة، وإن وجدت فإنّها عبارة عن كتابات عامة خاضت في الموضوع بطريقة غير أكاديمية. فالبحث في هذا المجال يحتاج إلى التعامل معه بوثائق حية عن تلك الحقبة التاريخية.

1-تركيبة المجتمع القسنطيني: قبل الخوض في هذا العنصر يجب التعريج إلى نقطة مهمة، وهي تعداد السكان ببايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر(على عهد أحمد باي). فلقد تضاربت الآراء حول إحصاء سكان الجزائر بصورة عامة وبايلك الشرق على وجه الخصوص.

ومن بين الذين أعطوا بعض الإحصاءات، نذكر حمدان خوجة الذي حدد تعداد سكان الجزائر بعشرة ملايين نسمة ، وبما أنّ باليك الشرق كان يشكل 20،5% من تعداد الجزائر، فبعملية حسابية بسيطة يكون تعداد سكان بايلك الشرق 120000 نسمة[3]. بينما حدده ياكونو Yacon بـ30000 نسمة[4]. أمّا حمدان بن أمين سكة

1- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 22.
2- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر جزائرية، ص: 196.
3- حمدان خوجة، المرآة، ص: 120.
4-Yacono, Peut'on évaluer La population de l'Algérie en 1830? R. A. 1954, PP : 277-307.

فأشار إلى أنّ تعداد سكان بايلك الشرق عشية الاحتلال كان يقدر ما بين 25000 إلى 30000 نسمة. في حين ورد في تقرير لكامل بايٍ[1] الذي زار مدينة قسنطينة سنة 1251هـ/ 1836م أنّه كان يضم 80000 نسمة[2]. أمّا عبد الجليل التميمي فحدده بـ 113100 نسمة[3].

ولقد تفرع المجتمع القسنطيني على غرار باقي سكان الجزائر إلى أربع أصناف: البربر، والعرب، والأتراك، والأجانب[4].

البربر: يختلف هذا الصنف عن باقي السكان ليس من حيث اللغة فقط، وإنّما أيضا من حيث عاداته وأسلوب معيشته. وهم يعتبرون السكان الأصليين للبلاد، وقد حافظوا على البعض من استقلالهم ولم يخضعوا بصورة كلية للعثمانيين عندما جاؤوا إلى الجزائر تلبية لنداء الشعب الجزائري حتى يساعدونهم للتخلص من الاحتلال الإسباني، فلقد التجأوا إلى المناطق الجبلية أين تحصنوا بها وأقاموا القرى بوادي "الصمام" فوق الأراضي التي كانت في حوزة بعض القبائل العربية[5].

ومن بين أهم القبائل البربرية المتواجدة على مستوى بايلك الشرق نذكر: قبيلة كتامة التي كانت تضم بني الخطاب[6] وبني سيلين[7] وأولاد محمد[8] وعياد[9]

1- **كامل باي:** مبعوث خاص من طرف الباب العالي قصد التحري والتحقيق في ادعاءات باي تونس القائلة أنّ أحمد باي كان ينوي الانفصال عن السلطة العثمانية. والتقرير نشره عبد الجليل التميمي في كتابه بايلك الشرق والحاج أحمد باي مكتوب باللغة التركية بتاريخ 25 صفر 1251هـ/ جوان 1836م. ينظر: حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص ص: 93-94.

2-Temimi, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 57.

3-Ibid, P : 58.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 157.

5- المرجع نفسه، ص: 157.

6- **بنو خطاب:** كان تواجدهم في المنطقة الجبلية الممتدة من القل إلى بجاية ومجانة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 125. وتوصلت ليلى بابس من خلال البحوث التي أجرتها حول هذه القبيلة أنّ زعيمهم قدم من المغرب واستقر على بعد 100 كلم من جنوب شرق جيجل، وهنالك كوّن قبيلة ضم إليها عناصر أخرى، ورحل أحد أبنائه نحو الشرق أين أسس فرع قبيلة بني خطاب الشراقة. ينظر:
Leila Babes, tribus, Structures social, P : 23.

7- **بنو سيلين:** كانت مواطنهم قرب الميلة. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 125.

8- **أولاد محمد:** وهم فرع من قبيلة أولاد ساسي. ينظر Op.Cit, P : 19. وكانت مواطنهم قرب جيجل. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 125.

9- **عياد:** كان موطنهم قرب أقبو. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

وبنومروان[1] وجملة[2]. أمّا القبيلة الثانية فهي صنهاجة، وكانت تضم كلّ من أمزينة، وفرع من عجيصة [3]، وواسين وبني يفرن[4].

العرب: كان يتكون من قسمين: العرب، ثم الشاوية[5]. أمّا العرب فهم الذين أطلق عليهم تسمية "القبائل العربية"، وكانت تتكون هذه الأخيرة من: أولاد سعيد، والمخادمة، وأولاد جلال[6]، وأولاد فارس، وعامر، والدواودة[7] وأولاد ماضي[8].

أمّا الفرع الثاني وهم الشاوية[9] وأطلق عليهم "القبائل المستعربة"[10]. ومن أهمها، ريغا، والظهارة، والقبالة[11]، وأيضا قبيلة أولاد وبنوو ليان[12].

الأتراك: وهو العنصر الحاكم في البايلك قبل الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر[13]. وكان عددهم قليلا مقارنة بباقي السكان. فكانوا يؤلفون فرق الجيش التي كان يعتمد عليها أحمد باي في إقرار الأمن والنظام وقمع حركات التمرد والعصيان، وأيضا في حماية حدود البايلك من كلّ خطر خارجي.

هذا فيما يخص الطرف العسكري، أمّا المدنيين فكانوا يشكلون أيضا نسبة قليلة مقارنة مع تعداد الجزائريين. وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة. ولقد حدد

1- **بنو مروان:** كان تواجدهم قرب الميلة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 125.

2- **جملة:** كانت مواطنهم ما بين سطيف وجيجل. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

3- **أمزينة وعجيصة:** كان تواجدهم ما بين مجانة وونوغة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

4- **بنو يفرن:** كان تواجدهم في جبال الأوراس. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

5- Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 136.

6- **أولاد جلال:** كانت مواطنهم في واحات الجنوب، وهي من بين أبدع الواحات، ويوجد على مقربة منها مناجم الحصب. واشتهر سكانها بصناعة الأنسجة الصوفية. ينظر: احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 195.

7- **قبيلة الدواودة:** ذات أصول عربية التحمت مع بعض القبائل البربرية بالمصاهرة والجوار فحصل بينها امتزاج كبير بابتلاع العرب للبربر"وأشهرها وكلها بعمالة قسنطينة". ينظر: المرجع نفسه، ص: 133.

8- المرجع نفسه، ص: 125.

9- **الشاوية:** توصل ناصر الدين سعيدوني من خلال البحوث التي أجراها حول الشاوية أنّ نسبهم يعود في حقيقة الأمر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه. لأكثر تفاصيل حول الموضوع ينظر: ورقات جزائرية، ص: 150.

10- **القبائل المستعربة:** كانت مواطنها في ناحية الوادي القبلي ووادي الكبير ووادي ابن صالح ووادي الساحل. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ص: 125.

11- **ريغا وظهارة والقبالة:** كانت تسكن كلّ هذه القبائل جبال بوطالب والنواحي المحيطة به. ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

12- **بنوو ليان:** كانت مواطنها في جهة السمندو. ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

13- بعد سقوط مدينة الجزائر واستسلام الباشا حسين، قام أحمد باي بإعادة تنظيم شؤون الإدارة بالبايلك، حيث استبدل العنصر التركي ببعض القبائل العربية، كما نفذ حكم الإعدام على كلّ الأتراك الذين تآمروا ضده. ينظر: Sèroka, Le sud Constantinois, R. A, 1912, P : 379.

"مارسيل امريت" "Marcel Emerit" تعداد الأتراك ببايلك الشرق على عهد أحمد باي بـ 5000 عائلة تركية وكرغلية[1].

وما لم يذكر ناصر الدين سعيدوني[2] العنصر الكرغلي في تصنيفه، والذي لم يكن له حضور في معظم الدراسات التاريخية المعتمد عليها، والذي عثرنا عليه هو تعدادهم على عهد أحمد، فهذا مارسيل امريت حدد عددهم بـ 5000 عائلة وقد خصّ هذا العدد حتى العنصر التركي فهو لم يفصل بينهما[3]. وبما أنّ أحمد باي ينتمي لهذه الفئة، فإنّه يستنتج أنّ العلاقات بين الطرفين قد تميزت بالوفاق والوئام، فلم ترد أيّة معلومات تنفي ذلك، أو تؤكد بأنّ هذه الفئة قامت بتمردات أو حركات عصيان أثناء حكمه.

الأجانب: ونقصد بهم كلّ الذين استقروا في البايلك من أجل التجارة أو لأمر آخر. وأهمهم: اليهود، والرعايا الفرنسيين، والتونسيين.

أمّا اليهود فكانوا أثناء حكم البايات يخضعون لقائد يعرف بالمقدم، الذي كلف بجمع الرسوم المستحقة عليهم. وقد استعان بهم الحكام لإدارة الشؤون المالية. وقد حدد عدد العائلات اليهودية التي كانت مستقرة ببايلك الشرق على عهد أحمد باي بـ 1000 عائلة[4].

في حين استقر الفرنسيون في كلّ من مدينتي عنابة والقالة من أجل ممارسة العمل التجاري. وقد تجاهلتهم بعض المراجع التي تناولت تصنيف بنية المجتمع القسنطيني، وربما يعود ذلك إلى نسبة تعدادهم، مقارنة مع تعداد السكان الجزائريين.

ولقد عبرت إحدى الرسائل التي حررها أحمد باي على تلك المعاملة التي حظي بها الفرنسيون، فكانت هذه الرسالة موجهة إلى كلّ من شيخ عنابة وأعيانها بعد تدمير الباستيون باعتباره هدفا عسكريا وقاعدة عدوانية، ومن خلالها أعطى

1-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abel Kader, P : 254.

2- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 159.

3-Op. Cit, P : 254.

4-Ibid, P : 254.

توجيهات وأوامر صارمة بعدم التعرض لهم بأيّ أذى، مع منحهم كافة الضمانات التي تساعدهم على البقاء في البلاد أو "الرحيل إلى وطنهم، ولهم "الأمان الكامل" إن فضلوا الحل الأول. كما ضمن لهم حرية البيع والشراء بحيث" لا يلحقهم أذى أو مكروه"[1]. ومن خلال هذه الوثيقة تبين كيف كان يعامل الفرنسيون ، مع أنّ العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الحكومة الفرنسية كانت متوترة.

أمّا عن العرب الأجانب، فنخص بالذكر التونسيين، وذلك بحكم الجوار وقرب المسافات بين بايلك الشرق وتونس. فلقد تأكد من خلال ما ورد في الرسالة التي بعث بها أحمد باي إلى حسين باشا، بأنّه كانت هناك بعض القبائل هاجرت من تونس لتستقر ببايلك الشرق، وقد ضمن لها أحمد باي الوسائل الكفيلة بالحياة الكريمة، فلقد منح لأفرادها البعض من الأراضي الزراعية للاستقرار عليها وفلاحتها؛ كما أسقط عليهم بعض المطالب المخزنية التي كانت مفروضة على الرعية الجزائرية[2].

2-مميزاته:

لقد تميز المجتمع القسنطيني بكونه مجتمعا قبليا بالدرجة الأولى، هذه الميزة صعبت من مهمة الحكام. إذ تحكمت فيهم روح العصبية والقبلية. فالعصبية عندهم هو نمط سياسي يقوم على التعاون بين أفراد هذه التشكيلات الاجتماعية، كما كان يقوم أيضا على جماعة قليلة العدد تتمثل في أفراد من الأسرة أو أكثر داخل القبيلة أو العشيرة نفسها، الأمر الذي ولّد ما يمكن أن نسميه "بالأرستقراطية"[3] وإن كان هذا المصطلح لا يتماشى والحقبة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ولكنّه يعبر عن الوضعية المعالجة، حيث اتخذت هذه الأرستقراطية من الحروب وسيلة للحصول على بعض الامتيازات[4].

---

[1]-Bigonet, une lettre de Bey de Constantine, R. A. 1899, PP : 176-177.

[2]-الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

[3]-**الأرستقراطية**: "باليونانية سلطة خواص الناس". وكفكرة سياسية تعود في تكوينها إلى أفلاطون. ينظر: عبد الواهب الكيالي، موسوعة سياسية، ص: 147.

[4]-حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 23.

وبما أنّ أحمد باي نشأ وتربى بين أوساط هذه البيئة، فقد استطاع أن يتعلم متى يستعمل السياسة واللين، ومتى يستعمل الحيلة والخديعة، ومتى ينتقل إلى القوة والمباشرة. وقد قسم المجتمع القسنطيني إلى قسمين من حيث النمط المعيشي وهما: الحضر [1] والبدو [2].

أمّا الحضر، فهم الذين استوطنوا كبريات المدن بالبايلك وكانوا لا يمثلون إلاّ 3% من سكان البايلك، وقد قدّر مارسيل امريت تعدادهم على عهد أحمد باي بـ 6000 عائلة[3]. ويمكن تصنيفهم من حيث المستوى المعيشي إلى الطبقة الحاكمة، وكان يشكل معظم أفرادها من العثمانيين والكراغلة ورجال المخزن، وعلى الرغم من قلة عددهم إلاّ أنّهم كانوا يملكون ويحكمون أجزاء غير قليلة من البايلك، فهم ميسورو الحال بفضل الامتيازات التي كانوا يحظون بها[4].

ثم تأتي الطبقة الثانية وهي التي كانت تشكل أغلبية سكان المدن من العامة، شغل أفرادها بعض الحرف التقليدية والتجارة و"الوظيف العمومي"[5]. وقد ذكر العربي الزبيري "أنّ سكان البايلك لم يكادوا يعرفون البطالة قبيل الاحتلال الفرنسي، وأنّ اليد العاملة المحلية كانت تجد الشغل الذي كان يناسبها في أحد المجالات الاقتصادية"[6]. وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله، إذ ذكر بأنّ "الرخاء والنعيم" قد عم سائر سكان الحضر[7].

ثم يضاف إليهم فئة الفلاحين، ونزح معظمهم من خارج المدينة، خاصة من الساحل، هذه الأخيرة عرفت هجرات متتالية إلى المدن، وعلى الرغم من هذه الهجرات إلاّ أنّه كثيرا ما كانت تتم العودة إلى الموطن[8].

في حين شكل البدو قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث الكثرة –النسبة–

1- كذلك سماهم أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام لمجموعة.
2- كذلك سماهم أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر الرسالة نفسها.
3-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 254.
4- حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 21.
5- العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، ص: 36.
6- المرجع نفسه، ص: 74.
7- الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.
8- حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص: 23.

ومردود الإنتاج. ويمكن التمييز بين سكان الأوطان بفئتين هما: سكان الجبال الأكثر استقرارا[1]، وسكان السهول حديثو الاستقرار. وتعرف هاتان الفئتان من الناحية الإدارية باسم "الساحل"، وهما الأكثر ارتباطا بالأرض من غيرهم. والأكثر قوة ومنعة بفضل حصانتهم بالجبال وعرة المسالك[2].

وقد انقسم سكان الأوطان إلى بربر وعرب كما سبق الذكر، أمّا البربر فتميزوا بنزعة الاستقلال، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّهم كانوا في مأمن من يد السلطة، فلقد كانت تصل إليهم بطريقة أو بأخرى. وتمثّل أسلوب حياتهم في أنّهم كانوا يفضلون السكن في المنازل.

وكانوا يعرفون صناعة النحاس والحديد والأسلحة والبارود[3]، كما أجادوا نسج الأغطية والبرانس الرفيعة، وقد اشتهر في ذلك بنو عباس. فضلا على أنّهم كانوا يتفوقون على العرب في الأعمال الفلاحية، خاصة زراعة الزيتون، بحيث كانت الزيوت تعرض في أسواق البايلك كلّها آتية من القبائل القاطنة بالجهات الساحلية بمنطقة البابور ومن نواحي فرجيوة[4].

أمّا العرب فكانوا يقيمون بالخيام، وتألفت ثروتهم من قطعان المواشي[5]، فهم لا يفلحون الأرض إلاّ بقدر ما تضطرهم الحاجة الماسة إلى الأقوات، كما أنّهم غير مرتبطين بالأرض ما داموا غير ماكثين بها.

أمّا البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري فكانت لا تختلف من منطقة إلى

1- أطلق عليهم أحمد باي تسمية "الجبابلية". ينظر: الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

2- العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، ص: 23.

3- **فن صناعة البارود:** من أجل صناعة مادة البارود كان يجمع التراب من الأرض أو من الملاط في الفرن المهدمة وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه الماء، بالطريقة نفسها التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون، ثم يغلى الماء إلى أن يصبح خاثرا، بعدها يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربع أرطال من الكبريت وأربع أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربع ساعات، فتصير بارودا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 254.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص: 23.

5- لقد تأكد ذلك من خلال الأعداد الكبيرة التي كان يغتنمها أحمد باي عند شنه للحملات العسكرية رفقة قواته. مثال ذلك ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

أخرى، بل إنّها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان، وسواء في الشرق أو الغرب، في الشمال أو الجنوب، فإنّ الأسرة هي الخلية الأساسية في تكوين المجتمع. وتكون عادة تحت إشراف الوالد أو الأخ الأكبر وذلك فيما خص العلاقات اليومية مع المحيط الخارجي[1].

وكانت المرأة عنصرا فعالا في الأسرة الجزائرية على مر كلّ العصور. وقد قلّت الكتابات التاريخية حول دورها على العهد العثماني ماعدا ذلك المعروف بإنجاب الأطفال ورعايتهم، والقيام بالأعمال المنزلية. فبالإضافة إلى هذه المهام فقد شاركت المرأة الرجل في سير عجلة التنمية الاقتصادية، بحيث كانت تجيد عدة حرف يدوية، وتمون بها الأسواق الشرقية. ومثال ذلك، حياكة القفطان والخمارات والألبسة النسوية والطرز على الحرير والجلد، والتي كانت فاخرة بحيث كانت موجهة إلى أغنى عائلات البايلك. كما برعت في النسيج خاصة فيما تعلق بالزرابي[2].

بالإضافة إلى مشاركتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فلقد كانت لها مكانة خاصة سواء في الوسط العائلي، أو على مستوى السلطة والممثلة في شخص أحمد باي.

فأمّا الأولى، فقد كانت تشارك الرجل في اتخاذ بعض القرارات الحاسمة والتي كانت لها صلة مع مصير العائلة ككلّ، من بينها، الزواج أو الطلاق، أيضا البيع أو الشراء[3].

أمّا على مستوى السلطة فقد أعطى أحمد باي للمرأة حقها في الإرث هذا الأخير كانت لا تأخذه إلاّ كرها[4]، إذ أصبح من العرف عند بعض العائلات الجزائرية حرمان المرأة من حقها الشرعي الذي أقره لها الإسلام بناءا على نصوص من القرآن الكريم الدالة على ذلك، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى:

1- العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، ص: 45.

2-Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 191.

3- المرجع السابق، ص: 45.

4- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا"[1]. وأيضا قوله سبحانه وتعالى:"يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"[2]. وقد تأكد ذلك من خلال ما ورد في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى إبراهيم الخزناجي، والتي يعلمه فيها بأنّه قد أعاد للمرأتين العائدتين من حضرته كلّ ممتلكاتها التي سلبت منهما[3].

كما نالت المرأة على عهده كافة المساندة المعنوية فكان يتدخل شخصيا لرد حقوقها، مثال ذلك، دفاعه على تلك المرأة التي ضربها أحد اليولداش، مع أنّ الأمر كان يتعلق بأحد أفراد السلك العسكري[4]. أيضا يتأكد من خلال كلامه على تلك المرأة التي قتلها زوجها[5].

واتضحت أيضا تلك المكانة التي حظيت بها المرأة على عهده من خلال معاقبته لقبيلة بأكملها بسبب تورط بعض أفرادها بخطف امرأة. فالذي ورد في أحد التقارير المؤرخ في 19 من جمادى سنة 1242هـ/1826م، أنه قامت فرقة من أعراش بجاية تدعى بني يديل بخطف امرأة "محصنة ذات زوج". فكتب لهم أحمد باي المرة بعد المرة بإرجاعها إلى زوجها وعشيرتها، ولكنّهم رفضوا ولم يستجيبوا لأمره[6]. حينها شن عليهم حملة لتأديبهم وتحريرها[7]، فقتل منهم خمسة رجال وأخذ لهم مجموعة كبيرة من البقر والغنم، زجرا وردعا لغيرهم، وحتى لا تتكرر مثل هذه العمليات التي كانت تضر بالشرف والأمن في المنطقة[8].

1- سورة النساء، الآية رقم: 7.
2- سورة النساء، الآية رقم: 11.
3- الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.
4- الرسالة رقم:(24) في الترتيب العام للمجموعة.
5- الرسالة نفسها.
6- لقد كان أهالي ساحل بجاية لا يدفعون ما عليهم من مطالب مخزنية، وحتى الهدايا والعوائد لا تؤخذ منهم إلا قسرا. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 155. وقد عرفت القبائل المقيمة بمنطقة بجاية بأنّها من أكثر القبائل تمردا وعصيانا ولم يتمكن البايات من إخضاعهم إلا نادرا. ينظر:
M. L'Allè Suchet Tours, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, P : 136.
7- في هذه المرة لم تكن سبب الحملة عدم دفع المطالب، وإنّما كانت من أجل رد اعتبار لعرض مهتوك ومحافظة على هيبة السلطة بين أوساط الرعية في المنطقة.
8- الرسالة رقم:(14) في الترتيب العام للمجموعة.

ولقد تكررت مثل هذه الأعمال المنافية للأخلاق والعرف في فترات سابقة من الحكم العثماني في الجزائر، إذ قامت قبيلة الحراكتة[1] على عهد إبراهيم باي كريتلي بخطف امرأة ذات زوج، فشن عليهم هذا الأخير حملة عسكرية كلفهم من خلالها هزيمة كبيرة[2].

كما كان لوالدة أحمد باي دورا كبيرا في حياته، فهي التي سهرت على راحته، وكانت لا تكلّ ولا تملّ من ذلك. وأنقذته من الموت وفرت به عندما قتل والده[3]. كما عملت على إحباط عملية الاغتيال التي كادت أن تؤدي بحياته[4]. وأيضا بفضل تدخلاتها المتكررة لدى كبار الشخصيات من أجل العفو عنه والسماح له بالإقامة في إحدى ضواحي مدينة الجزائر، تمكن له ذلك[5]. كما لعبت دورا فعالا في عملية تنصيبه، بحيث قدمت أموالا طائلة من أجل ذلك. فقد قيل عنها أنّها كانت تملك ثروة مالية معتبرة[6].

كما حظيت والدته باحترام الباشا حسين، وهذا ما تبين لنا من خلال ما ورد في إحدى الرسائل التي شكر من خلالها أحمد باي الباشا حسين لأنّه أكرم والدته وقدّم لها بعض الهدايا القيمة[7].

أمّا عن عنصر الزواج فلن نتحدث عن ذلك الزواج العادي الذي كان يحدث يوميا بين مختلف أفراد البايلك، ولكن ما سوف نحاول الخوض فيه هو ذلك الزواج السياسي الذي كان يتم بين بعض الحكام وبعض العائلات والقبائل القوية والغنية.

1- **الحراكتة**: قبيلة بربرية مستعربة أتم الاستعراب؛ كانت تقطن بمنطقة عين البيضا، وقد أصبحت القبيلة مقسمة إلى ثلاث مناطق ممتزجة، أم البواقي، مسكيانة وصدراتة. ولرجال هذه القبيلة صلابة وشدة مراس قل نظيره. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 224. وقد وصفهم صالح بن العنتري فقال:" هم أناس طبعهم غليظ ولم تكن لهم سياسة يدركون بها عاقبة الأمور ولا عندهم فطانة فيتخلصون بها من المحذور". ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 120.

2- Charles Féraud, R. A. 1872, P : 413.

3- Charles Féraud, Le monographie du palais de Constantine, P : 61.

4- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية، ص:84.

5- أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 116- 117.

6- علي أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال، ص:26.

7- الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

فلقد علم أحمد باي بأنّ هذا الزواج كان وسيلة فعالة لتأمين حكمه، لهذا اهتم بتأسيس علاقات قربى مع عائلات البلاد التي كانت لها نفوذ وقوة. فتصاهر مع كلّ من عائلة ابن غانة الغنية والمشهورة، وعائلة المقراني، بزواجه من عيشوش ابنة عبد السلام، أيضا مع قسم من قبيلتي فرجيوة وزوارة[1]، هادفا من وراء ذلك نيل تأييدهم. فكانت وسيلته في إقصاء العديد من العراقيل والصعاب التي كانت تعترض طريقه.

كما حظي الرجال الذين كانوا يتزوجون من العائلات الحاكمة بعدة امتيازات، واتضح ذلك من خلال ما فعله أحمد باي عندما زوّج حفيدته لأحد الأتراك الذي كان بمرتبة يولداش بسيط في الجيش، بعدها مباشرة نصبّه قائدا على العواسي[2]، وهذه الأخيرة كانت من بين أهم الوظائف في الجهاز الإداري.

أيضا شاركت المرأة القسنطينية في السياسة العامة، حقيقة لم تكن عضوا في الديوان ولا موظفة سامية في إطارات الدولة، ولكنّها كانت كثيرا ما تتدخل في إلغاء بعض القرارات أو إفشال بعض العمليات. فهذه زوجة أحمد باي عيشوش ووالدته الحاجة شريفة تتدخلان في أمر إصدار حكم الإعدام على الحاج عبد السلام، وقد تمكنتا من إلغاء الحكم والعفو عنه[3].

وكما شرّع الله عز وجل الزواج على عباده، أيضا شرّع لهم الطلاق في حالة ما إذا انعدم التفاهم والمودة بين الطرفين، مصداقا لقوله تعالى:"**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**"[4]. أيضا قوله -صلى الله عليه وسلم- :"**أبغض الحلال عند الله الطلاق**"[5]. وقوله أيضا -صلى الله عليه وسلم-:"**ما أحل الله شيئا أبغض**

1- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج:2، ص: 134.

2- الرسالة رقم : (4) في الترتيب العام للمجموعة.

3- Bouaziz Ben Gana, Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 372.

4- سورة البقرة، الآية رقم: 229.

5- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، ج:2، حقق نصوصه ورقم أبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، ص: 652.

إليه من الطلاق"[1].

ولم يكن هذا الأمر يحدث مع العائلات العادية فقط، بل حتى مع العائلات الحاكمة، بالرغم من أنّ هذا الأمر كان يمس بسمعتها ويعرضها للقيل على ألسن الرعية، إلا أنّ هذا لم يكن ليمنع حدوثه.

فهذا أحمد باي يبلغ حسين باشا في أحد التقارير الذي بعثه إليه في جمادى الثانية من سنة 1245هـ/1829م، أنّه تم تطليق حفيدته من قايد العواسي لأسباب لم يشأ الخوض فيها. كما توسط له عند حسين باشا، ليتكرم عليه برخصة لأداء مناسك الحج بعدما فشل في حياته الزوجية[2]. فهذه الرخص كانت تسلم من الباشا شخصيا، وفي حالة ما إذا توسطت شخصية مرموقة في هذا الأمر فإنّها تمنح بكلّ سهولة[3].

وخلاصة كلّ ما ذكر فإنّ المجتمع القسنطيني مجتمع مسلم ومالكي المذهب بالدرجة الأولى، فكلّ ما يخص معاملاته الاجتماعية والاقتصادية كانت مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف، وإن كانت لا تخل على بعض الحالات التي كانت تخرج عن هذه القاعدة بين الحين والآخر، فهذه سمة المجتمعات.

فالجانب الإيجابي في المجتمع القسنطيني هو كونه مجتمعا قبليا. فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تسير تسييرا جماعيا[4]. هذا الأمر مكنّها من الصمود أمام كلّ التأثيرات الجانبية التي كانت تحدث بين الحين والآخر. فلقد عمدت بعض القبائل إلى التحالف فيما بينها لتكون صفا يكون قوة عسكرية

---

[1] أبو داود سليمان السجستاني الأزدي، السنن، ج:2 ، دار الحديثين القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م، ص: 261.

[2] الرسالة رقم : (4) في الترتيب العام للمجموعة.

[3] Albert. De voulx, Notice et corporations religieuses d'Alger accompagné de documents authentiques et inédits, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912 , P :36.
فمن خلال نص رسالة أحمد باي، تبين صدق المعلومات التي جاء بها دوفلوكس، وقد عرض هذا الأخير رسالة من المفتي ابن يحي موجهة إلى الباشا حسين يستسمحه ويطلب منه أن يتفضل عليه بمنح رخصة لأحد الأشخاص من أجل أداء مناسك الحج. ينظر: Ibid, P P : 50-54.
وما يلاحظ على نص هذه الرسالة أنّ معظم ما ورد فيها مقدمة إطراء. وبهذا فإنّ هذه المهمة تضاف إلى مهام الداي التي لم تخض فيها المصادر التاريخية إلاّ نادرا. والبحث في هذا المجال يعتبر من الدراسات الجديدة التي يمكنها أن تلقي بعض الضوء على الحياة الثقافية والاجتماعية في الجزائر على العهد العثماني.

[4] العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 45.

واقتصادية ضاربة تقف في وجه كلّ من اعتدى على أيّ واحد من الأطراف المشاركة[1].

فقد يرى البعض في هذه التحالفات الجانب النقيض ممّا نراه، بمعنى أنّها عامل تفتت وتشتيت أكثر من أنّه عامل توحيد ولم الشمل. إلاّ أنّه إذا نظرنا إلى هذه النقطة من منظار آخر ومن زاوية مختلفة فنجد أنّها كانت عامل بقاء سياسي واقتصادي بالنسبة للقبائل الفقيرة أو الضعيفة، فبفضل هذا التحالف تمكنّت هذه القبائل من الحفاظ على وجودها.

كما عملت السلطة الحاكمة والممثلة في شخص أحمد باي في حالة عجز إحدى القبائل على الدفاع على ممتلكاتها من أيّة قبيلة أخرى بالتكفل بهذه المهمة، ومثال ذلك ما اتخذه من تدابير وإجراءات صارمة ضد الصحاري عندما تعدوا على أراضي وزرع سكان بسكرة[2].

أيضا تميز المجتمع القسنطيني بطابع الالتحام والوحدة، خاصة عندما تعلق الأمر بخطر خارجي يتربص بالبلاد. فهذه الرعية القاطنة في مدينة عنابة وضواحيها تلبي نداء أحمد باي بضرورة التحلي باليقظة والحيطة لمواجهة الحصار الفرنسي المفروض على السواحل الشرقية. كما تكفلت بعملية الدفاع على بلادها؛ إذ طلبت من أحمد باي أن يمدها بالسلاح اللازم من أجل صد أيّ خطر قد يفاجئهم[3].

وبالرغم من وجود بعض القبائل التي كانت ترفض دفع ما كان يفرض عليها من مطالب مخزنية، إلاّ أنّه كان هناك الكثير من الذين كانوا يدينون بالولاء للحكم العثماني على بايلك الشرق، ذلك أنّ وحدة الدين كانت تجمع الطرفين بالرغم من اختلاف المذاهب، فهذه الأخيرة لم تكن عائقا أمام قبول الشعب الجزائري للحكم العثماني. فبايلك الشرق على غرار المناطق الجزائرية الأخرى، كان فيه من القبائل

1- العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، ص: 46.

2- الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة رقم:(3) في الترتيب العام للمجموعة.

التي أقرت بسلطة أحمد باي ورضيت بأن تدفع ما كان يفرض عليها من مطالب مخزنية مؤمنة في ذلك بمبدأ الطاعة لولي الأمر[1].

أيضا تميز المجتمع القسنطيني بطابع التكافل الاجتماعي، إذ عمدت معظم القبائل إلى تحمل مسؤولية الإنفاق على العجزة، بحيث كانت تقدم لهم الإعانات المختلفة التي تساعدهم على العيش بكرامة لأنّ احتياجهم عار على القبيلة كلّها.

فعندما كانت تحدد المطالب المخزنية، كان القايد يجمع الأعيان وبالاتفاق معهم يتم توزيع جزء منها حسب الطاقة على الأسر المعوزة[2]. كما خصصت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي بيت مال كلّف على إدارته مسؤول كان يلقب بـ " وكيل بيت المال". وقد وضعت السلطة تحت تصرفه مبالغ مالية من أجل إعانة الفقراء والمساكين والشد بأزرهم[3]، أيضا خصصت رواتب للعاجزين وفاقدي البصر يتقاضونها من الخزينة العامة والتي تكفل لهم الحياة الكريمة[4].

أمّا الجانب السلبي من هذه العلاقات فحاولنا معالجته على مستوايين. أحدهما على مستوى الرعية، والآخر على مستوى السلطة، ذلك أنّ كلي الطرفين كانا متورطين في بعض الأعمال المنافية للدين والأخلاق. مع أنّ المادة المعروضة في هذا الجزء مختصرة جدا لأنّه تم عرضها بالتفصيل في أماكن أخرى من هذه الدراسة، وما عرضها من جديد، هو عبارة على محاولة لإظهار نوعية العلاقات السيئة التي سادت المجتمع القسنطيني بكافة شرائحه على عهد أحمد باي.

أمّا على مستوى الرعية فتمثل في انتشار بعض الظواهر والآفات الاجتماعية التي مسّت المجتمع القسنطيني سواء كانوا قبائل أم أشخاصا. ومن بين هذه الآفات نذكر القتل وسرقة أموال البايلك.

كما ظهرت هناك أيضا عملية التعدي على ممتلكات الغير، ونهب لخيراتهم

1- حول هذا الأمر يراجع الفصل الثاني، المبحث الأول.
2- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 46.
4- صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 23.
3- رسالة بجانب الرسالة رقم: (8) لا تحمل تاريخا أو رقما.

وقطع الطرقات من طرف بعض القبائل، وكثيرا ما استعمل أحمد باي التدخل العسكري كوسيلة من أجل القضاء على هذه الآفات. بالإضافة إلى كلّ هذا، عملية خطف النساء، هذه الأخيرة لم تكن تنفذ بصورة فردية ولكن كانت أخطر من ذلك، بحيث كانت تتم بصفة جماعية. وكأنّها عملية تصفية حسابات، أو محاولة انتقام من قبيلة ضد قبيلة أخرى.

أمّا على مستوى السلطة فتمثل في وجود بعض الجنود الذين استغلوا مكانتهم من أجل التعدي على القانون، فمنهم من ارتكب عمليات القتل، والتعدي بالضرب، والغش وأخذ فوائد ربوية. ولكن هذا لم يكن ليمنع أحمد باي من اتخاذ الإجراءات اللازمة في حدود مسؤولياته.

ولا يستثني من هؤلاء، شخص أحمد باي في حد ذاته، فالطرق التي كان يستعملها من أجل فرض حكمه وسيادة السلطة على الجميع، لم تكن نظيفة وكانت في بعض الأحيان تخلو من الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية، بالرغم من أنّ معظم المراجع التي تناولت سيرته وصفته بأنّه من بين الحكام الذين التزموا بمبادئ الدين الحنيف[1].

إلا أنّ سياسة فرّق تسد، وتفضيل وتخصيص عائلة دون الأخرى بامتيازات، لا لشيء سوى من أجل أغراض وحسابات شخصية. كما أنّ تلك الحملات العسكرية التي كان يشنها على القبائل التي كان يصفها بالتمرد والعصيان قد وضعت من ورائها عدة علامات استفهام حول نوعية العلاقات التي اتخذها أحمد باي معها حتى وصل بها الأمر إلى حد رفع لواء التمرد والعصيان على السلطة مع أنّها في الأخير كانت هي الخاسرة في كلّ الأحوال. كلّ هذا لم يكن يبث للمبادئ الإسلامية بصلة، ولكن كانت حججه في ذلك كلّه، أنّها قواعد اللعبة السياسية ومطالب الحكم والكرسي، فلا يمكن للحاكم أن لا يتورط في مثل هذه الأمور وهو يحكم كلّ البلاد أو جزءا منها.

1- من بينهم نذكر: صالح فركوس، الحاج احمد باي قسنطينة، ص: 47.

3-مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات:

تميز المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص بخصائص ميزته عن باقي الشعوب العربية الأخرى. فلقد اتبع المجتمع القسنطيني بعض المظاهر التي أصبحت على مر الأجيال عرفا وتقليدا يتداول عليه السكان، وقد اختلفت هذه الأخيرة باختلاف المناسبات، فمنها ما كانت دينية، واجتماعية، وأخرى سياسية واقتصادية.

وقد اختص الله عز وجلّ المسلمين دون سائر الأمم بعيدين يحرم فيهما الصيام أو الأحزان، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، يتكرر الاحتفال بهما سنويا، وقد استن لنا خاتم المرسلين سيدنا محمد عليه أزكى الصلوات والتسليم طريقة الاحتفال بهما. ومع المحافظة على السنن التي ألزمنا بها الرسول الشريف -صلى الله عيه وسلم-، زاد عليها المسلمون بعض العادات والأمور.

فالجزائر على غرار الدول الإسلامية وهي تحت راية الدولة العثمانية كانت تحتفل بهذه الأعياد سنويا بطرقها التي توارثتها عبر الأجيال. كما كان هذا الاحتفال لا يختلف من منطقة إلى أخرى[1].

فأمّا عيد الفطر والذي كان يسمى بـ "سكر بيرام"[2] "Seker Bayram"[3]. فكان بمجرد إحصاء الهلال ليلة الشك، وبقرار من مفتي الجزائر يعلن على يوم العيد. فتبدأ التحضيرات على مستوى السلطة والرعية[4].

فعند إشراق شمس ذلك اليوم تطلق نيران البنادق، وتعزف الفرقة العسكرية الموسيقى الحربية. وعند الانتهاء من صلاة العيد تفتح أبواب قصر الباشا على مصرعيها للعامة والخاصة، فيحتفل بالعيد داخل القصر بالمآدب والموسيقى ومباريات المصارعة وإطلاق المفرقعات. وهذه صور للاحتفالات كانت تدوم ثلاث

---

[1]-حول موضوع الاحتفال بالأعياد الدينية ينظر كلّ الرسالة رقم:(5-18) في الترتيب العام للمجموعة

[2]-**بيرام:** كلمة تركية تعني العيد. ينظر: L.Pechot, L'Afrique du nord, P : 138.

[3]-وسمي بعيد السكر لأنه كانت تقدم فيه القطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة بالسكر. ينظر: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 100.

[4]-[illegible] عشية الاحتلال، ص: 76.

أيام على التوالي.

ففي اليوم الأول يرفع العلم على القصر وعلى مختلف القلاع الموجودة في المدينة، وتطلق المدافع نيرانها التي كانت تسدد قذائفها نحو البحر. وبعد مباريات المصارعة يأتي كبار الموظفين وأعيان المدينة إلى قصر الباشا حسين لتقبيل يديه وتقديم التهاني، كما كان يحضر مراسيم الاحتفال قناصل الدول الأجنبية الموجودة في الجزائر وأمين الطائفة اليهودية، وعقب هذه المراسيم يدعى كبراء القوم لتناول الغذاء مع الباشا. ويتم الاحتفال بهذه الطريقة على مر الأيام الثلاثة إلا أنه لا يتم حضور القناصل[1].

أمّا عيد الأضحى والذي كان يلقب بـ" قربات بيرامي" "Kurbar Bayrami" أو " بيوك بيرامي" "Kujuk Bayrami"[2] فكان يحتفل به بالطريقة التالية: فبعد صلاة العيد يخرج الداي من المسجد متجها نحو القصر وهناك يقوم بذبح أضحية العيد وبعد الانتهاء من هذه العملية يرفع العلم على سطح القصر وتطلق المدافع طلقات معلنة للرعية بأنّ الباشا حسين قد فرغ من عملية الذبح، وأنّه يمكن لهم أن يذبحوا أضحياتهم[3] إقتداء بسنة الرسول محمد الأمين عليه صلوات ربي وسلامه.

وكان يتم الاحتفال بالمثل على مستوى كلّ بايلك من بياليك الجزائر. فبايلك الشرق على غرار المناطق الأخرى كان يتم التحضير لهذه الأعياد. فكان أحمد باي يبعث برسالة للباشا يقدم له من خلالها تهانيه وتمنياته الخالصة بمناسبة حلول العيد المبارك كما يدعو له فيها بالخير والصحة ودوام العافية ومثالا على ما كان يحرره أحمد باي لمثل هذه المناسبة نذكر ما ورد في إحدى رسائله المؤرخة في 26 ذي القعدة سنة 1241هـ/1826م:" ....جعل الله تعالى عيدكم عيدا سعيدا مباركا مبرورا ميمونا حميدا وهكذا كل عام بحول الله وقوته وأنتم سالمون طيبون فرحون

1- كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982، ص: 32.

2- **قربات بيرامي أو بيوك بيرامي**: ومعناه الحرفي: عيد المسلم الكبير للتضحية. ينظر: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 100.

3-Boyer, L'évolution de l'Algérie médiane, PP : 255-256.

مسرورون ونسأله من فضله وكرمه ومنه أن يمد لنا في حياتك ويبقي لنا وجودك ويبارك لنا في عمرك ويخلد ملكك وسلطانك وأن يمهد بدولتك البلاد ويصلح بسلطنتك الوطن والعباد إنه انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والسلام"[1].

ومن العادات التي حافظ عليها البايات وداوموا على العمل بها ارتداء "القفطان" في مثل هذا اليوم السعيد. وما يؤكد هذه المعلومات ما صرح به أحمد باي في إحدى رسائله قائلا:" ...ثم المطلوب من سيادتكم والمرغوب من كريم فظلكم أن تمن علينا بتوجيه القفطان السعيد المبارك الحميد لنلبسه إن شاء الله تعالى في هذا العيد الأكبر والموسم العظيم الأشهر على حسب العادة المعلومة والطريقة السالفة المباركة المعمومة..."[2].

وكان هذا القفطان لا يحتفظ به الباي وإنّما بعد انتهاء أيام الاحتفال بأحد العيدين يعيده إلى الباشا في الجزائر مرفقا بمبلغ مالي؛ وعند حلول موسم الأعياد يعيد طلبه من الباشا. وهذا ما تأكد من خلال ما جاء على لسان أحمد باي في إحدى رسائله:" ....وجهنا القفطان السعيد مع عوائده المعلومة قيمة ألف سلطاني نسئل من الله تعالى أن يجعل وروده عليكم ورود خير وعافية وسلامة وكرامة بجاه من ظللته الغمامة صلى الله عليه وعلى أله..."[3].

وخير وصف وجدناه لطريقة الاحتفال بأيام عيد الفطر على عهد أحمد باي ما وصفه أحد المعاصرين لحكمه " فندلين شلوصر". إذ ذكر هذا الأخير بأنّه مباشرة بعد رؤية هلال، يعلن على العيد وينظم أحمد باي ليلتها حفلة عشاء، تعزف خلالها الموسيقى.

وفي اليوم الأول من العيد[4] وبعد أداء الصلاة تتقدم كلّ العامة وأعيان المدينة وكبار الموظفين بالتهاني للباي وبعد حوالي التاسعة صباحا يركب أحمد باي جواده،

1- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.
2- الرسالة نفسها.
3- الرسالة نفسها.
4- ورد ذكره في الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

ويترك المدينة برفقة مماليكه يصحبه أعيان المدينة والفلاحون وكذا دقات الطبول التي كانت تتعالى[1]، فقد خصصت لمثل هذه المناسبات فرقة تقوم بهذه المهمة، تتبعه أجود خيوله مزينة بسجادات جميلة [2]، وأيضا بغاله التي كانت تغطي ظهورها السروج والأغطية المطرزة[3].

ويحيط بموكبه عدد كبير من الأهالي، شيوخا وشبابا، راكبين وراجلين، فتطلق سبع طلقات نارية تحية للباي عند دخوله المدينة وخروجها منها. فيجلس أحمد باي خارج المدينة في المكان الذي أعد له وكان يدعى بـ "الرحبة" فوق مخدة، ويبدأ سباق الخيل، بعد ذلك يوزع الهدايا على خدامه وحراسه، ويقدم الجوائز لأحسن الفرسان. كما عادة ما كان يصدر عفوه عن الأسرى الذين شفع فيهم. أمّا الأطفال فقد كانت تقام لهم الأراجيح والخيام، أين كانوا يتناولون فيها عصير الليمون أو البرتقال مجانا وتدوم هذه الاحتفالات لمدة ثلاث أيام متتالية[4].

أمّا العيد الأضحى[5] فكان يحتفل به بالطريقة نفسها سوى أنّه كان على أحمد باي أن يذبح صبيحة يوم العيد[6] بعد تأدية الصلاة مباشرة أضحية يقدمها قربانا لله تعالى إقتداء بسنة سيدنا إبراهيم ومن بعده محمد عليهما صلوات ربي وسلامه. وكان يتبعه مباشرة بعد ذلك أرباب العائلات، كلّ في حدود إمكانياته، وكان يؤكل كلّ اللحم في مدة ثلاث أيام، بعد أن ينال المحتاجون حظهم منه[7].

ومن بين المناسبات الاجتماعية التي كان يحتفل بها الجزائريون عامة والحكام خاصة أيضا، ازدياد مولود للسلطان العثماني. فقد كانت ترد على الباشا حسين رسائل تبعث له من طرف الباب العالي في اسطنبول، معلنا له فيها بازدياد مولود

1- فندلين شلوصر ، قسنطينة، أيام أحمد باي ، ص: 86.

2- لقد كان أحمد باي يملك حوالي 150 من أجود الخيول. ينظر:
Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 257.

3- المصدر السابق، ص: 86.

4- المصدر نفسه، ص: 86.

5- ورد ذكره في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

6- كاتكارت، مذكرات أسير الداي، ص: 32.

7- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص: 87.

جديد، وذلك حتى تحضر المراسيم اللازمة للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة على مستوى كلّ المناطق الجزائرية.

فمن بين السنوات التي احتفل فيها بمثل هذه المناسبات، والتي عاصرت حكم أحمد باي نذكر، ما تم بتاريخ 23 شوال من سنة 1242هـ/1826م، فلقد حضرت الاحتفالات بمناسبة ازدياد ابن لدى السلطان، فأقيم "مهرجان كبير في باب الجهاد، ومن الغد أحضر حسين باشا العلماء ونقيب الأشراف وكافة أهل الديوان وأعيان البلد ولبس الخلعة السلطانية وضربت النوبة وأطلقت المدافع صباحا ومساء من جميع الحصون لمدة سبعة أيام كاملة"[1].

كما أرسل الباشا حسين إلى كامل عماله في البيالك، ومنهم أحمد باي بالبشارة، وليحتفل به على حسب العادة والعرف السائدين في تلك الحقبة التاريخية، فنشر أحمد باي بدوره الخبر على مستوى كلّ البايلك الخاص منهم والعام، ومثالا على ما كان يحرره البايات في مثل هذه المناسبات ما ورد في إحدى رسائله:"....وكتبنا لاهل ملوك قسنطينة بالبشارة المذكورة وفرقنا مكاتبك السعيدة في الحين ومضى كل مكتوب لاهله والنوبة المذكورة فيه ولله الحمد على ذلك وله مزيد الشكر..."[2].

وكان يقام احتفال عظيم لهذه المناسبة السعيدة، التي كان يسعد بها العام والخاص على قول أحمد باي وأحسن وصف لمثل هذا الاحتفال ما ذكره أحمد باي في إحدى رسائله:" ...حصل لنا فرح وسرور وانشراح وحبور فلعبت الخيل في ميدان السباق ورمينا البارود وضربنا الطبول وكان ذلك اليوم عندنا يوم عيد او موسم جديد استبشره الناس وفرح اولادك العسكر..."[3].

هذا فيما يخص الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، أمّا المناسبات الاقتصادية فأهم مناسبة كان يحتفل بها، هي موسم الدنوش، الذي اعتبر قدومه مشهدا محببا

1- الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 158.

2- الرسالة رقم:(21) في الترتيب العام للمجموعة.

3- الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

لقلوب السكان في الجزائر، خاصة عندما يقوده الباي بنفسه. فمن بين السنوات التي شهدت دخول أحمد باي مدينة الجزائر حاملا هذا الدنوش إلى حسين باشا كان بتاريخ أوائل ذي القعدة سنة 1242هـ/1827م[1]. فزينت لذلك الشوارع بالأعلام التي كانت تحمل كلّ الألوان الجميلة، منها الأصفر والوردي والأخضر والبرتقالي[2].

ومن أحسن الأوصاف ذلك الذي قدمه المزاري حين كتب يقول:" في يوم دخوله يقع المهرجان العظيم بالجزائر تخرج فيه أكثر الناس من البلاد لملاقاته والتفرج في ذلك المهرجان" فلمّا يصل الباي إلى مدينة الجزائر ولم يبق بينه وبينها سوى مسافة سير أربع ساعات ينزل في مكان خصص له يدعى "حوش الباي"، بعدها يتم مسيرته إلى مدينة الجزائر فيصل إليها قبيل الفجر إلى مكان كان يدعى "الربط" فيستريح فيه إلى طلوع النهار وفتح أبواب المدينة، فيخرج له "أرباب الدولة من الخزناجيات والأغوات وخوجة الخيل والديوان وغيرهم للقائه ومعهم نوبة الباشا تضرب عليهم، فإذا وصلوا لقربه ركب الباي ومن معه[*] تحت الألوية والرايات وتضرب نوبته ويتجه نحوهم ولمّا يقترب منهم تسكت نوبته وتبقى نوبة الباشا تضرب، ثم ينزل الباي ومن معه من على خيولهم ويمشي خطوات ثم ينزل الخزناجي ومن معه ويسلم كل فريق على صاحبه ويجلسون في محل مرتفع فتتسابق الخيل في جريها أمامهم عليها فرسانها، ويضرب البارود، ويسمى هذا بالملعب واللعب، ثم يركبون جميعا ويقصدون الباشا. ومن حين الركوب يشتغل الباي بتفرقة الدراهم ورميها على رؤوس الناس الواقفين يمينا وشمالا إلى أن يصل لمقر الباشا"[3].

وقد قيل بأنّ دنوش بايلك الشرق كان من أغنى الدنوشات مقارنة مع غيره

1- الرسالة رقم:(16) في الترتيب العام للمجموعة.

2-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 181.

*- من بين الشخصيات التي رافقت أحمد باي في رحلته الدنوشية أحمد بن محمد وبن عبد الله الذي تم التعريف به سابقا. ينظر: Charles Féraud, R. C. 1871-1872, P : 303.

3- المزاري، طلوع سعد السعود، ج:2، ص: 273.

"حتى أنّ أهل مدينة الجزائر كانوا ينتظرونه بشوق، لأنّه كان بالنسبة إليهم مناسبة اجتماعية واقتصادية كبيرة"[1].

أيضا من بين المناسبات الاقتصادية التي كان يحتفل بها تلك التي كانت تتم عند انعقاد الأسواق الجهوية التي كان يؤمها الناس من كلّ مكان، وكانت تشهد بذلك ظاهرة اجتماعية وثقافية معا، فأمّا الأولى فتمثلت في اللقاء الذي كان يتم على المستوى الفردي أو القبلي فتتم عملية التعارف وتكوين الروابط الجديدة. كما كانت الأسواق الأسبوعية بالإضافة إلى دورها الاقتصادي، محلا لنشر الأخبار، وما كان يقع على مستوى كلّ البايلك من أحداث لم تكن لتصل إليهم دون عملية الالتقاء التي كانت تتم في هذه الأسواق.

أمّا الظاهرة الثقافية التي يمكن استخرجها من خلال عملية تجمع السكان في الأسواق، هي ما كان يتمتع به السكان ويستفيدونه من خلال الأقاصيص الدينية والتجارية التي كانت تقص عليهم من طرف المداحين الذين كانوا يأتون من مختلف أنحاء البلاد[2].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 167.
2- العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 65.



خاتمة

خاتمة

من خلال ما ورد في نصوص هذه الرسائل اتضحت الخطوط العامة لأحوال المجتمع القسنطيني الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر. كما رسمت صورة ونموذجا حيا على علاقة الحاكم بالرعية على العهد العثماني مع كلّ ما حملته هذه العلاقات من تناقضات.

فعلى الصعيد الإداري كشفت هذه المراسلات أنّ الجهاز الإداري في بايلك الشرق على عهد أحمد باي كان بسيطا في تنظيماته، متطورا في صلاحياته، فلقد تجاوب مع الحاجات والمتطلبات التي فرضتها الأوضاع الاجتماعية واقتضتها النشاطات الاقتصادية، وهذا ما جعل من هذا الجهاز يكتسي مرونة ساعدت بدورها على تدعيم الحكم العثماني بالبايلك حتى بعد سقوط مدينة الجزائر مركز السلطة في البلاد.

كما أظهرت هذه الرسائل أيضا كيفية مزاولة الباي للعمل القضائي، مع أنّ ما لوحظ من خلال ما عرض من مسائل قضائية سواء مست الطرف المدني أو العسكري أنّ الفصل النهائي فيها يعود إلى الباشا حسين. وهذا ما لم تتطرق له المصادر والمراجع إلاّ نادرا، أو بصورة مختصرة جدا.

وقد قيل الكثير حول الوسائل التي استعملها معظم البايات في توطيد سلطة الحكم على القبائل، بحكم الصبغة الخاصة التي تميز بها المجتمع الجزائري عامة. فعلاقة أحمد باي بالرعية تميزت بالنقيضين، العنف والقسوة أحيانا، والليونة والسخاء في أحيان أخرى؛ أمّا الأولى فكانت مع القبائل المتمردة، في حين خصت الثانية القبائل الموالية، خاصة قبائل المخزن.

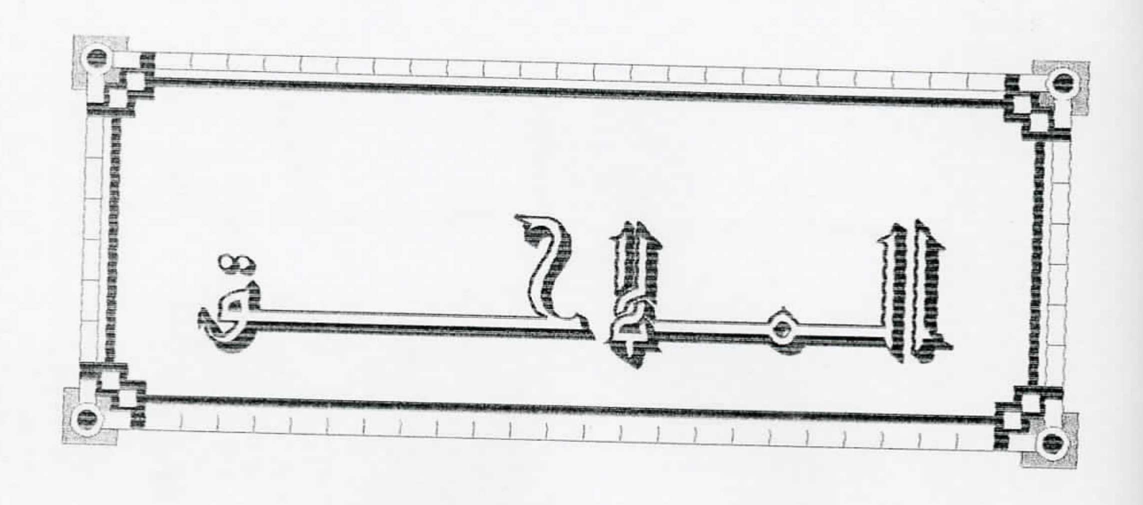
كما تم التوصل من خلال هذه التقارير إلى معرفة أهم الأسباب التي أدّت إلى تأزم العلاقات بين الحكومة الجزائرية والفرنسية، وآثار هذه الأزمة على بايلك الشرق. فمن أهم هذه الدوافع عملية تسليح الباستيون.

كما وفرت الرسائل معلومات مهمة ومفصلة حول الطريقة التي واجهت بها السلطات العثمانية على مستوى البايلك والممثلة في شخص أحمد باي أمر الحصار المفروض على سواحلها بتجنيد كافة الطاقات المدنية والعسكرية من أجل رد أيّ عدوان فرنسي.

أمّا فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية فقد اتسمت على عهد أحمد باي بنوع من الاستقرار مقارنة بالعهود السابقة. وأهم ما يلاحظ من خلال المعطيات التي وفرتها البعض من التقارير هو موقف السلطات التونسية السلبي من الأزمة الفرنسية الجزائرية، وكيف أنّها شاركت بطريقة غير مباشرة في احتلال البلاد.

وبحكم الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية، فإنّ ذلك أثر سلبا على اقتصاد البلاد، خاصة التجارة الخارجية، ومع هذا فقد بقيت عجلة الاقتصاد تشتغل إذ من خلال ما تم عرضه بهذا الصدد تبين أنّ مجريات الأحداث الاقتصادية على مستوى بايلك الشرق لم تكن بالخطيرة كما وصفتها بعض المصادر والمراجع (خاصة الفرنسية منها).

أمّا فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، فلم تقدم هذه الرسائل معلومات جديدة مقارنة مع القطاعات الأخرى، إلاّ أنّه كانت هناك محاولة لعرض هذا الجانب مع الاعتراف بأنّه لم يتم التطرق إلى كلّ ميادينه باعتبار أنّ الرسائل نفسها لم تتناولها. ومن أهم ما تم استنتاجه من خلال ما ورد في بعض هذه الرسائل هو مكانة المرأة الجزائرية خاصة على مستوى السلطة الممثلة في شخص أحمد باي ، وكذا طريقة الاحتفال بالأعياد الدينية والمراسيم الرسمية التي كانت تقوم بها السلطات العثمانية على مستوى البايلك في مثل هذه الأيام .


الملاحق

المراسلات

وسلم

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

أدام الله بعزة مقامكم واسعد [illegible] دولة أيامكم ووالى [illegible] أعلامكم المعظم
الأشعر الهمام الأمجد الأوحد الأغر الأفضل الأفخر الأكبر الأحمى الحلاحل الأسمى
ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الذي كملت ذاته مقاله وكانت أيامه ولياليه أعياد
[illegible] السلام الأتم الشامل الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته [illegible]
حلت [illegible] [illegible] إنا نحمد الله إلينا الخير والعافية ونحمد الله [illegible]
[illegible] من المولى [illegible] رب العرش العظيم [illegible] سيدنا [illegible]
[illegible] سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى [illegible]
[illegible] إن شاء الله [illegible]
[illegible] الربيع المعلوم [illegible] إن شاء الله
[illegible] العقوبة [illegible] السلامة [illegible]
[illegible] الزكية [illegible] والله [illegible]
[illegible] [illegible] سبحانه [illegible]
[illegible] ودوام [illegible]
[illegible] والله على ذلك [illegible]
والله [illegible] والسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] والله [illegible]
والسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ١٢٨٣

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

حضرة المعظم الارفع الهمام الانفع الافخر الشهم
الاسنى الافضل الاكمل الاجمل الجليل الاحظى الارضى الازكى الاكرم الانجد الامجد الاشهر
الارشد مولانا وسيدنا عمر باشا الاجل الاعلى اعزه الله وايده وحفظه ونصره آمين آمين
السلام التام الشامل العام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته والمزيد بعد حمد الله
جل جلاله وعم فضله ونواله سوى الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي نطلب من المولى الكريم
رب العرش العظيم دوامها ونماها علينا وعليكم [illegible]
سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية [illegible]
وانعم لنا وجودك [illegible] ان شاء الله [illegible]
عثمان خوجه [illegible] يوم [illegible] الخامس والعشرين [illegible]
[illegible] على العادة [illegible]
على حسب العادة [illegible] المباركة المعتادة جعلها الله عادة مستمرة الدوام مع بقاء وجودك
ودوام سلطانك [illegible] جعل الله [illegible] عليكم [illegible]
[illegible]
المحروسة الجزاير يوم السابع من رجب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سبحانه وتعالى ان يبقي لنا وجودك [illegible]
[illegible]
[illegible] آمين آمين
والسلام [illegible]

وذلك [illegible] رجب [illegible]

[illegible]

الحمد لله   حزبه   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

الى حضرة المعظم الاسعد الامجد الاكرم الانجد الاحظى الارضى الافضل الاكمل
الاوحد الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله وايده ونصره بمنه امين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد حمد الله الا الخير والعافية وتقبيل
يديك الكريمة فنسأل الله تعالى ان يبارك لنا في عمرك ويديم ستره الجميل عليك امين وبعد سيدي اعزك الله
فالذي يجب اعلامك به ان محمود الخليفة هرب من قسنطينة ليلة الاربعاء الخامس من رمضان من غير علم لنا
بعد ذلك سيدي انه خبرتك قبل هذا باموره كلها وانه لا زال على ذلك شهر شعبان ثم صار ياتي في رمضان
والحجة الخبر ظاهرة عليه شيء منه من حضر ترك ومنا [illegible] اليوم الاول والثاني وفي الثالث دعوته وقلت له
الا تخاف الله وتفعل هذا في شهر الدين فكيف نزجر الناس عنه والحكام يشربون في رمضان فقال لا نخاف الله
فقلت له انت مسلم تفعل هذا فجال البعض يسلم على لسانه والعياذ بالله فرجع بعد هذا والله انه منذ جاء من عندكم
وهو في غاية الخلاف والاعوجاج والفساد وعدم امتثال الامر فامرته بخلاف الدين فنام من عندي وذهب للزاوية وهي
شاع امره في البلاد وتشاهد به بين سائر العباد وتعجبوا من جرأته على الله وشربه ظاهرا في رمضان وانفضح
بين الناس وعلى رؤوس الاشهاد خرج بين المغرب والعشاء ولم ندر اين ذهب وان العلماء كلهم عالمون بامره
وكتبوا ما سمعوا من بعض شاهدين شانه واثم [illegible] ولولا التهمة بالكذب لشهد عليه خلق كثير وجم غفير وانا عبدك
وخديمك كل ما يقع نخبرك عليه ولاكن نقسم بالله العظيم وحياة راسك ما خبرتك الا بالواقع بل حرفناه
ولا نقدر ان نخبرك الا بالصدق ولا نخفي عليك شيء ولم يلحقه منا شيء من سوء الذي لحقناه ما نعلم بكل امره
والله وكيله يا سيدي وانا عبدك وخديمك خبرتك بالواقع ونحن عبيدك وتحت سعدك وطاعتك ونسأل الله
العظيم ان يحفظك وينصرك ويخلد ملكك وينصرك الله نصرا عزيزا والسلام من الفقير لربه سبحانه

عبده محمد باي وفقه الله [illegible] رمضان

[illegible]

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

المقـــام الذي مناقبه عالية ومكارمه الواضحة متوالية وآراؤه صالحة زاكية الأفضل الأشهر

الهمـــام المعظم الأرفع السامي والبدر الذي لا انكار منه التمام الأكمل الأرشد ... سميرا زمانه

ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الذي اعلى اعلاه الله تعالى

وأصحاب المكرمات برهانه السـلام الكريم الطيب العميم عليكم ورحمة الله تعالى

وبركاته ورضوانه الشامل وغفرانه وكان ذلك بعد حمد الله جلت قدرته الا الخير والعافية

والاعتناء بالدعاء الصالح لسيادتكم في مواطن الاجابة واوقات النجح والاجابـة

نسأل الله جل جلاله وتعزز عزه وكماله ان يجعل مقامكم مستقبلا مسرورا وعيدكم

مباركا سعيدا وعافية وسرورا ... في كل عام وانتم كثيرون سالمون

مستبشرون والعز يحيط بجانبكم والنصر ملازم لجنابكم والعافية والسلامة لكم ذلك

آمين يا رب العالمين ثم المعروض على سيادتكم العلية ان وكيلكم الحاج عمار وجه مكتوبا

لسيادتكم العلية ومكتوبا لاخينا ابنكم المعظم السيد ابراهيم ... مكاتب بالوصول ...

واكد علينا في ايصال بعض الكتاب بالبر والبحر لحضرتكم العلية ونحن ... سيدنا

ابقاك الله وجهنا المكاتيب الى حضرتكم وزودنا عليكم وزود خير وعافية ...

... سيدنا وقد بلغنا جواب التسفير ومعه مكاتب اهل النوبة وقد بعثنا لكم مكتوب

لموصله اليه على حسب العادة والله تعالى يؤيدكم ويحفظكم ويديم عزكم ويجعله لعيش

والسـلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادم دولتكم ومقبل الكف بيديكم ...

الحاج احمد ... رحمه الله عنه وامنه ... وذلك اواخر ٢٧ رمضان ١٢٤٠ سنة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الأرضى الأحظى الأنجد

أسعد [illegible] الله تعالى مضطلع المعظم الأرفع الأحظى الأنور الأسنى ونصره آمين

الأمجد الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه

السلام الأتم الشامل الأعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته

وبعد فإنا نحمد الله تعالى جل جلاله ونعترف بعزه وكماله الأحد الحي والعافية ونعم الله

الضافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم

العلية بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية

وبعد فسيدنا أمدك الله بالنصر وأيدك بالفتح والظفر وحرسك بعزه الكافي ووفاك

ملحمة الخير الواقي أنه بلغنا جوابك السعيد وخطابك الأكرم الحميد وحمدنا الله وشكرناه

على عافيتك وسلامتك دائما وعلمنا كل ما ذكرت لنا فيه وكتبنا في العمود الذي كان بين

وأمرناه أن يفعلوا ما أمرت به في كل مركب قرصان من نصيحتهم أن يبادروا بالرمي بالكور

ولا يفعلوا إلا ما فيه [illegible] يرمونها ولا يفعلونها والله ينصر دينه ويخذل عدوه وكذلك الخليفة

بعثنا له في الخير ومضى [illegible] حتى يبلغ الحرب من عنابة ويراقب أحوالها وأكدنا عليه

ووصيناه عليه أن يكون على أهبة لا يخفى عليه شيء عنها لا ليلا ولا نهارا وكذلك الخوجة

الوزير [illegible] بما جعلنا لهم الحبسة على قدر كفايتهم وأجريناهم من [illegible]

[illegible] وزيت [illegible] وأجريناهم وكل ما يحتاجون إليه وكتبنا الذي كان في [illegible]

أن يبعث [illegible] إن شاء الله وفي كل مكتوب الذي كان يجرد له الوجبة

على أمر الحراسة ليلا ونهارا [illegible] جواب إليها العافية والسلامة عنابة

وأخبرنا [illegible] والحمد لله [illegible] الذي كتب [illegible] إبراهيم وكيل باب الجهاد [illegible]

مع العامل [illegible] الحضرة العلية مكتوب [illegible] من عند الوكيل بتونس [illegible] في حفظ الله وأمانه ورعايته

وستره [illegible] والسلام من العبد [illegible] ومقبل

الدكة [illegible] في ٢٢ [illegible] سنة ١٢٤٦

الحمد لله وحده   حق حمده   صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الغـــــــــــــــــــــــــــلام الذي نطلب من الله ان يطيل حياته وان يعز به الاسلام واهله والسلام

ادام الله مقامه السامي الاحضى المعظم الاكمل الارضى الاسعد الامجد الممجد السلطان الارشد

والامير المرتضى الاجل الاسنى سيدنا احسين باشا الدولاتلي اعزه الله ونصره وابقاه ورعاه والى مراقي العز

السلام الكريم الطيب العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الشامل

وبعد فاننا نحمد الله على ما شاء من الخير والعافية التي نطلب من المولى الكريم

دوامها واستمرارها على سيادتكم العلية بكرته وعشيه وعلى ما انعم به علينا سيدنا الجمهور

عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد فقد سرنا ما الذي نعم وكم به عليكم الله من فضل العادي

والبسكم من العز والنصر والعافية والسلامة احسن الكارم ان وكيلكم بتونس الحاج محمد

وخبر لنا مكاتيب بلغتنا يوم وصلها خلافة مكاتيب السيادة تكم العلية فبلغكم بالمسار والعافية

مع هذا الكتاب وقد خبرنا الوكيل المذكور في مكتوبه الينا انه قدم لتونس والمعظم رايس

ومعه تسعة وعشرون بوليدا شر وخبرنا ان نرسل اليه البغال فقد ركبناهم ونحن نوجهها الى العود

ليقدموا الينا ان شاء الله ونوجههم لحضرتك السعيدة هذا ما سيرنا البك الله لنا وجودكم

انا نهنوكم بهذا العيد الاكبر والموسم العظيم الاسنى جعله الله مباركا عليكم بالحمد والسلام

والنصر والعافية والكرامة ونسئله سبحانه ان يجعلكم بخير وعافية كل سنة تمر عليكم والنعم

كثيرة امنون منصورون بعون من ينصر القلوب في مقامكم الاعظم وحبا بكم الامير الناجح الاكرم

ان تمن وتتفضل على عبدك وخادمك ومملوك احسانك بارسال السلطان السعيد المبارك الحبر

فلا فينا الكريم ان شاء الله بجسم يوم العيد على حسب العادة والله يبقيه المباركة المعتادة

والله ينصرك ويهلك اعداءك ويبقينا بطول حياتك ببقاء افضل انبيائه وسيد احبابه

صلى الله عليه وعلى آله والسلام من العبد الفقير الى سبحانه عبدكم ومحل الكريمة بركم الحاج احمد باي

وكتبه الله تنبيه اواخر ٢٢ من شهر ١٢٦٥

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع الأفخم الأكرم الأوحد الأمجد ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعوه الله تعالى وأيده وحفظه ونصره أمين السلام الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أمدك الله بالنصر والسلامة والهناء والعافية والكرامة والذي أعرفكم به هو خير ان شاء الله انه وردت علينا مكاتب من عند باي تونس وأمرنا وكيلكم بتونس الحاج عمار وذكر أن منها مكتوب من عند باي تونس وأمرنا الوكيل في مكتوبه أننا نوجهها لحضرتك العلية في الوقت ولا نؤخرها ونحن سيدي ساعة وصول المكاتب إلينا كتبنا لك هذا الكتاب ووجهناه إليكم وأما عدد المكاتب المذكورة الواصلة لسيادتكم من عند الوكيل خمسة مكاتب ونسئل الله تعالى أن يجعل ورودها عليكم ورود خير وعافية وأن ينصرك الله بنصره المكين ويهلك أعداء الدين ويبقي لنا وجودك محفوظا منصورا بجاه من كلمته الغزالة وختمت به الرسالة سيدنا محمد صلى الله علية وعلى أله وسلم تسليما والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله

وقت المغرب من يوم 21 الجمعة من دي القعدة سنة 1245

الحمد لله حق حمد وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

المقام الذي مآثره ومكارمه الواضحة متوالية وآراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الأكمل الأرشد الأفضل الأسعد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أبقاه الله رفيعا شأنه سعيدا زمانه واضحا في المكرمات برهانه السلام الكريم الطيب العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته ولا نزيد بعد حمد الله جلت قدرته إلا الخير والعافية والاعتناء بالدعاء الصالح لسيادتكم في مواطن الإجابة وأوقات الصبح والإجابة نسأل الله جل جلاله وتقدس عزه وكماله أن يجعل صومكم متقبلا مبرورا وعيدكم مبارك هناءا وعافية وسرورا وهكذا كل عام وأنتم طيبون سالمون فرحون مستبشرون والعز يحيط ببابك والنصر ملازم لجنابك والعافية والسلامة للمعظمة ذاتك أمين يا رب العالمين ثم المعروض عن سيادتكم العلية أن وكيلكم الحاج عمار وجه مكتوبا لسيادتكم العلية ومكتوبا لأخينا ابنكم المعظم السيد إبراهيم أغة مكاتب للرومي سردينيز وأكد علينا في إرسال هذه المكاتب بالجد والعزم لحضرتكم العلية ونحن سيدنا أيدك الله وجهنا مكاتب في الحين جعل الله ورودها عليكم ورود خير وعافية أمين أمين

هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه مكاتب أهل النوبات وقد بعثنا كل مكتوب لمن جاء إليه على حسب العادة والله تعالى يؤيدك ويحفظك وينصرك بمنه وفضله أمين والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادم دولتكم ومقبل الكريمين يدكم وقدمك الحاج أحمد باي وفقه الله بيمنه وأمده بعونه وذلك أواخر 27 رمضان سنة 1245

الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليم.

لمقام الذي مأثره عالية ومكارمه واضحة متوالية وأراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الموقر الأرشد الأمجد الأكمل الأوحد الأسعد ولي النعم سينا حسين باشا الدولاتلي أبقاه الله يلبس حلل العافية جددا ويتعرف عوارف السعادة يوما وغدا أما بعد سلام كريم طيب عميم تعبق نواسمه وتتفح بأرجائكم مباسمه وتزكو أوائله وخواتمه فان ابنكم وخديمكم ابننا مصطفى الخليفة قادم ووارد على حضرتكم العظيمة العلية الفخيمة يقصد زيارة سيادتكم وتقبيل يدك الكريمة وأصحبنا معه لوازم المعلومة المقررة المفهومة ونطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم أن يبقي لنا وجودك ويبارك لنا في عمرك وأن يمدك جنابك الرفيع بالنصر والعافية وأن يديم عليكم نعمه الوافية ويعاملكم بكل جميل وينيلكم من فضله الجزيل هذا سيدنا وأن المحلة المنصورة بالله تعالى واردة مع الخليفة في حفظ الله وأمانه ونسئل الله جل وعلا وردوهم عليكم ورود خير وعافية وهناء وستر دايم وسلامة أمين يا رب العالمين وهذا ما وجب به إعلام سيادتكم العليا وما دمت لنا بخير وعافية وصحة وسلامة فأنا كذلك عندنا كل خير وبلادك ووطنك في هناء وعافية قد من الله تعالى في هذه الخريف بالمطر النافع والخصب الشاسع والكلإ الواسع فأخصبت البلاد وأعشبت وسرت بذلك أهل الحاضرة والبواد والحمد لله تعالى وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه على عباده ودليل مبارك على سعادتك وبركتك ودعائك الصالح لنا ولسائر رعيتك فالله يبقيك سالما محفوظا مؤيدا منصورا بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى أله وسلم. من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه المفوض أموره إليه عبدكم وخادمكم ومملوك إحسانكم ومقبل الكريمتين الرفيعتين يدكم وقدمك الحاج أحمد باي وفقه الله وأمده بعافيته وعونه. وذلك أواخر 24 جمادى الأولى سنة 1245

لاحقة خير والواجب إعلام سيادتكم بكل ما يعرض لنا من مهمات وطنك وعمالتك وما يعرض لنا في أحوالنا خاصة فأنت سيدي المدبر علينا وذلك أن يولداش كنا زوجناه من حفيدتنا ولّيناه قايدا العواسي ولازالت سيرته معنا مرضية لم ننكر من أحواله شيئا سوى أنه سيدنا منذ تزوج بالبنت المذكورة أجلك وأعظم قدرك عن التصريح باعتراضه ولو كان الشرع العزيز أباح الكلام وشرحه للحكام وأنت الحاكم الأكبر والسلطان الأعظم الأشهر وهذه المدة تزيد على عامين كاملين لم يسمع منا كلاما وأظنه ثقل عليه ذلك واحتشم فطلب التسريح لحج بيت الله الحرام أظنه ليجد سترا في الفراق ونحن رفعنا أمرنا إليك وابنكم وخديمكم مصطفى الخليفة جاره في دار واحدة عالم بالقضية ونظرك أصلح ولا نمضي شيئا إلا بعد أمرك السعيد لنا

كذلك سيدنا أعزك الله إنني لما دخلت البلاد مريضا وبعد ايام حين قعدنا للحكم بلغني أن بوزيان وقريبه السمارى رجعوا إلى المرابط الذي كانوا عنده سابقا قبل قدومهم لحضرتك السعيدة ولم ندر ما سبب رجوعهم فكتبت لهم كتابا وجددت لهم أمانا وأعلمتهم أنهم جاءوا من المقام المعظم فلو كانوا قائلين أني عليهم أمان الله ورسوله وأمرتهم أن يخبروني بالسبب الذي ردهم للمرابط وأكدت الأمان لهم فلم يردوا جوابا ثم كتبت لهم كتابا ثانيا مؤكدا وقلت إن تأتوا اخبروني بالسبب فوحقك لم يردوا لي جوابا أصلا وأنا سيدي بالله الذي لا الاه إلا هو وراسك وحياتك وحق سعدك ونعمتك علينا من يوم قدموا من حضرتك السعيدة لم يروا مني ما يغيرهم أصلا وقد عرفتك بالواقع والله وكيل علينا إن كان فيما خبرتك زيادة ولا نقصان ولم أدر ما سبب رجوعهم إلى المرابط إلى الأن والله يبقي لنا وجودك أمين

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

حفظ الله تعالى ذات المعظمين المبجلين المكرمين الأجلاء أولاد سي أحمد بن حمزة الأغة وكافة الديوان المنصور بالله تعالى بعنابة أكرمهم الله ورعاهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وبعد فإن أهل عنابة شكوا كثيرا من الشاوش يأخذ من الذي عليه ريال دينارا ريالين وأكثر في باطله وهذه بلاد إسلام فلا يمكن تركه على ذلك فلا بد تعلمونه يكف نفسه وإلا فهو أبصر ويوجعه رأسه من هذا الظلم فيكف نفسه ولابد وأما الكوشة فإنا أمرنا المركانتي بإصلاحها فيطيبون الخبز في الكوش البلاد حتى يصلحها لكم لأن الفصل فصل شتاء وربما يطول البناء والله يصلح الأحوال والسلام. من المعظم السيد الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

الحمد لله إلى المقام المعظم الأكمل أخينا سيدي إبراهيم الخزناجي حفظه الله بمنه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد سيدي فالذي نعرفك به خيرا ان شاء الله أن قضية بوزيان بن العلي لما كان أغة الدايرة عندنا في العام الأول من حين انفصلت من عندكم وأنا تنظر في احواله فظهر لي منه فساد النية وخبث الطوية احتوى على جميع ما تحت يده من الرعية مطالب كثيرة لم يتصل بيدي منها إلا القليل وتحققت منه الخيانة وهتك الأمانة فربطته وألزمته بما عنده وجعلت عليه خطية فدفع لنا البعض وما ظل في الباقي ولما أرهقته بالطلب زعم أن الناس قعدوا عن معاملته وطلب منا تبديله إلى موضع آخر فاطلقته وجعلناه في علو الخليفة مطلوقا لا أوثاق عليه ولا حراسة وبقي هنالك إلى رمضان الماضي فجاءنا الخبر في وطن الحضنة أنه هرب هو وقريبه العربي واجتمعوا مع السمارى عند [كذا] فصار مقورة يكاتب فيهم ويستغويهم حتى جاءوا إليه فجمع إليهم بن زكري الذي عنده وواحد من خدام وصار بن يوسف الذي هو مع الحاج سعد في جرجرة قادما إليهم ذاهبا وجاعيا وأنظر رعاك الله أن هذا ليس من شان الهارب وان ابن زكري في جرجرة وخديمه يأتي إلى فرجيوة يشيع في الأخبار ويستجلب في الناس ثم أن أعظم الأمور وأشدها فساد هو وليد رابح كان عام أول حين غزونا أولاد يورتلي بعث لهم وسهل لهم الأمر وجوزهم إلى الجزاير وهو الذي دبر عليهم وكذلك صارت مكاتبه في الوطن قال لي سيدنا الأغة كذا وكذا من ورجلة ذلك أنه بعث مكتوبا لقايد ساحل البابور يستدعيه وأنت سيدي تعرف أن هذا قايد على يدي وكيف يأتيه من غير إذني ولا إذن سيدنا الأغة وأن هذا الرجل أفسد علينا كثيرا ولو كان مشتغلا بنفسه ولا يبعث مكاتب لأحد فلا علينا فيه وها هو مكتوبه لقايد الساحل يصل إليك ونحن شاورناك إن ظهر لك نخبر بذلك ولي نعمتنا فأخبرنا وإلا فكما يظهر لك وهذه المرة بلغنا أن مكاتبه مع مقورة بعث له أرسل بوزيان بن العلي ومن معه نجوزهم وبلغنا أنهم وصلوا إليه وجوزهم هكذا بلغنا وأنظر سيدي أي دخل له في هذه الأمور وأنتم وليتموني لإصلاح الوطن وتعينوني على من يفسد فيه وإن هذا وليدو رابح يزعم أنه في باب صحيح وقبل ظهوره هل وقع شيئ وأما إن كانت حاجة في الساحل فأنا نقضيها وأمر نوبة بجاية لو وصلت إلى ناحية زمورة لكان ارسالها أسهل علينا من كل شيئ تمشي في أمان الله والحاصل سيدي أنني كتبت لك حتى تضررت كثيرا وهذا وليدو رابح قد أفسد كثيرا ودخل في أمور الوطن وصارت أسرار سيدنا الأغة مفشية عنده وكتابه لا يخلو ذكر سيدنا الأغة وذكر أسراره ونحن عرفناك وشاورناك فالذي تشير به وتدبر به علينا يكون عملنا عليه وتأمل حفظك الله في أمر هؤلاء الهاربين لو كنت قاصدا في بوزيان شرا ما وجد سبيلا إلى الهروب وإنما هو

تمنع يريد يأكل ما بدمته وكذلك السماري وإلا فهل ربطناه أو لحقه شيئ وأن الناس يعلمون ويتحققون أنه أخو الشيطان مهما تكن فتنته في القوم إلا وهو السبب فيها دايما وحين جاءوا إلى الجزاير سابقا هو السبب وكذلك هؤلاء هو ومقورة ورأس الأمر وليدو رابح ونحن عرفناكم بالواقع ولو أطلنا الكلام لكان فيه ثقل ولا كن سيدي الأمور كلها تعرفها أحسن منا ولا يخفى عليك شيئ ووالله العظيم وراس سيدنا وراسك أنني ما خبرتك إلا بالواقع الثابت وما أخفيت تركت خوف الاطالة أكثر من هذا والسلام من الفقير لربه ولدكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

وأعلم سيدي أنني كنت سابقا حين اجتمعنا في الدنوش وأطلعتك على مكتوب بوزيان وعلى الجريدة التي أكل من مال المخزن وأشرت علي أن نبديها سيدنا وخشيت هلاكه والان وقد ظهر منه ما ظهر وأنت تعرف سيدي فإن من قبلنا كانوا عجزوا عن أداء اللزمة حتى ظن الناس أن ذلك لا يتم أبدا وأنا اليوم بهذا المال الذي نبعث هل وجدت كنزا نرفع منه وإنما هو كان في بطون الناس امتنعوا وتلذذوا وصار الذي يعطي العادة كأنه ظلم فيها وإنك عارف بالأمور إن حزمنا ونجاحنا إنما يكون بعدم الفساد في الوطن وإذا كان مثل هؤلاء لا ينكفون فيكون أمرهم في ازدياد ونحن في [كذا] فلا بد سيدي تدبر علينا برأيك المبارك وتفضل علينا برد الجواب الشافي كفاك الله ما أهلك في امر الدنيا والآخرة ثم نعرفك سيدي أن المرأتين اللتين قدمنا مع الوالدة فإنا أحسنا إليهما ورددنا لهما ملكهما وزدناهما إحسانا واستبشارا واستيناسا ولا نغفل عنهما ولا يروا منا إلا إحسانا وخيرا وكذلك سيدي [كذا] والله العظيم اني نبحث البحث الأكبر على ما يرضيك ولو وجدت الوصف الذي تريد ما تأخرت بها طرفة عين وخيرك علينا لا يعلمه إلا الله

وكذلك سيدي أن في علمك أن زرع أولاد منصور بن ماضي وغنمهم خرجت من راسي وحين نطلب أولاد الحاج يقولون حتى يعطي أولاد بورنان وأولاد بورنان حين نطلبهم يقولون حتى يعطي أولاد الحاج انحل الحكم علي ولا ندر ما نصنع هذا سيدي وأن بورنان وراسك وراس سيدنا أنه منذ هرب من رمضان وهو يخاطب في ناس الوطن والقوم ويريد يعمل الفتنة مثل قضية المنماني مع السماري وأنا عالم بذلك وننظر في أمره ولا كن وقت الحاجة لم يجي في يده إلا ولاد بن زكري وأصحابه وهذا كله فساد صاروا يتحدثون ويقولون نحن نفسدوا عليه حتى يفلس وانا سيدي عبد من عباد الله لا قوة لي إلا بالله وبحرمتكم فإن كانت حرمتكم تامة وأهل الفساد لا يرون خيرا فإن نقدر على أموركم وأما إذا فتح له باب فالنظر لكم والوطن وطنكم وصار الامر بيد أهل الفساد وأنتم تعرفون كل احد وما هو عليه من خير وشر وأنا ابنكم وخديمكم والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع المنصور بالله تعالى المؤيد بنوره سبحانه السلطان المعظم الملاذ الأفخم الأكرم ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعطاه الله من خير الدنيا والآخرة ما يحب ويشاء أمين أمين. السلام التام والرضوان المبارك العام على حضرتك الزكية وطلعتك المبجلة المرضية ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ما دام الفلك وحركاته وبعد أعزك الله وأبقاك وسلمك ونصرك وحفظك وأيدك ورعاك فالذي يتصل بشريف علمك هو خير ان شاء الله إن خديمكم سي الحفصي بن عون قدم إلينا يوم تاريخه وخبرنا بأنه لما وصل إلى الشيخ محمد بن مطير بمكتوبك الكريم فتلقاه بالقبول وأذعن بالسمع والطاعة لسيادتكم وجمع ناسه وذلك بعدما قدم إليهم [كذا] وركب بنفسه في جماعته مع سي الحفصي ومضوا إلى القالة فوجدوا النصارى رفعوا ما فيه ولم يتركوا شيئا إلا ستة مدافع قديمة مطروحة في التراب من الزمان الأول وأما المدافع الجدد رفعوها فهدموا جميع ما بنوه جديدا حتى تركوه على ما كان عليه قبل البناء ووجدوا أكثر بنيانهم باللوح فأطلقوا فيه النار حتى انحرق وخرب وحرقوا ما وجدوا فيه من ألواح المعدة للبنيان وبعد أن فرغ من هذه وقضى حاجته فيه انصرفوا وهاهو ابن مطير المذكور وجه جوابا لحضرتك العلية ونسئل الله تعالى أن يؤيدكم وينصركم بمنه أمين والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمكم الحاج أحمد باي وفقه الله تعالى بمنه. يوم الأحد 13 دي الحجة سنة 1242

تتمة خير ونحن سيدي وجهنا للشيخ محمد بن مطير فرس ومكحلة وبرنوس من عندنا والكل رزقك والله يمد لنا في عمرك وينصرك أمين.

ونعلمك سيدي أن المركانتي خبرنا أن الرايس علي الفالوجي لما قدم في البحر من حضرتك العلية حاصره عدو الله الفرنصيص على بعد من راس الحمرا فهرب إلى ناحية [كذا] وبعث لهم رقاس من أهل [كذا] فوجهوا له زوج فلايك بالعسكر وبسلاحهم والبحرية في البر بمكاحلهم أيضا وأتوا به إلى عنابة سالما غير أنه انكسر الصاري من شدة الفرتونة في البحر وهم يصلحون له في الصاري والحمد لله وإن الرايس طاف على الطبابن وأن العادة أن باش طبجي هو الذي يتفقد أحوال الكرارط وغيرها وهذا الزمان الفارط لا حرص لهم على ذلك والآن إنهم يخدمون ويصلحون فيها وقد وجدوا ثمانية كرارط جدد بجامع قصبة عنابة ونحن أكدنا عليهم في الحرص وخدمة المعدوم منها وهاهو مكتوب من عند الديوان يصلك ذكروا أنهم جردوا جملة المدافع وبعثوهم لكم في جريدة والله يؤيدك وينصرك ويحفظك أمين أمين والسل

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الأنفع الأفضل الأكمل الأحضى الأرضى الأمجد الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره أمين. السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا زائد بعد حمد الله جلت قدرته وتقدست كمالاته إلا الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وبعد سيدنا أعزك الله تعالى فالذي يتصل بشريف علمك هو خير ان شاء الله أننا لما دخلنا المحلة المنصورة بالله تعالى يوم السبت الثامن وعشرين من شهر تاريخه بقناق حمزة ورد علينا في ذلك اليوم مكتوبان اثنان أحدهما من عند علماء عنابة والثاني من عند ولد مركانتي خبرونا أنه دخل مرسى عنابة سكونة وكربيط قرصان فرنصيص وطلع لهم قنصر فرنصيص ووكيل الكبانية ونصارى فرنصيص ولما علموا بطلوعهم طبعوا على ديارهم وعملوا لها تأويلا وهم واقعون على الحراسة ليلا ونهارا كما ذلك مبين في المكتوبين على ما فيهما ونحن وجهنا المركانتي وأوصيناه بكل شيئ وأكدنا عليه في أمر العسة ليلا ونهارا وهذه الساعة عنابة وسائر الوطن في الأمان والهناء والعافية والحمد لله والشكر لله. وأما الحفصي فإنه بلغ لقسنطينة يوم الثلاثاء ولا شك أنه وصل إلى موضع الذي وجهناه إليه ومهما يأتينا خبر من عنده أو من عنابة نخبركم به على الفور ونسئل الله أن يبقي لنا وجودك وينصرك نصرا عزيزا ويدمر أهل الكفر ويؤيد الاسلام أمين والسلام من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه ابنكم ومقبل يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه أمين. يوم 29 الأحد من دي القعدة 1242

تتمة خير أن سيدي كنا بيضنا مكتوبا لباي تونس ووجهنا مبيضة مع الحاج عبد الله الوكيل لتطلع عليها وتنظر فيها فإن ظهر لك أن نكتبوا ما فيها فنعم أو تكون زيادة أو نقصان فالنظر اليك فما تخبرنا به يكون عملنا عليه إن شاء الله تعالى والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الأحضى الصدر الملاذ الأرضى الأكرم الأفخم الأمجد الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره أمين السلام الأتم الشمال الأعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولازائد بعد حمد الله تعالى جل جلاله وتقدس عزه وكماله إلا الخير والعافية ونعم الله الضافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وبعد سيدنا أمدك الله بالنصر وايدك بالفتح والظفر وحرسك بحرزه الكافي ووقاك بلطفه الخفي الوافي إنه بلغنا جوابك السعيد وخطابك الأكرم المجيد وحمدنا الله وشكرناه على عافيتك وسلامة ذاتك وعلمنا ما ذكرت لنا فيه وكتبنا في الفور للمركانتي وأمرناه أن يفعلوا ما أمرت به في كل مركب قرصان فرنصيص إن يبادروها بالرمي بالكور ولا يعملوا لها فماذة بل يرمونها ولا يمهلونها والله ينصر دينه ويخذل عدوه وكذلك الخليفة بعثنا له في الحين ومضى هو ومحلته وقومه حتى ينزل بالقرب من عنابة ويراصد أحوالها وأكدنا عليه في وصيتنا عليه أن يكون على أهبة لا يخفى عليه خبر عنابة لا ليلا ولا نهارا وكذلك الخزوجية الذين ذهبوا من قسنطينة فإنا جعلنا لهم أخبية على قدر كفايتهم وأجرينا مؤونتهم من بشماط وبرغل ودهان وزيت وبغال [كذا] وأجرينا لهم [كذا] وكل ما يحتاجون إليه وكتبنا للمركانتي بالتأكيد أن يقف في امورهم ومهمامتهم بحيث لا يخصهم شيئ إن شاء الله وفي كل مكتوب للمركناتي نجرد له الوصية على أمر الحراسة ليلا ونهارا وهذه الساعة خبرنا المركانتي في جوابه إلينا العافية لابنكم أخينا الس ابراهيم وكيل باب الجهاد وجهناه له مع الحامل ويصل لحضرتك العلية مكتوب جاء من عند الوكيل بتونس ودمت في حفظ الله وأمانه وعافيته وستره ووقايته أمين والسلام من الفقير لربه سبحانه ابنكم وعبدكم وخادم دولتكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه وأمده بعونه في 26 دي حجة سنة 1242

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سينا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

اسعد الله بطول ايامكم وحفظ بعزه مقامكم ووالى بفضله انفاقكم المعظم الاسعد الصدر الهمام الاضفر الامجد الانجد الكهف الاحمى الملاد الاسمى ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله وايده وحفظه ونصره امين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه العميم وتحياته ولا زايد بعد حمد الله جلت قدرته وتقدست كمالاته الا الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله ونصرك وابقى وجودك وسلمك فالدي يتصل بشريف علمكم خير ان شاء الله اننا لما انفصلنا من وطن ريغة ونزلنا بقرب زانة غزونا من هنالك على فرقة العمامرة من جبل اوراس وانها سيدي فرقة عاصية لم يعطوا مطالبهم ولم تكن فيهم طاعة فاصبحنا عليهم في اليوم الحادي عشر من شهر تاريخه في جبلهم فمنحنا الله النصر ورزقنا الظفر فقطعنا منهم ستة عشر راسا وجهناها لقسنطينة واخدنا لهم غنيمة جيدة ودلك خمسة عشر الفا وستماية 15600غنم منها 2000 كبش الفان اثنان واخدنا لهم من البقر ستة عشر ماية وستين راسا 160 من البقر و32 هوير و17 ابل ورجعنا نحن وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين والحمد لله تم استرحنا نحو يومين وغزونا من هنالك الى بلاد الحنانشة فاخدنا اولاد شيخ واولاد مسعود في الجبل فنصرنا الله عليهم فقطعنا منهم 11 احد عشر راسا واخدنا لهم اثني عشر ماية وستين راسا من البقر واخدنا لهم ثلاث عشرة ماية وعشرة شاة غنم و22 هوير وولينا في امان الله وحفظه ونزلنا بوطن الحنانشة نقضوا حاجتنا هنا كل ونرجعوا ان شاء الله الى محلتنا وهدا كله من فضل الله تعالى وبركتك ونحمده جل وعلا ونشكره الدي جعل سنجاقك منصورا حيث ما توجه والمطلوب منه سبحانه ان يمد لنا في حياتك ويبارك لنا في سنينك واعوامك وان يدل ويهلك اعداءك وان يشيد اركان مملكتك ويرفع سلطانك وينصر راياتك واعلامك انه على دلك قدير وبالاجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمك ومقبل قدمكم عبده الحاج احمد باي وفقه الله. اواخر صفر 1243

لاحقة خير هي سيدي حفظك الله اننا لما رجعنا من بلاد الحنانشة دهبنا الى الدير عند الشيخ بلقاسم ولد يونس بعث لنا ونقضوا من هنالك مصالحنا ونخلقوا العافية في وطنك بحول الله وقوته واعانته

هدا سيدنا اسعدك الله ومما يجب اعلامك به هو خير ان شاء الله انني لما دهبت للغزو لبلاد الحنانشة جاءني الخبر الاول والثاني على ان اولاد زكري وابن نعمون ومن معهم قد عزموا على الهروب للشرق فبعثت من يبحث عن تحقيق دلك فخبرني انهم يقضون في امورهم وانهم داهبون للشرق من غير شك فبعثت لشيخ العرب وللشيخ بوزيان بن عاشور واعطيتهم التسبيح والامان على الرجوع الينا واوصيتهم ان يحدثوهم [كذا] ويعلموهم انه لا خوف عليهم ولكن لا يبقون هنالك وبلغني انهم في كثرة فاوصيت شيخ العرب ومن معه ان يدهبوا بخدامهم واتباعهم خوفا من غدرهم فدهبوا اليهم ووقفوا من بعيد وبعثوا اليهم خدامهم بالتسبيح والامان فلم يكن منهم جواب الا بالبارود فقتلوا اثنين من خدام ابن عاشور وجرحوا جماعة من خدام شيخ العرب [كذا] ضربوهم وقتلوهم ولم ينج منهم الا ثلاثة واحد من اولاد بن زكري واخو ابن نعمون والسماري الدي كان قايد جابري لا كن سيدي هؤلاء الناس كانوا خدامهم لحمزة ياتونهم بالاخبار تبلغ اليهم قبل كل احد وان سبب عزمهم على الهروب قالوا ان عمدتنا ومن عليه عملنا ومعولنا دهب ولا بقاء لناسنا وانا عبدك رايت من فسادهم ومخالفتهم وتغييرهم قلوب الناس وصبرت على دلك كله الى هده الواقعة نفد فيهم حكم الله واراح منهم البلاد والعباد ولم يثني منهما احد خير لما يعلمه الناس من شرهم ونسئل الله ان يبقي لنا وجودك ينصرك ويحفظك امين

الحمد لله حق حمده

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الأسمى والجناب الأنفع الحمى فخر الملوك الكرام المويد بالنصر والتمكين من الملك العلام المجد الوحد الهمام الأكمل الأفضل الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي دامت معاليه وطابت وحسنت أيامه ولياليه أمين أمين. السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ونفحاته وتحياته وبعد سيدي حفظك الله فالذي يصل بشريف علمك هو خير إن شاء الله أننا لما رجعنا من الناحية الغربية وتوجهنا القلبة قاصدين بلاد الحنانشة لإصلاح أمورهم والنظر في حال وطنهم بلغنا عن بعض من الجبابلية بوطنهم أهل عصيان وفساد وأنهم تمعنوا هذه الأعوام الفارطة فظهر لنا من الرأي أن نكسر شوكتهم زجرا لغيرهم فغزونا على فرقة منهم جبابلية يقال لهم المغانمة فأخذناهم ولم يبقوا بل لم يسعهم إلا الفرار فأخذنا لهم ستماية وخمس عشرة رأسا من البقر وثلاثة وستين ما بين خيل وبغال وألف شاة غنم ورجعنا نحن وعسكرنا وقومنا في امان الله ثم بعد ذلك ظهرت لنا فرقة يقال لهم وشتاتة وموضعهم براس الدخلة بين بلاد الحنانشة والدخلة لا يغرمون لأحد لا للشرق وللحنانشة وان أهل تلك الناحية كلهم يشكون ظلمهم وبغيهم وإفسادهم وهروب والغرامة إليهم فاستعنا بالله تعالى عليهم وغزوناهم فأخذناهم أخذا دريعا وقتلنا منهم وكان نجذ اسم فرقة من رعية الحنانشة وهم أولاد ضيا تمنعوا هنالك أيضا فأخذناهم معهم فكان جملة ما أخذنا من الفرقتين ثلاثة عشرة ماية راس من البقر وأربع عشرة ماية غنم وثلاثين زايلة ما بين خيل وبغل ثم رجعنا لمحلتنا قاصدين بلاد الحنانشة لاكن سيدي أيدك الله لا بد لنا أن نذكر لك أمر الحنانشة كنا في الصيف الماضي قدم إلينا الرزقي الحنانشي مع جماعته وبعثنا للحاج المبارك وتابعه وصالحنا بينهم بحضور يحي ءاغة وإنصرفوا من عندنا مصطلحين أما الرزقي لم يقطع رجله عنا وأما الحاج المبارك لم نر له وجها من يوم انفصاله من عندنا وبعثنا له فلم يات منهم أحد فاخترنا رجلا لم يسبق له مشيخ فشيخناه عليهم ووجهناه إليهم بكتابان بالأمان والعافية فلم يرجعوا ولما قصدنا بلادهم ضم الحاج مبارك جميع من معه من الحنانشة وجلب إليه ممن تبعه من الخرارب الغرامة ورحل حتى نزل [كذا] وبلغنا أن هذه المرة الفارطة كلها وهو يراسل ويكاتب لأجل أن يدخل وطن الشرق فبلغنا أن باي تونس منعهم من ذلك وانه بعث إلى القياد الذين بقربهم وامرهم ان يمنعوا رعية الغرب ولا يتركون أحدا ساءت خلقهم وضاق ذرعهم وانسدت عليهم المسالك فاتفق قدوم الوكيل سي محمود ذاهبا لتونس فامسكوه وتشبثوا به والزموه بالرجوع فرجعوا عن امرهم وانسلت الغرامة الذين كانوا معهم ورجع كل احد إلى بلاده وكان إمهالنا على الحاج مبارك ومن معه إنما هو

شفقة على الغرامة ولم نرض بافسادهم وتبددهم ولو كانوا فارقين من الغرامة لم نمهلهم والان الحاج مبارك وجميع من معه نازلين قرب المحلة المنصورة بالله تعالى وانا ابنك وعبدك ننظر في الوجه الذي يصلحهم ويعمر بلادهم فإن إنصلحوا وظهرت طاعتهم ونصحهم وخدمتهم للوجاق السعيد بنية كاملة فذلك هو المراد منهم وإن بان وظهر منهم غير ذلك فإنه لا يفوتنا أمرهم بل نقوم أمرهم ونصلح ما أفسدهم بعون الله تعالى وسعدك وبركتك وتأييدك ونصر سنجاقاك

اعلم سيدي أسعدك الله أن الرزقي من حين جاءنا وحضر بين يدينا لم يرخج عن طاعة ولا غيب وجهد عنا مند وقع الصلح بينهم وإن الحاج مبارك وجماعته لم يقبلوا ولم يذعنوا بل لم يظهر لي منهم نصح لا كن سيدي نحن تجاوزنا عليهم في ما مضى وصفحنا عن المور السالفة وأمرناهم أن يستانفوا بالطاعة وأن يبدلوا جهدهم في خدمة الوجاق السعيد وان نسئل الله لهم ولجميع رعية وطنك بإصلاحهم وهدايتهم والذي يظهر فيه نقص أو إفساد بعد هذا فيسعدك نردوه ونقوموه ولا يجد وسعا كما كان سابقا فقد فاتهم ذلك إن شاء الله تعالى وهذا مما يحب إخبارك به ان اهل هذه الناحية الشرقية التي بقربنا من حين نزلنا بمحلتنا قربهم وقع فيهم هرج وحيرة وتحدثوا أن قدومنا إنما هو لأمر لا للحنانشة وان اهل الكاف جعلوا كل ليلة أربعين رجلا يعسون على باب الكاف والله ينصرك ويذل بك كل معاند ومخالف ويبقي لنا وجودك امين نحن سيدي حسبنا اصلحنا امر الحنانشة فإنا راجعون لقضاء حوايجنا عند غيرهم إن شاء الله تعالى والسلام. من الفقير لربه ابنكم وخادمكم وعبد إحسانكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

أواخر 29 رجب الأحب عام 1242

تتمة خير وبعد، لما كتبنا الكتاب قدم إلينا الدايرة الذي ذهب مع وكيلكم السيد محمود لتونس وأتى معه بجواب لسياتكم العلية يصلكم مع هذا المكتوب جعل الله ورودهم عليكم ورود خير وعافية.

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وسلم تسليما

إلى حضرة المعظم الأرفع الأمجد الصدر الهمام الأنفع الأوحد الأفضل الأكمل الأسعد الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره السلام الكريم الطيب العميم عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أكرمك الله بكرامته ورعاك برعايته فقد بلغنا جوابك السعيد وخطابك الأعظم المجيد وأجل ما استفدنا منه سلامتكم التي هي المراد وعافيتكم ونعمتكم التي نطلب من الله لها الزيادة وعرفنا فيه عرفك الله أفضل المعارف والبسك من العز والنصر اسنى المضارب على أمر بوزيان بأن ما مضى فقد مضى وامرتنا ان نكتب له بالأمان وكذلك السماري ونحن سيدنا ايدك الله امتثلنا امرك السعيد وكتبنا له كتابين بالامان التام وان من امنته فقد امناه وتلك دار الناس كلها ومرجعنا جميعا اليها لا مخالفة لامرك ولا محيد عنه غير انني سيدي قد سبقت وصيتك المباركة الينا بان نعرفك بكل ما يظهر لي تم بعد ذلك فنظرك اصلح وذلك ان هؤلاء المخازنية العادة ان نلبسهم وتبقى اللفظة طلقاء في دمتهم ويرفعون بعد مدة لا في حين واذا كان من تبقى عيه بقية يتمنع والا فانك اعزك الله لو تامرني في بدل نفسي لبدلتها والله رقيب علي وان خديمك ووكيلك ونجمع للدار الكريمة وبك ناخذ وبسعيك نضرب من خالف وعصا والله يجعلني فداك ويزيد من اعمارنا في عمرك وبقاءك لنا هو منيتنا وسرورنا و فرحنا واما حساب سماري مع الوكيل فانه لا يمكن وذلك سيدي اني نخبرك بالامر الثابت على السماري كان ذلك العام قايد الجبابرية وقايد العشر وان جبابرية ازيد من تلثمية جابرة مع كل جابرة اثنيعشر صاعا لكيل قسنطينة واما العشر فقد جردوا فيه ذلك العام ثلاثة الاف وسبعمية جابرة على كل جابرة صاع قمح وصاع شعير بكيل قسنطينة وانه لما هرب وبعثنا لسطيف فكيلوا ما فيه من القمح فوجدوا اربعة عشر مية صاع وستة عشر صاعا قمحا لاغير بعد ان سلك الناس كلها وهذا من غير خدمته واما الشعير فانه غصب فيه الناس واخده وهو اخضر قبل ينعه(يبسه) فوجدناه هلك ولم ننتفع منه لصاع واحد وما ذكرته لك هو بعلم الناس لازيادة فيه واما حسابه فانه لايخفاك انه يرعى ان ذلك مااخد ونحن نحتاج من يطوغ على الناس وياتون بتداكره فيما اخد منها ويحتاج في ذلك الى طول ايام حتى نجمع التداكر من الوطن ومرادي بهدا كله اعزك الله اعلامك بالواقع لان الوطن وطنك والرعية رعيتك والاخد بيدك والترك بيدك والذي تومنه فعليه الامان التام والعافية وما انم الا عبدكم وخادمك الله يمتعنا بطول حياتك امن يارب العالمين والسلام

من الفقير لربه عبدكم ومقبل كريمتين يدكم وقدمكم الحاج احمد باي وفقه الله في16دي الحجة 1244

الحاق خير وعلم سيدنا ايدك الله ان السماري يدعي انه خدم بشماط وهذا القمح الذي اخده في ذلك العام بل انه ان كان خدم شئا فانه خدمه من القمح الذي وقت ذهاب محمد باي نماني في ذلك الدنوش فانه ظهر كثيرا من الناس وتسلف من كثير من الناس والى الان لازالت تداكر محمد باي عندهم بعضهم تسلفه من بعض الاتراك ومن اهل قسنطينة والدايرة وغيرهم وكل ما ظهروه وتسلفه لم يرجع لاربابه الى الان ليكون في شريف علمك

الحمد لله   حق حمده   وصلى الله

اسعد الله تعلى لمنه حضرة المعظم الارفع الامجد الصدر الهمام الاوحد الافضل الاكمل الاحضى الارضى الارشد المحفوظ بالرعاية الملحوظ بالعناية ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدوكاتلي اعزه الله وايده وحفظه واعزه ونصره امن السلام الاثم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد حمد الله تعالى جل ثناءه وتقدس عزه وكماله الا الخير والعافية ونعم الله الضافية الوافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها على سيادتكم العالية بكرة وعشية بجاه خير البرية سيدنا ومولانا محمد علية افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله تعالى واطال بقاءك واتم نعمته عليك واحسانه اليك فقد بلغنا كتابكم الكريم صحبته خدامكم الشاوش والاصبايحية فتلقيناه بالتعظيم والاجلال وقبلناه وقراناه عجلتك المنصورة بالله تعالى الخاص والعام خبرتنا غيه ايدك الله ببشارة عظيمة ومسرور عميمة بزيادة المولود المبارك لمولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم مازالت ايادي الله محفوفة بمقامه النصر والظفر ملازمان لعظيمحياته وان يجعله رحمة شاملة للمسلمين وشيقا قاطعا لرقاب الكافرين وقد حصل لنا فرح وسرور وانشراح وحبور فلعبت الخيل في ميدان السباق ورمينا البارود وضربنا الطبول وكان ذلك اليوم عندنا يوم عيد او موسم جديد استبشره الناس وفرح اولادك العسكر بزيادة الصابي وكتبنا لاهل ملوك قسنطينة بالبشارة المذكورة وفرقنا مكاتبك السعيدة في الحين ومضى كل مكتوب لاهله والنوبة المذكورة فيه ولله الحمد على ذلك وله مزيد الشكر ما (هنالك) لك والمطلوب من المولى الكريم رب العرش العظيم ان ينصر مولانا السلطان الاعظم ويؤيده ويرفع بسيفه كلمة الاخلاص وان يذل اهل الكفر ويمكنه من رقابهم كما نطلب منه جل وعلا ان يبق لنا وجودك ويحيط ذاتك الزكية ويخلد ملكك ويؤيدك بالعز والنصر ويمدك بالفتح والسعادة والبركة والظفر انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما امن امن والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه امن

وذلك يوم الاثنين السابع والعشرون من جمادي الثانية 1243

الحمد لله حق حمد وصلى الله على سيدنا واله اجمعين

الى حضرة المعظم الارفع الاكمل الهمام الصدر الملاذ الافضل الاسعد الاوحد الاكرم الامجد الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي ادام الله انعامه وعلفيته واكرامه السلام العميم المبارك الجسيم يهدى الى مقامكم العظيم ورحمة الله تعلى وبركاته ورضوانه وتحياته ما تعاقب الفلك وحركاته ولا مزيد بعد حمد الله جل ثناءه وتقدس عزه وكماله الا الخير والعافية ونعم الله الوافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله وايدك فالذي يكون في شريف علمكم وهو خير ان شاء الله انا كنا هذه الايام الفرطة نراصد في انتهاز فرصة وافشاء غازية على اولاد سلطان وجعلنا عليهم عيونا يشاوفونهم لنا لكونهم حين ينزلون من جبلهم للوطا لا يستقرون في مكان خوفا وفزعا من الغزو وعليهم وجاءنا شوافهم ذات يوم فركبنا لهم بعسكرنا وقومنا ولما صرنا في اثناء الطريق بلغنا انهم اندروا وطلعوا بجبلهم ذات يوم فركبنا لهم بعسكرنا وقومنا ولما صرنا في اثناء الطريق بلغنا انهم اندروا وطلعوا بجبلهم وتحصنوا فولينا عنهم واختفينا في كير تم اسرينا الليلة التانية الى فرقتين عاصيتين جبابلية بوطن سرج الغول ناحية الجوف ما يقرب ويلي جهة البحر وهما اولاد زونداي واولاد سابع فاصبحنا عليهم يوم السبت التالت من رجب فاخدناهم اخدا ذريعا واخدنا لهم اربعة الاف غنم واربعماية راس بقر وماية زايلة ما بين خيل وبغال وقطعنا منهم ستين راسا واعتقنا منهم خلقا كتيرا وهذان الفرقتان عصاة سراق يقطعون الطرقات ويتعرضون للقوافل وينهبون اموال الناس والشكاية بهم دايما وسعي الخلف عندهم يتصرفون فيه بالبيع والشراء يفرح لاخدهم جميع الناس الذين باطرافهم ورجعنا وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين ما عدي اتنين من الخيل ضاعت وخرج اتنين من الدايرة الغالب سلامتهم ان شاء الله والحمد لله تعلى بكل هذا بفضل الله وبركتك وسانجاقك بحول الله وقوته وفضله دايما منصورا حيثما توجه وبعتنا رووس المدكورين لقسنطينة ردعا وزجرا لغيرهم من اهل الفساد والله يبقي لنا وجودك وينصرك ويحفظك امن تم بعد رجوعنا من الغازية المدكورة بمرحلة جاءنا خير قدوم المعظم المحترم السيد محمد شاوش وخدامكم سي الحاج العربي والاصبايحية ووجهوا لنا مكتوبك السعيد ومعه تلك النسخة فقبلناه وقراناه وعلمنا كل ما دكرت لنا فيه وحمدنا الله تعالى ولما قدم الينا كتبنا مكتوبا لباي تونس على نحو ما في النسخة ومكتوبا للسيد محمود وجهناه في مكتوبه ايضا وبينا له محصل ما خاطبنا به الباي ليكون على بصيرة في امره عالما متيقظا حاضر الجواب ان

سئل وبعثنا رجلا عاقلا مع سي الحاج العربي ومن معه يصحبهم في طريقهم واخذنا رجلا اخر اعطيناه المكتوبين بيده للباي ويذهب بعد دلك مع السيد محمد شاوش يسير معه بالقناق حتى بلغ الجميع في امان الله تعلى وفهمناه على نحو ما دكرته وامرت به في حين ياتينا جواب باي تونس نوجهه لحضرتك السعيد ان شاء الله والسلام عافيتكم وسلامة داتكم

من الفقير لربه عبدكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج احمد باي وفقه الله لمنه وامده بعونه من الخميس من رجب 1243

تتمة خبر ان المركانتي بعنابة خبرنا انه قدم باركوا من القرنة على عنابة ومعه مكاتب لابنكم اخينا المعظم السيد ابراهيم وكيل باب الجهاد وقد وجهنا تلك المكاتب مع الحامل جعل الله ورودها عليكم ورود خير وعافية امن امن

لاحقة خير هي سيدي مما يجب اعلامكم به انه رعيتنا التي كانت في الشرق رجع منها في هذه الخريف الماضي نحو التلاتماية بيت ونحن لم نخبر سيادتكم حتى حققنا امر رجوعكم بالحرت فحين رجعوا وحرتوا حققنا رجوعهم والحمد لله بل بعض من رعيتهم جاء لبلادنا وصبروا العافية والامن تراهم حرتوا في وطننا والبعض نحو النصف وازيد لازال هنالك في وطن الشرق ونحن سميناهم له في مكتوبه ليكون هذا في شريف علمك والله يحفظك ويسلمك ويكون معك حافظا وناصرا امين

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع الأفخم الأكرم الأوحد الأمجد ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعوه الله تعالى وأيده وحفظه ونصره أمين السلام الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أمدك الله بالنصر والسلامة والهناء والعافية والكرامة والذي أعرفكم به هو خير ان شاء الله انه وردت علينا مكاتب من عند باي تونس وأمرنا وكيلكم بتونس الحاج عمار وذكر أن منها مكتوب من عند باي تونس وأمرنا الوكيل في مكتوبه أننا نوجهها لحضرتك العلية في الوقت ولا نؤخرها ونحن سيدي ساعة وصول المكاتب إلينا كتبنا لك هذا الكتاب ووجهناه إليكم وأما عدد المكاتب المذكورة الواصلة لسيادتكم من عند الوكيل خمسة مكاتب ونسئل الله تعالى أن يجعل ورودها عليكم ورود خير وعافية وأن ينصرك الله بنصره المكين ويهلك أعداء الدين ويبقي لنا وجودك محفوظا منصورا بجاه من كلمته الغزالة وختمت به الرسالة سيدنا محمد صلى الله علية وعلى أله وسلم تسليما والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله

وقت المغرب من يوم 21 الجمعة من دي القعدة سنة 1245

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الملاذ الأنفع الأكرم الأفخم الهمام الجد الأحضى الأرضى الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا دولاتلي. أعزه الله ونصره آمين السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد. سيدنا أيدك الله وأبقى لنا وجودك بالذي يجب اعلامكم به هو خير انشاء اللهز أننا غزونا على النمامشة أولاد رشاش فصبحنا عليهم بالوطن المعروف بالمحمل من ناحية القبلة فمنحنا الله نصره فأخذناهم أخذا ذريعا وقطعنا منهم ومن الإبل 575 و53 هوير و33 بقر ورجعنا وعسكرنا وقومنا في أمان الله وحفظه واعلم سيدي أن النمامشة كان منهم فرقتين يقال لهم العلاونة والبرارشة جاءوا لنا عام الأول وحزموا وجعلنا لهم قايدا وأعطوا ما عليهم وهم في الأمان والعافية وأما هذه الفرقة أولاد رشاش عصاة منافقين يقطعون الطرقات وياكلون أموال الناس ظلما ولهم مدة لم يعطوا شيئا من المطالب وبعثنا فلم يقبلوا ولم يعطوا فامكننا الله منهم بسعدك وسنجاقك المنصور فأخذناهم وقتلناهم زجرا لغيرهم والحمد لله والشكر لله ونسئله سبحانه وتعالى أن يمد لنا في حياتك وعافيتك ونصرك وسلامتك فإنك ما دمت لنا بقية الحياة جعلني الله فداك ما عندنا إلا جميع الخيرات وتمام المسرات هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه القفطان المجيد وحمدنا الله على سلامة ذاتك جعل الله عيدكم مبارك مبرور هناءا وعافية وسرورا وهكذا كل عام يمر عليكم وأنتم طيبون أمننون فرحون مسبشرون. أمين السلام من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه المفوض أموره إليه عبدكم وخادمك ومقبل الكريمتين يدكم وقدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه وأمده بعونه

أوائل دي الحجة 1243

وإلحاق خير هو سيدنا لما وجهت لنا جوابك السعيد ومعه الخبزاتان كتبنا في الحين للديوان المنصور بالله تعالى ببلد عنابة وللسادة العلماء بها في شأن الخبز وبعثنا لهم خبزة من الإثنين فوقفوا بأنفسهم على الكوشة التي يطيب فيها خبز النوبة داخل القصبة على حين غفلة حتى طاب الخبز وأخرجوه من التنور وبعثوا لنا من ذلك الخبز ولما عاينوا تلك الخبزة أنكروها واتفقوا على أنها ليست من خبز عنابة بل ذكروا أنها من خبز الجزائر يقال له الحراق وهي في الميزان ناقصة عن خبز النوبة في عنابة وطلبناهم [كذا] فذكروا أنهم لم يكن عندهم إلا ما يتداوله القياد وهو الذي يأخذون به هذه الأعوام السابقة وعليه طوابع القياد وأغوات النوبة ونحن وجهناه إليك لتطلع عليه ووجهنا لك أربع خبزات من خبز عنابة اثنين من الأبيض وإثنين من الأحمر لا

كن سيدنا إن الكاهية وأدباشي والشاوش قد قدموا إلينا بالخبز المذكور واعترفوا بأن الحق الحقيق أنه لم ينقص لهم شيئ مما كان يأخذه من قبلهم كما في المذكور وزعموا أن ذلك لم يكفيهم مدة شهر ومع هذا فإنهم يمسكون أزف شهر ويبيعون أزف شهر من قمح وسمد وصابون وحين جاوبناهم بذلك سكتوا ومرادهم يفضلون أزف شهر للبيع ويطلبون الزيادة لتكفيهم لشرين ولو طلبوا منا شيئا في ستر الله لم نحرجوهم إليه والآن أظهروا طلب الزيادة وخشينا أن يقتدي غيرهم بهم وقد عرفناك أيدك الله بحقيقة الحال ومما هو مكتوبهم ومكتوب العلماء يصلاني لحضرتك السعيدة ونظنك أصلح والمال مالك والرزق رزقك فالذي تأمرني به فالسمع والطاعة لله ثم لك يا أمير المومنين وأني سيدي مجد وموكد على أمر العسة ولا يامنوا مكر أهل الكفر دمرهم الله

واعلامك سيدي أننا كتبنا لباي تونس على مقتضى ما خبرناك به سابق وبعثنا في شأن وصيف خديمكم ابن كانون وأكدنا في ذلك ومضى من عندنا في الثاني من دي الحجة وحين يأتينا جوابه نعرفكم به إن شاء الله

تتمة خير إن القمح لا يبيع منه إلا ما وقع فيه تغيير كما أمرتنا لاكن سيدنا إن أمر القمح منه إن شاء الله لأن ناحية عنابة لا يبقى خزينها صحيحا وعندنا بقسنطينة جانبا صالحا لكم ولنا والله يجعل البركة سعدكم وأما أمر الشراقة فالذي جاء منهم على نظرنا وقبل بشرطنا ودخل ووطننا نقبله وإلا فلا نقبل منهم أحدا والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

المقام الذي نطلب من الله أن يديم سروره وأن يقرن بالعافية جبوره وأن يحف بالألطاف الخفية ذاته ويعمر في بحور السلامة أوقاته المقام المعظم الأسعد الصدر الهمام الأصعد الأفضل الأنجد الأرشد سيدنا حسين الدولاتلي أدام الله عزه واكرامه وبلغه من كل ما يجب مراده ومرامه السلام عليكم ورحمة الله الضافية وبركاته ورضوانه ونعمة كافية وبعد. سيدنا حفظك الله بحفظه وأيدك بسعادته وعنايته وبركته ونصره فالذي يجب به اعلامكم أبقا الله وجودكم وأدام عافيتكم وسلامتكم إن رجلا مالكي ببلدك قسنطينة قتل زوجته عمدا وقت الزوال من يوم تاريخه وهرب للنوبة بالقصبة فجاءنا أولياء الزوجة يشكون من أن هذه المرأة لها مدة أعوام عند زوجها وولدت معه نحو التسعة أولاد مات بعضهم ويقي البعض إلا الأن بقيد الحياة وشهد جيرانهم بالدار كلهم يعلمون ديناتها وبراءتها حتما وإنما كانت مع النسوة في صحن الدار حتى دخل زوجها فنادها فطلعت إليه للغرفة فقتلها وهرب فبعثنا إلى الديوان وأعلمناهم بأن هذا الرجل قتل نفسا عمدا وأن التجاوز عن مثل هذا يغري أضرابه من أهل الجسارة والفساد ويتجرأ غيره ويستسهل الأمر من لا يخشى العواقب والصواب أن تبعثوا لنا هذا الجاني نسئله ونبحثه عن السبب الذي قتل به زوجته أم أولاده التي هي معه مدة طويلة لم يظهر منها ريبة فأحضروه لدينا على كره منهم وفي زعمهم أن ذلك حط في جانبهم فسالنا القاتل فزعم أنه وجد معها جارا له مع أن الجار ثبث بشهادة أناس أنه وقت الواقعة هو معهم خارج البلاد يغسل في ثيابه في البوادي ولما أقر لدينا بالقتل ولم يثبت عندنا سبب يوجب قتل المرأة أمسكنا الرجل القاتل مربوطا عندنا وعرفناك وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيدك الله أن يجري أمره على حكم الله والشريعة المحمدية فذلك المراد وإن بان لك حفظك أن نجاوزوا عنه لهروبه للنوبة فإنه كرهوا اخراجه من عندهم فالنظر لك أسعدك الله وأنت السلطان تعرف ورأيك أسد وأصلح فما تأمرني به نفعله وما تنهاني عنه نتركه ولا نخالفه ودمت رعاك الله في حفظ الله وأمانه ورعايته ولطف كلاءته واحسانه والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخديمك ومقبل الكريمة قدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله

21 جمادى الأول سنة 1243

الحاق خير واعلم سيدنا أعزك الله أن المعروف عندنا أن محل النوبة محسوب وليس هو بخراج وقد وقع لنا معهم قبل هذا هروب بعض الناس فعلوا دنبا دون القتل وجاوزنا عنهم وحيث وقعت جناية القتل وخشنا أن يتجرأ أهل الفساد ربطنا هذا القاتل خوفا أن يهرب من عندنا وشاورناك ونظرك أصلح والسلام والرحمة والبركة على حضرتك السعيدة

الـوثـائـق



الختم الخاص بأحمد باي

المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: **1642**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (1)

لحضرة العظيم الارفع الاسعد الكهف الملاذ الاوحد الاسعد الامجد الهمام الاكرم
الارشد سيدنا حسين باشا الوالي تولى اعزه الله ونصره امين امين السلام الاتم الطيب
الاعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته والمزيد بعد حمد الله الاكبر و
العافية التي نطلب من المولى العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بجاه اشرف
البرية عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا ايدك الله ورعاك فقد بلغنا مكتوبكم
السعيد المبارك بحول الله وقوته الحميد عرفتنا فيه بمرادكم في امر دنوش الخليفة وهو
الوفق بنا وقت دنوش الخريف لتصل المواشي قبل الشتا وقد علمنا ذلك ابقا الله لنا
وجودك والمرجو من الله التسهيل والتيسير ليعود طرشي في وقته المعلوم المقرر
المفهوم وسعدك وبركتك تصلح الامور ويسهل كل عسير بجاه البشير [illegible] صلى الله عليه
وعلى اله اهل النظر السديد وصالح التدبير هذا سيدي وان البولاش الذي من عسكر
تونس قد وصل الينا ونحن وجهناه يوم وصوله مع المكاتب التي وجهتها وهو مع التابع
واكدنا في الايصاء والتحفظ به حتى يبلغ ان شا الله بيد خديمكم الحاج عمار الوكيل على
حسب ما امرتمونا به ونسال الله العظيم ان يبارك لنا في حياتك ويمدك بالسلامة
والسعادة والنصر والتمكين امين والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الارض بين
يديكم وخديمكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه وذلك غرة ذي الحجة سنة ١٢٤٤ ثم
الحق خير وعافية ان خديمكم وامة احسانكم والدتنا الحاجة تقبل اياديكم
الكريمة وعازمة لكم بصالح الدعاء في عامة اوقاتها وكان من امرها لما انفصلت من حضرتك
العلية وما غمرها من حرمتك واحسانك علمها مشايخ الوطن بنصيب ١٠٠٠ من
الدراهم وبغال ولم تطب نفسها بامساك ذلك والزمتني بارسال ذلك لحضرتك
السعيدة وترغب من كريم فضلك ان تتفضل بقبول ذلك فالدراهم تبلغ مع هذا الكتاب
والبغال واردة بعده لان الحامل امرناه بالعزم واما البغال فياتون بمهل بعد ذلك والله
يمد لنا في حياتكم وعهدنا مع الله لا يخفى على سيادتكم شيا لاننا عبيدك ومماليك
احسانك ومايسرنا الا مايصل لسيادتكم فالله يحفظكم ويرعاكم امين وان الوالدة
تهدي اتم التحية والسلام على من شمله اهل منازلكم المحفوظة بالله لا زالت بقاء
وجودكم واهاليكم معمورة ويبارك فيكم ويجعلنا فداءكم ويسلمكم ويحرسكم
ويرعاكم امين امين

رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا

المصدر: ملف الوثائق العثمانية العثمانية، المجموعة رقم: **1903**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (2)

حفظ الله تعلى ذات المقام الارفع والمرام الانفع من نطلب له من الله دوام
البقا وزيادة العز والارتقاء اعنى بذلك حضرة مولانا وروض مرعانا وغاية
منانا سيدنا ابراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد احسن الله اليه وادام عافيته
عليه امين وبعد فالذى اعرف به السيادة ابدها الله تعلى لكم العز والسعادة من
انه قدموا الى طرفنا اوراق من المورة الى بعض الناس مورالية واخبروا على
انه قبطانة باى فى اوارين ومعه ش ٣٢ قفوف منع مولانا السلطان
نصره الله ومعهم شقوف تونس وهم ينتظرون فى قدوم السيد ابراهيم
باشا من قلماطة وحين يقدم من قلماطة الى اوارين توجها الى المانية
ربنا ينصر السلطان وينصر عساكر الاسلام بحرمة شفيع الانام سيدنا
ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام وامامن المعظم الارفع
الصدر الهمام الامنع السيد قبطان باشا فهو ومن بقى معه من
الدونانمة المنصورة فى مدللى يقول ان شاء الله بعد تاريخ المكاتب الذى
قدموا الله اعلم متوجها الى شمليجه وهذا ما عندنا من الاخبار عرفنا
به السيادة ولكم طول البقا والزيادة ورضى الله عنكم وارضاكم وحفظكم
وحماكم ودمتم فى امان الله وحفظه ورعايته وتحت رداء ستره
والسلام التام فى البدا والختام من خديمكم مصطفى بن صابر الجزايرى
نايب وكيل محروسة الجزاير بتونس ٨ ربيع الثانى سنة ١٢٤٢

رسالة من مصطفى بن صابر نائب وكيل الجزائر بتونس إلى إبراهيم وكيل باب الجهاد.

المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3027، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (3)

وسلمكم من نوائب الدهور

شرح الله صدوركم بالسرور

حضرة مولانا المعظم الارفع والعمدة الهمام الامنع والملاذ والعز لملة الاسلام اجمع
من بوجوده سطوة الاسلام تعلو وتزيد والكفرة الخذلان بعون الله من مزيد
صاحب الرايات المنشورة والاعلام المنصورة المتوكل على ربه مولانا الامير
سيدنا الباشا حسين دامت له النعم واسعدت له الايام والليالي وبعد بالغ التحية
بمقام السيادة ادام الله تعالى لكم العز والسعادة هو انه جاء ولدنا واين من السيد الحاج
الحدباني ومعه جواب من السيادة ... في شهر التاريخ وكان عندنا الى الان واحد وار
وارد اولا استعدنا منه صحتكم وسلامتكم التي هي غاية القصد وبلوغ المراد
اذ امدها عليكم رب العباد وثانيا اسعدكم الرحمن وادام لكم الفضل والجود والاحسان
كلما اشتد منكم لناحية وفقنا ومعنى جملة وتفصيلا ابقاكم الله لنا بقاء حسنا
جميلا وكنا حررنا للسيادة جوابا مؤرخ في شهر التاريخ وعرفناكم فيه بما
يجب تعريفه وكذلك عرفناكم بحضور الفيس الى مالطة ومعه رجل من الدولة
وقال له مجرى باي الى ساعة التاريخ باقي بمالطة وقد جاء مراكب من مرسيلية وحلفنا
على احوال الفرنسيس وعلى العمارة التي كنا سمعنا بها سابقا في عندهم خبر بذلك
وكذلك الجوابات التي قد جاءتهم بلا اخبار وابقي الله تعالى اعلم كلما سمعناه
كذب وبهتان شتت الله شملهم وجعل الدائرة عليهم واما اسكندرية والترك لم قدم
احد منهم ربنا يسمعنا واياكم خيرا ونعرف السيادة على الرايس علي الميورقي لما قدم
الى هنا بالغفارة مكث هنا نحو الثمانية ايام ولم عطوه شيئا من المونة وما عرفنا
السبب اما خوفا من قنصل الفرنسيس يغضب عليهم او على عدم ارسال الجوابات
منكم الا وراهم التمسوا منا ذلك وقالوا لنا ما السبب ما جيتهم بالاخبار وقلت لهم
لا علم الي بذلك ولا نعرف ما السبب واتاهم خبر من مرسيلية من قنصل الفرنسيس الذي
كان بجزايركم وقال لهم لولا ما وقعت فتنة الفرنسيس مع الجزاير لكان السيد يحيى
اغا قادم اليكم وحقق عندهم ذلك والسيد مصطفى باي قبل التاريخ بثلاثة ايام
سافر بمحلة الصيف الى باجة وقبل سفره عين قنصل الصاردو او عمر العطور في
الصانية وهذا ما عندنا عرفنا به السيادة وعليكم السلام التام في البدء
والختام من خديمكم ومقبل ايديكم على الدوام محمود بن امين السكة وكيلكم
بتونس لطف الله بالجميع في ٢٥ محرم عام ١٢٤٣

رسالة من وكيل الجزائر سي محمود بن أمين السكة إلى حسين باشا.

المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: **3205**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (4)

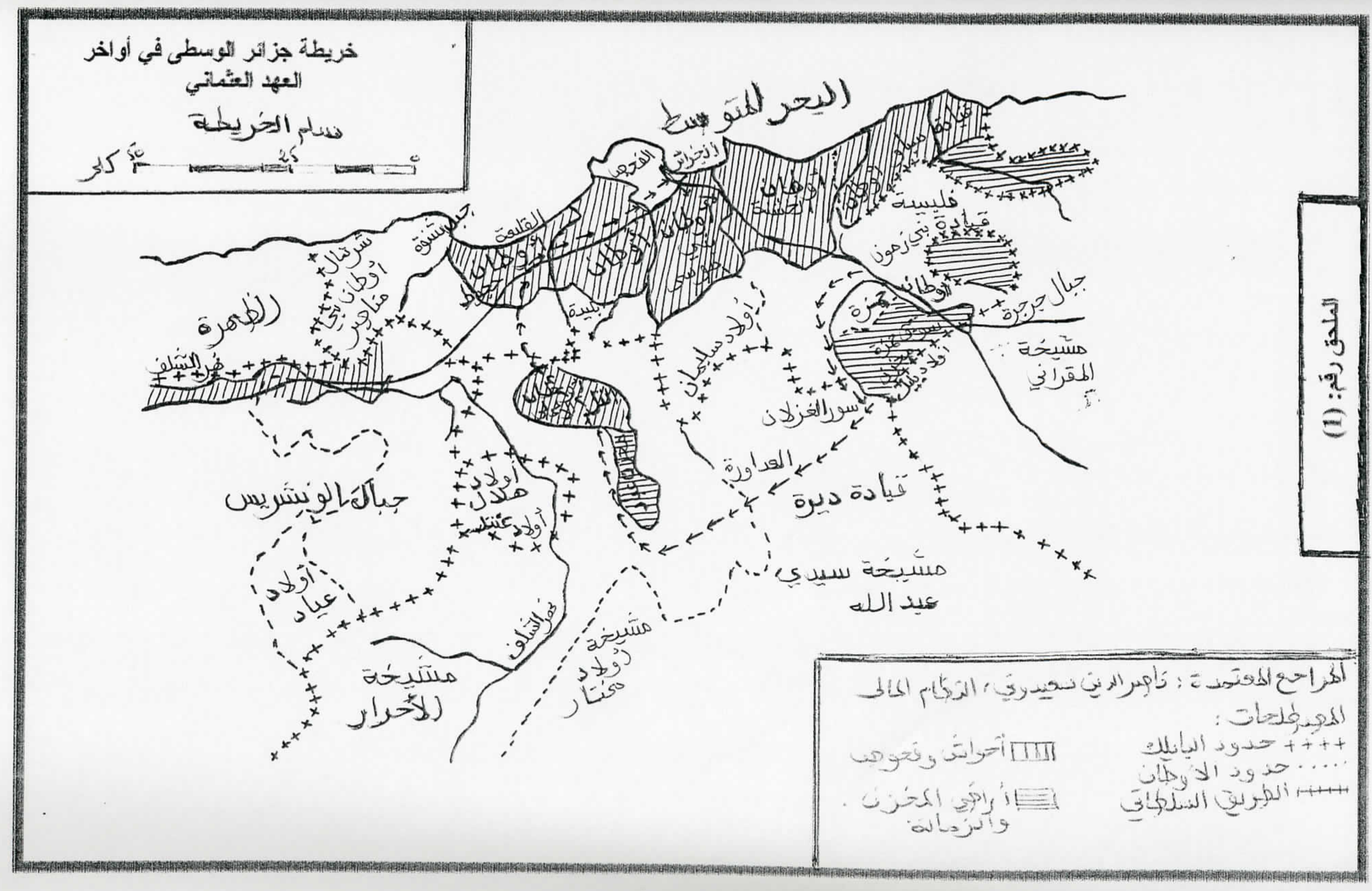
حفظكم الله بنه ذاتكم وعمر بالمسرات أوقاتكم وجعل الستر والأمان خلفكم وأمامكم حفظ
المعظم الأرفع الهمام الأنفع الواثق بالملك [illegible] عمدة سيدنا حسين باشا يسر الله
له من الخير ما يريد وما يشا سلام لطيف ألطف من النسيم وأعذب من التسنيم
ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الملك وحركاته وما تليت آيات الله وكلماته
أما بعد أبعد الله كل ضير وقرب لجنابكم كل مسرة وخير فالذي نتصل بعلمكم
الشريف وذهنكم الرائق المنيف هو خير إن شاء الله تعالى فإن يوم التاريخ وهو يوم الاثنين
الثاني من شوال أتانا قنصل النابليطان محلنا بقصد أن يقبل علينا فتناولنا أطراف الكلام إلى أن قال
لي نخبرك بخبر قلت له ما هو قال لي نخبرك وأن قنصل الفرنسيس الذي هو الآن بتونس اكترى
تبرفة من باي تونس يدفع له على كل ما يركبوا أربعماية ريال وخمسين ريال تونسي الكل
واحد والحال أنهم كانوا اكترون تبرفة بماية ريال وخمسين ريال تونسي وتكاتب مع الباي على
ذلك فبعد ما كتبوا بينهم الكنطرادة بعث قنصل الفرنسيس لكافة قناصل الأجناس [illegible]
جملتهم قنصل النبليطان وقال لهم من أراد يصطاد المرجان في بحر تبرفة وفي بحر الجزائر يدفع
إلى قنصل الفرنسيس ما يعني دورو على كل ما يركبوا وبعث لبلاده باقوال بالبركوات والذي
يدفع له شي مع فرمان الجزائر أنا ضامن فيه ومقصوده يجعل فرمانه واذكو شقه على جميع
البركوات وقال لي قنصل النبليطان ابعث أنت لأنك وكيل الجزائر إلى الغار وقل لهم سمعت
بكم تريدون الصيادة في بحر الجزائر من غير إذن سيدنا الباشا فالذي يصطاد من غير
إذن سيدنا يخرج له فرمان الجزائر ويأخذه برزة أو يأخذ من فلوكة بالجزائر والحال
أنني ما قدرت نبعث لأحد من غير أوامر السعيد وعلى قول قنصل النبليطان لا تذكرنا لأحد
بأني قلت هذا الكلام أجعل كأنك سمعته من موضع آخر هذا سيدنا وأنه بلغنا أن فرمان
الفرنسيس وقع بينه وبين فرمان المريكان قتال كبير في معوه ومات من الفرنسيس ومن المريكان
هذا اسمعنا والله أعلم وهذا ما عندنا في جانب السيادة ولكم طول البقاء وزيادة وعليكم
السلام الشامل في البدء والختام من خديمكم ومقبل أياديكم الكرام الحاج عمار وكيلكم بتونس
في [illegible] شوال عام 12..
هذا سيدنا وأنا دفعنا الكرك التي تب على المرحوم الحاج حسين باشا رضاي دفعته في أول
رمضان وكتب لي الكمركجي تذكرة الخلاص ولما كان يوم العيد ذهبت لنقبل على الباي
فقبلت عليه وخرجت وإذا بصاحب الطابع نادى علي وأعطاني كل ما دفعته
للكرك وقال لي هذا هو سيدنا أعطاك ما دفعته للكرك لتصرفه على نفسك في هذا
العيد والحال سيدنا أخذته فإن أمرتني بأن نصرفه على نفسي فالله يكثر خيرك
[illegible] لتابع أيامك وإن أمرتني نرده فحكمك أنا مرني نفعل والسلام ختام ورحمة
الله تعالى بالدوام وثانيا سيدنا فانه لما اتوا الحمارة نرسل ذلك الشي الذي اشترى
المرحوم الحاج حسين والآن في هذه الأيام ما أتونا الحمارة ولا بد عن قريب يأتوا والسلام

رسالة من وكيل الجزائر سي عمار إلى حسين باشا.

المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

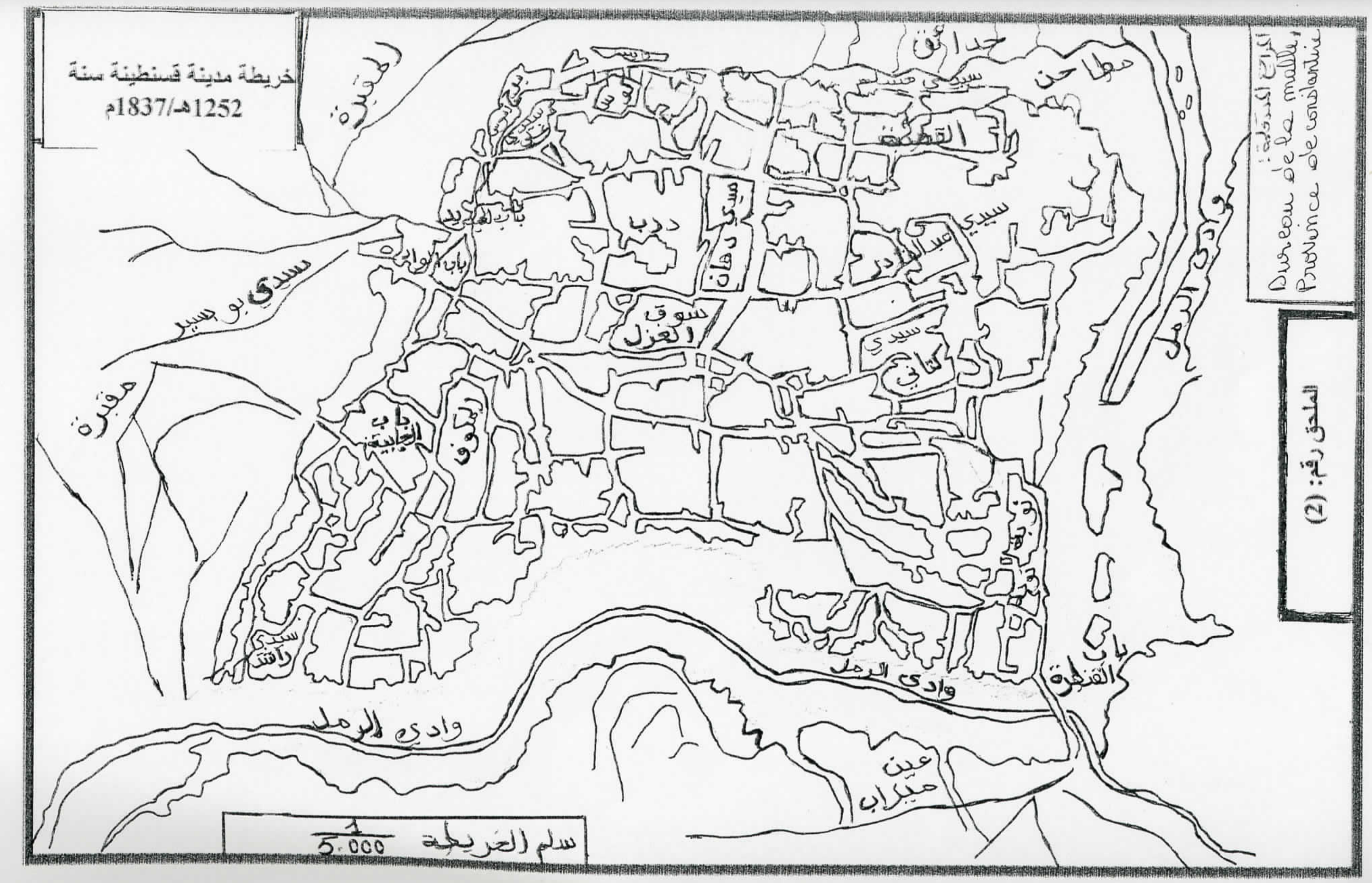
الملحق رقم: (5)

الخرائط



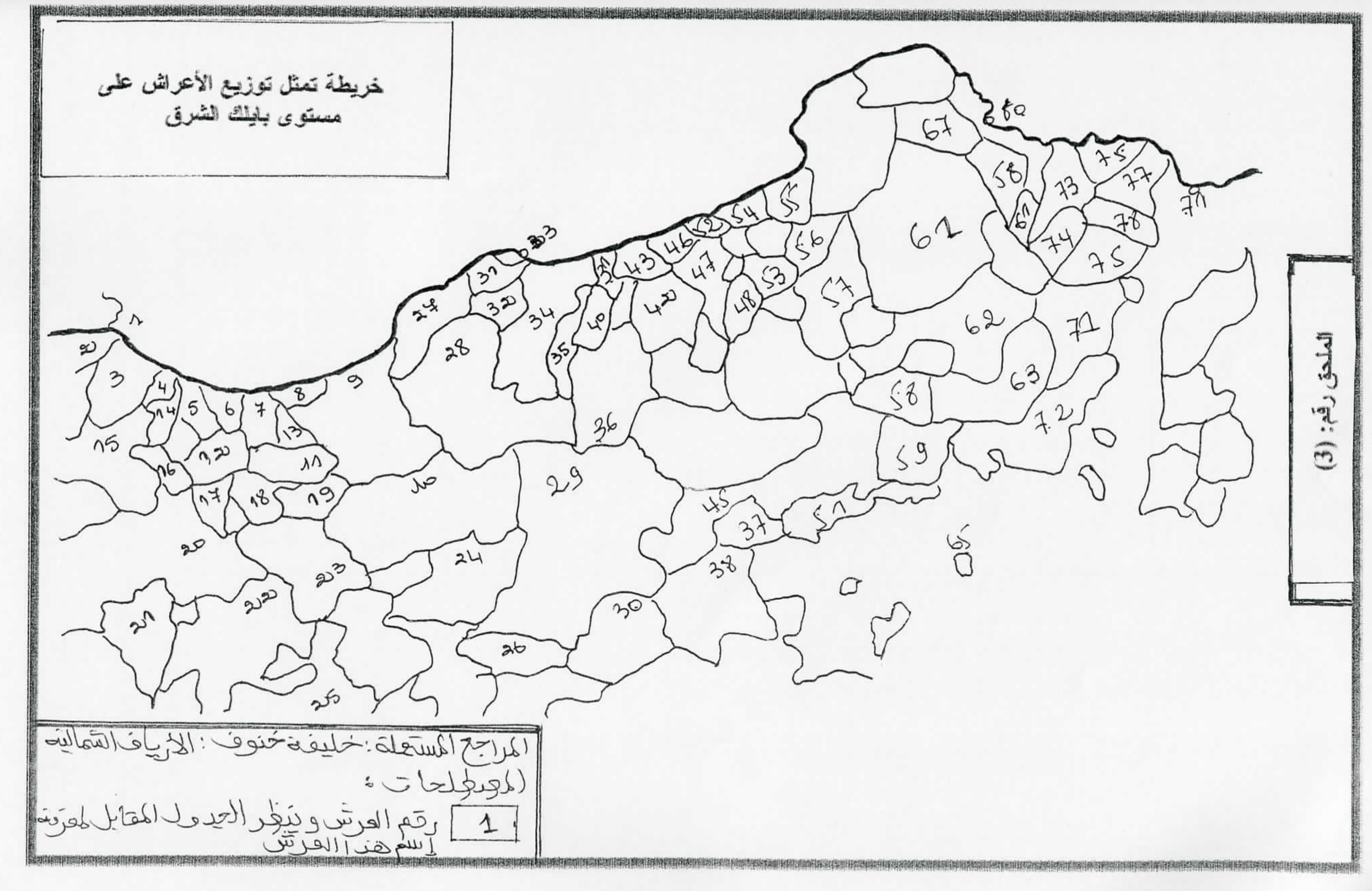
خريطة جزائر الوسطى في أواخر
العهد العثماني
سلم الخريطة
كلم
البحر المتوسط
الجزائر
الفحص
القليعة
جبل شنوة
شرشال
أوطان بني مناصر
الظهرة
نهر الشلف
البليدة
أولاد سليمان
العذاورة
قيادة ديرة
سور الغزلان
قيادة بني زمنون
فليسة
جبال جرجرة
مشيخة المقراني
أولاد هلال
أولاد عنتر
جبال الونشريس
أولاد عياد
مشيخة سيدي عيد الله
مشيخة أولاد مختار
مشيخة الأحرار
المراجع المعتمدة : ناصر الدين سعيدوني، الأحكام الحالي
المصطلحات :
حدود البايلك
حدود الأوطان
الطريق السلطاني
أحواش وحوص
أراضي المخزن والزمالة

الملحق رقم: (1)



خريطة مدينة قسنطينة سنة
1252هـ/1837م
المقبرة
مقبرة
سيدي بوسبير
باب الوادي
باب الجابية
الكوف
سوق الغزل
درب
سيدي دهان
سيدي عبد القادر
سيدي كتاني
القصبة
سيدي مسلم
حدائق
مطاحن
وادي الرمل
باب القنطرة
عين ميزاب
سلم الخريطة
1
5.000
المراجع المعتمدة:
Dureau de la malle,
Province de constantine

الملحق رقم: (2)

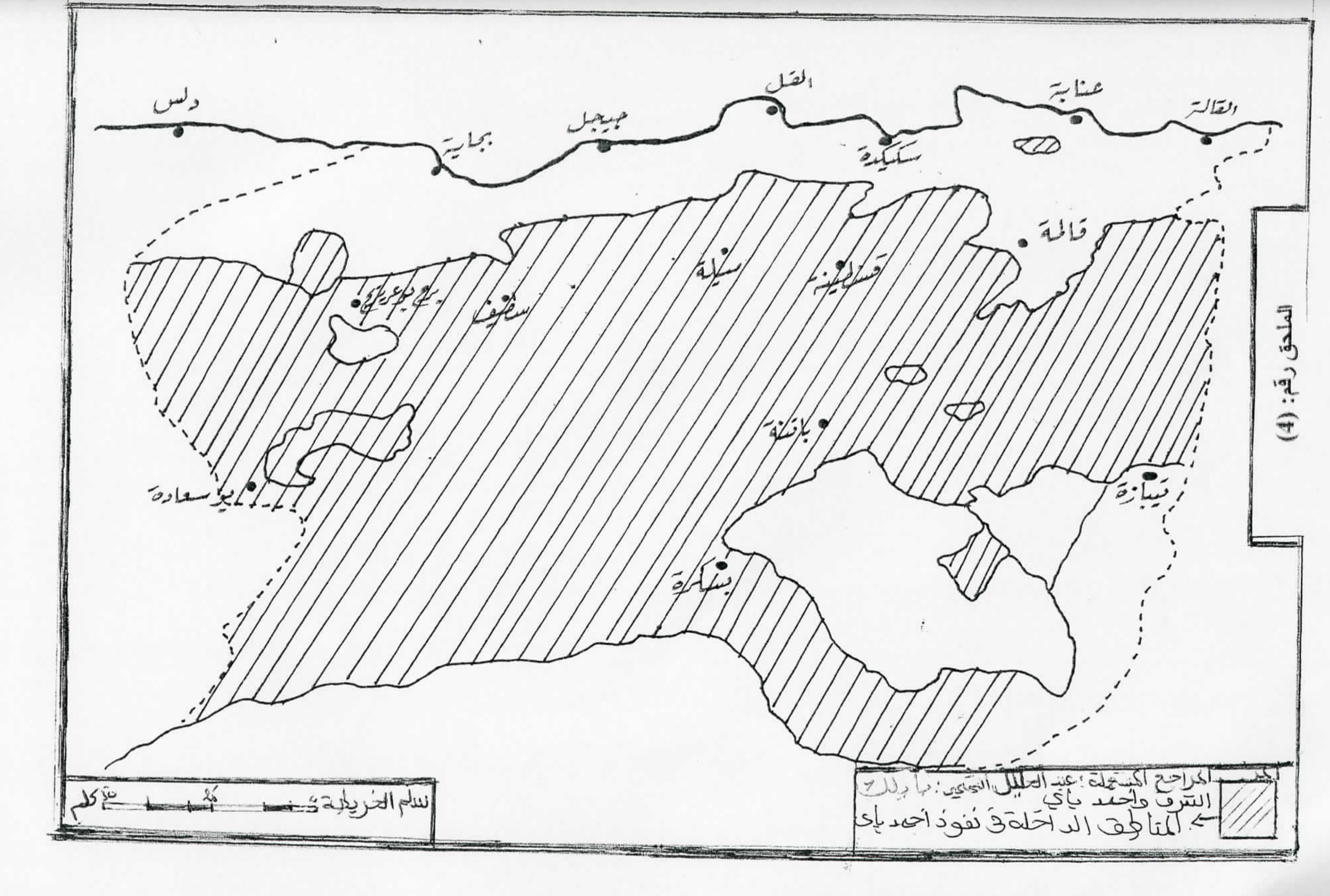

خريطة تمثل توزيع الأعراش على
مستوى بايلك الشرق
المراجع المستعملة: خليفة حنوف: الأرياف الشمالية
المصطلحات:
1 رقم العرش وينظر الجدول المقابل لمعرفة إسم هذا العرش

الملحق رقم: (3)

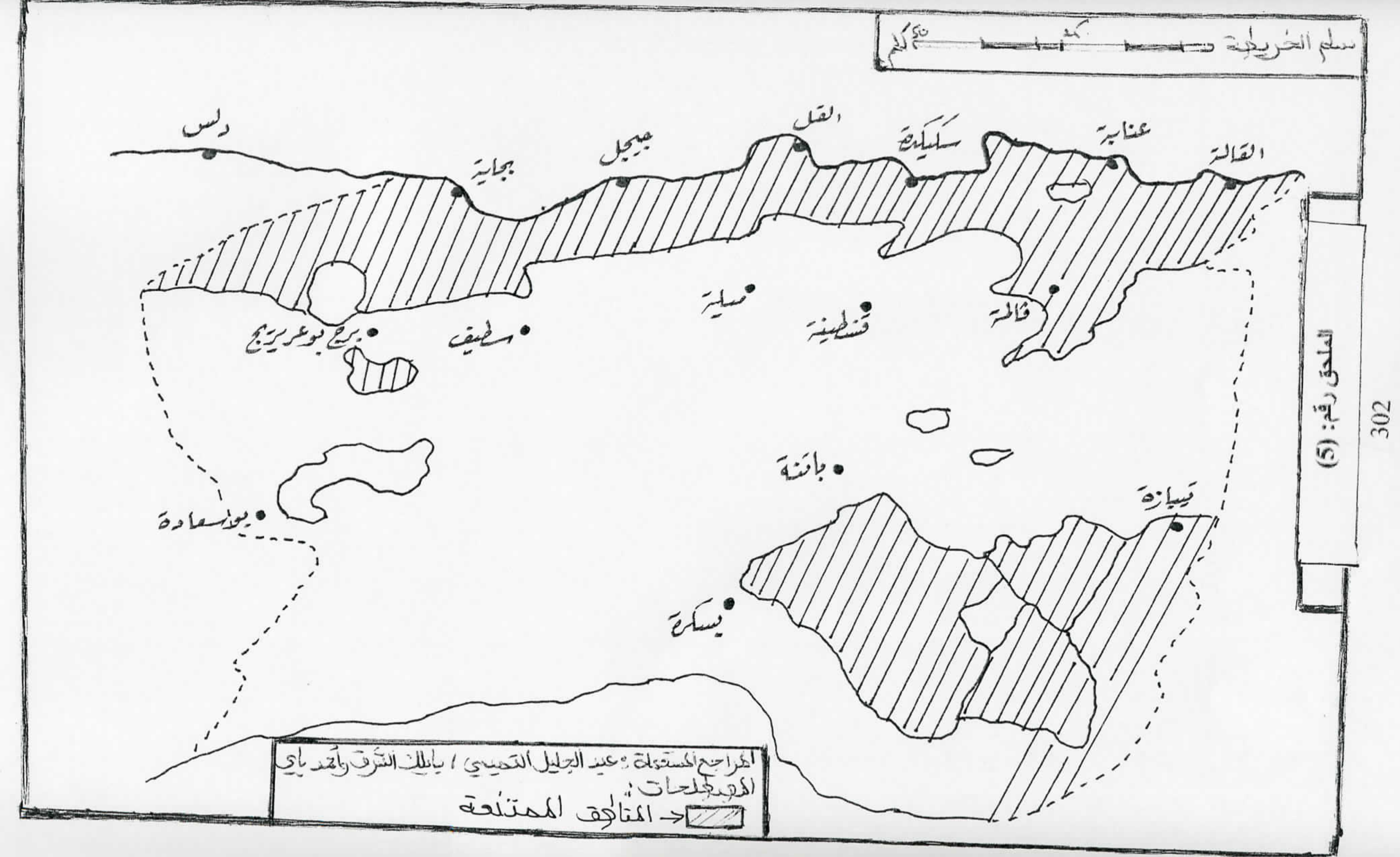
أعراش بايلك الشرق

بجاية	1	بني مسعود	2	بني ميمون	3	بني عمروس	4	آيت وطاس	5
بني محمد	6	بني حسين	7	بني سغلال	8	تابابور منصورية	9	بابور	10
بني فولكاي	11	بني إسماعيل	12	بني بويوسف	13	بني ملول	14	بني سليمان	15
بني تيزي	16	جرمونة	17	بني مرعة	18	أولاد صالح	19	ساحل قبلية	20
قرقور	21	أولاد نابت	22	عموشة	23	الدهمشة	24	سطيف	25
بني مروان	26	لعوانة	27	بني فوغال	28	فرجيوة	29	أولاد بوصلاح	30
بني قائد	31	بني أحمد	32	جيجل	33	بني عمران	34	بني خطاب	35
بني عافر	36	زغاية	37	أولاد كباب	38	أولاد بلعفو	39	بني سيار	40
بني معمر	41	بني يدر	42	أولاد عسكر	43	زواغة	44	عزل	45
بني صالح	46	بني حبيبى	47	بني عائشة	48	بني فتح	49	بني خطاب	50
ميلة	51	الجناح	52	أولاد عواط	53	بني بلعيد	54	بني فرقان	55
مشاط	56	أولاد عيدون	57	بني تليلان	58	أولاد عطية	59	بني توفوت	60
أولاد الحاج	61	بني ولبان	62	عشايش	63	قسنطينة	64	بني حميدوش	65
بني إسحاق	66	بني بونعيم	67	بني صالح	68	بني إسحاق	69	علمة معسلة	70
بني بشير	71	الثعانبة	72	مجاجة	73	أولاد نوار	74	معسلة	75
الزرامنة	76	سكيكدة	78						

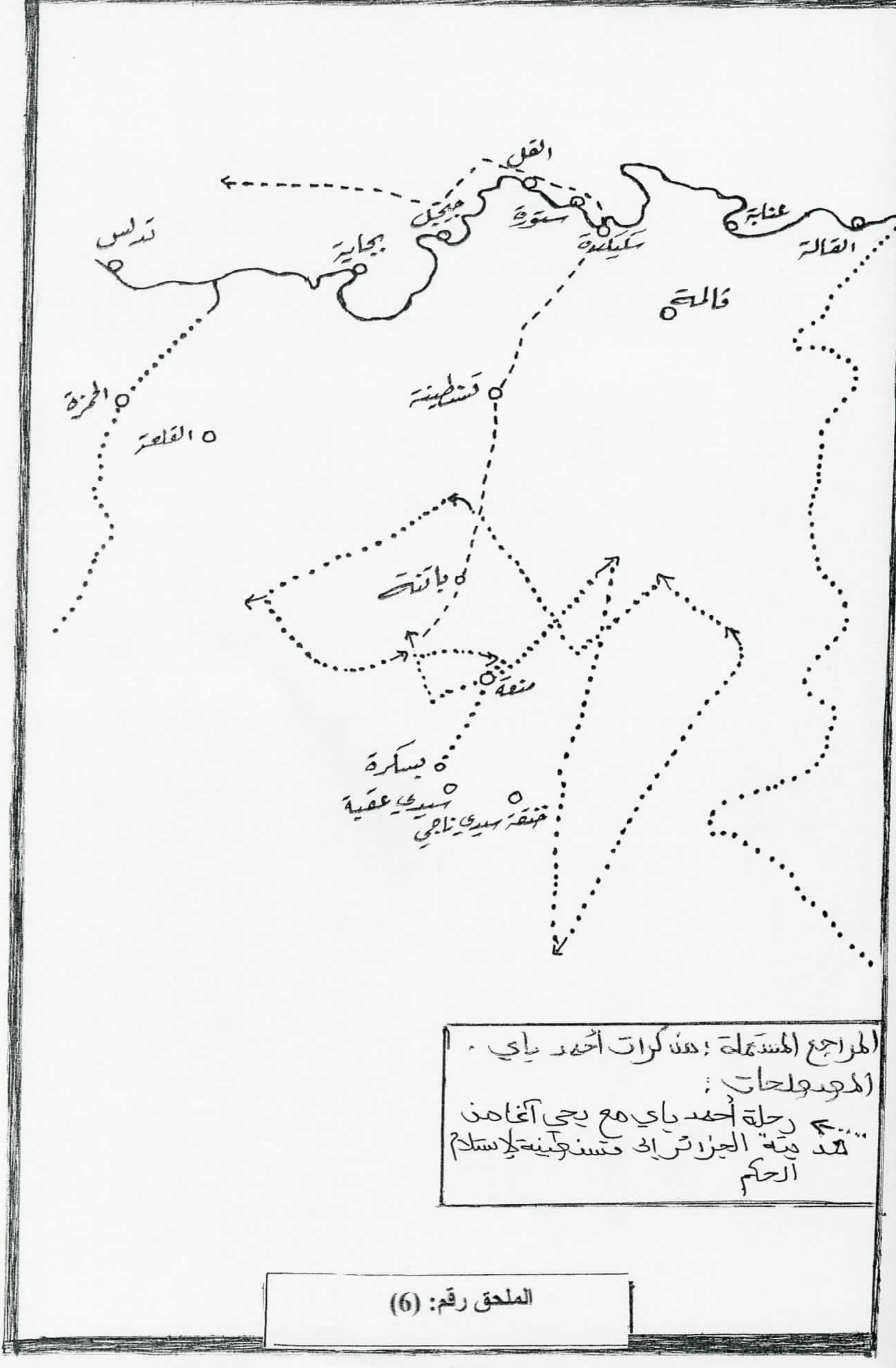
المراجع المستعملة: خنوف علي، الأرياف الشمالية.


دلس
بجاية
جيجل
القل
سكيكدة
عنابة
القالة
قالمة
قسنطينة
ميلة
سطيف
برج بوعريريج
بوسعادة
باتنة
بسكرة
تيبازة
سلم الخريطة
كلم
الشرق وأحمد باي
المناطق الداخلة في نفوذ أحمد باي

الملحق رقم: (4)


سلم الخريطة
كلم
دلس
بجاية
جيجل
القل
سكيكدة
عنابة
القالة
مسيلة
قسنطينة
قالمة
سطيف
برج بوعريريج
باتنة
بوسعادة
بسكرة
المراجع المستعملة: عبد الجليل التميمي / بايلك الشرق وأحمد باي
المصطلحات:
المناطق الممتلكة

الملحق رقم: (5)


القل
جيجل
سطورة
سكيكدة
عنابة
القالة
بجاية
تدلس
قالمة
قسنطينة
الحمزة
القلعة
باتنة
منعة
بسكرة
سيدي عقبة
خنقة سيدي ناجي
المراجع المستعملة: مذكرات أحمد باي.
المصطلحات:
رحلة أحمد باي مع يحي آغا من مدينة الجزائر إلى قسنطينة لاستلام الحكم

الملحق رقم: (6)

الجداول والرسومات البيانية

أهم الأحداث التاريخية على عهد حسين باشا

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث التاريخي
1229	1814	ابتداء الخلاف الفرنسي حول الديون المترتبة على فرنسا نحو الجزائر قبل بيع الحبوب وتلاعب شركة بوخريص اليهودية.
1230	1815	-ثورة أهالي ناحية جرجرة. -اغتيال الداي علي الشريف. -إغارة القوات الأمريكية على الجزائر ومفاوضتهم الثانية للصلح.
1231	1816	-خيبة الانجليز والهولنديين في زحفهم ضد الجزائر.
1232	1817	-إذعان قبيلة فليسة. -اغتيال الداي عمر. -الهجوم الإنجليزي على الجزائر
1236 1239	1820 1824	-إبرام معاهدة سلم بين الجزائر وتونس بعد خلافات ومنازعات سياسية والتي تدخل فيها السلطان العثماني، وانحسم الأمر برسم الحدود الإدارية بين البلدين. -اندحار الانجليز أمام القوات الجزائرية.
1240	1825	-الحركة التيجانية المناهضة للسلطة العثمانية. -تمرد عنيف في بلاد القبائل. -مدينتي البليدة والقليعة تنهاران وقع زلزال عنيف.
1240	1826	-تعيينه للحاج أحمد بايا على بايلك الشرق.
1242	1827	-معركة نافرين. -حادثة المروحة. -القوات الفرنسية تفرض حصارا بحريا على كلّ السواحل الجزائرية.
1244	1828	-استمرار الحصار البحري المفروض على السواحل الجزائرية.
1246	1830	-الهجوم الفرنسي على مدينة الجزائر واحتلالها لها. -استسلام حسين باشا وتوقيعه للوثيقة. -مغادرته للجزائر
1247- 1249	1831- 1833	-إقامته بإيطاليا.
1249- 1254	1833- 1838	-استقراره بالإسكندرية.
1254	1838	-وفاته بالإسكندرية.

الملحق رقم: (1)

جدول المكاييل والموازين

أنواعها	ما يعادلها	استعمالاتها
1)-الأوزان		
القيراط	0,207 غ	للماس
المثقال	4,669 غ	للذهب
الرطل الفضي	797,435غ	للسلع والبضائع
الرطل العطاري	446,080 غ أو 506,880 غ	للخضر والفواكه واللحوم والخبز
الرطل الخضاري	614,340 غ أو 639,453 غ	للزبدة والتمور والزيت والصابون
الرطل الكبير	921,510 غ	للأوزان الثقيلة، وهو يختلف من مكان لآخر، فقنطار مدينة الجزائر يساوي 130 كلغ مرسيلي، وقنطار مدينة عنابة يساوي 120 كلغ مرسيلي
2)-المكاييل		
المد	0,075 ل	للزيت. وينقسم إلى: النصف – الربع- الثمن
القلة	16,66 ل أو 18,17 ل	ينقسم إلى: النصف – الربع - الثمن
الصاع	48,80 ل	ينقسم إلى: النصف – الربع - الثمن
القفيز أو القيسية	300 كلغ	

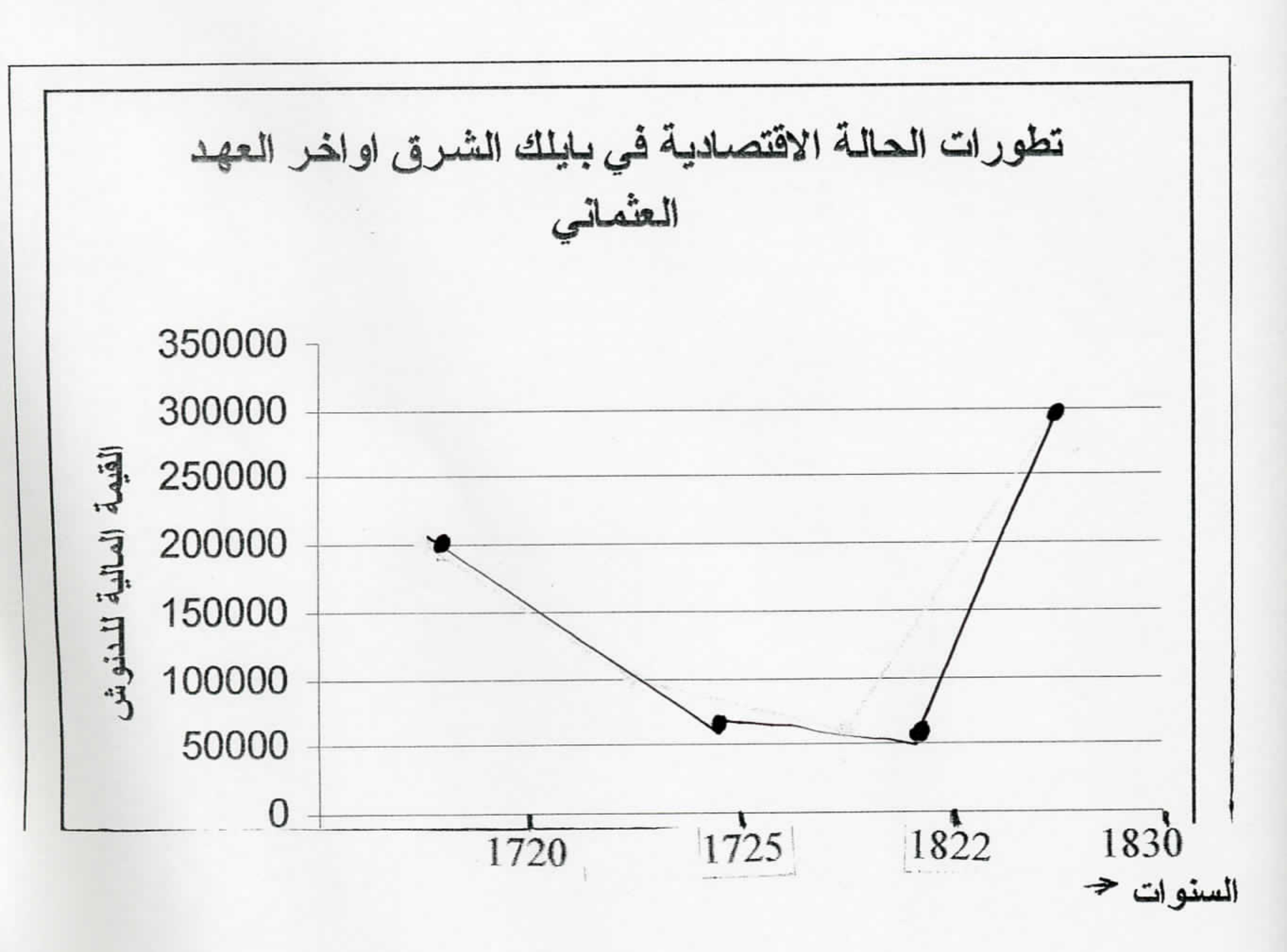
نقلا من: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 256.

الملحق رقم : (2)

جدول يمثل تطورات الحالة الاقتصادية في بايلك الشرق

السنوات	1720	1725	1822	1830
دنوش بايلك الشرق	من 80.000 إلى 100.000	120.000 أو 300.000	60.000	249.150
من خلال تقرير	شاو	لوجي دوتاسي	شالبير	جيرار دان

نقلا من: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 102.



أهم الملاحظات المسجلة: من خلال عرض هذه القيم النقدية لدنوش الشرق فإنّه يتبين أنّ الوضعية الاقتصادية التي كان عليها بايلك الشرق على عهد أحمد باي مقارنة مع السنوات التالية : 1720-1822 كانت مزدهرة.

الملحق رقم: (3)

جدول خاص بالعملة الجزائرية مقابلة للعملات الأجنبية المتداولة في الجزائر على العهد العثماني

اسم العملة	الفرنك الفرنسي	الدولار الإسباني	العملة التونسية
السلطاني أو المحبوب	11	2,1	110
البياستر الفضي القسنطيني	3,85	0,73	38,5
الريال بوجه (البوجه)	3,3	0,63	33
النصف بوجه	1,65	0,315	16,5
الثمن (ثمن بوجه)	0,41	0,070	4,1
البيتاك شيك	1,1	0,21	11
الريال مجبور	1,5	0,27	15
الموزونة	0,13	0,02	1,3
الصايم	1,8	0,28	18

نقلا من :ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 71.

الملحق رقم: (3)

فهرس الأعلام

أ) قائمة الأعلام العربية:

الحرف (أ)

الحرف (ب)

الحرف (ط)

الحرف (ي)

الحرف (ك)

الحرف (م)

الحرف (ف)

الحرف (ب)

الحرف (د)

الحرف (هـ)

الحرف (ل)

الحرف (م)

الحرف (س)

الحرف (ق)

الحرف (ش)

فهرس القبائل

أ)-فهرس العائلات

الحرف (ج)

الحرف (ح)

الحرف (م)

الحرف (ع)

الحرف (ف)

الحرف (ش)

الحرف (غ)

الحرف (ض)

ب)-فهرس القبائل

الحرف (أ)

الحرف (ب)

الحرف (ج)

الحرف (د)

الحرف (هـ)

الحرف (و)

الحرف (ز)

الحرف (ح)

الحرف (ي)

الحرف (ك)

الحرف (ل)

الحرف (م)

الحرف (ن)

الحرف (س)

الحرف (ع)

الحرف (ذ)

الحرف (ض)

فهرس الأماكن

أ)-فهرس الدول والمدن

الحرف (أ)

الحرف (ب)

الحرف (ج)

الحرف (ل)

الحرف (م)

الحرف (س)

الحرف (ع)

الحرف (ف)

الحرف (ق)

الحرف (ت)

ب-الزوايا والمساجد

*-الزوايا

الحرف (ز)

الحرف (ع)

الحرف (ف)

*-المساجد

الحرف (ك)

الحرف (ر)

الحرف (ص)

ج)-الجبال

الحرف (أ)

الحرف (م)

الحرف (س)

الحرف (ص)

الحرف (ر)

قائمة
المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

1)-المصادر المكتوبة باللغة العربية:

أ)-المخطوطات:

1-حسن بن مصطفى الترجمان، كتاب ذكر أيام الدايات والبايات والباشوات بتونس وأسماؤهم وكم لبث كل واحد منهم، مخطوط رقم: 1618، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر .(41 ورقة).

2-محمد أبي سرور البكري الصديقي، فتح الرحمانية في الدولة العثمانية، مخطوط رقم: 1651، ، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

3-أبوراس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار فيما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار، مخطوط رقم: 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر. (132 ورقة).

ب)-الوثائق الأرشيفية:

*-المكتبة الوطنية . الحامة . الجزائر العاصمة:

4-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1641.

5-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1642.

6- ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم:1646.

7-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190.

8-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3204.

9-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم:3205.

10-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم:3206.

*- مكتبة القاضي السيد محمد . غليزان:

11- وثيقة تعيين قاضي، غير مرقمة.

ج)-المصادر المطبوعة والمحققة:

12-الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، حققه ونقله من الفرنسية: محمد حاج صادق، مطبوع في بلجيكا، د مط، د ط، 1983. (219 صفحة).

13-أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الناشر: عالم الكتب، د ط. (صفحة 125).

14-الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978. (289 صفحة).

أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق: رابح بونار. د مط، د ط، (89 صفحة).

15-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د ط. (477 صفحة).

16-الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (ذخائر المغرب العربي)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2. (196 صفحة).

17-أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، السنن، دار الحديثين القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م. (334 صفحة).

18-هاينرش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1980. (270 صفحة).

19-وليام شارل، مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1826، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط. 1982. (350 صفحة).

20–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 1982. (214 صفحة).

21–الحسين بن محمد الورتلاني، رحلة الورتلاني نزهة الأنظار في فضائل علم التاريخ والأخبار، تقديم: محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:2، 1394هـ/1974م. (814 صفحة).

22–حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط. (325 صفحة).

23–الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج:1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2. (382 صفحة).

24–كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدّم لها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982. (321 صفحة).

25–محمد بن عبد المنعم الحميري، روض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط:1. (745 صفحة).

26–بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1. (396 صفحة).

27–محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: محمود حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط:2، 1384هـ/1964م. (960 صفحة).

28–محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1985. (402 صفحة).

29–محمد صالح بن العنتري، فريدة منيسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة

واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة تقديم وتعليق: يحـي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1991. (186 صفحة).

30-محمد صالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقـديم: رابـح بونـار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1974/1394. (77 صفحة).

31-محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط:1، 1401هـ/1981م. (830 صفحة).

32-مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 1981. (201 صفحة).

33-سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقـديم: أبـو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1974. (133 صفحة).

34-أبو عبد الله الأعرج السليماني، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهايـة ثورة الأمير عبد القادر، عن كتاب الشماريخ، تحقيق: حـساني مختـار، المكتبـة الوطنية، د ط. (441 صفحة).

35-عبد الكريم الفكون شيخ الإسلام، منشور الهداية في كشف حل من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1408هـ/1987م. (275 صفحة)

36-الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرته ذاتية، تحقيـق: محمـد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح ألجونن، شركة دار الأمـة للطباعـة والترجمة والنشر والتوزيع، د ط. (250 صفحة).

37-أبو عبيد الله بن عبد العزيز المعروف بـ البكري،المعرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من "المسالك والممالك" تحقيق، دوسـلان، منشـورات مكتبـة المثنى، بغداد، د ط. (211 صفحة).

38-بن عودة المزاري، تحقيق ودارسة، يحي بوعزيز، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج: 1-2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1990. (405 صفحة).

39-علي رضا أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832)، تعريب وتقديم: عميراوي حميدة، مراجعة: إبراهيم، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، سبتمبر 1999. (96 صفحة).

40-عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة إبن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والمال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983. (366 صفحة).

41-ف. ياناتيي، مغامرات وملاحظات (تقرير عن إقامة في الجزائر)، د مط، باريس، د ط، 1820.

42-فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط. (114 صفحة).

43-أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ، ج: 1، بحث وتقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، د ط. (624 صفحة).

44-أبو القاسم محمد علي المعروف بـ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة، لبنان بيروت، د ط. (432 صفحة).

45-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت لبنان، ط:7، 1409هـ/1989م. (592 صفحة).

46-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون -المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج: 7، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1391هـ/1871م. (277 صفحة).

47-مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق: حساني مختار، منشورات دحلب، د ط. (73 صفحة).

2)-المصادر المكتوبة باللغة الأجنبية:

أ)- وثائق الغرفة التجارية بمرسيليا :

48-Journal de Bône, 9·21,1783, Archive de C. C. I, Marseille, L.3 / 1217, P:2 .

ب)-المصادر :

49-Albert. Devoulx, Notice et corporations religieuses d'Alger accompagné de documents authentiques et inédits, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912. (79 P).

50-Albert. Devoulx, Tachriffette, Recueil de notice historique sur l'administration dans l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, 1852. (99 P).

51-Engène Plantet,Correspondance des beys de Tunis et des Consuls de France Avec la cour 1770-1830, Ancienne librairie Germer Bailliere et c[le] Felix Eclan- Editeur. (734 P).

52-Engéne Plantet, Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, Tome : 2, Edition Bouslama- Tunis, 1889. (619 P).

53-E. Le Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Librairie académique Perrin et C[ie], 1913. (340 P).

54-Gaston Thomson, Le Cheikh El- Arab, Etude historique sur la famille Bengana, Ancienne maison Bastide Jourdan, Jules Carbonel Imprimeur-editeur, 1900.

55-Joao Mascarenhas, Esclave à Alger, Récit de captivité de Joao Mascarenhas (1621/1626), Traduit de Portugais et présente par : Paul Tyssier, Edition Chandiegne, Libraire Portugaise, Paris, 1993. (244 P).

56-Mathe et Edment, Kitab Aàyane el Marhariba, Imprimerie orientale-Fontana- Frères, Alger, 1920.

57-M. L'allè Suchet Tours, Lettres Edifiantes et curieuses sur l'Algérie, Ad Mame et Cie imprimeur- éditeur- Libraire, 1840. (432 P).

58-M. TH. Pein. Lettres Familières Sur L'Algérie (Un Petit Royaume Arabe). 2éme Edition. Librairie Adolphe Jourdan. Imprimeur Libraire. Editeur. 1893. (519 P).

59-M. Walsin. Esterhasy, De la domination Turque dans l'ancienne règonce d'Alger, Librairie de Charles Goslin, Paris, 1840. (232 P).

60-Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'Anglais avec nombreuse augmentation des notes géographiques et autres, Par: J. Mac. Cathy marlin, 1831. (447 P).

61-Venture de paradis- Alger aux 18ème siècle, édité par E Fagnan, imprimerie, libraire, éditeur, 1898. (298 P).

62-Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public, Traduit de l'anglais, Tome : 1, chez Chaubert Quai des Augustins Hèrissant, imprimeur. (675 P).

3)- المراجع المكتوبة باللغة العربية:

63- إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1999. (239 صفحة).

64- إبراهيم القادري بوتشتيت، تاريخ العرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، سبتمبر 1994.

65-إبراهيم شحاتة، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءات في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510/1947)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1981. (606 صفحة).

66-إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المنهاج، ط:1، 1418هـ/1998م. (252 صفحة).

67- أحمد هني، العملة والنقود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (158 صفحة).

68- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر نشر دار الكتاب، الجزائر، د ط، 1372هـ/ 1963م. (381 صفحة).

69-أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986. (191 صفحة).

70-أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة، اسطانبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984. (427 صفحة).

71-جون ب وولوف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1980. (508 صفحة).

72-جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1816-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1997. (373 صفحة).

73-حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، د م ط، د ط. (368 صفحة).

74-حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط:1، 1405هـ/ 1984م. (139 صفحة).

75-حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، الدار التونسية للنشر، د ط، 1976. (145 صفحة).

76-حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، الجزائر، د ط. (267 صفحة).

77-حسن صعب، الدبلوماسي العربي. ممثل دولة أو حامل رسالة، دار العلم

للملايين، بيروت لبنان، ط:1، 1973. (240 صفحة).

78-حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج:2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1412هـ/1992م. (496 صفحة).

79-يحي بوعزيز، وثيقة عمل رقم 20، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية، وهران، 1982. (21 الصفحة).

80-يحي بوعزيز، علاقات الجزائر مع دول ومماليك أوربا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1985. (205 صفحة).

81-طاهر محمد، من أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993. (512 صفحة).

82-السليماني أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، د ط، 1994، (92 صفحة).

83-كوران آرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي منشورات الجامعة التونسية، تونس، د ط، 1980.

84-مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979. (206 صفحة).

85-محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984. (351 صفحة).

86-محمد يحاتن، مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984. (117 صفحة).

87-محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط:1، 1996.

88-محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1972. (255 صفحة).

89-محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دراسات في تاريخ شمال إفريقية الحديث، ط:1، 1969. (263 صفحة).

90-منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة دار النفائس، بيروت لبنان، ط:3، 1985.

91-مسين بنهام، المجرم تكوينا وتقويما، منشأة المعارف الإسلامية بالإسكندرية، جلال خزي وشركاه، د ط، 1983. (414 صفحة).

92-مسعد بن سويلم الشاماد، قواعد اللغة العربية، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1471هـ/1996م. (451 صفحة).

93-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقارنات للواقع الجزائري للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2000. (520 صفحة).

94-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984. (246 صفحة).

95-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. (355 صفحة).

96-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2000. (718 صفحة).

97-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط:2، 1985. (341 صفحة).

98-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1999. (353 صفحة).

99-نزيه إعلاوي، حفظي إشتية، أساسيات في اللغة العربية قواعد وتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 1420هـ/1999م. (239 صفحة).

100-السليماني أحمد، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (118 صفحة).

101-أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1992. (430 صفحة).

102-أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ج: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:3، 1982. (194 صفحة).

103-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1-3-5-8، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981.

104-سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط:2، أكتوبر 1988. (452 صفحة).

105-عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1983. (269 صفحة).

106-عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر- تونس- ليبيا 1816-1878، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، د ط، تونس، جوان 1985. (251 صفحة).

107-عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين على الجزائر، 2 شارع النورمندي، الجزائر، د ط. (232 صفحة).

108-عبد الكريم غرابية، تاريخ العرب الحديث، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع، ط:2، 1987. (302 صفحة).

109-عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (629 صفحة).

110-عبد القادر بدجاجة، معركة قسنطينة (1836-1837)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، د ط. (64 صفحة).

111-عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين

التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/13)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995. (483 صفحة).

112-عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1998. (100 صفحة).

113-علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط:1، 1421هـ/2001م. (280 صفحة).

114-عثمان الكعاك، موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2003. (366 صفحة).

115-فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1996. (263 صفحة).

116-صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (159 صفحة).

117-شارل روبير أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط:1، 1982. (159 صفحة).

118-شريط عبد الله، مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985. (313 صفحة).

119-توم بوترمور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، دار الطليعة، بيروت، 2000.

120-خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك قسنطينة نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، د ط. (95 صفحة).

4)-المراجع باللغة الأجنبية:

121- Abdel jelil Temimi, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830-1837), Publication de la revue d'histoire Maghrébine, Volume : 1, 1879.

122-Abdel Kader Boutaleb- L'émir Abdel Kader et la formation de la nation Algérienne- édition Dahleb, Alger- 1990. (337 P).

123-Augustin Bernard, L'Algérie, Librairie Félix Alcan, 1929. (522 P).

Augustin Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Challanel Editeur, Paris, 1893, Tome : 1,

124-A. Bellegrin, essai sur les noms et les lieux d'Algérie et de Tunisie, Etymologie, Edition, S .A .P.I, Tunis, 1949. (241 P).

125-Ahmed Henni, Etat surplus et société en Algérie avant 1830, Entreprise national de livre, Alger, 1986. (135 P).

126-André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Bibliothèque Arabe Sindabad. (396 P).

127-Charles Endre Julien, L'histoire de l'Algérie contemporaine (La conquête de française et les débuts de la colonisation.1827- 1871), Presses universitaires de France, 1ère édition, 1964. (632 P).

128-Charles Féraud, Annales tripolitaines, librairie Tournier, Tunis. Librairie viubert, Paris, 1927.

129-Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine (Documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique), La Calle, T.Y.P, de l'association ouvrière, 1877. (639 P).

130-Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine (Philippeville), A. Jourdan libraire éditeur, Alger, 1875. (190 P).

131-Charles Féraud, Monographie du palais de Constantine, Typographie et lithographie L. Arnolt. (96 P).

132-Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination turque. (267 P).

133-Charles Roux, La France et l'Afrique du nord avant 1830 Les précurseurs de la conquête, Librairie Félix Alean. (749 P).

134-Dureau de la malle, province de Constantine (recueil de renseignements), Libraire de guide, éditeur des annales des voyages, 1837. (515 P).

135-Emile Dermenchen, Le pays d'Abel، Le Sahara des Ouled Nail des Larbaa et des Amour, Imprimerie moyenne, Libraire Gallimaird, 14 Octobre1960, Paris. (214 P).

136-Endrè Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), Presses universitaires de France, Paris, 4ème série, 3ème volume, 1961.

137-Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J. Malle et F. Birpn, imprimeur- éditeurs, 1903. (730 P).

138-Ernest Ricard, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, Alger Jules- Caebonal imprimeur de la banque de l'Algérie, Paris libraire Plan, 1930. (433 P).

139-Jacques Premas, Structures agraires et de colonisation des oasis de l'oud Rhir, L'hamattan office des publications universitaires, Alger, Editeur, Librairie Paris, ISBN, 1979. (372 P).

140-Jean despois René, Géographie de l'Afrique du nord ouest, Payot, Bibliothèque scientifique, Paris, 1967. (570 P).

141-Jean Morizot, L'aures ou la mythe de la montagne rebelle, édition l'harmattan, Paris, 1992. (273 P).

142-H. D. Grammont, Histoire de l'Algérie sous la domination turque 1515-1830, Arnest Leroux, Editeur, 1887. (420 P).

143-H'esn Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, tome : 2, société national d'édition et de d'effusion, 1983. (574 P).

144-H. Klien, Feuillet d'el Djezair, La comité du vieil Alger, Imprimerie oriental Fontana, Alger, 1910. (110 P).

145-Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray édition, Paris, 1853. (450 P).

146-Louis Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, du Tunis et de Tanger, Librairie Hachette et G[ie] 1874. (544 P).

147-L. Pechot, L'Afrique du Nord avant 1830, Goposso imprimeur éditeur, 1914. (321 P).

148-Mahfoude Kadesh, L'Algérie durant la période Ottomane, Office des publications universitaires, Alger, 1998.

149-Capitaine Maitrot, Bône militaire siècle xxiv après avant a 20[ème] siècle après notre ère imprimerie central A, M marany- Bône- 1934. (531 P).

150-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, Edition Larose, Paris, 1951, Tome: 6. (299 P).

151-Mathieu De Lesseps, Algérie et la Tunisie, Librairie Hachette et C[ele], 1909.

152-M. Lèon, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C[el] libraires-éditeur. (648 P).

153-M. Le Myre par F. Accaroo, Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie dressé d'après les documents officiels sous la direction, Typographie et lithographie Adolphe Jourdan, 1879. (86 P).

154-M. Lèon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C [le] libraire- éditeur, Paris. (648 P).

155-Moulay Bellkamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1837), Entreprise National, Alger, 1986.

156-Mouloud Gaid, L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'édition, société national d'édition et de defusion, Alger, 1974. (241 P).

157-Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, Office des publications universitaires, Alger. Pages :(155 P).

158-Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Tome : 1, Augustin Challanel éditeur, Paris, 1893.

159- Nasserdine Saidouni, Alger urbaine à la fin l'époque Ottomane (1791-1830), Dar el charb – Al – Islam, Bayrût, 2001. (575 P).

160-Pierre Boyer, Alger à la veille de l'intervention française, imprimerie national S.A Monoco, 1ie trimestre, 1964. (266 P).

161-Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, ancien département D'Alger de 1830 à 1956, libraire d Amérique et d'orient, Adrien, Maisonneuve, Paris, 1960. (426 P).

162-Les capitaines du génie Rezet et Carette Fred Hoefer Algérie états Tripolitaine, Edition Bouslama, Tunis, 2ème édition, 1980. (123 P).

163-Saïd Ben Abdallah, La Justice du F. L. N. Pendant La Guerre de Libération, Presses du Complexe Graphique de Reghaia, 1982. (111 P).

164-Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie leur suppression leur remplacement, Ancienne maison Bastide Jourdan, 1922. (148 P).

4)- المعاجم والموسوعات والفهارس:

أ)-المعاجم:

165-أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، د ط، 1989. (187 صفحة).

166-أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج:5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ/1985م.

167-جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، جزء: ص-ي، ترجمة، منصور القاضي، د مط، د ط. (2038 صفحة).

168-معجم الوسيط، ج:1، راجع تجارب هذا الكتاب، عبد الوهاب السيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مطابع الأوقشت بشركة الإعلانات الشرقية، ط:3.

169–عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط:3، 1403هـ/ 1983م. (671 صفحة).

170–أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الوطنية للطباعة، جامعة الجزائر، د ط. (582 صفحة).

171–أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج:4، دار صادر بيروت، ط:1، 1374هـ/1955م، 1412هـ/1992م. (627 صفحة).

172–شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م. (501 صفحة).

ب)-الموسوعات:

*-الموسوعات باللغة العربية:

173–أكرم ديري وآخرون، الموسوعة العسكرية، ج: 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1977. (849 صفحة).

174–دائرة المعارف الإسلامية، من تأليف هوستما، ليفي بروفنسال، باستيه، ومجموعة أخرى من المؤلفين، مج: 5، النسخة العربية، إبراهيم زكي، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، كتاب الشعب، القاهرة، ط:1. (610 صفحة).

175–الموسوعة العالمية العربية، ج:17، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2. (732 صفحة).

176–موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط:1، 1421هـ/ 2000م. (592 صفحة).

177–محمد طه بدوي، ليلى أمين مرسي، المبادئ الأساسية في العلوم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000.

178–محمود فاخوري، وصلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية

والإسلامية وما يعادلها بالمقاييس (الأطوال-المساحات-الأوزان-المكاييل)، مكتبة لبنان ناشرون، د ط. (501 صفحة).

179-مسعود خود، الموسوعة التاريخية والجغرافية (معالم، وثائق، موضوعات، زعماء)، ج:13، د مط، د ط. (446 صفحة).

180-مرايا ونوافذ، ولاية قسنطينة، منشورات اللجنة الولائية لإحياء ذكرى 2500 سنة على نشأة مدينة سيرتا، د ط.

181-سميح دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، د ط.

182-رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 1979. (929 صفحة).

183-شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج:3، دار العلم للملايين، ط:1، أكتوبر 1993. (2023 صفحة).

*-الموسوعات باللغة الأجنبية:

184-B. Lewis, Encyclopédie de l’islam, Tome : 3, (H, B), Hiram- Leyde E. J. Brill, Paris. (P P: 627-628).

185-E. R. Toledano, Encyclopédie de l’Islam, Tome : 8, (G, P), Leyde E. J. Brill, Paris.

ج)-الفهارس:

*-الفهارس باللغة العربية:

186-خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، د مط، د ط. (417 صفحة).

*-الفهارس باللغة الأجنبية:

187-E. Fagnan, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque national d'Algérie, Bibliothèque national d'Algérie.

5)-المقالات:

*-المقالات باللغة العربية:

188-إبراهيم مياسي، "مصادر التاريخ الجزائري في الخارج فرنسا وتونس نموذجا"، المجلة التاريخية المغاربية منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، غوان، تونس، س: 26، ع: 93/94، ماي/ أيار1999.

189-أحمد توفيق المدني، "من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري"، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، نصف الأول من 1981.

190-جمال قنان، "الأزمة الجزائرية"، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من 1984، رقم:17، الجزائر. (ص ص: 10-25).

191-الكراي القسنطيني، "العلاقة بين الأتراك-العثمانيين والقوى المحلية بتونس والجزائر"، وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني خلال الثلاثين سنة الماضية، إعداد وتقديم: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فترسي-زغوان، أكتوبر/تشرين الأول 1996. (ص ص: 213-249).

192-المهدي البوعبدلي، "جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور"، الأصالة، س:5، جمادى الثانية، رجب 1396هـ/1976م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

193-محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر في العهد العثماني"، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج:1، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات،1990. (ص ص: 88-96).

194-ناصر الدين سعيدوني، "البحرية الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة الطريق، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني، 1986، ع : 22، الجزائر.

195–ناصر الدين سعيدوني، "الجزائر في تاريخها الطويل"، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، ع:7–8 ، جانفي 1977.

196–ناصر الدين سعيدوني، "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج:1–2، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات.

197–ناصر الدين سعيدوني، "الخزينة الجزائرية"، المجلة التاريخية المغربية، ع: 3، جانفي–يناير 1975، تونس.

198–العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، رجب 1400هـ/ ماي 1980م، س:2، ع: 2. (ص : 58–72).

199–أبو القاسم سعد الله، "مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهداية للفكون" الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج:1–2، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات، ع:1121هـ/1988م.

200–خليل الساحلي، "سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، المجلة التاريخية المغاربية، ع:1، جانفي 1974، تونس. (ص ص:25–32).

-المقالات باللغة الأجنبية:

201- Abbè Alfred Berengrer, «La prise d'Alger raconté par un témoin«, R. H. C. M, Janvier 1967, N : 2. (P P : 66-69).

202- Arnaud, «Notices sur les Sahari, Les oulad ben Alya, Les Ouled Nail, et sur les origines des tribus Cheurfa«, Journal des travaux de la société historique Algérienne, Alger A. Gourdon libraire-éditeur, Constantine,

Arnolet, Imprimeur- libraire, Paris, Challamel Ainè, Libraire, Office des publications universitaires, Alger, 1866. (P P: 166-170).

203-E. Bigonet, Une Lettre du Bey de Constantine, R. A, 1899. (P P: 172-181).

204-Charles Féraud, «Corporation de métiers à Constantine avant la conquête française«, R. A, 1872. (P P : 451-454).

205-Charles Féraud, «Destruction des établissements Français de la Calle, d'après des documents indigènes «, R. A, 1873. (P P : 398-437).

206-Charles Féraud, «Histoire des villes de Constantine (Stif, Borj Boarrrridj, Msila, Bou sàda)«, Recueil des sociétés archéologique de la province de Constantine. L- Arnolet, Libraire- Editeur Bastide, 1871-1872. (P P : 1-38).

207-Charles Féraud, «Les Harar seigneurs des Hnnencha«, R. A 1874. (P P : 321-396).

208-Charles Féraud, « Notes historique sur la province de Constantine (Ferdjioua et Zouar'a) «, R .A, 1878. (P P : 321-352).

209-Charles Féraud, «Province de Constantine (Ain Baida) «, R. C, 1871-1872. (413-419).

210-Charles Féraud, «L'oued- El Kebir et Collo «, R .A, 1858. (P P: 199-203).

211-Charles Robert Agèron, «Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830,1837) «, R. H. M, Volume N : 1, 1878. (P P : 221-225).

212-Ernest Mercier, «Constantine Avant la conquête Française 1837, notice sur cette ville à l'époque du dernier bey«, R. A, 1878. (P P: 70-77).

213-Ernest Mercier, « Evaluation de la famille El Feggoun«, R.C, 1878. (P P : 243-251).

214-Emerit, « Les mémoires d'Ahmed bey, dernier Bey de Constantine«, R. A, 1949. (P P : 65-125).

215-E. Pèlissier De Raynaud, Annales Algérienne, Tome : 1, Revue corrigé et continuée jusqu à la chute d'Abdelkader, Librairie militaire, Librairie Bastide, Alger, Octobre 1854.

216-E. Vayssette, «Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), El Hadj Ahmed bey dernier bey«, R. C, 1869. (P P : 453-620).

217-E. Vayssette, Histoire de Constantine, R. C, 1867. (P P: 459–462).

218-Kuran, Erkament, «La lettre du dernier Dey d'Alger au grand -vizir de l'empire Ottomane«, R A, 1952. (P P : 188-194).

219-Kuran, Erkament, «lettres orthographes de Mohamed Manamanni bey de Constantine (18241826) «, R. A, 1874. (P P : 413-417).

220-F. Dubouchage, Etude sur les ports de commerce de la province de Constantine, R. A. C, Octobre 1859, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1838

221-Louis Rinn, «Le royaume d'Alger sous le dernier Dey«, R.A, 1898. (P P: 5-114).

222-Mustafa Hadad, «Origines de la résistance dans le pays de Belzma«, R. H, centre nationale d'histoire historique, Alger, N : 17. (P P : 23-39).

223-Sèroka, «Le sud Constantinois de 1830 à 1855«, R. A, 1912. (P P : 375-446).

224-Spasa Colligo, Documents pour servir l'histoire de Bône, R .A, 1872

225-Sirouka Yacono,«Peut'on évaluer La population de l'Algérie en 1830? « R. A, 1954, (PP : 277-307).

6)- الرسائل الجامعية:

أ)-الرسائل الجامعية باللغة العربية:

226- أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830، رسالة لنيل شهادة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1422-1423هـ/2001-2002م.

227- سليمان بهلولي، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في العــصر الوسـيط، رسالة ماجستير، كلية العلــوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

228- القشاعي فلة المولودة ميساوي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقــة فــي التــاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1403هـ/1983م.

ب)-الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

229- Leila Babes, Tribus- Structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D. E. A d'études politiques approfondies, Université de droit, d'économie et de sciences d'Aix Marseille.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات